التربية الإيمانية والدعوية

للمرأة المسلمة

الجزء الأول

جمعة أمين عبد العزيز

دار النشر للجامعات

التربية الإيمانية والدعوية للمرأة المسلمة

بطاقة فهرسة

فهرسة أثناء النشر إعداد الهيئة العامة لدار الكتب والوثائق القومية

إدارة الشئون الفنية

عبد العزيز، جمعة أمين
التربية الإيمانية والدعوية للمرأة المسلمة/ جمعة أمين عبد العزيز. ط١ - القاهرة: دار النشر للجامعات، ٢٠٠٩.
٣٩٢ ص مج١، ٢٤سم.
تدمك ٧ ٣١٩ ٣١٦ ٩٧٧ ٩٧٨
١ - المرأة في الإسلام
أ- العنوان
٢١٠,٤

تاريخ الإصدار: ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م

حقوق الطبع: محفوظة

رقم الإيداع: ٢٠٠٩/١٤٧٧٨

الترقيم الدولي: ISBN:978 - 977 - 316 - 319 - 7

الكود: ٣/٤٢٤

تحذير: لا يجوز نسخ أو استعمال أي جزء من هذا الكتاب بأي شكل من الأشكال أو بأية وسيلة من الوسائل (المعروفة منها حتى الآن أو ما يستجد مستقبلاً) سواء بالتصوير أو بالتسجيل على أشرطة أوأقراص أو حفظ المعلومات واسترجاعها دون إذن كتابي من الناشر.

دار النشر للجامعات

ص.ب (١٣٠ محمد فريد) القاهرة ١١٥١٨
ت: ٢٦٣٤٧٩٧٦ - ٢٦٣٢١٧٥٣ ف: ٢٦٤٤٠٠٩٤
E-mail: darannshr@link.net

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

يقول الإمام الشهيد حسن البنا :

"رأيت القائمين بكل نهضة موفقة نجحت وأثمرت كان لهم منهاج محدد عليه يعملون، وهدف محدد إليه يقصدون وضعه الداعون إلى النهوض وعملوا على تحقيقه خلفهم من قومهم وغيرهم يعملون على منهاجهم ويبدءون من حيث انتهى أولئك، لا يقطعون ما وصلوا، ولا يهدمون ما بنوا، ولا ينقضون ما أسسوا وشادوا، ولا يخربون ما عمروا، فإما زادوا عمل أسلافهم تحسينًا أو مكنوا نتائجه تمكينًا، وإما تبعوهم على آثارهم؛ فزادوا البناء طبقة، وساروا بالأمة شوطًا إلى الغاية"(١).

وبعد..

فإن هذا الكتاب يمثل الإصدار الأول لسلسلة تربوية تحاول -بتوفيق من الله- تحقيق منهج شامل للمرأة المسلمة بما يتضمنه من ثلاثة محاور أساسية؛ هي: المحور الإيماني والتعبدي ، والمحور الأخلاقي والسلوكي ،والمحور الدعوي والحركي.

وقد روعي فيها الآتي:

١- أن تكون أهدافها :

- منبثقة من العقيدة .
- ملبية لحاجات المرأة المسلمة .
- مراعية لظروفها .
- متناسقة مع خصوصياتها وطبيعة مهامها .
- منطلقة من واقعها .
- هادفة إلى تحقيق غايتها .

---

(١) الإمام حسن البنا، رسالة: هل نحن قوم عمليون؟

٢- ضرورة وجود الرؤية العلمية المنظمة والجوانب التطبيقية الملائمة:

هناك فرق بين التزود بالمعارف وبين التربية عليها وتحويلها إلى سلوكيات واقعية، ولا تتم التربية إلا بعد استيفاء الجوانب المعرفية والوجدانية والتطبيقية العملية، ويظهر أثر ذلك في السلوك، وللتربية والتزكية شأن عظيم في كل الرسالات السماوية، ففي سورة البقرة يقول الحق تبارك وتعالى على لسان الخليل إبراهيم: ﴿رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٢٩﴾﴾ [البقرة] وكذلك قوله تعالى: ﴿كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ ﴿١٥١﴾﴾ [البقرة] ثم في سورة الجمعة يأتي قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٢﴾ وَآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ ۚ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٣﴾﴾ [الجمعة] وغيرها من الآيات التي تدل على مكانة التربية والتزكية، وتقديم التزكية في كتاب الله على تعليم الكتاب والحكمة يؤكد أهميتها، ولفظ (منهم) و(منكم) في الآيات يشير إلى مظهر من مظاهر نجاح المربي؛ ألا وهو مناسبته للمتربين، فهو منهم؛ يألفونه، وهو منهم؛ يعرف ما يناسبهم من أهداف وبيئة وأساليب ووسائل تربوية، ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ۖ فَيُضِلُّ اللَّهُ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ ۚ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٤﴾﴾ [إبراهيم]، وكذلك إضافة ﴿وَآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ﴾ تشير إلى خاصية الاستمرارية في التربية، فلا يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها.

لقد بعث الله عز وجل الرسل برسالاتهم لإصلاح ما فسد من فطرة الناس، سواء في العقائد أم الشرائع، والرسالة الخاتمة لم ينزل الوحي بها جملة واحدة، وإنما نزلت منجّمة لأسباب نزول معروفة في الغالب الأعم، وفي ذلك يقول الحق تبارك وتعالى في سورة الإسراء: ﴿وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنزِيلًا ﴿١٠٦﴾﴾ وحينما اكتملت الرسالة بقيت لإصلاح البشرية بعد ذلك في كل زمان ومكان أخذا بعموم النص لا بخصوص السبب.

٣ - مراعاة النشأة الخلقية للمرأة المسلمة:

يرى الإسلام وجوب تهذيب خلق المرأة وتربيتها على الفضائل والكمالات النفسانية منذ النشأة، ويحث الآباء وأولياء أمور الفتيات على هذا، ويعِدُهم عليه الثواب الجزيل من الله.

يهتم الإسلام بالمرأة أمًّا وزوجةً وبنتًا؛ قال الرسول ﷺ في الزوجة: **"سعادة لابن آدم ثلاث، وشقاوة لابن آدم ثلاث، فمن سعادة ابن آدم: الزوجة الصالحة، والمركب الصالح، والمسكن الواسع - أو قال: والمسكن الصالح - وشقاوة لابن آدم ثلاث: المسكن السوء، والمركب السوء، والزوجة السوء"**. (مستدرك الحاكم: ٢٦٥٠). وقال تعالى في الأم: ﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ﴾ [لقمان: ١٤].

وقد حث المصطفى ﷺ في حديثه على إحسان التربية للمرأة بنتًا وزوجةً وأمًّا؛ فعن أبي أمامة عن النبي ﷺ أنه كان يقول: **" ما استفاد المؤمن بعد تقوى الله خيرًا له من زوجة صالحة"**(ابن ماجه: ١٨٤٧).

٤ - الوصول بالمرأة للرقي والتميز في أدوارها الاجتماعية والإنسانية:

«يكون كمال المرأة ورقيها إذا استطاعت أن تكون فتاة عفة طاهرة راجحة العقل، نبيلة العاطفة، سامية الغاية والمطمح، صحيحة الجسم والروح، وزوجًا مُخلصةً وفية.. وأمًّا برَّة صالحة، تقدم للإنسانية رجالا ونساء فضلاء.. ذلك هو كمال المرأة الصحيح»[1] الذي يراه الإسلام الحنيف.

وهذا الكمال والرقي أو التميز مطلوب من جميع النساء، ويجب التركيز عليه وتوجيه الجزء الأكبر من الجهد لتحقيقه أو تحقيق أكبر قدر ممكن فيه، ثم تأتي بعد ذلك الأهداف التي تطلب من بعض النساء لتميز ظاهر في المواهب والكفاءات والإمكانيات، بل ربما أيضًا ظروف النشأة وواقع الحياة العائلية والأسرية وطبيعة المرحلة الدعوية، فتبرز من النساء الكاملات المتميزات السياسية البارعة، والمهنية المتخصصة المتمرسة، أو الإدارية

(١) رسالة المرأة المسلمة، الإمام البنا.

الحازمة، كذلك الداعيات النابغات إلى غير ذلك مما تحتاجه مجتمعات المسلمين وتسمح به الظروف والإمكانات .

٥ - تلبية الأهداف التربوية للمرأة بحيث تتناسب مع الآتي :

- حاجياتها .
- وظائفها الأساسية .
- فطرتها وظروفها والأدوار الاجتماعية والإنسانية المتنوعة .

«فهي كفتاة يجب أن تُهيَّأ لمستقبلها الأسري، وهي كزوجة يجب أن تخلص لبيتها وزوجها، وهي كأم يجب أن تكون لهذا الزوج وهؤلاء الأبناء، وأن تتفرغ لهذا البيت؛ فهي ربته ومدبرته وملكته»[1] .

والإسلام يحث المرأة على مزاولة الأعمال التي تناسب أنوثتها وتكوينها الطبيعي جسميًا أو ذهنيًا أو نفسيًا، فيقدم الأهم ثم المهم؛ لتبقى الأسرة مترابطة ويحيا المجتمع هنيئًا سعيدًا.

ومن ثم كان الاهتمام بالمرأة قائما على التصور الصحيح لها في الإسلام؛ إذ يحكم التصورات في الاهتمام بالمرأة أمور منها :

«-أن الإسلام رفع قيمة المرأة وجعلها شريكة الرجل في الحقوق والواجبات، وأكد على إعطائها حقوقها الشخصية والمدنية والسياسية كاملة، ويحذر تحذيرا شديدا من ظلمها وهضم حقوقها.

- أن التفريق بين الرجل والمرأة في الحقوق والواجبات إنما جاء تبعا للفوارق الطبيعية التي لا مناص منها بين الرجل والمرأة، وتبعا لاختلاف المهمة التي يقوم بها كل منهما، وهي علامة تكامل كتلك التي بين الليل والنهار لا غنى عنهما جميعا: ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰ ﴿١﴾ وَٱلنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ ﴿٢﴾ وَمَا خَلَقَ ٱلذَّكَرَ وَٱلۡأُنثَىٰٓ ﴿٣﴾﴾ [الليل] فيتحقق التكامل المرغوب لا التنافس المرذول.

(١) رسالة الأسرة، الأستاذ البنا.

-أن بين المرأة والرجل تجاذبًا فطريًا قويًا، هو الأساس الأول للعلاقة بينهما، وأن الغاية منه - قبل أن تكون المتعة وما إليها - التعاون على حفظ النوع وحماية النسل واحتمال متاعب الحياة، والقيام بالرسالة الربانية في عبادة الله وعمارة الأرض»[١] .

المنهج المتبع:

تتبع هذه الدراسة المنهج الاستنباطي، وفيه يربط العقل بين المقدمات والنتائج، وبين الأشياء وعللها على أساس المنطق والتأمل الذهني،فهو يبدأ بالكليات ليصل منها إلى الجزئيات؛ من أجل وضع إطار نظري يمكن الانطلاق منه لتفسير كثير من المواقف السلوكية، وضبطها بإطار من القيم السوية والمنطق السليم.

والمنهج يعتمد على المرجعية الإسلامية من القرآن والحديث الشريف والسلف الصالح من هذه الأمة، وبعض كتابات العلماء والأئمة.

أهم الإرشادات في التعامل مع المنهج :

١ - إن كل محور من المحاور يتم تناوله من خلال عنوان أساسي قد يمثل هدفا عاما في حد ذاته، ويتم تناوله من خلال مقدمة توضح النقاط الأساسية ، وهي تمثل عناوين أساسية تحقق أهدافًا فرعية صِيغت في شكل عناوين موضوعية.

٢- يتم متابعة العناوين الأساسية من خلال الشرح ،ودراسة الأدلة الشرعية للمحتوى وما يدور حولها من أفكار ورؤى،وهي تساعدك على الفهم والإدراك وتزيد من القدرة على التقويم الذاتي .

٣- في التقويم لكل محور يتم اتباع الإرشادات الخاصة به من أجل أقصى استفادة ممكنة.

٤- في حالة الرغبة في الاستزادة وتعميق المعلومة يمكن الرجوع للمراجع الملحقة في نهاية الكتاب.

(١) الإمام حسن البناء، رسالة: هل نحن قوم عمليون؟

٥- ضرورة الاستفادة من الجوانب التطبيقية في الحياة العملية ،وهي تمثل منطلقا فقط، ويمكن الإضافة والإبداع في تحقيق أقصى استفادة تطبيقية وعملية ممكنة ،وكلما كان العمل جماعيًا حقق حصيلة علمية وتطبيقية أكبر.

٦- يجب الاعتماد على المصادر المتنوعة الأخرى بقدر الإمكان لتحقق أكبر قدر من الفائدة .

ولا تنس من التأكيد على الجوانب التالية :

١- أهمية التعلم الذاتي .

٢- أن هذا المنهج بأهدافه يحقق الأهداف التربوية الأساسية اللازمة لتكوين المرأة المسلمة (الإيماني – الأخلاقي – الدعوي) .

٣- الإشارة لأهمية التربية التكميلية التي تسعين إليها لاستكمالها في نفسك، وبالاستعانة بأصحاب الاختصاص (في الجوانب الاجتماعية – السياسية – مهارات الكمبيوتر والإنترنت – وفنون الحوار وغيرها ...) .

٤- الإشارة إلى مواكبة الأحداث والمستجدات بما يناسب الظرف والحدث .

٥- لفت النظر إلى أن العلوم الشرعية تمثل الأساس والمعين الذي لا ينضب في دراسة الواقع الذي نحياه (القرآن والسيرة والحديث ....) وأن هذه العلوم تناسب كل زمان ومكان لقول الرسول ﷺ: **"إني قد تركت فيكم شيئين لن تضلوا بعدهما؛ كتاب الله وسنتي، ولن يتفرقا حتى يردا على الحوض"**(الحاكم:٣١٩).

محتويات المنهج وأهدافه :

ينقسم المنهج إلى ثلاثة محاور: المحورالأول يتعلق بالإيمانيات ،والثاني بالأخلاقيات ، والثالث بالدعوة .

أولاً : محور الإيمانيات :

وفيه من القرآن الكريم، والأحاديث الشريفة ،والسيرة المطهرة، والعقيدة ، والفقه.

والقرآن الكريم يشمل:

من الجزء الثامن والعشرين (سورة المجادلة وسورة الحشر، وسورة الممتحنة، سورة الصف، وسورة الجمعة، وسورة المنافقون)

يحتوي المنهج في عرض السورة على ما يلي:

مقدمة للسورة تعين على التأهب لاستقبالها نفسيًا ومعرفيًا، ثم تقسيم السورة إلى دروس تشمل بعض الآيات المرتبطة بموضوع أو أحداث أو مواقف معينة، الهدف منها سهولة ربط الأفكار وإدراك أبعادها وإمكانية حفظها وتذكرها.

ثم عرض لمعاني بعض الكلمات التي تعين على فهم الآيات، وتكسب القارئة حصيلة لغوية جديدة.

ثم المعايشة في ظلال الآيات لتتعرف على المزيد من معانيها وتتمثل متطلباتها فتصبح جزءًا منها. فتتأهل القارئة لاستقبال الجوانب التطبيقية المستفادة من الآيات، وفيها جوانب ربما تمسها شخصيًا أو تمس أحد المقربين لها أو تراها في المجتمع، وتهدف هذه الجوانب إلى الاستفادة العملية من جميع عناصر الآيات اللغوية والموضوعية والسلوكية والتربوية والدعوية والإيمانية، وفي نهاية كل درس تأتي مرحلة التقويم التي لا تكتفي بالمحتوى المعرفي فحسب، ولكن تتعداه إلى إمكانية العمل بالآيات مع النفس ومع الناس.

وفي جزء الحديث:

تم انتقاء خمسة أحاديث تتناول الموضوعات التالية:

بيان كثرة طرق الخير، والصدق، واليقين والتوكل، والمبادرة إلى الخيرات، تحريم العقوق وقطيعة الرحم.

ويحتوي المنهج في عرض الأحاديث على ما يلي:

- نص الحديث، ويهدف عرض النص إلى التركيز على الحديث، بحيث يتم حفظه واعتباره منطلقًا إلى كثير من السلوكيات الفردية والمجتمعية، ومصحّحا لكثير من المفاهيم والقيم المحرفة والزائفة.

- معاني المفردات، وهي تهدف إلى مساعدة القارئة على فهم النص، وسهولة تذكره، وزيادة الحصيلة اللغوية، وإمكانية استخدم مفرداته في الحياة العملية.

- وفي رحاب الحديث يتضح لنا بعض جوانبه؛ فنحلل المعلومة، ونعمق الفهم، وندرك أبعاد الحديث، ونثبت مصطلحاته ومعانيه.

– ثم عرض بعض الجوانب التطبيقية المستفادة من الحديث، وهي تهدف إلى تنشيط الذهن لاستدعاء جوانب تطبيقية أخرى يمكن استخدامها في مواقف حياتية متنوعة بما يمثل زادا عمليًّا ننطلق منه جميعا .

– ويختم العرض بمجموعة أسئلة تقويمية تهدف إلى التدريب على استدعاء المعلومة وتذكرها والاحتفاظ بها لإمكانية استخدامها في مواقف حياتية متنوعة ،ويتم عرض طريقة التقويم نظرا لأهميتها لتحقيق أعلى استفادة ممكنة.

وفي جزء العقيدة:

اشتمل هذا الجزء على موضوع الإيمان، ويشمل مقدمة فيها حقيقة الإيمان وبعض خصائصه ، وأركان الإيمان الستة، في العناوين التالية:

حقيقة الإيمان ، وأثر الإيمان بالله، و بالملائكة، و بالكتب السماوية، بل وأثر الإيمان بالرسل، وبالقدر.

وتم تقويم حقيقة الإيمان ، ثم تقويم العقيدة بعد الانتهاء من الأركان بشكل كامل، بحيث اشتمل التقويم على الإيمان بالله والملائكة والكتب والرسل والقدر خيره وشره .

وفي جزء السيرة:

يركز هذا القسم على مختارات من السيرة النبوية، تشمل أهم المواقف التي كان للمرأة دور فيها، والتي تخدم المرأة اليوم في حياتها، مع التركيز على الأحداث التي تزيد في السيرة؛ لمزيد من التعرف على حياة النبي ﷺ.

ويحتوي هذا الجزء على موضوعين أساسيين وهما :

أهم الأحداث التاريخية من قبل البعثة وحتى نزول الوحي، ثم نزول الوحي والدعوة السرية.

وتتمثل منهجية العرض في هذا الجزء فيما يلي:

– ذكر عنوان الحدث المنتقى وربطه بما يجاوره من أحداث السيرة .

– تحديد ما يتضمنه الموضوع .

– عزو القارئة إلى الصفحات التي بها الموضوع من كتاب: (السيرة النبوية عرض وقائع وتحليل أحداث، للدكتور علي محمد الصلابي، طبعة دار النشر للجامعات، القاهرة ٢٠٠٨م) .

– التقويم، وهو يهدف إلى مساعدة القارئة على استدعاء معلوماتها عن السيرة، وتدريبها على الرجوع للمراجع لاستقاء المعلومة وربطها بالموضوعات المتناولة،

والتدريب على الاحتفاظ بهذه المعلومات لمدة طويلة ،وزيادة قدرتها على العمل بهذه المعلومات في أوقات مختلفة ومواقف عديدة.

وفي جزء الفقـــــه :

يهدف جزء الفقه من هذا الكتاب إلى توضيح قضايا ومسائل فقهية حيوية تمس المرأة مسًّا مباشرًا، وتجيب على كثير مما يتردد في الأذهان وما يدور على الألسنة من تساؤلات، كما أنها ترسي مفاهيم قد اختلطت على الكثير.

ويتم تناول المحتوى من خلال العنوانين التاليين:

١- اللباس والزينة للمرأة: ويحتوي على ثلاثة عشر درسا لموضوعات رئيسة تحت العناوين التالية:

ألوان اللباس، ما يشترط في لباس المرأة المسلمة، تعريف الزينة، الحلي، الكحل، الخضاب، الطيب، الشعر وما يتعلق به، الوشم والوشر، زينة المرأة في الوقت الحاضر، أعمال التجميل وعملياته.

٢- التبرج والاختلاط: وفيه دراسة لمفهوم الاختلاط، وحكمه، وحكم الاختلاط للحاجة.

وقد اتبع لعرض هذا المحتوى الخطوات التالية:

- اختيار كتاب المفصل في أحكام المرأة للدكتور عبد الكريم زيدان كمرجع أساسي.
- تقسيم هذه القضايا في شكل حلقات دراسية تأكيدا على ضرورة الاجتماع لتلقي الفقه من أهل التخصص.
- تحديد الموضوعات الرئيسة.
- تحديد الموضوعات الفرعية.
- عزو تلك الموضوعات إلى أرقام صفحات الموضوعات بالكتاب المرجع المشار إليه.
- وضعت مجموعة أسئلة تقويمية تهدف إلى قياس المعرفة والفهم والإدراك لبعض المسائل الفقهية المتناولة.

ثانيًا : المحور الأخلاقي والسلوكي:

ويشمل: التعرف على عيوب النفس، والاجتهاد في محاسبتها وإصلاحها.

ويشمل أربعة دروس:

الدرس الأول: في محاسبة النفس، ومفهوم محاسبة النفس، وبعض الأدلة على وجوب

محاسبة النفس، وأهمية محاسبة النفس وأنواعها، وخطورة عدم محاسبة النفس ،وكيفية محاسبة النفس محاسبة دقيقة، والتدقيق في محاسبة النفس على الطاعات والمعصية.

الدرس الثاني: في مفهوم إصلاح النفس، والوسائل المعينة على إصلاح النفس، والاجتهاد في إصلاح النفس بالاستعانة بالله ثم بالصالحين والصالحات.

الدرس الثالث: في مجاهدة النفس للتخلص من بعض آفات اللسان : (الغيبة – النميمة – المراء والجدل).و مجاهدة النفس لتنقيتها من بعض شهواتها: (الكبر– الغضب – الحقد – الحسد).

الدرس الرابع: في التحلي بالأخلاق والقيم الإسلامية، ويشمل: قوة الإرادة ، ومخالفة الهوى.

ويتم تقويم كل موضوع على حدة بما يسمح للقارئة استعادة معلوماتها وتقسيمها ، والقدرة على تمثيلها في المجتمع من خلال السلوك السوي والأصلح .

ثالثًا : المحور الدعوي والحركي:

ونتناول فيه الفهم الصحيح للإسلام.

ووُضعت مقدمة للتمهيد لأصوله العشرين المذكورة، وتم تناول كل أصل من جوانب أساسية تتمثل في: سرد النص، ثم بيان أهميته، ثم توضيح المصطلحات الغريبة بالنص إن وجدت، ثم شرح المحتوى، ثم جوانب تطبيقية مستفادة من النص، ثم التقويم.

والله نسأل أن يتم فضله ونعمته علينا ، ويتقبل صالح أعمالنا ، ويجعلنا من ورثة جنة النعيم.

جمعة أمين عبد العزيز

١٩ من جمادى الأولى ١٤٣٠هـ

١٤ من مايو ٢٠٠٩م

* * *

الفصل الأول

المحور الإيماني التعبدي

أولاً : القرآن الكريم.

ثانيًا : الحديث الشريف.

ثالثًا : العقيدة.

رابعًا : السيرة النبوية.

خامسًا : الفقه.

أولاً: القرآن الكريم

دراسة تربوية للسور الست الأولى من الجزء الثامن والعشرين

وهي: سـورة المجـادلة التي تبعث الطمأنينة في نفس المرأة المسلمة، بأن الله معها في عسرها ويسرها، في محنتها ومنحتها ، وفي ظلالها خمسة دروس:

١ - العناية بالمجتمع المسلم ورعايته.

٢ - تربية الفئة المؤمنة والتحذير من صفات المنافقين.

٣ - الميزان الدقيق للإيمان في النفوس.

٤ - صفات المنافقين الذين يتولون اليهود.

٥ - الولاء والبراء لله ولرسوله ﷺ.

وسورة الحشر التي تتناول تربية الثلّة المؤمنة تربية حية بالأحداث والتوجيهات والتعقيبات ،وفي ظلالها أربعة دروس:

١ - إجلاء بني النضير.

٢ - تنظيم العلاقات الداخلية في المجتمع المسلم.

٣ - حقيقة الأعداء.

٤ - حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا.

وسورة الممتحنة التي تمثل حلقة في سلسلة التربية الإيمانية والتنظيم الاجتماعي والدولة في المجتمع المدني، وفي ظلالها درسين:

١ - التجرد والبعد عن العصبية.

٢ - تنظيم الإسلام للعلاقات الدولية عامة وما يخص النساء خاصة.

وسورة الصف التي تقرر في ضمير المسلم أن دينه هو المنهج الإلهي للبشرية ، وأن شعور المسلم بهذه الحقيقة يستتبع شعوره بتكاليف هذه الأمانة شعورًا يدفعه إلى صدق النية في الجهاد لإظهار دينه على الدين كله، وعدم التردد بين القول والفعل، وفي ظلالها ثلاثة دروس:

١ - وجوب موافقة القول للفعل.

٢ - الله متم نوره .

٣- اختصاص الأمة الإسلامية بإحياء يوم الجمعة والتجارة الرابحة مع الله.

وسورة الجمعة التي تقرر أن المجتمع المسلم في المدينة هو المختار أخيرا لحمل أمانة العقيدة الإيمانية؛ وأن هذا فضل من الله عليه وفي ظلالها ثلاثة دروس:

١ - الرسالة .. فضل الله للأميين.

٢ - تفريط اليهود في الرسالة سبب ضياعها منهم.

٣- اختصاص الأمة المحمدية بإحياء يوم الجمعة وتفضيل التجارة مع الله.

وسورة المنافقون التي تتضمن حملة قوية وشاملة على أخلاق المنافقين وأكاذيبهم ودسائسهم ومناوراتهم ، وما في نفوسهم من البغض والكيد للمسلمين، وفي ظلالها ثلاثة دروس:

١ - حقيقة المنافقين.

٢ - عداوة المنافقين للرسول ﷺ .

٣- تحذير المؤمنين من فعل المنافقين.

* * *

(١) سـورة المجـادلة

التعريف بالسورة:

هذه السورة تبعث الطمأنينة في نفس المرأة المسلمة، بأن الله معها في عسرها ويسرها، في محنتها ومنحتها، ففيها دفاع عن امرأة بسيطة في موقف في حياتها ظلمت فيه. كما تدعو السورة لملازمة المراقبة والمناجاة استئناسًا بالله واستشعارًا لمعيته، فلم تخل آية فيها من اسم الله.

تبدأ السورة بصورة عجيبة من صور هذه الفترة الفريدة في تاريخ البشرية: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٌ ۝١﴾ فنشهد تقرير حكم الله في شأن يومي لأسرة صغيرة فقيرة مغمورة، وقد سمع -سبحانه- للمرأة وهي تحاور رسول الله ﷺ في أمرها، ولم تكد تسمعها عائشة وهي قريبة منها ! وهي صورة تملأ القلب بوجود الله وقربه وعطفه ورعايته.

يليها في سياق السورة توكيد أن الذين يحادون الله ورسوله مكتوب عليهم الكبت والقهر في الأرض، والعذاب المهين في الآخرة، مؤاخذون بما عملوا مما أحصاه الله عليهم، ونسوه هم وهم فاعلوه ! والله على كل شيء شهيد.

ثم توكيد وتذكير بحضور الله ﷻ وشهوده لكل نجوى في خلوةٍ يحسب أصحابها أنهم منفردون بها، والله معهم أينما كانوا: ﴿ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُواْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ وهذا التوكيد مقدمة لتهديد الذين يتناجون في خلواتهم لتدبير المكايد للمسلمين، تهديدٌ بأنَّ أمرهم مكشوف، وأن عين الله مطلعة عليهم، ونجواهم بالإثم والعدوان ومعصية الرسول ﷺ مسجلة، وأن الله آخذهم بها ومعذبهم عليها، ونهيٌ للمسلمين عن التناجي بغير البر والتقوى، وتربية نفوسهم وتقويمها بهذا الخصوص.

ثم يستطرد في تربية هذه النفوس المؤمنة؛ فيأخذها بأدب السماحة وبالطاعة في مجلس رسول الله ﷺ ومجالس العلم والذكر، كما يأخذها بأدب السؤال والحديث مع الرسول ﷺ، والجد في هذا الأمر والتوقير.

أما بقية السورة بعد هذا فتنصرف إلى الحديث عن المنافقين الذين يتولون اليهود؛ ويتآمرون معهم، ويدارون تآمرهم بالكذب والحلف للرسول ﷺ وللمؤمنين، وتصورهم

في الآخرة كذلك حلافين كذابين؛ يتقون بالحلف، والكذب ما يواجههم من عذاب الله، مع توكيد أن الذين يحادون الله ورسوله كتب عليهم أنهم في الأذلين، وأنهم هم الأخسرون، كما كتب سبحانه أنه هو ورسله هم الغالبون، وذلك تهوينًا لشأن المنافقين.

وفي ختام السورة تجيء تلك الصورة الوضيئة لحزب الله، هذه الصورة التي كان يمثلها بالفعل أولئك السابقون من المهاجرين والأنصار، والتي كانت الآية الكريمة تشير إليها كي تكون نورًا وهداية لأولئك الذين ما زالوا بعد في الطريق !

ويتم تناول معاني السورة من خلال الدروس التالية :

١ – العناية بالمجتمع المسلم ورعايته.

٢ – تربية الفئة المؤمنة والتحذير من صفات المنافقين.

٣ – الميزان الدقيق للإيمان في النفوس.

٤ – صفات المنافقين الذين يتولون اليهود.

٥ – الولاء والبراء لله ولرسوله ﷺ .

الدرس الأول
العناية بالمجتمع المسلم ورعايته

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿١﴾ ٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِنكُم مِّن نِّسَآئِهِم مَّا هُنَّ أُمَّهَٰتِهِمْ ۖ إِنْ أُمَّهَٰتُهُمْ إِلَّا ٱلَّٰٓـِٔى وَلَدْنَهُمْ ۚ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنكَرًا مِّنَ ٱلْقَوْلِ وَزُورًا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ ﴿٢﴾ وَٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا۟ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَآسَّا ۚ ذَٰلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِۦ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٣﴾ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِن قَبْلِ أَن يَتَمَآسَّا ۖ فَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا ۚ ذَٰلِكَ لِتُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۚ وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ ۗ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤﴾﴾.

أولاً : معاني المفردات:

تُجادِلُكَ: تُحاوِرُك وتُراجِعُك الكلام.

يُظَاهِرُونَ: يُحرِّمون نساءهم تحريمهم أمهاتِهم، **والظهار:** أن يقول الرجل لامرأته: أنت

عليّ كظهر أمي. مشتقٌ من الظهر.

مُنكَرًا مِنَ الْقَوْلِ: فظيعًا منه، يُنكِرُهُ الشرع والعقل.

زُورًا: كذبًا باطلًا منحرفًا عن الحق.

يَتَمَاسَّا: يستمتعا بالوِقاع أو دواعيه.

ثانيًا: في ظلال الآيات:

* حقيقة الظهار وسبب نزول الآيات.
* المشكلة الزوجية وكيفية التصرف فيها كما عرضتها السيدة خولة.
* قضية الظهار بين الجاهلية والإسلام.

١ - حقيقة الظهار وسبب نزول الآيات:

﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٌ﴾، كان الرجل في الجاهلية يغضب من امرأته، فيقول: أنت عليَّ كظهر أمي. فتحرم عليه، ولا تُطَلَّقُ منه، وتبقى هكذا، لا هي حلٌّ له ؛ فتقوم بينهما الصلات الزوجية، ولا هي مطلقة منه؛ فتجد لها طريقًا آخر، وكان هذا طرفًا من العنت الذي تلاقيه المرأة في الجاهلية.

فلما وقعت هذه الحادثة التي تشير إليها هذه الآيات، لم يكن قد شُرِّع بعدُ حكمٌ للظهار، فعن خولة بنت ثعلبة قالت: "والله فيَّ وفي أوس بن صامت أنزل الله ﷻ صدر سورة المجادلة، قالت: كنت عنده، وكان شيخا كبيرا قد ساء خلقه وضجر، قالت: فدخل عليَّ يوما، فراجعته بشيء فغضب، فقال: أنت عليَّ كظهر أمي. قالت: ثم خرج فجلس في نادي قومه ساعة، ثم دخل عليَّ فإذا هو يريدني على نفسي، قالت: فقلت: كلا والذي نفس خويلة بيده، لا تخلص إليَّ وقد قلت ما قلت حتى يحكم الله ورسوله فينا بحكمه. قالت: فواثبني وامتنعت منه، فغلبته بما تغلب به المرأة الشيخ الضعيف فألقيته عني، قالت: ثم خرجت إلى بعض جاراتي فاستعرت منها ثيابها، ثم خرجت حتى جئت رسول الله ﷺ، فجلست بين يديه، فذكرت له ما لقيت منه، فجعلت أشكو إليه ﷺ ما ألقى من سوء خلقه، قالت: فجعل رسول الله ﷺ يقول: **يا خويلة، ابن عمك شيخ كبير فاتقي الله فيه**. قالت: فوالله ما برحت حتى نزل فيَّ القرآن، فتغشى رسول الله ﷺ ما كان يتغشاه، ثم سري عنه، فقال لي: **يا خويلة، قد أنزل الله فيك وفي صاحبك**. ثم قرأ عليَّ:

﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا﴾ إلى ﴿وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ فقال لي رسول الله ﷺ: **مريه فليعتق رقبة.** قالت: فقلت: والله يا رسول الله، ما عنده ما يعتق. قال: **فليصم شهرين متتابعين.** قالت: فقلت: والله يا رسول الله، إنه شيخ كبير ما به من صيام. قال: **فليطعم ستين مسكينا وسقا من تمر.** قالت: قلت: والله يا رسول الله، ما ذاك عنده. قالت: فقال رسول الله ﷺ: **فإنا سنعينه بعرق من تمر.** قالت: فقلت: وأنا يا رسول الله سأعينه بعرق آخر. قال: **قد أصبت وأحسنت، فاذهبي فتصدقي عنه، ثم استوصي بابن عمك خيرا،** قالت: ففعلت" (مسند الإمام أحمد: ٢٦٠٥٦).

٢- المشكلة الزوجية وكيفية التصرف فيها كما عرضتها السيدة خولة :

هذه المرأة عاشت مع بنات جنسها في ذلك المجتمع الإسلامي الناشئ، وكانت تراجع زوجها كبقية النساء، ويغضب عليها، ولكنه في هذه المرة قد ارتكب خطأً، فأحسَّتْ تلك المرأة بأنه خطأٌ لا يمكن السكوت عليه، بل إنه قد يكون مخالفًا لما تعلمه من شرع الله؛ لما فيه من امتهان للمرأة، التي كرمها الشرع، فكان رد فعلها أن:

* رأت الأمر لا يمكن السكوت عليه.

* فلجأت إلى المرجعية العليا في تعرُّف أحكام الإسلام؛ وهي الرسول ﷺ.

* وكانت حريصة على سرِّية الخلاف العائلي بينها وبين زوجها؛ فأسرَّت بما حدث للرسول ﷺ في محضر السيدة عائشة، ولكنها لم تُسْمِعْها ما دار بينها وبين الرسول ﷺ، حتى قالت السيدة عائشة رضي الله عنها: "الحمد لله الذي وسع سمعه الأصوات، لقد جاءت خولة إلى رسول الله ﷺ تشكو زوجها، فكان يخفى عليَّ كلامها، فأنزل الله عز وجل: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿١﴾﴾ الآية". (النسائي: ٣٤٠٦).

ثم تقوم المرأة بدور المبلِّغ عن الرسول ﷺ أحكام الشرع لزوجها: «**مُرِيهِ فَلْيُعْتِقْ رَقَبَةً**».

* كانت حريصة على الحل وتساهم فيه، لا مجرد عرض المشاكل وبيان صوابها وخطأ زوجها، فتجادل الرسول ﷺ في زوجها شفقةً ورحمةً ورأفةً به رضي الله عنها: «**وَاللهِ يَا رَسُولَ اللهِ مَا عِنْدَهُ مَا يُعْتِقُ**،......**وَاللهِ يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّهُ شَيْخٌ كَبِيرٌ مَا بِهِ مِنْ صِيَامٍ**». ولم تكتف بذلك بل تقوم بإعانة زوجها على أداء تكاليف شرع الله بما تستطيعه: «**وَأَنَا يَا رَسُولَ اللهِ سَأُعِينُهُ بِعَرَقٍ آخَرَ**». قَالَ ﷺ: «**قَدْ أَصَبْتِ وَأَحْسَنْتِ، فَاذْهَبِي فَتَصَدَّقِي عَنْهُ، ثُمَّ اسْتَوْصِي بِابْنِ عَمِّكِ خَيْرًا**». قَالَتْ: «**فَفَعَلْتُ**».

* التزمت بما ألزمها به الرسول ﷺ وبما ألزمت به نفسها.

وهكذا هي المرأة المسلمة؛ تدخل معترك الحياة وتتفاعل معه بطبيعة المرأة، وعينها على شرع الله ﷻ لا يغيب عنها، فهو المعيار والحكم في سلوكياتها وتصرفاتها، وهمُّها إرضاء زوجها؛ لأن فيه جنتها كما أخبر الرسول الأعظم ﷺ، ولكن بما لا يخل بذلك المعيار وذلك المقياس، ولأجل هذا نالت تلكم المرأةِ المنزلة العظيمة بورود خبرها في قرآن يتلى إلى يوم القيامة، ومن أعلى ذكر الله في قلبه أعلى اللهُ ذكرَه في الدنيا والآخرة.

﴿وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا ۚ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾: إنكما لم تكونا وحدكما، لقد كان الله معكما، وكان يسمع لكما، لقد سمع قول المرأة، سمعها تجادلك في زوجها وتشتكي إلى الله، وعلم القصة كلها، وهو يعلم تحاوركما وما كان فيه، إن الله سميع بصير، يسمع ويرى.

٢- قضية الظهار بين الجاهلية والإسلام:

ثم يقرر أصل القضية، وحقيقة الوضع فيها: ﴿الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنكُم مِّن نِّسَائِهِم مَّا هُنَّ أُمَّهَاتِهِمْ ۖ إِنْ أُمَّهَاتُهُمْ إِلَّا اللَّائِي وَلَدْنَهُمْ ۚ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنكَرًا مِّنَ الْقَوْلِ وَزُورًا ۚ وَإِنَّ اللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ ۝٢﴾ فهو علاج للقضية من أساسها، إن هذا الظهار قائم على غير أصل؛ فالزوجة ليست أمًّا حتى تكون محرمة كالأم، فالأم هي التي ولدت، ولا يمكن أن تصير الزوجة أمًّا بكلمةٍ تقال، إنها كلمة منكرة ينكرها الواقع، وكلمة مزورة ينكرها الحق، «وَإِنَّ الله لَعَفُوٌّ غَفُورٌ» في ما سلف من هذه الأمور.

ثم يجيء الحكم القضائي في الموضوع: ﴿وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِن نِّسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَاسَّا ۚ ذَٰلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِ ۚ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ۝٣﴾.

وقد جعل الله العتق في كفاراتٍ متنوعةٍ وسيلةً من وسائل التحرير للرقاب، وهناك أقوال كثيرة في معنى: ﴿ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا﴾ نختار منها أنهم يعودون إلى الوطء الذي حرموه على أنفسهم بالظهار، فينبغي عليهم تحرير رقبة من قبل العودة إلى حله، ثم التعقيب: ﴿ذَٰلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِ﴾ فالكفارة مذكِّر وواعظ بعدم العودة إلى الظهار الذي لا يقوم على حق ولا أساس: ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ خبيرٌ بحقيقته، وخبيرٌ بنيتكم فيه.

ثم يتابع بيان الحكم فيه: ﴿فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِن قَبْلِ أَن يَتَمَاسَّا ۖ فَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا﴾ فمن مقاصد الشريعة الرائعة في الكفارات أن يستفيد

المجتمع كله من أخطاء أفراده، فضلا عن طاعات وبر وصدقات محسنيه ، فهذا خطأ واحد ينتفع بكفارته ستون مسكينا جائعا يتم إطعامهم، وفي كفارة أخرى كسوتهم وتحرير رقاب العبيد منهم، وأقلها وأكثرها شيوعا كفارة اليمين التي لا يلتزم المسلمون غالبًا بترتيب الأولوية فيه؛ فيفضلون الصيام على إطعام المساكين أو يختاروه رغم قدرتهم على الإطعام: ﴿إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَٰكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍ ذَٰلِكَ كَفَّٰرَةُ أَيْمَٰنِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ﴾ [المائدة:٨٩] ثم التعقيب للبيان والتوجيه: ﴿ذَٰلِكَ لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ وهم مؤمنون، ولكن هذا البيان وهذه الكفارات وما فيها من ربط أحوالهم بأمر الله وقضائه، كلٌّ ذلك مما يحقق الإيمان، ويربط به الحياة. ﴿وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ﴾ أقامها ليقف الناس عندها لا يتعدونها، وهو يغضب على من لا يرعاها ولا يتحرج دونها. ﴿وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ بتعدِّيهم وتحدِّيهم وعدم إيمانهم.

ثالثًا : جوانب تطبيقية مستفادة من الآيات :

علينا الاجتهاد في الآتي:

* الحرص على الترابط الأسري والعلاقة الزوجية ، والمحافظة على أسرارها.

* السعي لحل المشاكل الزوجية في ضوء الآداب السابقة، ولنعهد بها إلى أصحاب الخبرة والحكمة، وفي إطار من الحفظ والكتمان.

* توصية الزوجة بزوجها خيرًا مهما بدر منه عملا بقوله ﷺ : **" تؤدون الحق الذي عليكم وتسألون الله الذي لكم "**.

* الوقوف عند حدود الله والقيام بها وعدم تعدِّيها.

* المرأة مكلفة كالرجل بمسئولية الحفاظ على كيان الأسرة، وهذا ما قامت به خولة رضي الله عنها .

* الصبر على أذى الزوج ؛ عسى أن يهديه الله أو يجعل لك مخرجا.

* عدم الوقوف أمام عثرات الطريق في العلاقات الزوجية، خاصةً بعد انتشار ضعف الحوار الأسري، وظهور ما يسميه البعض الخرس الزوجي، وينبغي أيضًا فتح مجال رحب للحوار بين الزوجين لتفادي مشكلات سوء الفهم.

– في اجتماعٍ عائليٍّ أو في جلسةٍ تربويةٍ أو في لقاءٍ مع صديقاتٍ وأخواتٍ يمكن فتحُ

حوارٍ حول حرص الإسلام على الترابط الأسري من خلال قصِّ ما تدور حوله هذه الآيات.

رابعًا: التقويم (الدرجة النهائية ١٠)

١- أكملي ما يأتي: الظهار هو..........................(درجتان).

٢- لماذا شدد الإسلام في عقوبة الظهار؟(٣درجات).

٣- ما الآداب التي راعتها المرأة وهي تجادل الرسول ﷺ فيما فعل زوجها؟ (٥درجات).

الدرس الثاني
تربية الفئة المؤمنة والتحذير من صفات المنافقين

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ كُبِتُوا۟ كَمَا كُبِتَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ وَقَدْ أَنزَلْنَآ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ ۚ وَلِلْكَٰفِرِينَ
عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٥﴾ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓا۟ ۚ أَحْصَىٰهُ ٱللَّهُ وَنَسُوهُ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ
شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٦﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۖ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا
هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟ ۖ ثُمَّ
يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٧﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نُهُوا۟ عَنِ ٱلنَّجْوَىٰ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا
نُهُوا۟ عَنْهُ وَيَتَنَٰجَوْنَ بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَمَعْصِيَتِ ٱلرَّسُولِ وَإِذَا جَآءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ ٱللَّهُ
وَيَقُولُونَ فِىٓ أَنفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا ٱللَّهُ بِمَا نَقُولُ ۚ حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصْلَوْنَهَا ۖ فَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٨﴾﴾.

أولاً: معاني المفردات:

يُحَادُّونَ: يعادون ويشاقون ويخالفون. كُبِتُوا: أُذِلُّوا أو أُهْلِكوا أو لُعِنوا.

أَحْصَاهُ الله: أحاط به علمًا. النَّجْوَى: المُسَارَّة في الحديث.

حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ: تكفيهم مكانا للعذاب. يَصْلَوْنَهَا: يدخلونها أو يُقاسون حرها.

ثانيًا: في ظلال الآيات:

* المصير المهين لمن خالف الله ورسوله ﷺ.
* موقف الناس بين يدي الله يوم البعث.
* معية الله العامة والخاصة.
* من صفات المنافقين وتعامل الرسول ﷺ معهم.

١- المصير المهين لمن خالف الله ورسوله ﷺ:

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ كُبِتُوا۟ كَمَا كُبِتَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ وَقَدْ أَنزَلْنَآ ءَايَـٰتٍۭ بَيِّنَـٰتٍ ۚ وَلِلْكَـٰفِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ ۝٥﴾ صورة من صور الحرب والنكاية للفريق الآخر؛ فريق الذين يحادون الله ورسوله، أي: الذين يأخذون لهم موقفًا عند الحد الآخر في مواجهة الله ورسوله.

هؤلاء المحادون المشاقون المتبجحون ﴿كُبِتُوا۟ كَمَا كُبِتَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ والكبت: القهر والذل، والذين من قبلهم إما أن يكونوا هم الغابرين من الأقوام الذين أخذهم الله بنكاله، وإما أن يكونوا هم الذين قهرهم المسلمون في بعض المواقع التي تقدمت نزول هذه الآية، كما حدث في غزوة بدر مثلًا.

﴿وَقَدْ أَنزَلْنَآ ءَايَـٰتٍۭ بَيِّنَـٰتٍ﴾ فهم ملاقون مصيرهم لا عن جهل ولا غموض في الحقيقة؛ بل وضحت وفصلت لهم الآيات.

٢- موقف الناس بين يدي الله يوم البعث:

ثم يعرض مصيرهم في الآخرة مع التعقيب الموحي الموقظ المربي للنفوس ﴿وَلِلْكَـٰفِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ ۝٥ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓا۟ ۚ أَحْصَىٰهُ ٱللَّهُ وَنَسُوهُ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ۝٦﴾ والمهانة جزاء التبجح، وهي مهانة تلحقهم يبعثهم الله جميعًا، مهانة على رءوس الجموع، وهو عذاب يقوم على حق وبيان لما عملوا، إن كانوا هم قد نسوه فإن الله أحصاه بعلمه الذي لا يَنِدُّ عنه شيء، ولا يغيب عنه خافٍ ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ﴾.

٣- معية الله العامة والخاصة:

ويستطرد السياق من تقرير حقيقة: ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ﴾ إلى رسم صورةٍ حيةٍ من هذا الشهود تمسُّ أوتار القلوب: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۖ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَـٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟ ۖ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ۝٧﴾.

تبدأ الآية بتقرير علم الله الشامل لما في السماوات والأرض على إطلاقه، ثم تتدرج حتى تلمس ذوات المخاطبين وتمسّ قلوبهم بصورة من ذلك العلم الإلهي تجعل القلوب تهتز: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَـٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ

﴿وَلَآ أَكۡثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمۡ أَيۡنَ مَا كَانُواْۖ﴾ وهي حقيقة في ذاتها، ولكنها تخرج في صورة لفظية عميقة التأثير، صورة تترك القلوب وجلة ترتعش، وحيثما اختلى ثلاثة تلفتوا ليشعروا بالله رابعهم، وحيثما اجتمع خمسة تلفتوا ليشعروا بالله سادسهم، وحيثما كان اثنان يتناجيان فالله هناك! وحيثما كانوا أكثر فالله هناك، إنها حالة لا يثبت لها قلب؛ ولا يقوى على مواجهتها إلا وهو يرتعش ويهتز: ﴿هُوَ مَعَهُمۡ أَيۡنَ مَا كَانُواْۖ... ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُواْ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ﴾ إن مجرد حضور الله وسماعه أمر عظيم، فكيف إذا كان لهذا الحضور والسماع ما بعده من حساب وعقاب؟ وكيف إذا ما كان يسره المتناجون وينعزلون به ليخفوه سيعرض على الأشهاد يوم القيامة، وينبئهم الله به في الملأ الأعلى في ذلك اليوم المشهود؟ وتنتهي الآية بصورة عامة كما بدأت: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ﴾.

٤- صفات المنافقين وتعامل الرسول ﷺ معهم:

﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نُهُواْ عَنِ ٱلنَّجۡوَىٰ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُواْ عَنۡهُ وَيَتَنَٰجَوۡنَ بِٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِ وَمَعۡصِيَتِ ٱلرَّسُولِۖ وَإِذَا جَآءُوكَ حَيَّوۡكَ بِمَا لَمۡ يُحَيِّكَ بِهِ ٱللَّهُ وَيَقُولُونَ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ لَوۡلَا يُعَذِّبُنَا ٱللَّهُ بِمَا نَقُولُۚ حَسۡبُهُمۡ جَهَنَّمُ يَصۡلَوۡنَهَاۖ فَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ۝٨﴾.

وقد تحدث القرآن عن المنافقين، رجالًا ونساءً على حد سواء؛ لأن النفاق متمثل في نسائهم تمثُّله في رجالهم، ويقمن بنفس الدور الضارّ في المجتمع: ﴿ٱلۡمُنَٰفِقُونَ وَٱلۡمُنَٰفِقَٰتُ بَعۡضُهُم مِّنۢ بَعۡضٖۚ يَأۡمُرُونَ بِٱلۡمُنكَرِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَقۡبِضُونَ أَيۡدِيَهُمۡۚ نَسُواْ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمۡۚ إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ۝٦٧﴾ [التوبة]. ومن ثم فمواجهة النفاق لا يفرق فيها بين رجالهم ونسائهم.

والآية توحي بأن أسلوب رسول الله ﷺ مع المنافقين في أول الأمر كان هو النصح لهم بالاستقامة والإخلاص، ونهيهم عن الدسائس والمؤامرات التي يدبرونها بالاتفاق مع اليهود بالمدينة، وأنهم بعد هذا كانوا يتمادون في مؤامراتهم ودسائسهم الخفية، كما أنها توحي بأن بعضهم كان يلتوي في صيغة التحية فيحورها إلى معنى سيِّء خفيّ، ﴿وَإِذَا جَآءُوكَ حَيَّوۡكَ بِمَا لَمۡ يُحَيِّكَ بِهِ ٱللَّهُ﴾ كأن يقولوا -كما كان اليهود يقولون-: السام عليكم. وهم يوهمون أنهم يقولون: السلام عليكم. بمعنى الموت لكم أو تسامون في دينكم، وهم يقولون في أنفسهم: لو كان نبيًّا حقًّا لعاقبنا الله على قولنا هذا. أي: في تحيتهم أو في مجالسهم التي يتناجون فيها ويدبرون الدسائس والمؤامرات، ثم رد عليهم بقوله تعالى: ﴿حَسۡبُهُمۡ جَهَنَّمُ يَصۡلَوۡنَهَاۖ فَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ﴾.

ثالثًا: جوانب تطبيقية مستفادة من الآيات:

أكدي على هذه المعاني لديك من خلال الآيات:

* أبى الله تعالى إلا أن يُذلَّ من عصاه ويقهره، ويجعله عبرة لمن بعده.

* إن الله سبحانه وتعالى لا يعذب أحدًا إلا بعد أن يقيم الحجة عليه، ويرسل له الأدلة والبراهين، ويبين له الحق من الباطل.

* علم الله شامل لكل شيء؛ فهو يحصي ويعد كل صغيرة وكبيرة، وكل ما يخفيه وما يعلنه العبد، فليس هناك سر على الله.

* الوسائل التي تعين على مراقبة الله عز وجل، ومنها: الذكر والاستغفار والدعاء ومصاحبة الصالحين ومجالس الذكر، والإقلاع عن ظلم الناس، الصدقة، والصدق مع النفس.

رابعًا: التقويم: (الدرجة النهائية ١٥)

١- بيني معنى الكلمات التالية: (٣درجات)

يُحَادُّونَ، كُبِتُوا، أَحْصَاهُ الله.

٢-أكملي الآيات التالية: (٦درجات)

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ.......................... ﴿٥﴾ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا.. ﴿٦﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ.............................. مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ.............................. وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ.............. هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟.............................. إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٧﴾﴾.

٣- ما المصير المهين كما وصفته الآية لمن خالف الله ورسوله ﷺ؟(درجة واحدة)

٤- صفي موقف الناس يوم البعث.(درجة واحدة)

٥- كيف تستشعرين معية الله في مواقف مختلفة من حياتك ؟(٤درجات)

* * *

الدرس الثالث

الميزان الدقيق للإيمان في النفوس

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَنَٰجَيۡتُمۡ فَلَا تَتَنَٰجَوۡاْ بِٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِ وَمَعۡصِيَتِ ٱلرَّسُولِ وَتَنَٰجَوۡاْ بِٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِيٓ إِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ ﴿٩﴾ إِنَّمَا ٱلنَّجۡوَىٰ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ لِيَحۡزُنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَيۡسَ بِضَآرِّهِمۡ شَيۡـًٔا إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ﴿١٠﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَكُمۡ تَفَسَّحُواْ فِي ٱلۡمَجَٰلِسِ فَٱفۡسَحُواْ يَفۡسَحِ ٱللَّهُ لَكُمۡۖ وَإِذَا قِيلَ ٱنشُزُواْ فَٱنشُزُواْ يَرۡفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ دَرَجَٰتٖۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ ﴿١١﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَٰجَيۡتُمُ ٱلرَّسُولَ فَقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيۡ نَجۡوَىٰكُمۡ صَدَقَةٗۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ لَّكُمۡ وَأَطۡهَرُۚ فَإِن لَّمۡ تَجِدُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾ ءَأَشۡفَقۡتُمۡ أَن تُقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيۡ نَجۡوَىٰكُمۡ صَدَقَٰتٖۚ فَإِذۡ لَمۡ تَفۡعَلُواْ وَتَابَ ٱللَّهُ عَلَيۡكُمۡ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥۚ وَٱللَّهُ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ﴿١٣﴾ ﴾.

أولاً: معاني المفردات:

تَفَسَّحُوا فِي المَجَالِسِ: توسَّعوا فيها ولا تَضَامُّوا.

انْشُزُوا: انهضوا.

أَأَشْفَقْتُمْ: أَخِفْتِم الفقر والعَيْلَة.

تَابَ الله عَلَيْكُمْ: خفَّف عنكم.

ثانيًا: في ظلال الآيات:

* أسلوب الرسول ﷺ في التعامل معهم.
* حقيقة المناجاة وآدابها.
* أدب المجالس في الآيات، وسبب النزول.
* العلاقة بين الإيمان والعلم والعمل.
* لون من التأدب مع رسول الله ﷺ.

١- حقيقة المناجاة وآدابها:

يلتفت السياق إلى الذين آمنوا، يخاطبهم بهذا النداء: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ﴾ لينهاهم عن التناجي بما يتناجى به المنافقون من الإثم والعدوان ومعصية الرسول، والمناجاة: من

النجو وهو السر بين اثنين، ويُذَكِّرُهم تقوى الله، ويُبين لهم أن النجوى على هذا النحو هي من إيحاء الشيطان لِيَحْزُنَ الذين آمنوا، فليست تليق بالمؤمنين.

ويبدو أن بعض المسلمين ممن لم تنطبع نفوسهم بعد بِحَاسَّة الأخلاق الإسلامية كانوا يجتمعون عندما تَحْزُبُ الأمور؛ ليتناجوا فيما بينهم ويتشاوروا بعيدًا عن أولي الأمر، الأمر الذي لا تُقِرُّه طبيعة الأخلاق الإسلامية؛ والتي تقتضي عرض كلِّ رأيٍ وكلِّ فكرةٍ وكلِّ اقتراحٍ على أولي الأمر ابتداءً، والنهي عن التجمعات الجانبية في المجتمع الإسلامي.

وهنا يناديهم الله بصفتهم التي تربطهم به، وتجعل للنداء وقعه وتأثيره: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ لينهاهم عن التناجي -إذا تناجوا- بالإثم والعدوان ومعصية الرسول، ويُبين لهم ما يليق بهم من الموضوعات التي يتناجى بها المؤمنون ﴿وَتَنَٰجَوْاْ بِٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ﴾ لتدبير وسائلهما وتحقيق مدلولهما، و«الْبِرّ»: الخير عامة، و«التَّقْوَى»: اليقظة والرقابة لله سبحانه، وهي لا توحي إلا بالخير، ويذكرهم بمخافة الله الذي يحشرون إليه، فيحاسبهم بما كسبوا، وهو شاهده وَمُحْصِيه، مهما ستروه وأخفوه.

ثم ينفرهم من التناجي والمُسَارَّة والتَّدَسُّس بالقول في خفية، فيقول لهم: إن رؤية المسلمين للوسوسة والهمس والانعزال بالحديث تبثُّ في قلوبهم الحزن والتَّوجُّس، وتخلق جوًّا من عدم الثقة؛ وإن الشيطان يغري المتناجين ليحزنوا نفوس إخوانهم ويدخلوا إليها الوساوس والهموم، ويطمئن المؤمنين بأن الشيطان لن يبلغ فيهم ما يريد: ﴿إِنَّمَا ٱلنَّجْوَىٰ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ لِيَحْزُنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَيْسَ بِضَآرِّهِمْ شَيْـًٔا إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٠﴾﴾ فالمؤمنون لا يتوكلون إلا على الله، فليس وراء ذلك توكل، وليس من دون الله من يتوكل عليه المؤمنون.

فالأصل في المجتمع المسلم هو نقاء السريرة ووضوح الحديث وسلامة الصدر، ولا مجال فيه للإسرار البغيض والتكتم المحزن للنفوس المؤمنة، فهم يتفاعلون مع بعضهم في معترك الحياة بانسيابية وانطلاق، وفي جوٍّ مِلْؤه الحب والمودة والنصح والأمر بالخير والتعاون على البر والتقوى، وتكره هذه النفوس المؤمنة الأجواء الكئيبة، والأحاديث المغطاة، والألسنة الملتوية، والنجوى المحزنة.

٢- أدب المجالس في الآيات وسبب النزول:

ثم يأخذ الذين آمنوا بأدب آخر من آداب الإسلام: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ

تَفَسَّحُوا۟ فِى ٱلْمَجَٰلِسِ فَٱفْسَحُوا۟ يَفْسَحِ ٱللَّهُ لَكُمْ ۖ وَإِذَا قِيلَ ٱنشُزُوا۟ فَٱنشُزُوا۟ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾.

قال قتادة: «نزلت هذه الآية في مجالس الذكر، وذلك أنهم كانوا إذا رأوا أحدهم مقبلًا ضَنُّوا بمجالسهم عند رسول الله ﷺ، فأمرهم الله تعالى أن يفسح بعضهم لبعض»[1].

فالآية تحض على الإفساح للقادم ليجلس، كما تحض على إطاعة الأمر إذا قيل لجالسٍ أن يُفسح فيفسح، وهذا الأمر يجيء من القائم على أمر هذا المجلس، لا من القادم.

٣- العلاقة بين الإيمان والعلم والعمل:

﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾ أي: في الثواب في الآخرة وفي الكرامة في الدنيا، فيرفع المؤمن على من ليس بمؤمنٍ، والعالم على من ليس بعالم.

قال ابن مسعود ﷺ: «مدح الله العلماء في هذه الآية». والمعنى: أنه يرفع الله الذين أوتوا العلم على الذين آمنوا ولم يؤتوا العلم.

﴿دَرَجَٰتٍ﴾ أي: درجات في دينهم إذا فعلوا ما أمروا به، قيل: الذين أوتوا العلم: الذين قرءوا القرآن. وقال يحيى بن يحيى عن مالك: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ﴾: الصحابة، ﴿وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾ يرفع الله بها العالم والطالب للحق، والعموم أوقع في المسألة وأولى بمعنى الآية، فيرفع المؤمن بإيمانه أولًا ثم بعلمه ثانيًا، وفي الصحيح: «أن عمر بن الخطاب ﷺ كان يقدم عبد الله بن عباس ﷺ على الصحابة، فتكلموا في ذلك، فدعاهم ودعاه، وسألهم عن تفسير: ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ﴾ الآيات، فسكتوا، فقال ابن عباس: هو أجل رسول الله ﷺ، أعلمه الله إياه. فقال عمر: ما أعلم منها إلا ما تعلم» [أثر صحيح، رواه أحمد والبخاري والترمذي]، وعن عبد الله بن عباس ﷺ قال: «كَانَ الْقُرَّاءُ أَصْحَابَ مَجَالِسِ عُمَرَ وَمُشَاوَرَتِهِ كُهُولًا كَانُوا أَوْ شُبَّانًا» [صحيح البخاري: ٤٢٧٦]، وعن نافع بن الحارث: "أنه لقيَ عمر بعُسْفان – وكان عمر يستعمله على مكة– فقال: من استعملته على أهل الوادي ؟ فقال: ابن أبزى. فقال: ومن ابن أبزى؟ قال: مولى من موالينا. قال: فاستخلفت عليهم مولى؟ قال: إنه قارئ لكتاب الله وإنه عالم بالفرائض. قال عمر: أما إن نبيكم ﷺ قد قال: «إِنَّ الله يَرْفَعُ بِهَذَا الْكِتَابِ أَقْوَامًا وَيَضَعُ بِهِ آخَرِينَ»

(١) إسماعيل بن كثير، تفسير القرآن العظيم، القاهرة: مكتبة التراث، (٤/ ٣٢٤).

[صحيح مسلم: ١٣٥٣]، وعنه ﷺ: «إِنَّ فَضْلَ الْعَالِمِ عَلَى الْعَابِدِ كَفَضْلِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ عَلَى سَائِرِ الْكَوَاكِبِ، وَإِنَّ الْعُلَمَاءَ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ، وَإِنَّ الْأَنْبِيَاءَ لَمْ يُوَرِّثُوا دِينَارًا وَلَا دِرْهَمًا؛ وَرَّثُوا الْعِلْمَ، فَمَنْ أَخَذَهُ أَخَذَ بِحَظٍّ وَافِرٍ» حديث حسن [سنن أبي داود: ٣١٥٧]، فأعظم بمنزلة هي واسطة بين النبوة والشهادة بشهادة رسول الله ﷺ.

٤- لون من التأدب مع رسول الله ﷺ:

كذلك يعلمهم القرآن أدبًا آخر في علاقتهم برسول الله ﷺ، فيبدو أنه كان هناك تزاحمٌ على الخلوة برسول الله ﷺ ليحدثه كلُّ فردٍ في شأنٍ يخصُّه، ويأخذ فيه توجيهه ورأيه، أو ليستمتع بالانفراد به، مع عدم التقدير لمهام رسول الله ﷺ الجماعية، وعدم الشعور بقيمة وقته، وبجدية الخلوة به، فشاء الله أن يقرر ضريبة للمسلمين من مال الذي يريد أن يخلو برسول الله ﷺ، ويقتطع من وقته الذي هو من وقت المسلمين، في صورة صدقة يقدمها قبل أن يطلب المناجاة والخلوة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَٰجَيْتُمُ ٱلرَّسُولَ فَقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَىٰكُمْ صَدَقَةً ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَأَطْهَرُ ۚ فَإِن لَّمْ تَجِدُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾﴾، وقد عمل بهذه الآية الإمام عليٌّ - كرم الله وجهه- فكان معه دينار فصرفه دراهم، وكان كلما أراد خلوة برسول الله ﷺ لأمرٍ تصدق بدرهم[1].

ولكنّ الأمر شقَّ على المسلمين، وعلم الله ذلك منهم، وكان الأمر قد أدى غايته، وأشعرهم بقيمة الخلوة التي يطلبونها، فخفف الله عنهم؛ ونزلت الآية التالية برفع هذا التكليف، وتوجيههم إلى العبادات والطاعات المصلحة للقلوب: ﴿ءَأَشْفَقْتُمْ أَن تُقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَىٰكُمْ صَدَقَٰتٍ ۚ فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُواْ وَتَابَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٣﴾﴾.

ثالثًا: جوانب تطبيقية مستفادة من الآيات:

من مظاهر التطبيق لهذه الآداب على المجتمع المسلم:

* لا بد من معرفة متى يجوز التناجي، ومتى لا يجوز، ومتى تكون فيه المصلحة، ومتى تكون فيه المفسدة.

* التناجي بالسوء من صفات النفاق، فينبغي ألا نشاركهم في صفاتهم.

---

(١) رواه ابن جرير في تفسيره.

* تعلُّم آداب المجلس، واحترام أهل العلم والكفاءة، جَعْل كفاءة الأداء والالتزام الدعوي أساس التزكية.

* أن فضيلة الاستئذان قبل زيارة أهل العلم مهمة، ولا حرج عند التأجيل أو الرفض لفترة معينة، لظروفٍ تحول دون الزيارة، وضرورة التماس العذر لهم.

* تعلُّم حُسْن الطلب إن طَلَبْنا، وحُسْن الطاعة إن أُمِرْنا.

* الأدب مع النبي ﷺ حيًا وميتًا.

رابعًا: التقويم: (الدرجة النهائية ٢٠)

١- ما مفهوم النجوى ؟ (درجة واحدة)، ومتى تحرم النجوى ومتى تجوز ؟(درجتان)

٢- التناجي بالإثم والعدوان من صفات المنافقين... وضحي ذلك. (٥ درجات)

٣- افتحي بابًا للحوار الأسري حول:

العواقب الوخيمة للتناجي المنهي عنه على الفرد والجماعة ومنها:

فساد ذات البين، الأحقاد، وفتح المجال للدخول في الغيبة والنميمة، وسوء الظن، وفساد القلب والكراهية، والتعطيل عن العمل الصالح، والتدخل فيما لا يخص المرء.

٤-ما معنى كلمة "تفسحوا".. وكلمة "انشزوا"؟ (درجتان)

٥- ما هي الوسائل التي تعين على تنفيذ التكاليف؟(٥درجات)

٦- الرفعة عند الله بالعلم والإيمان لا بالسبق إلى صدور المجالس، وضحي ذلك.(٥درجات)

الدرس الرابع

صفات المنافقين الذين يتولون اليهود

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْاْ قَوْمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مَّا هُم مِّنكُمْ وَلَا مِنْهُمْ وَيَحْلِفُونَ عَلَى ٱلْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ
(١٤) أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا إِنَّهُمْ سَآءَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ (١٥) ٱتَّخَذُوٓاْ أَيْمَٰنَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ
فَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ (١٦) لَّن تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا
خَٰلِدُونَ (١٧) يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُۥ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ
ٱلْكَٰذِبُونَ (١٨) ٱسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَأَنسَىٰهُمْ ذِكْرَ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱلشَّيْطَٰنِ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱلشَّيْطَٰنِ هُمُ
ٱلْخَٰسِرُونَ (١٩) إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ فِى ٱلْأَذَلِّينَ (٢٠) كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِىٓ
إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ (٢١)﴾.

أولاً: معاني المفردات:

قومًا غضب الله عليهم: اليهود.

جُنَّةً: وِقايةً. | لَنْ تُغْنِيَ: لن تدفع عنهم.

اسْتَحْوَذَ: استولى وغلب. | يُحَادُّونَ: يعادون ويشاقون ويخالفون.

الْأَذَلِّينَ: الزائدين في الذِّلَّة والهوان. | عَزِيزٌ: غالب على أعدائه غير مغلوب.

ثانيًا: في ظلال الآيات:

* بعض صفات المنافقين وأسلوبهم في الصدِّ عن سبيل الله.

* مشهد المنافقين يوم القيامة.

* السر وراء حالة المنافقين.

* النصر والغلبة لله ولرسوله وللمؤمنين.

١- بعض صفات المنافقين، وأسلوبهم في الصد عن سبيل الله:

يعود السياق إلى المنافقين الذين يتولون اليهود: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِم مَّا هُم مِّنكُمْ وَلَا مِنْهُمْ وَيَحْلِفُونَ عَلَى الْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٤﴾﴾.

وهذه الحملة القوية على المنافقين الذين يتولون قوما غضب الله عليهم -وهم اليهود- تدل على أنهم كانوا يُمْعِنُون في الكيد للمسلمين، ويتآمرون مع أَلَدِّ أعدائهم عليهم؛ كما تدل على أن سلطة الإسلام كانت قد عظمت بحيث يخافها المنافقون؛ فيضطرون -عندما يواجههم رسول الله ﷺ والمؤمنون بما يكشفه الله من تدبيراتهم ومؤامراتهم- إلى الحلف بالكذب لإنكار ما يُنْسَبُ إليهم من مؤامرات وأقوال، وهم يعلمون أنهم كاذبون في هذه الأيمان؛ إنما هم يتقون بأيمانهم ما يتوقعونه من مؤاخذتهم بما ينكشف من دسائسهم ﴿اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً﴾ أي: وقاية، وبذلك يستمرّون في دسائسهم للصدِّ عن سبيل الله.

والله يتوعَّدُهم مرات من خلال هذه الآيات: ﴿أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا ۖ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾، ﴿فَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾، ﴿لَّن تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُم مِّنَ اللَّهِ شَيْئًا ۚ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾.

٢- مشهد المنافقين يوم القيامة:

ويصور مشهدهم يوم القيامة في وضعٍ مُزْرٍ مهين، وهم يحلفون لله كما كانوا يحلفون للناس: ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُۥ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ﴾، مما يشير إلى أن النفاق قد تأصّل في كيانهم، حتى ليصاحبهم إلى يوم القيامة، وفي حضرة الله ذي الجلال، الذي يعلم خفايا القلوب وذوات الصدور ﴿وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ﴾ وهم على هواءٍ لا يستندون إلى شيء، أيِّ شيءٍ، ويدمغهم بالكذب الأصيل الثابت: ﴿أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ﴾.

٣- السر وراء حالة المنافقين:

ثم يكشف عن علة حالتهم هذه؛ فقد استولى عليهم الشيطان كلية ﴿فَأَنسَىٰهُمْ ذِكْرَ ٱللَّهِ﴾، والقلب الذي ينسى ذكر الله يفسد ويَتَمَحَّض للشر ﴿أُوْلَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾ الخالص للشيطان الذي يقف تحت لوائه، ويعمل باسمه، وينفذ غاياته، وهو الشر الخالص الذي ينتهي إلى الخسران الخالص ﴿أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱلشَّيْطَٰنِ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾.

٤- النصر والغلبة لله ولرسوله وللمؤمنين:

ولما كان أولئك المنافقون يأوون إلى اليهود شعورًا منهم بأنهم قوة تُخْشَى وتُرْجَى، ويطلبون عندهم العون والمشورة؛ فإن الله يُيَئِّسُهُمْ منهم، ويُقَرِّرُ أنه كتب على أعدائه الذلة والهزيمة، وكتب لنفسه ولرسوله الغلبة والتمكين: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ فِى ٱلْأَذَلِّينَ ﴿٢٠﴾ كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِىٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٢١﴾﴾.

وعلى أية حال فإن المؤمن لا يخالجه شكٌّ في أن وعد الله هو الحقيقة الكائنة التي لا بد أن تظهر في الوجود، وأن الذين يحادون الله ورسوله هم الأذلُّون، وأن الله ورسله هم الغالبون.

ثالثًا: جوانب تطبيقية مستفادة من الآيات:

- أكدي على هذه المعاني لديك:

* خطورة ظهور المنافقين في المجتمع المسلم.

* العلاقة القوية بين المنافقين واليهود؛ فكلاهما أعداء الإسلام.

* الثقة واليقين بموعود الله؛ فالغلبة والنصر والتمكين لله ورسوله ﷺ والمؤمنين.

- اتخذي شواهد من الواقع والتاريخ تثبت نصر الله لهذا الدين موضوعا للحوار الأسري.

رابعًا: التقويم: (الدرجة النهائية ١٥)

١- ما هي صفات المنافقين ؟ (٣درجات)

٢- لماذا ذكر القرآن أن هناك منافقين ومنافقات ومشركين ومشركات؟ (٣درجات)

٣- وضحي العلاقة بين المنافقين والكافرين، وما خطورة ذلك على الإسلام ؟ (٦درجات)

٤- كتب الله أن النصر لهذا الدين. اذكري الآيات والأحاديث الدالة على ذلك. (٣درجات)

الدرس الخامس
الولاء والبراء لله ولرسوله

-﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُولَٰئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ۚ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ۚ أُولَٰئِكَ حِزْبُ اللَّهِ ۚ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٢٢﴾﴾.

أولاً: معاني المفردات:

يُوَادُّونَ: يصادقون ويحبون ويوالون.

كَتَبَ: أثبت.

بِرُوحٍ مِنْهُ: بنور يقذفه في قلوبهم، أو بالقرآن، أو بالإيمان.

ثانيًا: في ظلال الآيات:

* الولاء والبراء أساس في عقيدة أهل الإيمان.

* أن رابطة الإيمان أقوى من رابطة الدم والقرابة.

* الجزاء الذي أعده الله لحزبه في الدنيا والآخرة.

١- الولاء والبراء عقيدة أهل الإيمان:

في النهاية تجيء القاعدة الثابتة التي يقف عليها المؤمنون، أو الميزان الدقيق للإيمان في النفوس.

إنها المفاضلة الكاملة بين حزب الله وحزب الشيطان، والانحياز النهائي للصف المتميز، والتجرد من كلِّ عائقٍ وكلِّ جاذبٍ، والارتباط في العروة الواحدة بالحبل الواحد، وهكذا تنقسم البشرية إلى حزبين اثنين: حزب الله وحزب الشيطان، وإلى رايتين اثنتين: راية الحق وراية الباطل، فإما أن يكون الفرد من حزب الله؛ فهو واقف تحت راية الحق، وإما أن يكون من حزب الشيطان؛ فهو واقفٌ تحت راية الباطل، وهما صفَّان متميزان لا يختلطان ولا يَتميعان ، والمختلف فيه لا إنكار فيه وليس مجالا للولاء والبراء، والخلاف في الرأي فيما لا نص فيه لا يدخل تحت التجرد من الأفكار والأشخاص والهيئات.

﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ فما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه، وما يجمع إنسانٌ في قلبٍ واحدٍ وُدَّيْن: وُدًّا لله ورسوله، وَوُدًّا لأعداء الله ورسوله! فإما إيمان أو لا إيمان، أما هما معا فلا يجتمعان.

وفي الحديث: "من أحب لله وأبغض لله وأعطى لله ومنع لله فقد استكمل الإيمان" (سنن أبي داود:٤٠٦١).

٢- رابطة الإيمان أقوى من رابطة الدم والقرابة :

﴿وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾ فروابط الدم والقرابة هذه تَتَقَطَّعُ عند حَدِّ الإيمان، إنها يمكن أن تُراعى إذا لم تكن هناك محادَّة وخصومة بين اللوائَيْن: لواء الله ولواء الشيطان، والصحبة بالمعروف للوالدين المشركين مأمورٌ بها حين لا تكون هناك حَرْبٌ بين حِزْب الله وَحِزْب الشيطان، فأما إذا كانت المحادَّة والمشَاقَّة والحرب والخصومة فقد تقطعت تلك الأواصر التي لا ترتبط بالعروة الواحدة وبالحبل الواحد، ولقد قَتَلَ أبو عبيدة أباه في يوم بدر، وَهَمَّ الصديق أبو بكر بِقَتْلِ ولدِهِ عبد الرحمن، وقتل مصعب بن عُمَير أخاه عبيد بن عُمَير، وقتل عمر وحمزة وعلي وعبيدة والحارث أقرباءهم وعشيرتهم[1]، متجرِّدين من علائق الدم والقرابة إلى آصرة الدين والعقيدة، وكان هذا أبلغ ما ارتقى إليه تصور الروابط والقيم في ميزان الله.

---

(١) ذكر روايات القتل هذه ابن كثير في تفسيره (٤/ ٣٢٩).

٣- الجزاء الذي أعده الله لحزبه في الدنيا والآخرة:

﴿أُوْلَـٰٓئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلۡإِيمَٰنَ﴾ فهو مثبت في قلوبهم بيد الله، مكتوب في صدورهم بيمين الرحمن، فلا زوال له ولا اندثار، ولا انطماس فيه ولا غموض.

﴿وَأَيَّدَهُم بِرُوحٖ مِّنۡهُ﴾: وما يمكن أن يعزموا هذه الْعَزْمَة إلا بروحٍ من الله، وما يمكن أن تشرق قلوبهم بهذا النور إلا بهذا الروح.

﴿وَيُدۡخِلُهُمۡ جَنَّـٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا﴾: جزاءَ ما تجرَّدُوا في الأرض من كل رابطة وآصرة، ونفضوا عن قلوبهم كل عرض من أعراضها الفانية.

﴿رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُ﴾: وهذه صورة وَضِيئَة راضية مطمئنة، ترسم حالة المؤمنين هؤلاء في مقام عال رفيع، وفي جوٍّ راضٍ وديع، ربهم راضٍ عنهم، وأفسح لهم في جَنابِه، وأشعرهم برضاه؛ فرضوا، رضيت نفوسهم هذا القرب، وأنست به واطمأنت إليه، ﴿أُوْلَـٰٓئِكَ حِزۡبُ ٱللَّهِ﴾ فهم جماعته المتجمعة تحت لوائه، المتحركة بقيادته، المهتدية بِهديه، المحققة لمنهجه، ﴿أَلَآ إِنَّ حِزۡبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ﴾ ومن يفلح إذن إذا لم يفلح أنصار الله المختارون؟

ثالثًا: جوانب تطبيقية مستفادة من الآيات:

في جلسة عائلية يمكن فتح مجالٍ للحديث حول المعينات التي تساعد على تحقق صفة الولاء والبراء في النفس، وفتن المجتمع التي تحول دون تحقيقها، وكيفية التغلب عليها، فعلى سبيل المثال من مظاهر قوة الولاء لله:

* الالتزام بالمنهج الرباني كأسلوب للحياة مهما تعارض مع المواثيق الأرضية.

* التمسك بالقيم الإسلامية الأصيلة والتي يحاول أعداء الإسلام تشويهها مثل القوامة والبر والاستئذان والمهر والطاعة.

* معاونة الأسر المتضررة من القهر الذي يمارسه ضدها أعداء الدين.

ومن مظاهر ضعف الولاء لله وللإسلام في مجتمعاتنا الحديثة:

* الخوف من أعداء الدعوة أينما كانوا وحيثما تولوا المناصب والمراكز والخوف من تهديدهم، أو من التحفظ على الأموال، أو التعرض للاعتقال بسبب الالتزام الديني

ومناصرة المسلمين ، ومن ثم يبدأ المرء في إظهار ولاءه للجهات التي تعادي الدعوة لمحو الشكِّ عنه، وتجنب التعامل مع المؤمنين خوفًا من شبهتهم له، مع استمراره في التظاهر بالإيمان.

* هناك بعض الأسر التي تمنع أبناءها من الزواج من بنات الأسر الملتزمة والمتدينة خوفًا مما يؤدي إليه التضييق عليهم في حياتهم المعيشية، ولا شك أنهم قلة على الرغم من أن هذه العائلات تتباهى بالدين وبضرورة التمسك به.

* امتناع بعض أصحاب الشركات الذين يخوفهم الشيطان عن قبول المتدينين والمتدينات للعمل لديهم خوفًا من القوى المناهضة لقيم الإسلام ، وهذه أمور يجب على المسلمين والمسلمات التعاون لدرء مفاسدها وأضرارها.

رابعًا: التقويم: (الدرجة النهائية ١٠)

١- استخرجي من الآيات ما يدل على المعاني التالية: (٦درجات)

أ- الولاء لله ورسوله والبراء من المنافقين والمشركين حتى لو كانوا من الأهل.

ب- صفات حزب الله وجزاؤهم العظيم في الدنيا والآخرة.

ج- تأييد الله عز وجل يكون لمن أطاع الله ورسوله ﷺ.

٢- كيف تتخلقين بصفتي الولاء والبراء ؟ (٤درجات)

* * *

(٢) سورة الحشر

التعريف بالسورة :

نزلت هذه السورة: في حادث إجلاء بني النضير –حي من أحياء اليهود– في السنة الرابعة من الهجرة، تصف كيف وقع؟ ولماذا وقع؟ وما كان في أعقابه، ترويها بطريقة القرآن الخاصة، وتعقب على الأحداث والتنظيمات بطريقة القرآن كذلك في تربية الثلّة المؤمنة تربية حية بالأحداث والتوجيهات والتعقيبات.

وكما بدئت السورة بتسبيح الله خُتمت كذلك بتسبيح الله الذي له ما في السماوات والأرض وهو العزيز الحكيم، فيتناسق البدء والختام مع موضوع السورة، ومع دعوة المؤمنين للتقوى والخشوع والتفكر في تدبير الله الحكيم.

- يتم تناول معاني السورة من خلال الدروس التالية :

١- إجلاء بني النضير.

٢- تنظيم العلاقات الداخلية في المجتمع المسلم.

٣- حقيقة الأعداء.

٤- حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا.

الدرس الأول
إجلاء بني النضير

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (١) هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ
أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ
فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ
فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ (٢) وَلَوْلَا أَنْ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَلَاءَ لَعَذَّبَهُمْ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ
عَذَابُ النَّارِ (٣) ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَنْ يُشَاقِّ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ (٤) مَا
قَطَعْتُمْ مِنْ لِينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَىٰ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيُخْزِيَ الْفَاسِقِينَ (٥) وَمَا أَفَاءَ اللَّهُ

عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْهُمْ فَمَآ أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُۥ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦﴾﴾.

أولاً: معاني المفردات:

سَبَّحَ لله: نَزَّهَهُ ومَجَّده تعالى ودلَّ عليه.

لِأَوَّلِ الحشْرِ: في أول إخراج وإجلاء اليهود إلى الشام، وآخر حشرهم إجلاء عمر ﷺ في خلافته لهم من خيبر إلى الشام.

قَذَفَ: ألقى وأنزل إنزالًا شديدًا.

الجَلاءَ: الخروج من الوطن بالأهل والولد.

شَاقُّوا: خالفوا وعادَوا وعَصَوْا.

لِينَةٍ: نخلة كريمة، أو النخل عموما.

أُصُولِهَا: سوقها.

أَفَاءَ: رَدَّ وأعاد.

رِكَابٍ: ما يركب من الإبل خاصة.

أَوْجَفْتُمْ: أجريتم على تحصيله، من الوجيف: وهو سرعة السير.

ثانيًا: في ظلال الآيات:

* معنى التسبيح الشامل لله تعالى.
* نبذة عن إجلاء بني النضير.
* الأسباب الإلهية وراء تساقط حصون بني النضير.
* حكم قطع نخيل بني النضير والحكمة منه.
* الفصل بين المؤمنين في الفيء.

١ – معنى التسبيح الشامل لله:

﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ بهذه الحقيقة التي كانت وما تزال في الوجود؛ حقيقة تسبيح كل شيء في السماوات وكل شيء في الأرض لله، واتجاهها إليه بالتنزيه والتمجيد تفتتح السورة، ﴿وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ القوي القادر على نصر أوليائه وسحق أعدائه، الحكيم في تدبيره وتقديره، ثم يقص نبأ الحادث الذي نزلت فيه السورة: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن دِيَٰرِهِمْ لِأَوَّلِ ٱلْحَشْرِ﴾.

ومن هذه الآيات نعلم أن الله هو الذي أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب من

ديارهم لأول الحشر، وساق المخرَجين للأرض التي منها يحشرون، فلم تَعُدْ لهم عودة إلى الأرض التي أُخرجوا منها ﴿مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُوا۟ ۖ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ ٱللَّهِ﴾ فلا أنتم كنتم تتوقعون خروجهم ولا هم كانوا يسلمون في تصور وقوعه، فقد كانوا من القوة والمنعة في حصونهم بحيث لا تتوقعون أنتم أن تُخرجوهم منها كما أُخرجوا، وبحيث غرَّتهم المنعة حتى نسوا قوة الله التي لا تردها الحصون.

٢- نبذة عن حادث إجلاء بني النضير:

كان إجلاء بني النضير (٤هـ) بعد غزوة أحد وقبل غزوة الأحزاب. حيث ذهب رسول الله ﷺ مع عشرة من كبار أصحابه، منهم أبو بكر وعمر وعلي رضي الله عنهم، إلى محلة بني النضير، يطلب منهم المشاركة في أداء دية قتيلين بحكم ما كان بينه وبينهم من عهد في أول مقدمه على المدينة، فاستقبله يهود بني النضير بالبشر والترحاب ووعدوا بأداء ما عليهم، وكان ﷺ جالسًا إلى جدار من بيوتهم. فقال بعضهم لبعض: إنكم لن تجدوا الرجل على مثل حاله هذه. فمن رجل منكم يعلو هذا البيت، فيلقي عليه صخرة، فيريحنا منه؟ فانتدب لذلك عمرو بن جَحاش بن كعب. فقال: أنا لذلك. فصعد ليلقي عليه صخرة كما قال. فألهم رسول الله ﷺ ما يبيت اليهود من غدر. فقام كأنما ليقضي أمراً. فلما غاب استبطأه من معه، فخرجوا من المحلة يسألون عنه، فعلموا أنه دخل المدينة. وأمر رسول الله ﷺ بالتهيؤ لحرب بني النضير لظهور الخيانة منهم، ونقض عهد الأمان الذي بينه وبينهم.

فتجهز رسول الله ﷺ وحاصر محلة بني النضير، وأمهلهم ثلاثة أيام- وقيل: عشرة- ليفارقوا جواره ويجلوا عن المحلة على أن يأخذوا أموالهم، ويقيموا وكلاء عنهم على بساتينهم ومزارعهم. ولكن المنافقين في المدينة أرسلوا إليهم يحرضونهم المقاومة، ولما بلغ الحصار ستًّا وعشرين ليلة، يئس اليهود من صدقهم، فسألوا رسول الله ﷺ أن يجليهم ويكف عن دمائهم على أن لهم ما حملت الإبل من أموالهم إلا السلاح. فأجابهم رسول الله ﷺ، وكان منهم من سار إلى خيبر، ومنهم من سار إلى الشام.

٣- الأسباب الإلهية وراء تساقط حصون بني النضير:

﴿فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا۟ ۖ وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ﴾: أتاهم من داخل أنفسهم، لا من داخل حصونهم، أتاهم من قلوبهم فقذف فيها الرعب، ففتحوا حصونهم بأيديهم، وقد كانوا يحسبون حساب كل شيء إلا أن يأتيهم الهجوم من داخل كيانهم، فهم لم

يحتسبوا هذه الجهة التي أتاهم الله منها، وهكذا حين يشاء الله أمرًا يأتي له من حيث يعلم ومن حيث يقدر، وهو يعلم كل شيء، وهو على كل شيء قدير، ولقد امتنعوا بدورهم وبيوتهم فسلَّطَهم الله على هذه الدور والبيوت يخربونها بأيديهم، ويمكنون المؤمنين من إخرابها: ﴿يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ﴾.

هنا يجيء أول تعقيب: ﴿فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ﴾، وهو هتاف يجيء في مكانه وفي أوانه، والقلوب متهيئة للعظة متفتحة للاعتبار، فاتعظوا بحالهم فلا تغدروا ولا تعتمدوا على غير الله.

﴿وَلَوْلَا أَن كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَلَاءَ لَعَذَّبَهُمْ فِي الدُّنْيَا ۖ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابُ النَّارِ ﴿٣﴾﴾ فهو أمر مقرر أن ينالهم النكال من الله بهذه الصورة التي وقعت أو بصورةٍ أخرى، ولولا أن الله اختار جلاءهم لعذبهم عذابًا آخر غير عذاب النار الذي ينتظرهم هناك، فقد استحقوا عذاب الله في صورة من صوره على كل حال.

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۖ وَمَن يُشَاقِّ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٤﴾﴾ والمشاقة أن يأخذوا لهم شقًا غير شق الله، وجانبًا غير جانبه، ثم ليقف المشاقون في ناحية أمام الله ﷻ وهو موقف فيه تبجحٌ قبيحٌ، حين يقف الخلق في وجه الخالق يشاقونه، وموقف كذلك رعيب، وهذه الخلائق الضئيلة الهزيلة تتعرض لغضب الله وعقابه، وهو شديد العقاب.

٤ – حكم قطع نخيل بني النضير والحكمة منه:

يُطمئن الله المؤمنين على صواب ما أوقعوه بهؤلاء الذين كفروا وشاقوا الله ورسوله من تقطيع نخيلهم وتحريقه، أو تركه كذلك قائمًا، وبيان حكم الله فيه، وقد دخل نفوس بعض المسلمين شيءٌ من هذا: ﴿مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَىٰ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيُخْزِيَ الْفَاسِقِينَ ﴿٥﴾﴾ واللينة: الجيدة من النخل، وقد قطع المسلمون بعض نخل اليهود، وأبقوا بعضه، فتحرَّجَتْ صدورهم من الفعل ومن الترك، وكانوا مَنْهِيِّين قبل هذا الحادث وبعده عن مثل هذا الاتجاه في التخريب والتحريق، فاحتاج هذا الاستثناء إلى بيان خاص يُطَمْئِنُ القلوب، فجاءهم هذا البيان يربط الفعل والترك بإذن الله، فهو الذي تولى بيده هذه الموقعة، وأراد فيها ما أراد، وكان كل ما وقع من هذا بإذنه، أراد به أن يخزي الفاسقين.

بذلك تستقر قلوب المؤمنين المتحرجة، وتُشفى صدورهم مما حاك فيها، وتطمئن إلى

أن الله هو الذي أراد، وهو الذي فعل، والله فعال لما يريد؛ لأنهم تربوا على الطاعة لله ورسوله ﷺ، وعلى حب الخير للغير، فكانت هذه الحساسية المرهفة تجاه هذا الفعل.

٥ – الفصل بين المؤمنين في الفيء:

﴿وَمَآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنۡهُمۡ فَمَآ أَوۡجَفۡتُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ خَيۡلٖ وَلَا رِكَابٖ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُۥ عَلَىٰ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ٦﴾: والإيجاف: الركض والإسراع. والركاب: الجمال. والآية تُذكِّر المسلمين أن هذا الفيء الذي خلفه وراءهم بنوالنضير لم يركضوا هم عليه خيلًا، ولم يسرعوا إليه ركبًا؛ فحكمه ليس حكم الغنيمة التي أعطاهم الله أربعة أخماسها، واستبقى خمسها فقط لله والرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل، كما حكم الله في غنائم بدر الكبرى، إنما حكم هذا الفيء أنه كله لله والرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل، والرسول ﷺ هو الذي يتصرف فيه كله وينفقه في هذه الوجوه.

وذوو القربى المذكورون في الآيتين هم قرابة رسول الله ﷺ، إن كانت الصدقات لا تحل لهم؛ فليس لهم في الزكاة نصيب، وإن كان النبي لا يورَثُ؛ فليس لذوي قرابته من ماله شيء، وفيهم الفقراء الذين لا مورد لهم؛ فجُعِلَ لهم من خمس الغنائم نصيبًا، كما جُعِل لهم من هذا الفيء وأمثاله نصيبًا، فأما بقية الطوائف والمصارف فأمرها معروف، والرسول ﷺ هو المتصرف فيها.

هذا هو حكم الفيء تبينه الآيات، ولكنها لا تقتصر على الحكم وعِلَّتِهِ القريبة؛ إنما تفتح القلوب على حقيقة أخرى كبيرة: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُۥ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ﴾، فهو قدر الله، وهم طرف من هذا القدر يسلطه على من يشاء، ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾.

بهذا يتصل شأن الرسل بقدر الله المباشر، ويتحدّد مكانهم في فلك القدر الدوار، ويتبين أنهم –ولو أنهم بشر– متصلون بإرادة الله ومشيئته اتصالًا خاصًا، يجعل لهم دورًا معينًا في تحقيق قدر الله في الأرض، بإذن الله وتقديره، فما يتحركون بهواهم.

ثالثًا: جوانب تطبيقية مستفادة من الآيات:

* أن نشارك منظومة الكون في التسبيح، ولا يشذّ الإنسان عن العزف فيها.
* أن الحرب ليست بيننا وبين الكافرين؛ بل هي في حقيقة الأمر بينهم وبين الله.
* على المسلم أن يستجيب لأمر الله ورسوله ﷺ، حتى ولو لم يعرف الحكمة.

* عندما تستعصي الأمور المادية ، وتستحيل النظريات العقلية والحجج المادية؛ يقدر الله بعزته وحكمته، فتنقلب الموازين البشرية، وينتصر أمر الله، ويومئذ يفرح المؤمنون، فلا عجلة؛ فالنصر قادم قادم بإذن الله، وهو وعد الله للمؤمنين.

* هناك أسباب أخرى للنصر بجانب القوة المادية، لا ترى بالعين ولا يعلمها إلا الله، فلا نتعلق بأسبابه المادية فحسب بل ندعو الله أن ينصرنا كيف شاء وبما يعلم من جنوده.

* من وسائل الحرب لدى أعداء اليوم والأمس الاتهامات الباطلة للإسلام بالإرهاب والعنف، ولكن المؤمن لا تهزه هذه الاتهامات الباطلة ، بل يعتز بدينه ويؤمن بأن الله سيخزي الفاسقين المنحرفين عن الحق.

رابعًا : التقويم : (الدرجة النهائية ١٠)

١- ما معنى كل من : لأول الحشر – شآقوا – لينة – أوجفتم ؟ (٤ درجات)

٢- وضحي علام يدل قوله تعالى: ﴿وَلِيُخْزِيَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾؟ (درجتان)

٣- لماذا طرد النبي ﷺ بني النضير من المدينة ؟ (درجتان)

٤- وضحي أثر اليهود والمنافقين في الكيد للإسلام وللمسلمين؟ (درجتان)

* * *

الدرس الثاني

تنظيم العلاقات الداخلية في المجتمع المسلم

﴿مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ كَىْ لَا يَكُونَ دُولَةًۢ بَيْنَ ٱلْأَغْنِيَآءِ مِنكُمْ ۚ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٧﴾ لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَـٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّـٰدِقُونَ ﴿٨﴾ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَـٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَـٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠﴾﴾.

أولاً: معاني المفردات:

ابْنِ السَّبِيلِ: المنقطع في سفره من المسلمين. — دُولَةً: ملكًا متداولًا.

تَبَوَّءُوا: تَوطَّنوا. — الدَّارَ: المدينة.

حَاجَةً: حزازة وحسدًا. — خَصَاصَةٌ: فقر واحتياج.

غِلًّا: حقدًا. — رَهْبَةً: خوفًا وخشية.

ثانيًا: في ظلال الآيات:

* القاعدة الإسلامية الاقتصادية.
* السنة المصدر التشريعي الثاني.
* القدوة الحسنة في المهاجرين والأنصار.
* واجب الأمة بعد المهاجرين والأنصار.

١- القاعدة الإسلامية الاقتصادية:

يقول تعالى: ﴿مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ﴾ تبين هذه الآية الحكم الذي أسلفنا تفصيلًا، ثم تعلل هذه القسمة فتضع قاعدة كبرى من قواعد التنظيم الاقتصادي والاجتماعي في المجتمع

الإسلامي: ﴿ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنكُمْ ﴾، كما تضع قاعدة كبرى في التشريع الدستوري للمجتمع الإسلامي: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا ﴾.

والقاعدة الأولى؛ قاعدة التنظيم الاقتصادي، تمثل جانبًا كبيرًا من أسس النظرية الاقتصادية في الإسلام، فالملكية الفردية معترف بها في هذه النظرية، ولكنها محددة بهذه القاعدة: « **ألا يكون المال دولة بين الأغنياء، ممنوعًا من التداول بين الفقراء** » فكلُّ وَضْعٍ ينتهي إلى أن يكون المال دولة بين الأغنياء وحدهم هو وضعٌ يخالف النظرية الاقتصادية الإسلامية، كما يخالف هدفًا من أهداف التنظيم الاجتماعي كله، وجميع الارتباطات والمعاملات في المجتمع الإسلامي يجب أن تنظم بحيث لا تخلق مثل هذا الوضع أو تُنهيه إن وُجِدَ.

ومن ثم فالنظام الإسلامي نظامٌ يبيح الملكية الفردية، ولكنه ليس نظامًا رأسماليًّا؛ إنما هو نظام خاص من لدن حكيم خبير، نشأ وحده، وسار وحده، وبقي حتى اليوم وحده، نظام فريد متوازن الجوانب، متعادل الحقوق والواجبات، متناسق تناسق الكون كله.

٢ – السنة المصدر التشريعي الثاني:

وأما القاعدة الثانية: « **تلقي الشريعة من مصدر واحد** » ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا ﴾، فهي كذلك تمثل النظرية الدستورية الإسلامية، فسلطان القانون في الإسلام مستمد من أن هذا التشريع جاء به الرسول ﷺ قرآنًا أو سنة، والأمة كلها – والإمام معها – لا تملك أن تخالف ما جاء به الرسول ﷺ، فإذا شرعت ما يخالفه لم يكن لتشريعها هذا سلطان؛ لأنه فقد السند الأول الذي يستمد منه السلطان، فأما حين لا توجد نصوص فيما جاء به الرسول ﷺ بخصوص أمرٍ يَعْرِضُ للأمة؛ فسبيلها أن تشرع له بما لا يخالف أصلًا من أصول ما جاء به الرسول ﷺ، وهذا لا ينقض تلك النظرية؛ إنما هو فرع عنها، فالمرجع في أي تشريع هو أن يتبع ما جاء به الرسول ﷺ إن كان هناك نص، وألا يخالف أصلًا من أصوله فيما لا نص فيه، يقول الأستاذ الإمام: «ورأي الإمام ونائبه فيما لا نص فيه وفيما يحتمل وجوهًا عدة وفي المصالح المرسلة معمول به ما لم يصطدم بقاعدة شرعية».

وتنحصر سلطة الأمة –والإمام النائب عنها– في هذه الحدود، وهو نظام فريد لا يماثله نظام آخر مما عرفته البشرية من نظم وضعية.

وتربط الآية هاتين القاعدتين في قلوب المؤمنين بمصدرها الأول: وهو الله، فتدعوهم إلى التقوى، وتخوفهم عقاب الله: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ وهذا هو الضمان الأكبر الذي لا احتيال عليه، ولا هروب منه.

٣ – القدوة الحسنة في المهاجرين والأنصار:

﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿٨﴾﴾ وهي صورة صادقة تبْرُزُ فيها أهم الملامح المميزة للمهاجرين، أخرجوا إخراجًا من ديارهم وأموالهم.

أكرههم على الخروج الأذى والاضطهاد والتنكُّر من قرابتهم وعشيرتهم في مكة، لا لذنب إلا لأنهم قالوا: ربنا الله. وقد خرجوا تاركين ديارهم وأموالهم ﴿يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا﴾ اعتمادهم على الله في فضله ورضوانه، لا ملجأ لهم سواه، وهم – مع أنهم مطاردون قليلون – ﴿وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ﴾ بقلوبهم وسيوفهم في أحْرج الساعات وأضيق الأوقات ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ﴾ الذين قالوا كلمة الإيمان بألسنتهم، وصدقوها بعملهم.

﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُواْ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾﴾ وهذه كذلك صورة وضيئة صادقة تبرز أهم الملامح المميزة للأنصار.

﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ أي: دار الهجرة؛ يثرب مدينة الرسول ﷺ، وقد تبوأها الأنصار قبل المهاجرين، كما تبوَّءوا الإيمان، وكأنه منزل لهم ودار ﴿يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُواْ﴾ ولم يعرف تاريخ البشرية كله حادثًا جماعيًا كحادث استقبال الأنصار للمهاجرين بهذا الحب الكريم، وبهذا البذل السخي، وبهذا التسابق إلى الإيواء واحتمال الأعباء، حتى لَيُروَى أنه لم ينزل مهاجريٌّ في دار أنصاريّ إلا بقُرْعة؛ لأن عدد الأنصار الراغبين في الإيواء المتزاحمين عليه أكثر من عدد المهاجرين!

﴿وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُواْ﴾ مما يناله المهاجرون من مقامٍ مفضَّلٍ في بعض المواضع، ومن مال يختصون به كهذا الفيء، فلا يجدون في أنفسهم شيئًا من هذا.

﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ والإيثار على النفس مع الحاجة قمة عُليا، وقد بلغها الأنصار بما لم تشهد البشرية له نظيرًا ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُولَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ فهذا الشح -شحّ النفس- هو المعوِّقُ عن كل خير، وما يمكن أن يصنع الخير إنسان يهمه دائمًا أن يأخذ ولا يهمه أن يعطي ولو مرةً، ومن يوق شح نفسه فقد وُقِيَ هذا المعوِّقُ عن الخير، فانطلق إليه معطيًا باذلًا كريمًا، وهذا هو الفلاح في حقيقة معناه.

٤- واجب الأمة بعد المهاجرين والأنصار:

﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠﴾﴾.

وهذه الصورة الثالثة النظيفة الرضيّة الواعية، وهي تبرز أهم ملامح التابعين، كما تبرز أخص خصائص الأمة المسلمة على الإطلاق في جميع الأوطان والأزمان.

هذه الأمة التي جاءت بعد المهاجرين والأنصار، سمة نفوسهم أنها تتوجه إلى ربها في طلب المغفرة، لا لذاتها ولكن كذلك لسلفها الذين سبقوا بالإيمان؛ وفي طلب براءة القلب من الغِلِّ للذين آمنوا على وجه الإطلاق، ممن يربطهم معهم رباط الإيمان، مع الشعور برأفة الله ورحمته، ودعائه بهذه الرحمة وتلك الرأفة: ﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾.

ثالثًا: جوانب تطبيقية مستفادة من الآيات:

* الإسلام دين حريص على التكافؤ الاجتماعي، والتقليل بين الفوارق الاجتماعية؛ ليستقر أفراده، وينعم الجميع بالعدل والمساواة، وهو ما لم يحققه النظام الشيوعي ولا النظام الرأسمالي.

* الآيات تؤكد على طاعة الرسول ﷺ في المغنم والمغرم، وأن هذه الطاعة لابد وأن يحميها التقوى.

* أن معيار الصدق ليس بالكلام ولا بالقسم، ولكن بالعمل والتضحية بكل نفيس في سبيل رضوان الله.

* أن الأسرة المستقرة القائمة على العطاء وليس على الأخذ لها دورٌ عظيم في استقرار المجتمع وتقدمه.

* الإيثار فضيلة لا توجد إلا في المجتمع الإسلامي الأصيل؛ فهي تتعدى العطاء

والجود والكرم، فهي أكبر من كل ذلك؛ لأنها تعطي ما تحتاجه النفس في سبيل سعادة الآخرين.

* من الأمثلة الخاطئة والشائعة في المجتمع والتي تصاغ في شكل فقهي قول: ما يحتاجه البيت يحرم على الجامع. فهو يفتح المجال واسعًا لحب النفس والأخذ دون العطاء.

* أن شح النفس من الأمراض الاجتماعية الضارة التي تفقد المجتمعات الألفة والمحبة والاطمئنان والترابط الاجتماعي؛ لذلك فإن الإسلام يؤكد على قيمة علاج هذا المرض الاجتماعي.

* التأكيد على حفظ الدعاء المؤلف للقلوب والرابط للجماعة والمضمد للجراح النفسية ﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ .

رابعًا: التقويم: (الدرجة النهائية ٢٠)

١- سلطان القانون في الإسلام مستمد من أن هذا التشريع جاء به الرسول ﷺ قرآنًا أو سنة. وضِّحي ذلك. (٥درجات)

٢- طاعة الرسول ﷺ فرض على كل مسلم ومسلمة.. وضحي ذلك. (٥درجات)

٣- ما معنى: تبوءوا – غلًّا؟ (درجتان)

٤- وضحي أثر الإيمان في النفس إذا خالطت بشاشته القلوب. (٥درجات)

٥- المؤمن لا يخاف إلا الله، والمنافق يهاب كل شيء. وضحي ذلك من خلال الآيات. (٣درجات)

الدرس الثالث
حقيقة الأعداء

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نَافَقُوا۟ يَقُولُونَ لِإِخْوَٰنِهِمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ
لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِن قُوتِلْتُمْ لَنَنصُرَنَّكُمْ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿١١﴾ لَئِنْ
أُخْرِجُوا۟ لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِن قُوتِلُوا۟ لَا يَنصُرُونَهُمْ وَلَئِن نَّصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ ٱلْأَدْبَٰرَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ
﴿١٢﴾ لَأَنتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِى صُدُورِهِم مِّنَ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴿١٣﴾ لَا

يُقَٰتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرًى مُّحَصَّنَةٍ أَوْ مِن وَرَآءِ جُدُرٍۭ بَأْسُهُم بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ ۚ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ ﴿١٤﴾ كَمَثَلِ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ قَرِيبًا ۖ ذَاقُوا۟ وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٥﴾ كَمَثَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَٰنِ ٱكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾ فَكَانَ عَٰقِبَتَهُمَآ أَنَّهُمَا فِى ٱلنَّارِ خَٰلِدَيْنِ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُا۟ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٧﴾﴾.

أولاً: معاني المفردات:

بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ: عدواتهم فيما بينهم شديدة.

شَتَّى: متفرقة. **وَبَالَ أَمْرِهِمْ**: سوء عاقبة كفرهم في الدنيا.

ثانيًا: في ظلال الآيات:

* دور المنافقين في وقعة بني النضير.
* من صفات اليهود.
* الاعتبار من مصير يهود بني قينقاع.
* الاعتبار من مصير الشيطان وأتباعه.

١ - دور المنافقين في وقعة بني النضير:

لما انتهى السياق من رسم الصورة الوضيئة للمؤمنين، يعود إلى الحادث الذي نزلت فيه السورة، ليرسم صورةً لفريقٍ آخر ممن اشتركوا فيها؛ فريق المنافقين.

وهي حكايةٌ لما قاله المنافقون ليهود بني النضير، ثم لم يفوا به، وخذلوهم فيه، حتى أتاهم الله من حيث لم يحتسبوا، وقذف في قلوبهم الرعب، ولكن في كل جملة قرآنية لفتة تقرر حقيقة، وتقر مقوّمًا من مقومات التربية والمعرفة والإيمان العميق.

وأول لفتة هي تقرير حقيقة تلك الصلة بين المنافقين والذين كفروا من أهل الكتاب: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نَافَقُوا۟ يَقُولُونَ لِإِخْوَٰنِهِمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ﴾ فأهل الكتاب كفروا، والمنافقون إخوانهم وإن كانوا يلبسون رداء الإسلام!

ثم هذا التوكيد الشديد في وعد المنافقين لإخوانهم: ﴿لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِن قُوتِلْتُمْ لَنَنصُرَنَّكُمْ﴾، والله الخبير بحقيقتهم يقرر غير ما يقررون،

ويؤكد غير ما يؤكدون: ﴿وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ۝١١ لَئِنْ أُخْرِجُوا۟ لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِن قُوتِلُوا۟ لَا يَنصُرُونَهُمْ وَلَئِن نَّصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ ٱلْأَدْبَٰرَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ۝١٢﴾ وكان ما شهد به الله، وكذب ما أعلنوه لإخوانهم وقرروه!

ثم يقرر حقيقة قائمة في نفوس المنافقين وإخوانهم الذين كفروا من أهل الكتاب: ﴿لَأَنتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِى صُدُورِهِم مِّنَ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ۝١٣﴾ فهم يرهبون المؤمنين أشد مما يرهبون الله، ولو خافوا الله ما خافوا أحدًا من عباده، فإنما هو خوف واحد ورهبة واحدة، ولا يجتمع في قلبٍ: خوفٌ من الله، وخوفٌ من شيء سواه، ولكن الذين لا يفقهون هذه الحقيقة يخافون عباد الله أشد مما يخافون الله: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ﴾.

٢- **من صفات اليهود:**

وتمضي بنا السورة تقرر حالة قائمة في نفوس المنافقين والذين كفروا من أهل الكتاب، تنشأ من حقيقتهم السابقة، وهي أن رهبتهم للمؤمنين أشد من رهبتهم لله.

﴿لَا يُقَٰتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِى قُرًى مُّحَصَّنَةٍ أَوْ مِن وَرَآءِ جُدُرٍۭ ۚ بَأْسُهُم بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ ۚ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ ۝١٤﴾.

وما تزال الأيام تكشف حقيقة الإعجاز في «**تشخيص**» حالة المنافقين وأهل الكتاب حيثما التقى المؤمنون بهم في أي زمان وفي أي مكان بشكل واضح للعيان، وتبقى الملامح النفسية الأخرى: ﴿بَأْسُهُم بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ﴾، ﴿تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ﴾، ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ﴾.

والمظاهر قد تخدع؛ فنرى تضامن الذين كفروا من أهل الكتاب فيما بينهم، ونرى عصبية بعضهم لبعض، كما نرى تجمع المنافقين أحيانًا في معسكر واحد، ولكن الخبر الصادق من السماء يأتينا بأنهم ليسوا كذلك في حقيقتهم؛ إنما هو مظهرٌ خارجيٌّ خادعٌ، وبين الحين والحين ينكشف هذا الستار الخدَّاع، وينكشف الحال عن نزاع في داخل المعسكر الواحد قائم على اختلاف المصالح وتفرق الأهواء وتصادم الاتجاهات.

إنما ينال المنافقون والذين كفروا من أهل الكتاب من المسلمين عندما تتفرق قلوب

المسلمين، فلا يعودون يمثلون حقيقة المؤمنين التي عرضتها الآية في المقطع السابق.

والقرآن يُقِرُّ هذه الحقيقة للمؤمنين، لِيُهَوِّنَ من شأن أعدائهم في أعينهم؛ ويرفع منها هيبة هؤلاء الأعداء ورهبتهم، ومتى أخذ المسلمون قرآنهم مأخذ الجدّ هان عليهم أمر عدوهم وعدو الله، وتجمعت قلوبهم في الصف الواحد، ولن تقف أمامهم قوة في الحياة.

٣ - الاعتبار من مصير يهود بني قينقاع:

ولم يكن حادث بني النضير هو الأول من نوعه؛ فقد سبقه حادث بني قينقاع: ﴿كَمَثَلِ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ قَرِيبٗاۖ ذَاقُواْ وَبَالَ أَمۡرِهِمۡ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿١٥﴾﴾.

ووقعة بني قينقاع كانت بعد غزوة بدر وقبل غزوة أحد، وحاصرهم رسول الله ﷺ حتى نزلوا على حكمه، فقام رأس المنافقين عبد الله بن أبيّ بن سلول يجادل رسول الله ﷺ عنهم باسم ما كان بينهم وبين الخزرج من عهد، ولكن الحقيقة كانت هي هذه الصلة بين المنافقين وإخوانهم الذين كفروا من أهل الكتاب، فرضي رسول الله ﷺ في النهاية أن يُجْلَوْا عن المدينة، وأن يأخذوا معهم أموالهم ومتاعهم -إلا السلاح- ورحلوا إلى الشام، فهذه هي الواقعة التي يشير إليها القرآن ويقيس عليها حال بني النضير وحقيقتهم، وحال المنافقين مع هؤلاء وهؤلاء.

٤ - الاعتبار من مصير الشيطان وأتباعه:

ويضرب القرآن للمنافقين الذين أغروا إخوانهم الذين كفروا من أهل الكتاب بنقض العهد، فانتهوا بهم إلى تلك النهاية البائسة، يضرب لهم مثلًا بحال دائمة؛ حال الشيطان مع الإنسان الذي يستجيب لإغرائه فينتهي وإياه إلى أسوأ مصير: ﴿كَمَثَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ إِذۡ قَالَ لِلۡإِنسَٰنِ ٱكۡفُرۡ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّنكَ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾ فَكَانَ عَٰقِبَتَهُمَآ أَنَّهُمَا فِي ٱلنَّارِ خَٰلِدَيۡنِ فِيهَاۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُاْ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٧﴾﴾.

وصورة الشيطان هنا ودوره مع من يستجيب له من بني الإنسان تتفقان مع طبيعته ومهمته، فأعجب العجب أن يستمع إليه الإنسان وحاله هو هذا الحال.

ثالثًا: جوانب تطبيقية مستفادة من الآيات:

* الوعي بأن فئة المنافقين بعيدة عن النصر أو العزة، فهي فئة لا إلى أولئك ولا إلى هؤلاء.

* الانتباه لما صوره القرآن من طبيعة العدو حتى يهون أمرهم على المسلمين؛ فيكون ذلك سببًا من أسباب النصر بإذن الله، فليست الأمور المادية هي الأساس؛ ولكن الله عز وجل نزع الألفة والرحمة من قلوبهم.

* الاهتمام بدراسة التاريخ الذي يوضح المنتصر والمهزوم وأسباب النصر وطبيعة المتحاربين والعبر منها، وما يؤكد ضرورة هذا الأمر هو محاولة العدو وإخوانهم المنافقين الآن طمس معالم التاريخ الإسلامي من الوجود بشتى الصور؛ منها إضعاف المقررات التي تؤكد على قوة الإسلام والمسلمين، ومنع الكتب التي تحتوي على غزوات الرسول ﷺ من المكتبات المدرسية والمكتبات العامة.

* أن ضعف المسلمين من أسباب نشاط المنافقين.

* على المسلمة أن تتبرأ من الشيطان قبل أن يتبرأ هو منها يوم القيامة.

رابعًا: التقويم: (الدرجة النهائية ١٠)

١- وضحي معنى: ﴿ذَاقُواْ وَبَالَ أَمۡرِهِمۡ﴾ ومن المقصود بها؟ (درجتان)

٢- وضحي صفات المنافقين كما دلت عليها الآيات؟ (٣درجات)

٣- هناك علاقة بين الشيطان والمنافقين... وضحي تلك العلاقة من خلال الآيات؟ (٥درجات)

الدرس الرابع
حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٖۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا
تَعۡمَلُونَ ﴿١٨﴾ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ نَسُواْ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمۡ أَنفُسَهُمۡۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ﴿١٩﴾ لَا
يَسۡتَوِيٓ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ وَأَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِۚ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِ هُمُ ٱلۡفَآئِزُونَ ﴿٢٠﴾ لَوۡ أَنزَلۡنَا هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ عَلَىٰ
جَبَلٖ لَّرَأَيۡتَهُۥ خَٰشِعٗا مُّتَصَدِّعٗا مِّنۡ خَشۡيَةِ ٱللَّهِۚ وَتِلۡكَ ٱلۡأَمۡثَٰلُ نَضۡرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ
﴿٢١﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِۖ هُوَ ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ ٱللَّهُ

ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾ ﴾

أولاً: معاني المفردات:

نَسُوا الله: تركوا أمره، أو ما قدروه حق قدره، أو لم يخافوه.

الْفَاسِقُونَ: الكاملون في الخروج عن طاعة الله.

خَاشِعًا: ذليلًا خاضعًا. **مُتَصَدِّعًا**: متشققًا.

المِلِكُ: المالك لكل شيء المتصرف فيه. **الْقُدُّوسُ**: البليغ في النزاهة عن النقائص

السَّلَامُ: ذو السلامة من كل عيب ونقص. **المؤْمِنُ**: المصدق لرسله بالمعجزات.

المهَيْمِنُ: الرقيب على كل شيء. **الْعَزِيزُ**: القوي الغالب.

الجبَّارُ: القهار أو العظيم. **المتَكَبِّرُ**: البليغ الكبرياء والعظمة.

الْبَارِئُ: المبدع المخترع. **المصَوِّرُ**: خالق الصور على ما يريد.

ثانيًا: في ظلال الآيات:

* توجيه المؤمنين إلى محاسبة النفس.

* التفكر من أعظم الأمور التي تقرب إلى الله.

* التعرف على بعض أسماء الله الحسنى مما يعين على تعظيمه.

١- توجيه المؤمنين إلى محاسبة النفس:

يتجه الخطاب في السورة إلى المؤمنين؛ ليدعوهم إلى التقوى، والنظر فيما أعدوه للآخرة، واليقظة الدائمة، والحذر من نسيان الله كالذين نسوه من قبل، ممن رأوا مصير فريق منهم، وممن كتب عليهم أنهم من أصحاب النار: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾ ﴾ والتقوى حالة قلبية، تجعل صاحبها يقظًا حساسًا شاعرًا بالله في كل أمر، وتجعله خائفًا متحرجًا مستحييًا أن يَطّلِع عليه الله وهو على حال يكرهها، فعين الله مطلعة على كل قلب في كل لحظة، فمتى يأمن المرأ ألا يراه مولاه ولا يطلع على ما بداخله؟

﴿وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٖ﴾: وهو تعبير كذلك ذو ظلالٍ وإيحاءاتٍ تتجاوز ألفاظه، ومجرد حركة القلب بذلك تفتح أمام صاحبه صفحة أعماله بل صفحة حياته، وتجعله يمد ببصره في سطورها كلها يتأملها، لينظر ماذا قدم لغده في هذه الصفحة، وهذا التأمل كفيل بأن ينبهه إلى مواضع الضعف ومواضع النقص ومواضع التقصير، مهما يكن قد أسلف من خير وبذل من جهد، فكيف إذا كان رصيده من الخير قليلًا، ونصيبه من البر ضئيلًا ؟ إنها لمسة لا ينام بعدها القلب أبدًا، بل يغتنم الفرص والأوقات، ويجد ويجتهد بالليل والنهار، فإن مثل هذا القلب اليقظ المحاذر يعلم أن المعوقات والعقبات آتية لا محالة؛ كما أخبر بذلك الرسول الأعظم ﷺ، فعن اِبْن عَبَّاس رضي الله عنهما أَنَّ النَّبِيّ ﷺ قَالَ لِرَجُلٍ وَهُوَ يَعِظهُ: **«اِغْتَنِمْ خَمْسًا قَبْل خَمْس، شَبَابك قَبْل هَرَمك، وَصِحَّتك قَبْل سَقَمك، وَغِنَاك قَبْل فَقْرك، وَفَرَاغك قَبْل شُغْلك، وَحَيَاتك قَبْل مَوْتك»**[رواه الحاكم].

﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ﴾ فتزيد هذه القلوب حساسية ورهبة واستحياء، والله خبير بما [illegible] ما تدعوهم إليه هذه الآية من يقظة وتذكر يحذرهم من أن يكونوا: ﴿كَٱلَّذِينَ نَسُواْ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمۡ أَنفُسَهُمۡ﴾ وهي حالة عجيبة، ولكنها حقيقة، فالذي ينسى الله يهيم في هذه الحياة بلا رابطة تشده إلى أفقٍ أعلى، وبلا هدف لهذه الحياة يرفعه عن السائمة التي ترعى، وفي هذا نسيانٌ لإنسانيته، وهذه الحقيقة تضاف إليها أو تنشأ عنها حقيقة أخرى؛ ألا وهي نسيان هذا المخلوق لنفسه، فلا يدخر لها زادًا للحياة الطويلة الباقية، ولا ينظر فيما قدم لها في الغداة من رصيد. ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ﴾ المنحرفون الخارجون.

﴿لَا يَسۡتَوِيٓ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ وَأَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِۚ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِ هُمُ ٱلۡفَآئِزُونَ ٢٠﴾ لا يستويان طبيعةً وحالًا، ولا طريقًا ولا سلوكًا، ولا وجهة ولا مصيرًا، فهما على مفرق طريقين لا يلتقيان أبدا في طريق، ﴿أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِ هُمُ ٱلۡفَآئِزُونَ﴾.

٢ — التفكر من أعظم الأمور التي تقرب إلى نور الله:

﴿لَوۡ أَنزَلۡنَا هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ عَلَىٰ جَبَلٖ لَّرَأَيۡتَهُۥ خَٰشِعٗا مُّتَصَدِّعٗا مِّنۡ خَشۡيَةِ ٱللَّهِۚ وَتِلۡكَ ٱلۡأَمۡثَٰلُ نَضۡرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ ٢١﴾ وهي صورة تمثل حقيقة؛ فإن لهذا القرآن لثقلًا وسلطانًا وأثرًا مزلزلًا لا يثبت له شيء يتلقاه بحقيقته، واللحظات التي يكون فيها الكيان الإنساني متفتحًا لتلقي شيء من حقيقة القرآن يهتز فيها اهتزازا ويرتجف ارتجافا، والله

خالق الجبال ومنزل القرآن يقول: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ﴾ والذين أحسوا شيئا من حلاوة القرآن في قلوبهم يتذوقون هذه الحقيقة تذوقًا لا يعبر عنه إلا هذا النص القرآني المشع الموحي.

﴿وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ وهي خليقة بأن توقظ القلوب للتأمل والتفكير.

٣ – التعرف على بعض أسماء الله الحسنى مما يعين على تعظيمه:

وأخيرا تجيء تلك التسبيحة المديدة بأسماء الله الحسنى؛ وكأنما هي أثر من آثار القرآن في كيان الوجود كله، ينطلق بها لسانه وتتجاوب بها أرجاؤه؛ وهذه الأسماء واضحة الآثار في صميم هذا الوجود وفي حركته وظواهره، فهو إذ يسبح بها يشهد كذلك بآثارها: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾﴾.

﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ فتتقرر في الضمير وحدانية الاعتقاد، ووحدانية العبادة، ووحدانية الاتجاه، ووحدانية الفاعلية من مبدأ الخلق إلى منتهاه، ويقوم على هذه الوحدانية منهج كامل في التفكير والشعور والسلوك، وارتباطات الناس بالكون وبسائر الأحياء، وارتباطات الناس بعضهم ببعض على أساس وحدانية الإله.

﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ﴾: فيستقر في الضمير الشعور بعلم الله للظاهر والمستور، ومن ثم تستيقظ مراقبة هذا الضمير لله في السر والعلانية؛ ويعمل الإنسان كل ما يعمل بشعور المراقب من الله المراقب لله، الذي لا يعيش وحده، ولو كان في خلوة أو مناجاة! ويتكيف سلوكه بهذا الشعور الذي لا يغفل بعده قلبه ولا ينام!

﴿هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ﴾: فيستقر في الضمير شعور الطمأنينة لرحمة الله والاسترواح. ويتعادل الخوف والرجاء، والفزع والطمأنينة.

﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾: يعيدها في أول التسبيحة التالية؛ لأنها القاعدة التي تقوم عليها سائر الصفات.

﴿ٱلْمَلِكُ﴾: فيستقر في الضمير أن لا ملك إلا الله الذي لا إله إلا هو، وإذا توحدت الملكية لم يبق للمملوكين إلا سيد واحد يتوجهون إليه، ولا يخدمون غيره.

﴿ٱلْقُدُّوسُ﴾: وهو اسم يُشِعُّ القداسة المطلقة والطهارة المطلقة، ويلقي في ضمير المؤمن هذا الإشعاع الطهور، فينظف قلبه ويطهره؛ ليصبح صالحًا لتلقي فيوض الملك القدوس، والتسبيح له والتقديس.

﴿ٱلسَّلَٰمُ﴾: وهو اسم كذلك يشيع السلام والأمن والطمأنينة في جَنبات الوجود، وفي قلب المؤمن تجاه ربه - فهو آمنٌ في جواره، سالمٌ في كنفه- وحيال هذا الوجود وأهله من الأحياء والأشياء.

﴿ٱلْمُؤْمِنُ﴾: واهب الأمن وواهب الإيمان، ولفظ هذا الاسم يشعر القلب بقيمة الإيمان، حيث يلتقي فيه بالله، ويتصف منه بإحدى صفات الله، ويرتفع إذن إلى الملأ الأعلى بصفة الإيمان.

﴿ٱلْمُهَيْمِنُ﴾: وهذا بدء صفحة أخرى في تصور صفة الله ﷻ، إذ كانت الصفات السابقة: ﴿ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ﴾ صفات تتعلق مجردة بذات الله، فأما هذه فتتعلق بذات الله فاعلة في الكون والناس، توحي بالسلطان والرقابة، وكذلك: ﴿ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ﴾ فهي صفات توحي بالقهر والغلبة والجبروت والاستعلاء، فلا عزيز إلا هو، ولا جبار إلا هو، ولا متكبر إلا هو، وما يشاركه أحد في صفاته هذه، وما يتصف بها سواه، ومن ثم يجيء ختام الآية: ﴿سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾.

﴿هُوَ ٱللَّهُ﴾: فهي الألوهية الواحدة، وليس غيره بإله.

﴿ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ﴾: والخَلْق: التصميم والتقدير. والبَرْء: التنفيذ والإخراج. فهما صفتان متصلتان والفارق بينهما لطيف دقيق.

﴿ٱلْمُصَوِّرُ﴾: وهي كذلك صفة مرتبطة بالصفتين قبلها، ومعناها: إعطاء الملامح المتميزة والسمات التي تمنح لكل شيء شخصيته الخاصة.

﴿لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾: الحسنى في ذاتها، والحسنى التي توحي بالحسن للقلوب وتفيضه عليها، وهي الأسماء التي يتدبرها المؤمن ليصوغ نفسه وفق إيحائها واتجاهها.

وخاتمة هذه التسبيحة المديدة بهذه الأسماء الحسنى: ﴿يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ وهو مشهد يتوقعه القلب، ويشارك فيه مع الأشياء والأحياء، كما يتلاقى فيه المطلع والختام في تناسق والتئام.

ثالثًا: جوانب تطبيقية مستفادة من الآيات:

* الدعوة لتقوى الله هي الأساس لضبط النفس وتطورها وزيادة قدرتها على الإحسان والتميز من خلال القدرة على تقييم الذات بمراقبتها ومحاسبتها.

* أن معية الله هي السبيل للانتصار على النفس وسهولة قيادتها وإمكانية تزكيتها.

* تؤكد الآيات على أن الكافر ومن يتبع هواه دائما يفعل المنكرات حتى أصبح صاحبا لها في الدنيا وصاحبا للنار في الآخرة.

* ضرورة التفكر في القرآن الكريم كسبيل للخشوع وزيادة الإيمان، فالإسلام دينُ عقلٍ يدعو المرء للتفكر فيه حتى في أقصى درجات الخشوع والاندماج.

* ضرورة التعرف على أسماء الله الحسنى والتسبيح والدعاء بها.

رابعًا: التقويم: (الدرجة النهائية ١٥)

١- ما معنى: القدوس - البارئ - المصور؟ (٣درجات)

٢- ما فائدة محاسبة النفس من حين لآخر ؟ (٤درجات)

٣- على أي شيء يدل التعبير القرآني الآتي: ﴿لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ﴾؟ (درجتان)

٤- اذكري بعضًا من أسماء الله الحسنى مع توضيح علام تدل؟ (٦ درجات)

* * *

(٣) سورة الممتحنة

التعريف بالسورة:

هذه السورة حلقة في سلسلة التربية الإيمانية والتنظيم الاجتماعي والدولة في المجتمع المدني، حلقة من تلك السلسلة الطويلة، أو من ذلك المنهج الإلهي المختار للطائفة المؤمنة المختارة، التي ناط بها الله تحقيق منهجه الذي يريده للحياة الإنسانية، في صورة واقعية عملية.

وكان رسول الله ﷺ يقوم - في يقظةٍ دائمةٍ وإلهامٍ بصير - بالتقاط الأحداث والوقائع والمناسبات في كل فرصة، واستخدامها بحكمةٍ بالغةٍ في بناء هذه النفوس، والوحي والإلهام يؤيدانه ويسددانه، حتى تُصنع تلك الطائفة المختارة على عين الله، بتوفيق الله، على يدي رسول الله ﷺ.

هذه السورة حلقة في سلسلة ذلك الإعداد الطويل، تستهدف إقامةَ عالَمٍ ربانيٍّ خالصٍ في ضمير المسلم، عَالَمٍ محوره الإيمان بالله وحده، يشدُّ المسلمين إلى هذا المحور وحده، بعروة واحدة لا انفصام لها؛ ويبرئ نفوسهم من كل عصبية أخرى، سواءً كانت عصبية للقوم أو للجنس أو للأرض أو للعشيرة أو للقرابة؛ ليجعل في مكانها جميعا عقيدَةً واحدةً، هي عقيدَة الإيمان بالله، والوقوف تحت راية الله، في حزب الله.

وفي هذه السورة تأكيد على عدم السماح لغير المؤمنين بالتعرض لما فيه فتنة للنساء المؤمنات أو اضطهادهن، وهذه مسئولية الأمة كافة، ومن ثم حظرت زواج المؤمنة من كافر أو كتابي حتى لا تتعرض لفتنة في دينها ، بخلاف المؤمن فهو مؤتمن على الكتابية، لكن لا يحل له زواج المشركة لحكمة ربانية بالغة.

وتختتم السورة ببيعة النساء، والمهم فيها هي الأصول المشتركة بين الرجال والنساء في أصول العقيدة والطاعة في المعروف والتأكيد على الأخلاقيات، وكما تبين الشريعة الغرَّاء التخفيف عن المرأة بما يناسب ظروفها الفسيولوجية ويرفع عنها بعض التكاليف، فلابد أن يراعى ذلك في كل التكاليف الدعوية والحركية، وخصوصية طاعتها لأبيها وولي أمرها وزوجها؛ فهي في ذمة هؤلاء ومسئوليتهم ، وكذلك حسن تبعُّلِها لزوجها يعدل كل التكاليف التي على الرجال وأعفي النساء منها.

ويتم تناول معاني السورة من خلال الدروس التالية:

١- التجرد والبعد عن العصبية.

٢- تنظيم الإسلام للعلاقات الدولية عامة وما يخص النساء خاصة.

الدرس الأول
التجرد والبعد عن العصبية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُم مِّنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ ۙ أَن تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي ۚ تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنتُمْ ۚ وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ (١) إِن يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءً وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُم بِالسُّوءِ وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ (٢) لَن تَنفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ ۚ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ ۚ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (٣) قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن شَيْءٍ ۖ رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ (٤) رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا وَاغْفِرْ لَنَا رَبَّنَا ۖ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٥) لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ ۚ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ (٦) ۞ عَسَى اللَّهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُم مِّنْهُم مَّوَدَّةً ۚ وَاللَّهُ قَدِيرٌ ۚ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (٧) لَّا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ (٨) إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ (٩)﴾.

أولاً: معاني المفردات:

أَوْلِيَاءَ: أعوانًا تُوَادُّونَهُمْ وتناصحونهم.

تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ: تخبرونهم بسرائر المسلمين وتنصحون لهم.

أَنْ تُؤْمِنُوا: لإيمانكم أو كراهة إيمانكم. **يَثْقَفُوكُمْ**: يظفروا بكم ويتمكنوا منكم.

يَبْسُطُوا: يمدوا. **وَدُّوا**: تمنوا.

أُسْوَةٌ: الأسوة ما يتأسى به، مثل القدوة، ويقال: هو أسوتك. أي: مثلك وأنت مثله.

بُرَآءُ: أبرياء. أَنَبْنَا: رجعنا تائبين.

فِتْنَةً: مفتونين بهم معذَّبين بأيديهم. تَبَرُّوهُمْ: تحسنوا إليهم وتكرموهم.

تُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ: تفضوا إليهم بالقسط والعدل.

الْمُقْسِطِينَ: العادلين.

ثانيًا: في ظلال الآيات:

* سبب نزول صدر السورة.
* التجرد والبعد عن العصبية من مقتضى الإيمان.
* التحذير من إخفاء موالاة الأعداء.
* نموذج للاقتداء في التجرد والبعد عن العصبيات.
* رد شبهة موالاة سيدنا إبراهيم لأبيه.
* الصبر لحكم الله يجلب الفرج.
* قاعدة التعامل مع غير المسلمين.

١ - سبب نزول صدر السورة

روى البخاريُّ في صحيحه عن عليٍّ ﷺ قال: «بَعَثَنِي رَسُولُ الله ﷺ وَأَبَا مَرْثَدٍ الْغَنَوِيَّ وَالزُّبَيْرَ بْنَ الْعَوَّامِ - وَكُلُّنَا فَارِسٌ- قَالَ: انطَلِقُوا حَتَّى تَأْتُوا رَوْضَةَ خَاخٍ؛ فَإِنَّ بِهَا امْرَأَةً مِنَ المشْرِكِينَ مَعَهَا كِتَابٌ مِنْ حَاطِبِ بْنِ أَبِي بَلْتَعَةَ إِلَى المشْرِكِينَ. فَأَدْرَكْنَاهَا تَسِيرُ عَلَى بَعِيرٍ لَهَا حَيْثُ قَالَ رَسُولُ الله ﷺ، فَقُلْنَا: الْكِتَابُ. فَقَالَتْ: مَا مَعَنَا كِتَابٌ. فَأَنَخْنَاهَا فَالْتَمَسْنَا فَلَمْ نَرَ كِتَابًا، فَقُلْنَا: مَا كَذَبَ رَسُولُ الله ﷺ لَتُخْرِجِنَّ الْكِتَابَ أَوْ لَنُجَرِّدَنَّكِ. فَلَمَّا رَأَتْ الْجِدَّ أَهْوَتْ إِلَى حُجْزَتِهَا - وَهِيَ مُحْتَجِزَةٌ بِكِسَاءٍ- فَأَخْرَجَتْهُ، فَانطَلَقْنَا بِهَا إِلَى رَسُولِ الله ﷺ، فَقَالَ عُمَرُ: يَا رَسُولَ الله، قَدْ خَانَ الله وَرَسُولَهُ وَالمؤْمِنِينَ، فَدَعْنِي فَلأَضْرِبَ عُنُقَهُ. فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: **مَا حَمَلَكَ عَلَى مَا صَنَعْتَ ؟** قَالَ حَاطِبٌ: وَالله مَا بِي أَنْ لَا أَكُونَ مُؤْمِنًا بِالله وَرَسُولِهِ ﷺ، أَرَدْتُ أَنْ يَكُونَ لِي عِنْدَ الْقَوْمِ يَدٌ يَدْفَعُ الله بِهَا عَنْ أَهْلِي وَمَالِي، وَلَيْسَ أَحَدٌ مِنْ أَصْحَابِكَ إِلَّا لَهُ هُنَاكَ مِنْ عَشِيرَتِهِ مَنْ يَدْفَعُ الله بِهِ عَنْ أَهْلِهِ وَمَالِهِ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: **صَدَقَ، وَلَا تَقُولُوا لَهُ إِلَّا خَيْرًا**. فَقَالَ عُمَرُ: إِنَّهُ قَدْ خَانَ الله وَرَسُولَهُ وَالمؤْمِنِينَ فَدَعْنِي

فَلأَضْرِبَ عُنُقَهُ. فقَالَ: أَلَيْسَ مِنْ أَهْلِ بَدْرٍ؟ فَقَالَ: لَعَلَّ الله اطَّلَعَ إِلَى أَهْلِ بَدْرٍ فَقَالَ: اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ فَقَدْ وَجَبَتْ لَكُمُ الجَنَّةُ -أَوْ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ. فَدَمَعَتْ عَيْنَا عُمَرَ وَقَالَ: الله وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ».[البخاري (٣٦٨٤)].

والحادث متواتر الرواية، ولكن مضمون النص القرآني -كما قلنا- أبعد مدى، وأدلّ على أنه كان يعالج حالة نفسية أوسع من حادث حاطب الذي تواترت به الروايات، بمناسبة وقوع هذا الحادث، على طريقة القرآن.

كان يعالج مشكلة الأواصر القريبة، والعصبيات الصغيرة، وكان يُنْشِئ في هذه النفوس صورة جديدة، وقِيَمًا جديدة، وموازين جديدة، وفكرة جديدة عن الكون والحياة والإنسان، ووظيفة المؤمنين في الأرض، وغاية الوجود الإنساني.

٢ – التجرد والبعد عن العصبية من مقتضى الإيمان:

تبدأ السورة بذلك النداء الودود الموحي: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ نداء ربهم الذي آمنوا به، يدعوهم باسم الإيمان الذي ينسبهم إليه، وفي مودة يجعل عدوهم عدوه، وعدوه عدوهم ﴿لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ﴾ فيشعر المؤمنين بأنهم منه وإليه، يعادي من يعاديهم، فهم رجاله المنتسبون إليه الذين يحملون شارته في هذه الأرض، وهم أَحِبَّاؤُه، فلا يجوز أن يلقوا بالمودة إلى أعدائهم وأعدائه، ويذكرهم بجريرة هؤلاء الأعداء عليهم وعلى دينهم وعلى رسولهم: ﴿وَقَدْ كَفَرُواْ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلْحَقِّ يُخْرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَن تُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ﴾ فماذا أبقوا بعد هذه الجرائر الظالمة للموالاة والمودة؟ كفروا بالحق، وأخرجوا الرسول ﷺ والمؤمنين، لا لشيء إلا لأنهم آمنوا بالله ربهم؟ فهي قضية العقيدة دون سواها، قضية الحق الذي كفروا به والرسول الذي أخرجوه، والإيمان الذي من أجله أخرجوهم.

وإذا تَمَحَّضَتْ القضية هكذا وبرزت، ذكرهم بأنه لا محل إذن للمودة بينهم وبين المشركين إن كانوا قد خرجوا من ديارهم ابتغاء رضوان الله وجهادًا في سبيله: ﴿إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَٰدًا فِي سَبِيلِي وَٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِي﴾ فما يجتمع في قلب واحد أن يهاجر جهادًا في سبيل الله ابتغاء مرضاة الله، مع مودة لمن أخرجه من أجل إيمانه بالله، وهو عدو الله وعدو رسول الله ﷺ.

٣ – التحذير من إخفاء موالاة الأعداء:

ثم يحذر الله سبحانه وتعالى المؤمنين تحذيرًا خفيًّا مما تُكِنُّ قلوبهم مما يسرون به إلى أعدائهم وأعداء الله من المودة، وهو مُطَّلعٌ على خفية القلوب وعلانيتها: ﴿تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَأَنَا۠ أَعْلَمُ بِمَآ أَخْفَيْتُمْ وَمَآ أَعْلَنتُمْ﴾ ثم يهددهم تهديدًا مخيفًا، يثير في القلب المؤمن الوجل والمخافة: ﴿وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ﴾ وهذا التهديد وذلك التحذير يتوسطان تبصير المؤمنين بحقيقة أعدائهم وما يضمرون لهم من الشر والكيد: ﴿إِن يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُوا۟ لَكُمْ أَعْدَآءً وَيَبْسُطُوٓا۟ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُم بِٱلسُّوٓءِ﴾، ﴿إِن يَثْقَفُوكُمْ﴾: يظفروا بكم، لا ينفعكم إلقاء المودة إليهم، ويبسطوا إليكم أيديهم وألسنتهم بما يسوؤكم، كالقتل والشتم، فلا تعرض لهم فرصة يتمكنون فيها من المسلمين حتى يتصرفوا معهم تصرف العدو الأصيل، ويوقعون بهم ما يملكون من أذى ومن تنكيل بالأيدي وبالألسنة وبكل وسيلة وكل سبيل، والأدهى من هذا كله والأشد والأنكى: ﴿وَوَدُّوا۟ لَوْ تَكْفُرُونَ﴾: أي وتمنوا ارتدادكم، وهذه عند المؤمن أشد من كلِّ أذى ومن كلِّ سوءٍ يصيبه باليد أو اللسان، والذي يذوق حلاوة الإيمان بعد الكفر، ويهتدي بنوره بعد الضلال يكره العودة إلى الكفر كما يكره أن يلقى في النار، أو أشد.

هذه هي الجولة الأولى، ثم تليها جولة ثانية، تعالج مشاعر القرابة ووشائجها المتأصلة؛ والتي تشتجر في القلوب فتجرُّها جرًّا إلى المودة، وتنسيها تكاليف التميز بالعقيدة.

﴿لَن تَنفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ﴾ التي تهفون إليها وتتعلق قلوبكم بها؛ وتضطركم إلى موادة أعداء الله وأعدائكم وقاية لها، ذلك أنه: ﴿يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ﴾ لأن العروة التي تربطكم مقطوعة، وهي العروة التي لا رباط بغيرها عند الله ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ مطلع على العمل الظاهر وعلى النية التي في الضمير.

٤ – نموذج للاقتداء في التجرد والبعد عن العصبيات:

ثم تأتي الجولة الثالثة فتصل المسلمين بأول هذه الأمة الواحدة: أمة التوحيد، إنها الأمة الممتدة منذ إبراهيم ﷺ أبيهم الأول وصاحب الحنيفية الأولى، وتُبيِّن أن فيه أسوة لا في العقيدة وحدها، بل كذلك في السيرة، وفي التجارب التي عاناها مع عاطفة القرابة ووشائجها؛ وكيف خلُصَ منها هو ومن آمن معه، وتجرد لعقيدته وحدها: ﴿قَدْ كَانَتْ

لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن شَيْءٍ رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴿٤﴾ ﴾.

وينظر المسلم، فإذا له نسبٌ عريق، وأسوة ممتدة على آماد الزمان، وإذا هو راجع إلى إبراهيم، لا في عقيدته فحسب، بل في تجاربه التي عاناها كذلك، إن هذه القافلة الممتدة في شعاب الزمان من المؤمنين بدين الله قد مرت بمثل ما يمر به، وقد انتهت في تجربتها إلى قرار اتخذته، فليس الأمر جديدًا ولا مبتدعًا ولا تكليفًا يشق على المؤمنين، مرَّ إبراهيم والذين معه بالتجربة التي يعانيها المسلمون المهاجرون، وفيهم أسوة حسنة: ﴿إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ﴾.

فهو التجرد الحق من القوم ومعبوداتهم وعباداتهم، وهو الكفر بهم والإيمان بالله، وهي العداوة والبغضاء أبدًا لا تنقطع حتى يؤمن القوم بالله وحده، وهي المفاصلة الحاسمة الجازمة التي لا تستبقي شيئًا من الوشائج والأواصر بعد انقطاع وشيجة العقيدة وآصرة الإيمان، وفي هذا فصل الخطاب في مثل هذه التجربة التي يمر بها المؤمن في أي جيل، وفي قرار إبراهيم والذين معه أسوة لخلفائهم من المسلمين إلى يوم الدين.

٥- رد شبهة موالاة سيدنا إبراهيم لأبيه:

كان بعض المسلمين يجد في استغفار إبراهيم لأبيه -وهو مشرك- ثغرة تنفذ منها عواطفهم الحبيسة ومشاعرهم الموصولة بذوي قرباهم من المشركين، فكانوا يدعون لآبائهم الذين ماتوا على الشرك، ويستغفرون لهم، ويقولون: إن إبراهيم كان يستغفر لأبيه. فأنزل الله ﷻ هذه الآيات[1]، وجاء القرآن ليشرح لهم حقيقة موقف إبراهيم في قوله لأبيه: ﴿لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ﴾ فلقد قال هذا قبل أن يستيقن من إصرار أبيه على الشرك، كما جاء في سورة التوبة: ﴿فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ﴾ [التوبة: ١١٤]، ويثبت هنا أن إبراهيم فوض الأمر كله لله، وتوجه إليه بالتوكل والإنابة والرجوع

---

(١) تفسير ابن كثير (٤/ ٣٤٨).

إليه على كل حال: ﴿وَمَآ أَمۡلِكُ لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن شَيۡءٖۖ رَّبَّنَا عَلَيۡكَ تَوَكَّلۡنَا وَإِلَيۡكَ أَنَبۡنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ﴾ وهذا التسليم المطلق لله، هو السمة الإيمانية الواضحة في إبراهيم يبرزها هنا ليوجه إليها قلوب أبنائه المسلمين، ويستطرد لهذا في إثبات بقية دعاء إبراهيم ونجواه لمولاه: ﴿رَبَّنَا لَا تَجۡعَلۡنَا فِتۡنَةٗ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ فلا تسلطهم علينا، فيكون في ذلك فتنة لهم، إذ يقولون: لو كان الإيمان يحمي أهله ما سلطنا عليهم وقهرناهم، والمؤمن يصبر للابتلاء، ولكن هذا لا يمنعه أن يدعو الله ألا يصيبه البلاء الذي يجعله فتنة وشبهة تحيك في الصدور، وبقية الدعاء: ﴿وَٱغۡفِرۡ لَنَا﴾، يقولها إبراهيم خليل الرحمن، إدراكًا منه لمستوى العبادة التي يستحقها منه ربه، وعجزه ببشريته عن بلوغ المستوى الذي يكافئ به نعم الله وآلاءه، فيطلب المغفرة من ربه؛ ليكون في شعوره وفي طلبه أسوة لمن معه ولمن يأتي بعده، ويختم دعاءه وإنابته واستغفاره بوصف ربه بصفته المناسبة لهذا الدعاء: ﴿رَبَّنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾، العزيز: القادر على الفعل، الحكيم: فيما يمضي من تدبير.

وفي نهاية هذا العرض لموقف إبراهيم والذين معه، وفي استسلام إبراهيم وإنابته يعود فيقرر الأسوة ويكررها؛ مع لمسة جديدة لقلوب المؤمنين: ﴿لَقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِيهِمۡ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ وَٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَۚ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ٦﴾ فالأسوة في إبراهيم والذين معه متحققة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر، وهؤلاء هم الذين يدركون قيمة التجربة التي عاناها هذا الرهط الكريم، ويجدون فيها أسوة تتبع، وسابقة تهدي، وهو تلميحٌ مُوحٍ للحاضرين من المؤمنين، فأما من يُرد أن يتولى عن هذا المنهج، من يُرد أن يحيد عن طريق القافلة، من يُرد أن ينسلخ من هذا النسب العريق، فما بالله ﷻ من حاجةٍ إليه: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ﴾.

٦ – الصبر لحكم الله يجلب الفرج:

بعدئذ يعود فينسم على هذه القلوب التي يعلم الله ما بها من حنين ورغبة في زوال حالة العداء والجفوة التي تكلفهم هذه المشقة، ينسم عليها بنسمة الأمل الندية في أن ينضم هؤلاء الأعداء إلى راية الإسلام وإلى صفوف المسلمين؛ فيكون هذا هو الطريق لزوال الجفوة وقيام الود على أساسه الركين، ثم يخفف عنهم مرة أخرى- وهو يضع القاعدة الإسلامية الكبرى في العلاقات الدولية بين المسلمين وغيرهم- فيجعل المقاطعة

والخصومة خاصة بحالة العداء والعدوان، فأما حين ينتفي العداء والعدوان فهو البر لمن يستحق البر، وهو القسط في المعاملة والعدل:

﴿عَسَى ٱللَّهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ عَادَيْتُم مِّنْهُم مَّوَدَّةً وَٱللَّهُ قَدِيرٌ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝٧﴾.

وفي الآية إشارة إلى هذا الرجاء الذي لا يغلب عليه اليأس؛ في معرض التخفيف على نفوس بعض المهاجرين، وتغذية قلوبهم المتعبة بمشقة المقاطعة والحرب للأهل والعشيرة:

﴿عَسَى ٱللَّهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ عَادَيْتُم مِّنْهُم مَّوَدَّةً﴾، وهذا الرجاء من الله، معناه القطع بتحققه، والمؤمنون الذين سمعوه لابد قد أيقنوا به، ولقد وقع بعد هذا بوقت قصير أن فتحت مكة، وأن أسلمت قريش، وأن وقف الجميع تحت لواء واحد، وأن عاد الجميع إخوة مؤتلفي القلوب.

﴿وَٱللَّهُ قَدِيرٌ﴾: يفعل ما يريد بلا معقب.

﴿وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾: يغفر ما سلف من الشرك والذنوب..

٧ - قاعدة التعامل مع غير المسلمين:

والقاعدة في معاملة غير المسلمين هي أعدل القواعد التي تتفق مع طبيعة هذا الدين ووجهته ونظرته إلى الحياة الإنسانية، وهي أساس شريعته الدولية، التي تجعل حالة السلم بينه وبين الناس جميعا هي الحالة الثابتة، لا يغيرها إلا وقوع الاعتداء الحربي وضرورة ردّه، أو خوف الخيانة بعد المعاهدة، وهي تهديد بالاعتداء؛ أو الوقوف بالقوة في وجه حرية الدعوة وحرية الاعتقاد، وهو كذلك اعتداء، وفيما عدا هذا فالسلم والمودة والبر والعدل للناس أجمعين.

وهذا التوجيه يتفق مع اتجاه السورة كلها إلى إبراز قيمة العقيدة، وجعلها هي الراية الوحيدة التي يقف تحتها المسلمون، فمن وقف معهم تحتها فهو منهم، ومن قاتلهم فيها فهو عدوهم، ومن سالمهم فتركهم لعقيدتهم ودعوتهم، ولم يصد الناس عنها، ولم يحل بينهم وبين سماعها، ولم يفتن المؤمنين بها، فهو مسالم لا يمنع الإسلام من البر به والقسط معه.

ثالثًا: جوانب تطبيقية مستفادة من الآيات:

* أهمية التجرد لله ﷻ ومعرفة حدود التعامل مع أعداء الدين ولو كانت معهم مصالح اقتصادية أو غيرها من المصالح الدنيوية.

* على الأم أن تعلم أولادها التجرد الدائم لله، وتحثهم على تجديد النية له جل وعلا؛ وتعينهم على المشاركة في الأعمال الخيرية ونفع المجتمع.

* استحضار معية الله في كل الأحوال.

* ضرورة معرفة وتحديد الصاحب والصديق الحق، وعدم خلط الأمور، فلا مصاحبة ولا موالاة لمن عادى الدين وعادى الإسلام والمسلمين.

* يؤكد الإسلام على صلة الرحم وبرها بالدعاء لهم والاستغفار لهم، ولكن في إطار عبادة الله ﷻ والولاء له.

* ضرورة دراسة قصص الأنبياء واتخاذ القدوة الحسنة من سيرتهم.

* البر أعلى درجات الإحسان، وقد فرضه الله علينا حتى للكافرين الذين ليس بينهم وبين المؤمنين قتال أو اعتداء، وهو ما يؤكد على طبيعة المجتمع الإسلامي الذي يستوعب كل الطوائف والفئات دون تمييز ضد أحد في إطار من العدل والمساواة.

* إن رابطة العقيدة هي أقوى وأعمق وأنفع من رابطة النسب.

* على المؤمنة أن تلجأ وتتضرع إلى الله فهو عونها ونصيرها.

رابعًا: التقويم: (الدرجة النهائية ٢٠)

١- ماذا تتعلمين من موقف سيدنا إبراهيم وأصحابه مع قومهم؟ (٥درجات)

٢- وردت في أسباب نزول مطلع السورة قصة، اذكري ملخَّصًا لها؟ (٥درجات)

٣- على ضوء فهمك للسورة هل يجوز التعامل مع غير المحاربين من المشركين؟ (درجتان)

٤- إن تطبيق الشريعة الإسلامية في الدولة يخيف الكثيرين..وضحي كيف بينت الآيات طبيعة المجتمع الإسلامي والدولة المسلمة؟ (٤درجات)، وكيف يمكن أن تعيش فيه مختلف الطوائف والفئات دون تمييز؟ (٤درجات)

الدرس الثاني

تنظيم الإسلام للعلاقات الدولية عامة وما يخص النساء خاصة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ ۖ اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ ۖ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ
مُؤْمِنَاتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ ۖ لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ ۖ وَآتُوهُم مَّا أَنفَقُوا ۚ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَن
تَنكِحُوهُنَّ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ ۚ وَلَا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكَوَافِرِ وَاسْأَلُوا مَا أَنفَقْتُمْ وَلْيَسْأَلُوا مَا أَنفَقُوا ۚ ذَٰلِكُمْ حُكْمُ
اللَّهِ ۖ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ ۚ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾ وَإِن فَاتَكُمْ شَيْءٌ مِّنْ أَزْوَاجِكُمْ إِلَى الْكُفَّارِ فَعَاقَبْتُمْ فَآتُوا الَّذِينَ
ذَهَبَتْ أَزْوَاجُهُم مِّثْلَ مَا أَنفَقُوا ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنتُم بِهِ مُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ
يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰ أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ
بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ ۙ فَبَايِعْهُنَّ وَاسْتَغْفِرْ لَهُنَّ اللَّهَ ۖ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ
﴿١٢﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَئِسُوا مِنَ الْآخِرَةِ كَمَا يَئِسَ الْكُفَّارُ مِنْ
أَصْحَابِ الْقُبُورِ ﴿١٣﴾ ﴾

أولاً: معاني المفردات:

ظاهروا: عاونوا.

الكوافر: عابدات الأوثان ممن لا يجوز ابتداء نكاحهن من غير أهل الكتاب.

ثانيًا: في ظلال الآيات:

* مناسبة آية الامتحان ودلالتها على عظم مكانة المرأة.
* امتحان المؤمنات المهاجرات.
* التفريق بين الأزواج بسبب الكفر ومقتضياته.
* تعويض الدولة للرجال عن نفقة الزوجات الكافرات.
* نص بيعة النساء.
* تحريم موالاة غير المسلمين قطعيًا.

١ – مناسبة آية الامتحان ودلالتها على عظم مكانة المرأة:

هذه الآيات من أروع ما يصور مكانة المرأة المسلمة في الشرع، وتعهد الله حمايتها والعناية بها، فهي تستثني العلاقات الدولية، وتتحدى أي تفاوض أو معاهدة تضر بالمرأة.

ورد في سبب نزول هذه الأحكام أنه كان بعد صلح الحديبية الذي جاء فيه: "على ألا يأتيك منا أحد وإن كان على دينك إلا رددته إلينا".. فلما كان الرسول ﷺ والمسلمون معه بأسفل الحديبية جاءته نساء مؤمنات يطلبن الهجرة والانضمام إلى دار الإسلام في المدينة؛ وجاءت قريش تطلب ردهن تنفيذا للمعاهدة، ويظهر أن النص لم يكن قاطعا في موضوع النساء، فنزلت هاتان الآيتان تمنعان رد المهاجرات المؤمنات إلى الكفار، حتى لا يفتن في دينهن وهن ضعاف.

ونزلت أحكام هذه الحالة الدولية معها، تنظم التعامل فيها على أعدل قاعدة تتحرى العدل في ذاته دون تأثُّرٍ بسلوك الفريق الآخر، وما فيه من شطط وجور، على طريقة الإسلام في كل معاملاته الداخلية والدولية. وهذا دليل قاطع على أن الشريعة الإسلامية فوق كل المعاهدات الدولية التي توقعها الدولة وتتعارض مع الشريعة فيها.

٢ – امتحان المؤمنات المهاجرات:

وأول إجراء هو امتحان هؤلاء المهاجرات لتحرِّي سبب الهجرة، فلا يكون تخلُّصا من زواج مكروه، ولا طلبا لمنفعة، ولا جريا وراء حبٍّ فرديٍّ في دار الإسلام!

قال ابن عباس: كان يمتحنهن: بالله ما خرجت من بغض زوج .. بالله ما خرجت رغبة عن أرض إلى أرض.. بالله ما خرجت التماس دنيا .. بالله ما خرجت إلا حبًّا لله ورسوله ﷺ.

وقال عكرمة: يقال لها: ما جاء بك إلا حب الله ورسوله، وما جاء بك عشقُ رجلٍ منّا، ولا فرارًا من زوجك.

وهذا هو الامتحان، وهو يعتمد على ظاهر حالهن وإقرارهن مع الحلف بالله، فأما خفايا الصدور فأمرها إلى الله، ولا سبيل للبشر إليها: ﴿ٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِإِيمَٰنِهِنَّ﴾.

٣ - التفريق بين الأزواج بسبب الكفر ومقتضياته:

﴿فَإِنۡ عَلِمۡتُمُوهُنَّ مُؤۡمِنَٰتٖ﴾ فإذا ما أقررن هكذا ﴿فَلَا تَرۡجِعُوهُنَّ إِلَى ٱلۡكُفَّارِۖ لَا هُنَّ حِلّٞ لَّهُمۡ وَلَا هُمۡ يَحِلُّونَ

لَهُنَّ﴾، فقد أنبتت الوشيجة الأولى، وشيجة العقيدة، فلم تعد هناك وشيجة أخرى يمكن أن تصل هذه القطيعة، والزوجية حالة امتزاج واندماج واستقرار، لا يمكن أن تقوم إذا انقطعت هذه الوشيجة الأولى، ومع إجراء التفريق إجراء التعويض-على مقتضى العدل والمساواة- فيرد على الزوج الكافر قيمة ما أنفق من المهر على زوجته المؤمنة التي فارقته تعويضا للضرر، كما يرد على الزوج المؤمن قيمة ما أنفق من المهر على زوجته الكافرة التي يطلقها من عصمته.

وبعد ذلك يحل للمؤمنين نكاح المؤمنات المهاجرات متى آتوهن مهورهن ﴿وَءَاتُوهُم مَّآ أَنفَقُواْۚ وَلَا جُنَاحَ عَلَيۡكُمۡ أَن تَنكِحُوهُنَّ إِذَآ ءَاتَيۡتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّۚ وَلَا تُمۡسِكُواْ بِعِصَمِ ٱلۡكَوَافِرِ وَسۡـَٔلُواْ مَآ أَنفَقۡتُمۡ وَلۡيَسۡـَٔلُواْ مَآ أَنفَقُواْ﴾.

ثم يربط هذه الأحكام كلها بالضمانة الكبرى في ضمير المؤمن، ضمانة الرقابة الإلهية وخشية الله وتقواه: ﴿ذَٰلِكُمۡ حُكۡمُ ٱللَّهِ يَحۡكُمُ بَيۡنَكُمۡۖ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾، وهي الضمانة الوحيدة التي يؤمن عليها من النقض والالتواء والاحتيال.

٤- تعويض الدولة للرجال عن نفقة الزوجات الكافرات:

فإذا فات المؤمنين شيءٌ مما أنفقوا؛ بامتناع الكوافر أو أهليهن من ردِّ حقِّ الزوج المؤمن، عوضهم الإمام مما يكون للكافرين الذين هاجرت زوجاتهم من حقوق على زوجاتهم في دار الإسلام، أو مما يقع من مال الكفَّار غنيمة في أيدي المسلمين:

﴿وَإِن فَاتَكُمۡ شَيۡءٞ مِّنۡ أَزۡوَٰجِكُمۡ إِلَى ٱلۡكُفَّارِ فَعَاقَبۡتُمۡ فَـَٔاتُواْ ٱلَّذِينَ ذَهَبَتۡ أَزۡوَٰجُهُم مِّثۡلَ مَآ أَنفَقُواْ﴾.

ويربط هذا الحكم وتطبيقاته كذلك بالضمان الذي يتعلق به كل حكم وكل تطبيق:

﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِيٓ أَنتُم بِهِۦ مُؤۡمِنُونَ﴾ وهي لمسة للمؤمنين بالله عميقة الأثر في القلوب.

٥- نص بيعة النساء:

ثم بين لرسول الله ﷺ كيف يبايعهن على الإيمان، هن وغيرهن ممن يردن الدخول في الإسلام، وعلى أي الأسس يبايعهن:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ يُبَايِعۡنَكَ عَلَىٰٓ أَن لَّا يُشۡرِكۡنَ بِٱللَّهِ شَيۡـٔٗا وَلَا يَسۡرِقۡنَ وَلَا يَزۡنِينَ وَلَا يَقۡتُلۡنَ أَوۡلَٰدَهُنَّ وَلَا يَأۡتِينَ بِبُهۡتَٰنٖ يَفۡتَرِينَهُۥ بَيۡنَ أَيۡدِيهِنَّ وَأَرۡجُلِهِنَّ وَلَا يَعۡصِينَكَ فِي مَعۡرُوفٖ فَبَايِعۡهُنَّ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُنَّ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ١٢﴾.

وهذه الأسس هي المقومات الكبرى للعقيدة، كما أنها مقومات الحياة الاجتماعية الجديدة..

إنها عدم الشرك بالله إطلاقا، وعدم إتيان الحدود؛ السرقة والزنا، وعدم قتل الأولاد، إشارة إلى ما كان يجري في الجاهلية من وأد البنات، كما أنه يشمل قتل الأجنة لسبب من الأسباب، وهن أميناتٍ على ما في بطونهن: ﴿ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَٰنٍ يَفْتَرِينَهُۥ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ ﴾.. قال ابن عباس: يعني لا يلحقن بأزواجهن غير أولادهن. وكذلك قال مقاتل، والشرط الأخير: ﴿وَلَا يَعْصِينَكَ فِى مَعْرُوفٍ﴾ ، وهو يشمل الوعد بطاعة الرسول ﷺ في كل ما يأمرهن به، وهو لا يأمر إلا بمعروف، ولكن هذا الشرط هو أحد قواعد الدستور في الإسلام، وهو يقرر أن لا طاعة على الرعية لإمام أو حاكم إلا في المعروف الذي يتفق مع دين الله وشريعته، وهي القاعدة التي تجعل قوة التشريع والأمر مستمدة من شريعة الله، لا من إرادة إمامٍ ولا من إرادة أمةٍ إذا خالفت شريعة الله؛ فالإمام والأمة كلاهما محكومٌ بشريعة الله، ومنها يستمدان السلطات.

فإذا بايعن على هذه الأسس الشاملة قُبِلَت بيعتُهنَّ، واستغفر لهن الرسول ﷺ عما سلف ﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ يغفر ويرحم ويقيل العثرات.

٦ – تحريم موالاة غير المسلمين قطعيًا:

وفي الختام يجيء هذا الإيقاع العام:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَوَلَّوْا۟ قَوْمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَئِسُوا۟ مِنَ ٱلْءَاخِرَةِ كَمَا يَئِسَ ٱلْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْقُبُورِ ﴿١٣﴾ ﴾.

يجيء هتافا للذين آمنوا باسم الإيمان، وبالصفة التي تميزهم عن سائر الأقوام، إذ تصلهم بالله وتفصلهم عن أعداء الله.

وقد وردت بعض الروايات بأن المقصود بالقوم الذين غضب الله عليهم هم اليهود، ولكن هذا لا يمنع من عموم النص ليشمل اليهود والمشركين الذين ورد ذكرهم في السورة، وكل أعداء الله، وكلهم غضب عليه الله، وكلهم يائسٌ من الآخرة، لا يعلق بها رجاءً، ولا يحسب لها حسابا، كيأس الكفار من الموتى –أصحاب القبور– لاعتقادهم أن أمرهم انتهى، وما عاد لهم من بعثٍ ولا حسابٍ.

ثالثًا: جوانب تطبيقية مستفادة من الآيات:

* على المؤمنة أن توقن أن الخير كل الخير في التسليم والرضا بكل ما يقدره الله، وخاصة الزوج الذي قدره الله لها، فلا تقارن بين سلبياته وإيجابيات غيره من الرجال؛ فهي إن عرفت عن هذا الأجنبي سلوكًا فقد جهلت سلوكيات: "**لو كنت آمرًا أحدًا أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها من عظم حقه عليها**".[حديث حسن غريب، سنن الترمذي: ١٠٧٩].

* لا يحل لمؤمنة أن تتزوج من مشرك.

* على ولي الأمر أن يتثبت قبل أن يُصدر حكمًا؛ حتى لا يقع الظلم على أحدٍ، حتى ولو كان كافرًا.

* النساء شقائق الرجال؛ لهن ما لهم وعليهن ما عليهم من الحقوق والواجبات العامة، واختلاف بعض الأحكام الشرعية بين المرأة والرجل مردُّه إلى مقاصد شرعية، فما تطالب به المرأة من حركة دعوية وإسلامية يختلف عما يطالب به الرجل.

* إذا سبيت امرأة مؤمنة بالمشرق وجب على أهل المغرب جميعا فداؤها وفك أسرها، ولو أتى ذلك على كل ما عند المسلمين من مال في خزائنهم. (فهل أعطى دينٌ للمرأةِ حقوقًا مثلما أعطى الإسلام لها ؟!)

رابعًا: التقويم: (الدرجة النهائية ٣٥)

١- ما معنى الكلمات الآتية: فامتحنوهن - الكوافر - ببهتان ؟ (٣درجات)

٢- ما بنود بيعة النساء كما وردت في الآيات ؟ (٣درجات)

٣- حرص الإسلام على تعويض الزوج إذا تركته زوجته.. اذكري ما يؤكد ذلك ؟ (درجتان)

٤- ختمت السورة بنداء يلخص موضوعها الرئيسي... اذكريه موضحةً أثره في المجتمع المسلم ؟ (٤درجات)

٥- كيف تستطيعين الترجمة العملية للولاء والبراء لله ولرسوله ﷺ وللمؤمنين؟ (٥درجات)

٦- كيف أكدت الآيات على حق المرأة في المشاركة السياسية على أعلى المستويات ؟ (٣درجات)

٧- ما هي أدبيات المشاركة السياسية للمرأة في الإسلام كما بينتها الآيات ؟ (٤درجات)

٨- كيف يترجم صلح الحديبية ما نراه الآن من مواجهة من يدخلون في الإسلام ومحاربتهم ، ومن الترحيب بمن يرتدون عن الإسلام ؟ (٥درجات)

٩- كيف بينت الآيات طبيعة العلاقة بين الحاكم والمحكوم؟ وما علاقة ذلك بالديمقراطية الآن؟ (٦درجات)

* * *

(٤) سورة الصف

التعريف بالسورة :

هذه السورة: تستهدف أمرين أساسيين واضحين في سياقها كلَّ الوضوح :

تستهدف أولا أن تقرر في ضمير المسلم أن دينه هو المنهج الإلهي للبشرية في صورته الأخيرة، سبقته صور منه تناسب أطوارا معينة في تاريخ البشرية ، وسبقته تجارب في حياة الرسل وحياة الجماعات ، تمهد كلها لهذه الصورة الأخيرة من الدين الواحد الذي أراد الله أن يكون خاتمة الرسالات، وأن يظهره على الدين كله في الأرض: ﴿ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُشۡرِكُونَ ۝٩ ﴾ .

هذا الهدف الأول الواضح في السورة يقوم عليه الهدف الثاني؛ فإن شعور المسلم بهذه الحقيقة يستتبع شعوره بتكاليف هذه الأمانة شعورًا يدفعه إلى صدق النية في الجهاد لإظهار دينه على الدين كله، وعدم التردد بين القول والفعل، ويقبح أن يعلن المؤمن الرغبة في الجهاد ثم ينكص عنه، ومن ثم يجيء في مطلع السورة بعد إعلان تسبيح الكون وما فيه لله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ۝٢ كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ۝٣ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ صَفّٗا كَأَنَّهُم بُنۡيَٰنٞ مَّرۡصُوصٞ ۝٤ ﴾.

ثم يدعوهم في وسط السورة إلى أربح تجارة في الدنيا والآخرة: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلۡ أَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ تِجَٰرَةٖ تُنجِيكُم مِّنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ ۝١٠ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ۝١١ ﴾.

ثم يختم السورة بنداء أخير للذين آمنوا ؛ ليكونوا أنصار الله كما كان الحواريون أصحاب عيسى أنصاره إلى الله ، على الرغم من تكذيب بني إسرائيل به وعدائهم لله : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُوٓاْ أَنصَارَ ٱللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ لِلۡحَوَارِيِّـۧنَ مَنۡ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِۖ قَالَ ٱلۡحَوَارِيُّونَ نَحۡنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ﴾.

ويتم تناول معاني السورة من خلال الدروس التالية :

* وجوب موافقة القول للفعل.

* الله عز وجل متم نوره .

* التجارة الرابحة مع الله.

الدرس الأول
وجوب موافقة القول للفعل

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٢﴾ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٣﴾ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَانٌ مَّرْصُوصٌ ﴿٤﴾﴾

أولاً : معاني المفردات:

كبر: عظم. مقتًا: بغضًا وكرهًا.

صفًّا: صافين. **كأنهم بنيان مرصوص**: ثابت ملزق بعضه إلى بعض.

ثانيًا : في ظلال الآيات:

* ارتباط تسبيح الله بالأمانة القائم عليها المسلمون.

* عتاب من يخالف قوله فعله.

* الجهاد أحب الأعمال إلى الله.

* ما يعدل الجهاد بالنسبة للمرأة.

* الحالة التي يكون عليها المجاهدون.

١- ارتباط تسبيح الله بالأمانة القائم عليها المسلمون:

﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ ..

تجيء هذه التسبيحة من الوجود كله لله العزيز الحكيم.. فيوحي هذا المطلع أن الأمانة التي يقوم عليها المسلمون - أمانة عبودية الله- هي أمانة الوجود كله ؛ وأن العقيدة التي يطلب إليهم الجهاد فيها هي عقيدة كل ما في السماوات وما في الأرض ؛ وأن ظهور هذا الدين على الدين كله، هو ظاهرة كونية تتسق مع اتجاه الكون كله إلى الله العزيز الحكيم.

٢ – عتاب من يخالف قوله فعله:

ثم يعاتب الله الذين آمنوا عتابا شديدا على أمرٍ حدث من طائفةٍ منهم؛ أمرٌ يكرهه الله أشد الكره، ويمقته أكبر المقت، ويستفظعه من الذين آمنوا على وجه الخصوص:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ﴿٢﴾ كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ﴿٣﴾ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ صَفّٗا كَأَنَّهُم بُنۡيَٰنٞ مَّرۡصُوصٞ ﴿٤﴾ ﴾.

عن ابن عباس قال: كان ناسٌ من المؤمنين قبل أن يفرض الجهاد يقولون: لوددنا أن الله ﷻ دلنا على أحب الأعمال إليه، فنعمل به. فأخبر الله نبيه أن أحب الأعمال إيمان به لا شك فيه، وجهاد أهل معصيته الذين خالفوا الإيمان ولم يقروا به، فلما نزل الجهاد كره ذلك ناس من المؤمنين، وشق عليهم أمره، فقال الله سبحانه وتعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ﴿٢﴾ كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ﴿٣﴾ ﴾. وقد اختار ابن جرير في تفسيره هذا القول.

وقال ابن كثير في تفسيره :وحملوا الآية – يعني الجمهور – على أنها نزلت حين تمنوا فريضة الجهاد عليهم، فلما فرض نكل عنه بعضهم، ولكن النصوص القرآنية دائما أبعد مدى من الحوادث المفردة التي تنزل الآيات لمواجهتها، وأشمل لحالات كثيرة غير الحالة التي نزلت بسببها.

إنها تبدأ بعتاب على حادث وقع أو حوادث:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ﴿٢﴾ ﴾.

وتثني باستنكار لهذا الفعل وهذا الخلق في صيغة تضخم هذا الاستنكار:

﴿ كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ﴿٣﴾ ﴾.

والمقت الذي يكبر ﴿ عِندَ ٱللَّهِ ﴾ هو أكبر المقت وأشد البغض وأنكر النكير.. وهذا غاية التفظيع لأمر، وبخاصة في ضمير المؤمن الذي ينادى بإيمانه، والذي يناديه ربه الذي آمن به.

٣ – الجهاد أحب الأعمال إلى الله:

والآية تشير إلى الموضوع المباشر الذي قالوا فيه ما لم يفعلوا.. وهو الجهاد.. وتقرر ما يحبه الله فيه ويرضاه:

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ ﴿٤﴾﴾، فليس هو مجرد القتال؛ ولكنه هو القتال في سبيله، والقتال في تضامنٍ مع المجتمع المسلم داخل الصف، والقتال في ثبات وصمود ﴿صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ﴾.

نقف أولًا أمام النفس البشرية التي تلم بها لحظات الضعف الطارئة ، فلا يعصمها منها إلا عون الله ، وإلا التذكير الدائم ، والتوجيه الدائم ، والتربية الدائمة.. وهذه الوقفة كفيلة بأن تفتح أعيننا على ضرورة الموالاة للنفس البشرية بالتقوية والتثبيت والتوجيه، وهي تواجه التكاليف الشاقة ، لتستقيم في طريقها ، وتتغلب على لحظات ضعفها، كما تلهمنا أن نتواضع في طلب التكاليف وتمنِّيها ونحن في حالة العافية؛ فلعلنا لا نقوى على ما نقترح على الله حين يكلفنا إياه، وهؤلاء جماعة من المسلمين الأوائل يضعفون ويقولون ما لا يفعلون ؛ حتى يعاتبهم الله هذا العتاب الشديد ، وينكر عليهم هذا الإنكار المخيف.

٤ – ما يعدل الجهاد بالنسبة للمرأة:

ونقف ثانية أمام حب الله للذين يقاتلون في سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص؛ نقف أمام هذا الإغراء القوي العميق على القتال في سبيل الله، والذي جذب الرجال إليه، وجعل النساء يغبطن الرجال ويتسابقن بين يدي رسول الله ﷺ يحُمْن حول القتال في سبيل الله لعلاج الجرحى وسقي الجنود، إلا أن إيمانهن وسعيهن وراء حب الله لم يقف بهن عند هذا الحد حتى يطلبن من رسول الله أن يأذن لهن في الجهاد، روى البخاري عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها أنها قالت: «يا رسول الله، نرى الجهاد أفضل العمل، أفلا نجاهد؟ قال: **لا، لكن أفضل الجهاد حج مبرور**». ولم تكن أم المؤمنين وحدها، فعن أنس بن مالك ، قال : «جئن النساء إلى رسول الله ﷺ ، قلن : يا رسول الله ، ذهب الرجال بالفضل بالجهاد في سبيل الله ، أفما لنا عمل ندرك به عمل المجاهدين في سبيل الله ؟ قال : قال رسول الله ﷺ : **مهنة إحداكن في بيتها تدرك عمل المجاهدين في سبيل الله** » [أخرجه البيهقي].

وليس هناك أعظم من مهنة إعداد الرجال، وتربية الأجيال، والسهر عليهم، والبذل في سبيل ذلك، فتلك مهمة يغفل عنها كثير من النساء، ويحاول أعداء هذا الدين أن يبغضوها إلى المرأة نظرا لفشلهم فيها في مجتمعاتهم، ولعل المرأة المسلمة تعي تلك المنزلة التي هي تربية الأبناء والتي تعدل منزلة الجهاد بخطورتها، لتصحح مسيرتها وتساهم بحق في نهضة الإسلام.

٥ – الحالة التي يكون عليها المجاهدون:

والمجاهدون يقاتلون في سبيل الله، لا في سبيل ذواتهم أو عصبيتهم من أي لون، في سبيل الله وحده؛ لتكون كلمة الله هي العليا.

ونقف ثالثًا أمام الحالة التي يحب الله للمجاهدين أن يقاتلوا وهم عليها: ﴿صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَانٌ مَّرْصُوصٌ﴾ .. فهو تكليفٌ فرديٌّ في ذاته، ولكنه فردي في صورة جماعية، في جماعة ذات نظام، ذلك أن الذين يواجهون الإسلام يواجهونه بقوى جماعية، ويؤلِّبون عليه تجمعات ضخمة؛ فلابد لجنود الإسلام أن يواجهوا أعداءه صفًّا؛ صفًّا سويًّا منتظما، صفًّا متينًا راسخًا، ذلك لأن طبيعة هذا الدين حين يغلب ويهيمن أنه يهيمن على جماعة، وأنه ينشئ مجتمعًا متماسكًا متناسقًا، فصورة الفرد المنعزل الذي يعبد وحده ويجاهد وحده، ويعيش وحده، صورة بعيدة عن طبيعة هذا الدين وعن مقتضياته في حالة الجهاد، وفي حالة الهيمنة بعد ذلك على الحياة.

وهذه الصورة التي يحبها الله للمؤمنين: ﴿صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَانٌ مَّرْصُوصٌ﴾ بنيان تتعاون لبناته وتتضامن وتتماسك، وتؤدي كلُّ لبنةٍ دورها، وتسد ثغرتها، لأن البنيان كله ينهار إذا تخلت منه لبنة عن مكانها؛ تقدمت أو تأخرت سواء، وإذا تخلت منه لبنة عن أن تمسك بأختها تحتها أو فوقها أو على جانبيها سواء، إنه التعبير المصور للحقيقة لا لمجرد التشبيه العام.

ثالثًا: جوانب تطبيقية مستفادة من الآيات:

* العقيدة الإسلامية السليمة تستتبع التضحية والفداء؛ حتى يصبح جيشُ الإسلامِ قويَّ البناء متلاحم الصفوف، والأصل في الجهاد أنه فرض كفاية، ولا يتعين على كل فردٍ – رجلٍ كان أو امرأةٍ – بغير نظرٍ واجتهادٍ من جهةٍ معتبرةٍ شرعًا، وميادين الجهاد للمرأة مضبوطة بضوابطها الشرعية.

* ضرورة أن يرطب المسلم لسانه بالتسبيح لله ﷻ؛ حتى ينسجم مع فطرة الكون.

* من متطلبات الإيمان الصادق موافقة القول للعمل.

* لزوم العمل الجماعي لتحقيق التمكين في الأرض – رجالًا ونساءً – كلٌّ له تكليف من الله ﷻ يناسبه، ويناسب فطرته وغريزته، والمهمة التي خُلِقَ من أجلها، والضوابط الشرعية التي تضبط حركة المرأة مع الرجل.

* إن بعض المسلمات يحلو لهن الانتقادات السلبية بلا عمل، والجدال الذي لا يأتي بخير في الوقت الذي يتخلفنّ هنّ فيه عن أداء واجباتهن مما يتطلب منا الانتباه ممن يعطلن المسيرة ومحاولة تحويل المواقف السلبية إلى مواقف عملية إيجابية لتصحيح المسار واستكمال الطريق .

رابعًا : التقويم: (الدرجة النهائية ١٥)

١- وضحت الآيات الطريق الموصلة إلى حب الله ﷻ .. اشرحي ذلك . (٥ درجات)

٢- ما هي الآثار المترتبة على مخالفة القول للفعل ؟ (٦ درجات)

٣- اذكري دليلًا من القرآن وآخر من السنة على وجوب العمل الجماعي؟ (٤ درجات)

الدرس الثاني
الله عز وجل متم نوره

﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِى وَقَد تَّعْلَمُونَ أَنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ ۖ فَلَمَّا
زَاغُوٓا۟ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٥﴾ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ
ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ
مُّبِينٌ ﴿٦﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَىٰٓ إِلَى ٱلْإِسْلَٰمِ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٧﴾
يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨﴾ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ
ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴿٩﴾ ﴾ .

أولاً : معاني المفردات:

زاغوا: عدلوا عن الحق.	البينات: الآيات والعلامات.
نور الله: شرائعه وبراهينه.	متم: مظهر.

ثانيًا : في ظلال الآيات:

* ظهور الحق على الباطل زمن موسى عليه السلام.

* ظهور الحق على الباطل زمن عيسى عليه السلام.

* الوعد بإتمام نور الله مستقبلا.

١ – ظهور الحق على الباطل زمن موسى عليه السلام:

بعدئذٍ يذكر قصة هذا المنهج الإلهي ومراحله في الرسالات قبل الإسلام: ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِي ﴾.

وإيذاء بني إسرائيل لموسى – وهو منقذهم من فرعون وملئه ، ورسولهم وقائدهم ومعلمهم – إيذاء متطاول متعدد الألوان ، وجهاده في تقويم اعوجاجهم جهادًا مضنيًا عسيرًا شاقًا.

وتذكر الآية هنا قول موسى لهم في عتاب ومودة :

﴿يَٰقَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِي وَقَد تَّعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ﴾ .. وهم كانوا يعلمون عن يقين إنما هي لهجة العتاب والتذكير..

وكانت النهاية أنهم زاغوا بعدما بذلت لهم كل أسباب الاستقامة ، فزادهم الله زيغا ، وأزاغ قلوبهم فلم تعد صالحة للهدى، وضلوا فكتب الله عليهم الضلال أبدا : ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾، وبهذا انتهت قوامتهم على دين الله ، فلم يعودوا يصلحون لهذا الأمر وهم على هذا الزيغ والضلال.

٢ – ظهور الحق على الباطل زمن عيسى عليه السلام:

ثم جاء عيسى ابن مريم. جاء يقول لبني إسرائيل : ﴿يَٰبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم﴾ فلم يقل لهم : إنه الله ، ولا: إنه ابن الله ، ولا: إنه أقنوم من أقانيم الله.

﴿ مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِي ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ ﴾.. في هذه الصيغة التي تصور حلقات الرسالة المترابطة ، يسلم بعضها إلى بعض ، وهي متماسكة في حقيقتها، واحدة في اتجاهها، فهو منهجٌ واحدٌ في أصله ، متعدِّدٌ في صوره ، وفق استعداد البشرية وحاجاتها وطاقاتها ، ووفق تجاربها ورصيدها من المعرفة حتى تبلغ مرحلة الرشد العقلي والشعوري ، فتجيء الحلقة الأخيرة في الصورة الأخيرة كاملة شاملة.

وبشارة المسيح بأحمد ﷺ ثابتة بهذا النص ، سواء تضمنت الأناجيل المتداولة هذه البشارة أم لم تتضمنها، فثابتٌ أن الطريقة التي كتبت بها هذه الأناجيل والظروف التي أحاطت بها لا تجعلها هي المرجع في هذا الشأن.

﴿ فَلَمَّا جَاءَهُم بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ۝٦ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَىٰ إِلَى الْإِسْلَامِ ۚ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ۝٧ يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ۝٨ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ۝٩ ﴾ ..

ولقد وقف بنو إسرائيل في وجه الدين الجديد وقفة العداء والكيد والتضليل، وحاربوه بشتى الوسائل والطرق حربًا شعواء لم تضع أوزارها حتى اليوم، حاربوه بالاتهام : ﴿ فَلَمَّا جَاءَهُم بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾ .. كما قال الذين لا يعرفون الكتب ولا يعرفون البشارة بالدين الجديد، وحاربوه بالدسِّ والوقيعة داخل المعسكر الإسلامي، وحاربوه بالتآمر مع المنافقين تارة، ومع المشركين تارة، وحاربوه بالانضمام إلى معسكرات المهاجمين كما وقع في غزوة الأحزاب. وحاربوه بالإشاعات الباطلة، وحاربوه بالأكاذيب والإسرائيليات التي دسوها في الحديث وفي السيرة وفي التفسير حين عجزوا عن الوضع والكذب في القرآن الكريم.

٢ – الوعد بإتمام نور الله مستقبلاً:

ولم تضع الحرب أوزارها لحظة واحدة حتى اللحظة الحاضرة:

﴿ يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴾ .. وهذا النص القرآني يعبر عن حقيقة ، ويرسم في الوقت ذاته صورة تدعو إلى الرثاء والاستهزاء، وهي صورة بائسة لهم وهم يحاولون إطفاء نور الله بنفخة من أفواههم، وهم هم الضعاف المهازيل !

﴿ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴾، وصدق وعد الله، أتم نوره في حياة الرسول ﷺ، فأقام الجماعة الإسلامية صورة حية واقعية من المنهج الإلهي المختار، وأتم نوره؛ فأكمل للمسلمين دينهم، وأتم عليهم نعمته، ورضي لهم الإسلام دينًا، يحبونه ويجاهدون في سبيله، ويرضى أحدهم أن يلقى في النار ولا يعود إلى الكفر، فتمت حقيقة الدين في القلوب وفي الأرض سواء.

لقد جرى قدر الله أن يظهر هذا الدين ، فكان من الحتم أن يكون. ﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴾ ..

وشهادة الله لهذا الدين بأنه: ﴿ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ ﴾ هي الشهادة. وهي كلمة الفصل التي ليس بعدها زيادة، ولقد تمت إرادة الله؛ فظهر هذا الدين على الدين كله، ظهر في ذاته

كدين، فما يثبت له دينٌ آخر في حقيقته وفي طبيعته، فأما من ناحية واقع الحياة؛ فقد صدق وعد الله مرة ، فظهر هذا الدين قوة وحقيقة ونظام حكم على الدين كله، فدانت له معظم الرقعة المعمورة في الأرض على مدى قرن من الزمان، ثم زحف زحفًا سلميًّا بعد ذلك إلى قلب آسيا وأفريقية؛ حتى دخل فيه بالدعوة المجردة خمسةُ أضعاف من دخلوا فيه إبان الحركات الجهادية الأولى، وما يزال يمتد بنفسه دون دولة واحدة، وعلى الرغم من كل ما يُرصد له في أنحاء الأرض من حربٍ وكيد.

ثالثًا: جوانب تطبيقية مستفادة من الآيات:

* وحدة الرسالات الإلهية، فجميعها دعوة للتوحيد وثورة على الباطل وإصلاح للضمير وإرساء لمعالم الفضيلة ومحاربة للرذيلة.

* من صفات الدعاة إلى الله ﷻ الصبر على تعنت الجاهلين وصدود المكذبين.

* الإسلام هو دين الأنبياء جميعًا من لدن آدم إلى قيام الساعة، فيجب التأكيد على ذلك في الحوار مع أهل الكتاب، وآداب الحوار معهم منصوص عليها: ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡۖ وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَأُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمۡ وَٰحِدٞ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ٤٦﴾ [العنكبوت] .

* على المسلمة أن تطمئن وتثق بوعد الله ﷻ بإظهار دينه وإعزاز أوليائه.

رابعًا: التقويم: (الدرجة النهائية ١٠)

١- لماذا كان الصبر من ألزم صفات الدعاة ؟(٣درجات)

٢- اذكري مبشرات من القرآن والسنة بانتصار الإسلام ؟(٤درجات)

٣- ذكرت الآيات صورة بائسة لمن يحاولون هدم الإسلام والنيل منه. وضِّحي ذلك؟ (٣درجات)

* * *

الدرس الثالث

التجارة الرابحة مع الله

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿١٠﴾ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِى
سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١﴾ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن
تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٢﴾ وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا ۖ نَصْرٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ ۗ وَبَشِّرِ
ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُوٓاْ أَنصَارَ ٱللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّۦنَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ قَالَ
ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ۖ فَـَٔامَنَت طَّآئِفَةٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَكَفَرَت طَّآئِفَةٌ ۖ فَأَيَّدْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ
فَأَصْبَحُواْ ظَٰهِرِينَ ﴿١٤﴾ ﴾.

أولاً: معاني المفردات:

تنجيكم: تخلصكم.

الفوز العظيم: السعادة الدائمة الكبيرة. وأصل الفوز الظفر بالمطلوب.

ظاهرين: عالين؛ من قولك: ظهرت على الحائط. أي: علوت عليه.

ثانيًا: في ظلال الآيات:

* شروط التجارة مع الله.

* أرباح التجارة مع الله.

* لزوم الصف المجاهد من لوازم الفلاح.

١- شروط التجارة مع الله:

وفي ظلال قصة العقيدة، وفي مواجهة وعد الله بالتمكين لهذا الدين الأخير، يهتف القرآن الكريم بالذين آمنوا.. يهتف بهم إلى أربح تجارة في الدنيا والآخرة.. تجارة الإيمان بالله والجهاد في سبيل الله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾.. يبدأ بالنداء باسم الإيمان: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾ يليه استفهام الموحي، فالله - سبحانه - هو الذي يسألهم ويشوّقهم إلى الجواب: ﴿ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾..

ومن ذا الذي لا يشتاق لأن يدله الله على هذه التجارة ؟..

ثم يجيء الجواب وقد ترقبته القلوب والأسماع: ﴿ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ﴾.. وهم مؤمنون

بالله ورسوله، فتشرق قلوبهم عند سماع شطر الجواب هذا المتحقق فيهم ﴿وَتُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ﴾ وهو الموضوع الرئيسي الذي تعالجه السورة ، يجيء في هذا الأسلوب، ويكرر هذا التكرار، فقد علم الله أن النفس البشرية في حاجة إلى هذا التكرار ، وهذا التنويع ، وهذه الموحيات ، لتنهض بهذا التكليف الشاق ، الضروري الذي لا مفر منه لإقامة هذا المنهج وحراسته في الأرض، ثم يعقب على عرض هذه التجارة التي دلهم عليها بالتحسين والتزيين : ﴿ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾، فعلم الحقيقة يقود من يعلم إلى ذلك الخير الأكيد.

٢ - أرباح التجارة مع الله :

ثم يفصل هذا الخير : ﴿يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾، وهذه وحدها تكفي، فمن ذا الذي يضمن أن يغفر له ذنبه ثم يتطلع بعدها إلى شيء ؟ أو يدخر في سبيلها شيئا ؟ ولكن فضل الله ليس له حدود : ﴿وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّٰتِ عَدْنٍ﴾، وإنها لأربح تجارة؛ أن يجاهد المؤمن في حياته القصيرة - حتى حين يفقد هذه الحياة كلها - ثم يعوض عنها تلك الجنات وهذه المساكن في نعيم مقيم.. وحقا.. ﴿ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾.

وكأنما ينتهي هنا حساب التجارة الرابحة. وإنه لربح ضخم هائل أن يعطي المؤمن الدنيا ويأخذ الآخرة.. ولكن فضل الله عظيم، وهو يعلم من تلك النفوس أنها تتعلق بشيء قريب في هذه الأرض، وهو يستجيب لها فيبشرها بما قدَّره في علمه المكنون من إظهار هذا الدين في الأرض، وتحقيق منهجه وهيمنته على الحياة في ذلك الجيل : ﴿وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا ۖ نَصْرٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ .. غنيمة عاجلة في الدنيا، وقيل: فتح مكة. وقال ابن عباس: يريد فتح فارس والروم. وهنا تبلغ الصفقة ذروة الربح الذي لا يعطيه إلا الله، ونلاحظ أن الترتيب الزمني الدنيا قبل الآخرة، أما الترتيب في الآيات ترتيب الأهمية ؛ فالجنة قبل النصر في الدنيا لدين الله، ولو كان حدوث النصر قبله.

٣ - لزوم الصف المجاهد من لوازم الفلاح :

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوٓا۟ أَنصَارَ ٱللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّـۧنَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ۖ فَـَٔامَنَت طَّآئِفَةٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَكَفَرَت طَّآئِفَةٌ ۖ فَأَيَّدْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا۟ ظَٰهِرِينَ (١٤)﴾.

والحواريون هم تلاميذ المسيح عليه السلام وهم الذين قاموا بعد رفعه بنشر تعاليمه وحفظ وصاياه.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُوٓاْ أَنصَارَ ٱللَّهِ﴾ في هذا الموضع الكريم يرفعكم الله إليه ، وهل أرفع من مكان يكون فيه العبد نصيرًا للرب ؟! إن هذه الصفة تحمل من التكريم ما هو أكبر من الجنة والنعيم.. كونوا أنصار الله. إن المسلم لا يكفيه أن يكون عاكفًا على زيادة روحانيته، والالتزام بعباداته، بل لابد من نصرة لهذا الدين: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى ۖ قَالُوٓاْ أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَٱشْهَدُواْ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨١﴾﴾ [آل عمران]. نصرة عقيدته، نصرة شعائره، نصرة شرائعه.

﴿كَمَا قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّـۧنَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾: فانتدبوا لهذا الأمر ونالوا هذا التكريم. وعيسى عليه السلام جاء ليبشر بالنبي الجديد والدين الأخير، فما أجدر أتباع محمد ﷺ أن ينتدبوا لهذا الأمر الدائم ، كما انتدب الحواريون للأمر الموقوت.

وماذا كانت العاقبة ؟

﴿فَـَٔامَنَت طَّآئِفَةٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَكَفَرَت طَّآئِفَةٌ ۖ فَأَيَّدْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُواْ ظَٰهِرِينَ﴾. وتأويل هذا النص يمكن أن ينصرف إلى أحد معنيين : إما أن الذين آمنوا برسالة عيسى عليه السلام هم المسيحيون إطلاقا، وقد أيدهم الله على اليهود الذين لم يؤمنوا به أصلا كما حدث في التاريخ. وإما أن الذين آمنوا هم الذين أصُّروا على التوحيد في وجه المؤلِّهين لعيسى عليه السلام والمثلثين وسائر النحل التي انحرفت عن التوحيد. ومعنى أنهم أصبحوا ظاهرين أي: بالحجة والبرهان. أو أن التوحيد الذي هم عليه هو الذي أظهره الله بهذا الدين الأخير.

ثالثًا : جوانب تطبيقية مستفادة من الآيات :

* أن غاية المسلمة التي يجب أن تسعى إلى تحقيقها هي إرضاء الله وورؤيته في الجنة.

* الإيمان بالله والجهاد في سبيله بالنفس والمال هما سبيل النجاة في الدنيا والفوز في الآخرة، كما أن للرجل جهاده وللمرأة جهادها في الميادين التي حددها الشرع بما تسمح به الظروف والأحوال والصفات الشخصية والظروف الاجتماعية التي تحيط بالمرأة من أسرة

وزوج وبيت وأولاد وإمكانات شخصية لها، مع النظر والاعتبار إلى حسن التبعل قِبَل ذلك الزوج.

* المؤمنة الصادقة تستجيب لنداء الله ﷻ لنصرة منهج الله في الأرض، موقنة بأن النصر في النهاية لأنصار الله المؤمنين.

* أن أي رسالةٍ لها من يؤيدها ومن يعارضها، ولا إكراه في الدين، والعبرة بتأييد الله ونصره.

رابعًا: التقويم: (الدرجة النهائية ١٥)

١- استجاشت الآيات عاطفة المؤمنين بنداء يوقظ القلوب، وضحي ذلك. (٣درجات)

٢- ما هي شروط التجارة الرابحة كما ذكرت الآيات ؟ (درجتان)

٣- ما جزاء الإيمان بالله والجهاد في سبيله كما ورد في الآيات ؟ (درجتان)

٤- ما هي صور الجهاد المتيسرة حاليا؟ (٣درجات)، وكيف تقنعين غيرك بجدواها؟ (٥درجات)

* * *

(٥) سورة الجمعة

التعريف بالسورة :

نزلت هذه السورة بعد سورة الصف، وهي تعالج الموضوع الذي عالجته سورة الصف، ولكن من جانب آخر، وبأسلوبٍ آخر، وبمؤثرات جديدة.

إنها تريد أن يقرَّ في خلد المجتمع المسلم في المدينة أنه هو المختار أخيرًا لحمل أمانة العقيدة الإيمانية؛ وأن هذا فضل من الله عليه؛ وأن بعثة الرسول ﷺ الأخير في الأميين – وهم العرب- منة كبرى تستحق الالتفات والشكر، وتقتضي كذلك تكاليف تنهض بها المجموعة التي استجابت للرسول ﷺ، واحتملت الأمانة، وأنها موصولة على الزمان غير مقطوعة ولا منبتة، بعدما نكل بنو إسرائيل عن حملها، فانقطعت صلتهم بأمانة السماء، وأصبحوا يحملون التوراة كالحمار يحمل أسفارا، لا وظيفة له في إدراكها، ولا مشاركة في أمرها!

تلك هي الحقيقة الرئيسية التي تعالج السورة إقرارها في قلوب المسلمين؛ من كان منهم في المدينة يوم ذاك على وجه الخصوص، ومن يأتي بعدهم ممن أشارت إليهم السورة، وضمتهم إلى السلسلة الممتدة على الزمان.

واختيار "الجمعة" اسما للسورة والحديث عن صلاة الجمعة ووجوب السعي لها والتفرغ ... إلخ؛ إشارة لخصوصية الأمة بإحياء يوم الجمعة كما سيأتي بيانه.

في السورة مباهلة مع اليهود ، بدعوتهم إلى تمني الموت للمبطلين من الفريقين، وذلك ردًّا على دعواهم أنهم أولياء الله من دون الناس ، وأنهم شعب الله المختار ، وأن بعثة الرسول في غيرهم لا تكون ! كما كانوا يدعون ! مع جزم القرآن بأنهم لن يقبلوا هذه المباهلة التي دعوا إليها فنكلوا عنها لشعورهم ببطلان دعواهم.

وفي الوقت ذاته تعالج السورة بعض الحالات الواقعة في الجماعة الأولى، وتخلصها من الجوانب المعوقة من الحرص والرغبة العاجلة في الربح ، وموروثات البيئة والعرف، وبخاصة حب المال وأسبابه الملهية عن الأمانة الكبرى ، والاستعداد النفسي لها، هذا الحادث هو انصراف بعض المسلمين عن الجمعة إلى التجارة وتأديب القرآن لمن فعل ذلك، وهي حادثة تكشف بذاتها عن مدى الجهد الذي بذل في تربية تلك الجماعة الأولى

حتى انتهت إلى ما إنتهت إليه، وتلهمنا الصبر على مشقة بناء النفوس في أي جيل من الأجيال؛ لتكوين المجتمع المسلم الذي ينهض لحمل أمانة هذه العقيدة، ويحاول تحقيقها في عالم الواقع كما حققتها الجماعة الأولى.

ويتم تناول معاني السورة من خلال الدروس التالية:

* الرسالة .. فضل الله للأميين.
* تفريط اليهود في الرسالة سبب ضياعها منهم.
* اختصاص الأمة الإسلامية بإحياء يوم الجمعة، وتفضيل التجارة مع الله.

الدرس الأول
الرسالة .. فضل الله للأميين

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴿١﴾ هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٢﴾ وَآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٣﴾ ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٤﴾﴾.

أولاً: معاني المفردات:

يزكيهم: يجعلهم أزكياء القلوب بالإيمان، وقيل: يطهرهم من دنس الكفر والذنوب.

الكتاب: القرآن. **الحكمة:** السنة، وقيل: الفقه في الدين.

فضل الله: الإسلام، وقيل: الوحي والنبوة. وقيل: المال ينفق في الطاعة.

ثانيًا: في ظلال الآيات:

* تقرير حقيقة التسبيح لله.
* فضل الله على الأميين.
* مهمة الرسول ﷺ.
* عالمية رسالة الإسلام.

١- تقرير حقيقة التسبيح لله:

﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴿١﴾﴾ هذا المطلع يقرر حقيقة التسبيح المستمرة من كل ما في الوجود لله؛ ويصفه ـ سبحانه ـ بصفات ذات علاقة لطيفة بموضوع السورة -سورة الجمعة- والتي فيها تعاليم عن صلاة الجمعة، والتفرغ لذكر الله في وقتها، وترك اللهو والتجارة، وابتغاء ما عند الله . ومن ثَم جاء قوله: ﴿الْمَلِكِ﴾ الذي يملك كلَّ شيء بمناسبة التجارة التي يسارعون إليها ابتغاء الكسب، و﴿الْقُدُّوسِ﴾ الذي يتقدس ويتنزه ويتوجه إليه بالتقديس والتنزيه كلُّ ما في السماوات والأرض؛ لمناسبة اللهو الذي ينصرفون إليه عن ذكره، و﴿الْعَزِيزِ﴾ لمناسبة التحدي الذي يدعى إليه اليهود ـ كما سيأتي في السورة ـ والموت الذي لابد أن يلاقي الناس جميعًا والرجعة إليه والحساب، و﴿الْحَكِيمِ﴾ لمناسبة اختياره الأميين ليبعث فيهم رسولًا يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة.

٢- فضل الله على الأميين:

ثم يبدأ السياق في موضوع السورة الرئيسي:

قال ابن عباس: الأميون: العرب كلهم، من كتب منهم ومن لم يكتب.

قيل: إن العرب سُمُّوا الأميين؛ لأنهم كانوا لا يقرءون ولا يكتبون - في الأعم الأغلب، فعن ابن عمر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إنَّا أمة أمية؛ لا نكتب ولا نحسب، الشهر هكذا وهكذا**. يعني: مرة تسعة وعشرين ومرة ثلاثين» [البخاري: ١٧٨٠]. وقيل: إنما سُمِّي من لا يكتب أميًّا لأنه نسب إلى حال ولادته من الأم ؛ لأن الكتابة إنما تكون بالاستفادة والتعلم.

وربما سُمُّوا كذلك كما كان اليهود يقولون عن غيرهم من الأمم : إنهم "جوييم". باللغة العبرية، أي: أمميون. نسبة إلى الأمم - بوصفهم شعب الله المختار وغيرهم هم الأمم.

ولقد كان اليهود ينتظرون مبعث الرسول الأخير منهم ، فيجمعهم بعد فرقة، وينصرهم بعد هزيمة، وكانوا يستفتحون بهذا على العرب ، أي: يطلبون الفتح بذلك النبي الأخير، ولكن حكمة الله اقتضت أن يكون هذا النبي من العرب ، من الأميين غير اليهود..

وكانت هناك دعوة إبراهيم خليل الرحمن - عليه الصلاة والسلام - تلك الدعوة التي أطلقها في ظل البيت هو وإسماعيل عليه السلام: ﴿رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (١٢٩)﴾ [البقرة].

كانت هذه الدعوة محفوظة عند الله لا تضيع ، حتى جاء موعدها المقدور في علم الله وحتى تتحقق في وقتها المناسب في قدر الله وتنسيقه، وتحقق هذه الدعوة - وفق قدر الله وتدبيره - بنصها الذي تعيده السورة هنا لتذكر بحكاية ألفاظ إبراهيم: ﴿رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾ كما قال إبراهيم ! حتى صفة الله في دعاء إبراهيم : ﴿إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ هي ذاتها التي تعقب على التذكير بمنة الله وفضله هنا: ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾.

٢ - مهمة الرسول ﷺ:

﴿ هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ ﴾. والمنة ظاهرة في اختيار الله للأميين ليجعلهم أهل الكتاب المبين، وليرسل فيهم رسولا منهم، يرتفعون باختياره منهم إلى مقام كريم، ويخرجهم من أميتهم -أو من أميتهم- بتلاوة آيات الله عليهم ، وتغيير ما بهم ، وتمييزهم على العالمين.

﴿وَيُزَكِّيهِمْ﴾ وإنها لتزكية وإنه لتطهير ذلك الذي كان يأخذهم به الرسول ﷺ؛ تطهير للضمير والشعور، وتطهير للعمل والسلوك.. تطهير ترتفع به النفوس من عقائد الشرك إلى عقيدة التوحيد.. وترتفع به من رجس الفوضى الأخلاقية إلى نظافة الخلق الإيماني.. إنها تزكية شاملة للفرد والجماعة ولحياة السريرة وحياة الواقع..

﴿ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾ يعلمهم الكتاب؛ فيصبحون أهل كتاب، ويعلمهم الحكمة؛ فيدركون حقائق الأمور، ويحسنون التقدير، ﴿ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ ضلال الجاهلية التي وصفها جعفر بن أبي طالب لنجاشي الحبشة فقال : "أيها الملك، كنا قوما أهل جاهلية، نعبد الأصنام ، ونأكل الميتة ، ونأتي الفواحش ، ونقطع الأرحام ، ونسيء الجوار ، ويأكل القويُّ منا الضعيف، فكنا على ذلك حتى بعث الله إلينا رسولا منا، نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفافه، فدعانا إلى الله لنوحده ولنعبده ونخلع ما كنا نعبد نحن وآباؤنا من دونه من الحجارة والأوثان، وأمرنا بصدق الحديث ، وأداء الأمانة ، وصلة الرحم ، وحسن الجوار ، والكف عن المحارم والدماء، ونهانا عن الفواحش وقول

الزور، وأكل مال اليتيم، وقذف المحصنات، وأمرنا أن نعبد الله ولا نشرك به شيئا، وأمرنا بالصلاة والزكاة والصيام" ومع كل ما كانوا عليه في الجاهلية من ضلال؛ فقد علم الله أنهم هم حملة هذه العقيدة الأمناء عليها ، بما علم في نفوسهم من استعدادٍ للخير والصلاح، ومن رصيدٍ مذخور للدعوة الجديدة.

٤- عالمية رسالة الإسلام:

﴿وَءَاخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا۟ بِهِمْ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣﴾﴾ وهؤلاء الآخرون وردت فيهم روايات متعددة.. تدل على آخرين غير العرب. وعلى آخرين غير الجيل الذي نزل فيه القرآن، وتشير إلى أن هذه الأمة موصولة الحلقات ممتدة في شعاب الأرض وفي شعاب الزمان، تحمل هذه الأمانة الكبرى، وتقوم على دين الله الأخير.

﴿وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ القوي القادر على الاختيار، الحكيم العليم بمواضع الاختيار، واختياره للمتقدمين والمتأخرين فضل وتكريم، ﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٤﴾﴾ . وأن اختيار الله لأمة أو جماعة أو فرد لحمل هذه الأمانة الكبرى لفضلٌ لا يعدله فضل، فضل عظيم يربو على كل ما يبذله المؤمن من نفسه وماله وحياته ؛ ويربو على متاعب الطريق وآلام الكفاح وشدائد الجهاد.

والله يذكّر المجتمع المسلم في المدينة والذين يأتون من بعدهم الموصولين بهم والذين لم يلحقوا بهم؛ يذكرهم هذا الفضل في اختيارهم لهذه الأمانة، ولبعث الرسول ﷺ فيهم، يتلو عليهم الكتاب ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة، يذكرهم هذا الفضل الذي تصغر إلى جانبه جميع القيم وجميع النعم، كما تصغر إلى جانبه جميع التضحيات والآلام.

ثالثًا: جوانب تطبيقية مستفادة من الآيات:

* المداومة على التسبيح تجعلك منسجمة مع الكون في عبوديته لله.
* استشعار فضل الله على العرب ببعثة النبي ﷺ منهم ونزول القرآن بلغتهم.
* تزكية النفوس هي السبيل للانتفاع بالعلم والارتقاء في مدارج الكمال.
* الدعوة إلى اتباع المنهج الإسلامي باعتباره السبيل الوحيد لإنقاذ البشرية من الضلال والشقاء .
* أهمية التوازن بين العمل الحياتي والعمل الدعوي والعمل التعبدي (تنظيم الوقت).

وإخلاص كل ذلك طاعة لله: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾﴾ [الأنعام].

* الإكثار من الصلاة على النبي ﷺ.

رابعًا: التقويم: (الدرجة النهائية ١٠)

١- ما دلالة الألفاظ الآتية: يسبح - الأمين - ضلال مبين؟ (٣درجات)

٢- ما هو واجب العرب تجاه نبيهم ﷺ والكتاب الذي نزل بلغتهم؟ (درجتان)

٣- صفي حال الجزيرة العربية قبل بعثة النبي ﷺ. (٥درجات)

الدرس الثاني

تفريط اليهود في الرسالة سبب ضياعها منهم

﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُواْ ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًۢا ۚ بِئْسَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ
ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥﴾ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ هَادُوٓاْ إِن زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ
أَوْلِيَآءُ لِلَّهِ مِن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُاْ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٦﴾ وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُۥٓ أَبَدًۢا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ۚ
وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٧﴾ قُلْ إِنَّ ٱلْمَوْتَ ٱلَّذِى تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُۥ مُلَٰقِيكُمْ ۖ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ
ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾﴾.

أولاً: معاني المفردات:

يحملوها: يعملوا بها. يحمل أسفارا: يحمل كتبا نافعة ضخمة.

هادوا: تدينوا باليهودية.

ثانيًا: في ظلال الآيات:

* كيف ضيع اليهود الأمانة.

* إبطال دعوى أنهم أولياء الله.

* تقرير حقيقة الموت.

١- كيف ضيع اليهود الأمانة:

يذكر ما يفيد أن اليهود قد انتهى دورهم في حمل أمانة الله ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُواْ ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًۢا﴾.

فبنوا إسرائيل حملوا التوراة ، وكلفوا أمانة العقيدة والشريعة ﴿ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا ﴾ فحملها يبدأ بالإدراك والفهم والفقه ، وينتهي بالعمل لتحقيق مدلولها في عالم الضمير وعالم الواقع، ولكن سيرة بني إسرائيل لا تدل على أنهم قدَّروا هذه الأمانة ، ولا أنهم فقهوا حقيقتها ، ولا أنهم عملوا بها، ومن ثم كانوا كالحمار يحمل الكتب الضخام ، وليس له منها إلا ثقلها، فهو ليس صاحبها، وليس شريكا في الغاية منها !

والأسفار جمع سِفر، وهو الكتاب الكبير؛ لأنه يسفر عن المعنى إذا قرئ. قال ميمون ابن مهران: الحمار لا يدري أسِفْر على ظهره أم زبيل [1]! فهكذا اليهود.

وهي صورة زرية بائسة ، ومَثَلٌ سيئ شائن ، ولكنها صورة معبرة عن حقيقة صادقة ﴿بِئْسَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾.

ومثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها -كل الذين حملوا أمانة العقيدة ثم لم يحملوها- فليست المسألة مسألة كتب تحمل وتدرس؛ إنما مسألة فقه وعمل بما في الكتب، فمن حُمِّل أمانة ثم ضيعها بأن لم يعمل بها ونبذها وراء ظهره فمصيره كمصير اليهود في استحقاقهم عذاب الله وخزيه في الدنيا والآخرة: ﴿ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِى ٱلَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلُ ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ﴿٦٢﴾ ﴾ [الأحزاب]. ولعل حكاية القرآن حالة اليهود هذه بعد الكلام عن امتنانه علينا ببعثة النبي محمد وطبيعة رسالته ليكون بمثابة العبرة لنا ، وقد حذر النبي من ضياع الأمانة؛ قال ﷺ: **"ينام الرجل النومة فتقبض الأمانة من قلبه، فيظل أثرها مثل أثر الوكت، فتقبض الأمانة من قلبه فيظل أثرها مثل أثر المجل كجمر دحرجته على رجلك تراه منتبرا وليس فيه شيء، قال: ثم أخذ حصى فدحرجه على رجله، قال: فيصبح الناس يتبايعون لا يكاد أحد يؤدي الأمانة حتى يقال: إن في بني فلان رجلا أمينا"** [الترمذي: ٢٢١٧١].

٢ – إبطال دعوى أنهم أولياء لله:

﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ هَادُوٓاْ إِن زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَآءُ لِلَّهِ مِن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُاْ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٦﴾﴾ أي: إن كنتم تزعمون أنكم على هدى، وأنّ محمدًا وأصحابه على ضلالة، فادعوا بالموت على الضال من الفئتين ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ أي: فيما تزعمونه، قال الله تعالى: ﴿وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُۥٓ أَبَدًۢا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾ وما عملته أيديهم من الكفر والظلم والفجور ﴿وَٱللَّهُ

---

(١) الزبيل: القفَّة. المعجم الوسيط (زبل).

عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ﴾ عن ابن عباس قال: قال أبو جهل لعنه الله: إن رأيتُ محمدًا عند الكعبة لآتينه حتى أطأ على عنقه. قال: فقال رسول الله ﷺ: «**لو فعل لأخذته الملائكة عيانًا، ولو أن اليهود تمنوا الموت لماتوا ورأوا مقاعدهم من النار، ولو خرج الذين يباهلون رسول الله ﷺ لرجعوا لا يجدون أهلًا ولا مالًا**» [أحمد: ٤٥٧٦].

٣ – تقرير حقيقة الموت:

وقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْمَوْتَ ٱلَّذِى تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُۥ مُلَٰقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾﴾، كقوله تعالى في سورة النساء (آية:٧٨): ﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا۟ يُدْرِككُّمُ ٱلْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِى بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ﴾، وفي معجم الطبراني عن الحسن عن سمرة مرفوعًا: «**مثل الذي يفر من الموت كمثل الثعلب تطلبه الأرض بدين، فجاء يسعى حتى إذا أعيا وانبهر دخل جحره، فقالت له الأرض: يا ثعلب، دَيْني. فخرج له حصاص[1]، فلم يزل كذلك حتى تقطعت عنقه فمات**» [رواه الحافظ الطبراني].

ثالثًا: جوانب تطبيقية مستفادة من الآيات:

* ضرورة مطابقة القول للفعل واقتران العلم بالعمل.

* ميزان التفاضل عند الله هو التقوى والعمل الصالح.

* الجبن لا يطيل عمرًا والشجاعة لا تقرب أجلًا .

* أن اتخاذ المصاحف لمجرد الزينة وليس للتذكرة لمَّا يشين المسلمين غير العاملين بكتاب الله ﷻ ، وهي من الأمور الواجب الانتباه إليها فلا يصح ترك كتاب الله مهجورًا شكلًا أو مضمونًا.

رابعًا: التقويم: (الدرجة النهائية ١٠)

١- رسمت الآيات صورة مزرية لليهود. وضحي ذلك . (درجتان)

٢- بيني مظاهر الجهال في التعبير بالألفاظ الآتية: أسفارًا – زعمتم – تفرون ؟ (٣درجات)

٣- وضحي بعض نماذج للعمل داخل المنزل بكتاب الله شكلًا ومضمونًا. (٥درجات)

* * *

(١) الحصاص: شدة العدو بسرعة. لسان العرب.

الدرس الثالث

اختصاص الأمة بإحياء يوم الجمعة وتفضيل التجارة مع الله

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوۡمِ ٱلۡجُمُعَةِ فَٱسۡعَوۡاْ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلۡبَيۡعَۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ۝٩ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَٱبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرٗا لَّعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ۝١٠ وَإِذَا رَأَوۡاْ تِجَٰرَةً أَوۡ لَهۡوًا ٱنفَضُّوٓاْ إِلَيۡهَا وَتَرَكُوكَ قَآئِمٗاۚ قُلۡ مَا عِندَ ٱللَّهِ خَيۡرٞ مِّنَ ٱللَّهۡوِ وَمِنَ ٱلتِّجَٰرَةِۚ وَٱللَّهُ خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ۝١١﴾

أولاً: معاني المفردات:

ذروا: اتركوا.　　　　انفضوا: انصرفوا.

ثانيًا: في ظلال الآيات:

* اختصاص الأمة الإسلامية بإحياء يوم الجمعة.
* السعي لصلاة الجمعة.
* معاودة طلب المعاش بعد الجمعة.
* إيثار تجارة الآخرة على الدنيا.

١ - اختصاص الأمة الإسلامية بإحياء يوم الجمعة:

تبين لنا في الدرسين السابقين أن الله تعالى مَنَّ على الأمة الإسلامية بحمل أمانة الرسالة الخاتمة، وقد حمل أهل الكتاب أمانة الرسالة من قبل ففرطوا فيها فنزعت منهم.

وشعيرة الجمعة وإحياء يومها بالعبادة امتداد للاختصاصات والمنن التي نزعها الله عز وجل من أهل الكتاب لما اختلفوا وفرطوا وأعطاها للمسلمين، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: " نحن الآخرون السابقون يوم القيامة بيد أنهم أوتوا الكتاب من قبلنا، ثم هذا يومهم الذي فرض عليهم فاختلفوا فيه فهدانا الله، فالناس لنا فيه تبع؛ اليهود غدا والنصارى بعد غد". (البخاري: ٨٣٦). ومعنى الحديث أننا معشر المسلمين آخر الأمم بالنسبة للترتيب الزمني في الدنيا، إلا أننا المقدمون على سائر الأمم في الحساب والقضاء بيننا وتحديد المصير في دخول الجنة أو غير ذلك، وهذا يوم الجمعة قد فرض الله إحياءه علينا وعلى الأمم قبلنا -أهل الكتاب- وقد اختلف فيه السابقون وهدانا الله إليه بفضله، وصار عيدا لنا وصارت أعياد الآخرين بعدنا وتابعة لعيدنا؛ اليهود السبت والنصارى الأحد.

٢ - السعي لصلاة الجمعة:

صلاة الجمعة هي الصلاة الجامعة التي لا تصح إلا جماعة، وهي صلاة أسبوعية، يتحتم أن يتجمع فيها المسلمون ويلتقوا ويستمعوا إلى خطبة تذكرهم بالله ، وقد وردت الأحاديث الكثيرة في فضل هذه الصلاة والحث عليها والاستعداد لها بالغسل والثياب والطيب.

والآية الأولى في هذا المقطع تأمر المسلمين أن يتركوا البيع - وسائر نشاط المعاش - بمجرد سماعهم للأذان : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوۡمِ ٱلۡجُمُعَةِ فَٱسۡعَوۡاْ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِ﴾.

اختلف في معنى السعي ها هنا على ثلاثة أقوال:

أولها: القصد، قال الحسن: والله ما هو بسعي على الأقدام ولكنه سعي بالقلوب والنية.

الثاني: أنه العمل.

الثالث: أن المراد به السعي على الأقدام. وذلك فضل وليس بشرط.

وهذا السعي فريضة على الرجال الأصحاء المقيمين، لا يضر من سواهم إذا هموا به، فضلا عما ينالهم من الخيرات، وهذا ما تختلف فيه المرأة عن الرجل في يوم الجمعة، وإلا فهي ساعة ذكر مباركة محل إجابة الدعاء لا ينبغي أن تفرط فيها وتنشغل بالدنيا عنها.

﴿وَذَرُواْ ٱلۡبَيۡعَ﴾ فالبيع والشراء محظوران وقت الجمعة، ولو عقده من تجب عليهم الجمعة بطل، ولو كانت المرأة تبتاع من الرجال وقتها بطل البيع كذلك، والأولى أن تنشغل بالذكر وطلب الآخرة في ذلك الوقت، ومن الجدير بالمسلمات ألا يبعن ولا يشترين من الرجال في هذا الوقت كي لا يحملنهم على البيع والشراء المحرم وقت الجمعة، ﴿ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾. مما يوحي بأن الانخلاع من شئون التجارة والمعاش كان يقتضي هذا الترغيب والتحبيب. وهو في الوقت ذاته تعليم دائم للنفوس.

٣ - معاودة طلب المعاش بعد الجمعة:

ثم يعود إلى مشاغل العيش مع ذكر الله : ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِى ٱلۡأَرۡضِ وَٱبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرٗا لَّعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴿١٠﴾﴾ وهذا هو التوازن الذي يتسم به المنهج الإسلامي؛ التوازن بين مقتضيات الحياة في الأرض ، من عمل وكد ونشاط وكسب، وبين عزلة

الروح فترة عن هذا الجو، وانقطاع القلب وتجرده للذكر، وهي ضرورة لحياة القلب، لا يصلح بدونها للاتصال والتلقي والنهوض بتكاليف الأمانة الكبرى، وذكر الله لابد منه في أثناء ابتغاء المعاش ، والشعور بالله فيه هو الذي يحول نشاط المعاش إلى عبادة.

٤- إيثار تجارة الآخرة على الدنيا:

﴿ وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا قُلْ مَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ مِّنَ اللَّهْوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴿١١﴾ ﴾ .. وفي الآية تلويح لهم بما عند الله، وأنه خير من اللهو ومن التجارة، وتذكير لهم بأن الرزق من عند الله ﴿وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾.

وهذا الحادث كما أسلفنا يكشف عن مدى الجهد الذي بُذل في التربية وبناء النفوس حتى انتهت إلى إنشاء تلك الجماعة الفريدة في التاريخ، ذلك الجهد الذي يمنح القائمين على دعوة الله في كل زمان رصيدًا من الصبر على ما يجدونه من ضعف ونقص وتخلف وتعثر في الطريق، فهذه هي النفس البشرية بخيرها وشرها، وهي قابلة لأن ترتقي في العقيدة والتطهر والتزكي بلا حدود ، مع الصبر والفهم والإدراك والثبات والمثابرة ، وعدم النكوص من منتصف الطريق.

ثالثًا: جوانب تطبيقية مستفادة من الآيات:

* القيام بما ييسر لأهل البيت الاستعداد ليوم الجمعة.

* لابد من استحضار فضل يوم الجمعة في البيوت في أشكال عديدة؛ كصلة الرحم، والاجتماع على الطعام، ومناقشة قضايا الأسرة الحيوية ، ودعم الضعيف ، وإعطاء الجيران من الطعام المتوفر ، وإطعام مسكين ، والتصدق على فقير ، وإصلاح بين متخاصمين ، ورد أمانات إلى أهلها .. وغيرها فالجمعة إلى الجمعة مكفرة لما بينهما من الذنوب.

* أن ما عند الله من ثواب على ذكره أفضل من أيِّ عرضٍ من أعراض الدنيا.

* السعي على الرزق لا يتعارض مع فرائض الله من الصلاة وغيرها، فالإسلام قد نظم حياتنا بما يحقق صالح الدنيا والآخرة.

رابعًا: التقويم: (الدرجة النهائية ١٥)

١- في ضوء فهمك للآيات اذكري بعض آداب يوم الجمعة. (٤ درجات)

٢- ما حكم البيع والشراء أثناء خطبة الجمعة؟ (درجة واحدة)

٣- ما معنى الكلمات التالية: فاسعوا - انفضوا - قائمًا - ما عند الله؟ (٤ درجات)

٤- كيف تستطيع المرأة تحويل يوم الجمعة إلى عيد أسبوعي للأسرة؟ (٦ درجات)

* * *

(٦) سورة المنافقون

التعريف بالسورة :

هذه السورة ليست الوحيدة التي فيها ذكر النفاق والمنافقين ووصف أحوالهم ومكائدهم، فلا تكاد تخلو سورة مدنية من ذكر المنافقين تلميحًا أو تصريحًا، ولكن هذه السورة تكاد تكون مقصورة على الحديث عن المنافقين، والإشارة إلى بعض الحوادث والأقوال التي وقعت منهم ورويت عنهم.

وهي تتضمن حملة عنيفة على أخلاق المنافقين وأكاذيبهم ودسائسهم ومناوراتهم ، وما في نفوسهم من البغض والكيد للمسلمين ، ومن اللؤم والجبن وانطماس البصائر والقلوب.

وليس في السورة عدا هذا إلا لفتة في نهايتها إلى الذين آمنوا؛ لتحذيرهم من كل ما يلصق بهم من صفات المنافقين ، ولو من بعيد، وأدنى درجات النفاق عدم التجرد لله ، والغفلة عن ذكره اشتغالا بالأموال والأولاد ، والتقاعس عن البذل في سبيل الله حتى يأتي اليوم الذي لا ينفع فيه البذل والصدقات.

ويتم تناول معاني السورة من خلال الدروس التالية :

* حقيقة المنافقين.
* عداوة المنافقين للرسول ﷺ .
* تحذير المؤمنين من فعل المنافقين.

الدرس الأول
حقيقة المنافقين

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ (١) اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ ۚ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٢) ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ (٣) وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ ۖ وَإِن يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ ۖ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ ۖ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ ۚ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ ۚ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ ۖ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ (٤)﴾ .

أولاً: معاني المفردات:

أيمانهم: جمع يمين وهو القسم.

جنة: وقاية لأنفسهم وأموالهم.

طبع: ختم بسبب الكفر.

أنّى: كيف.

يؤفكون: يصرفون عن الحق.

ثانيًا: في ظلال الآيات:

* إبطال ادعاء المنافقين الإيمان.

* اتخاذهم الأيمان جنة.

* صورة مثيرة لخداع المنافقين.

* المنافقون العدو الأول.

١- إبطال ادعاء المنافقين الإيمان:

تبدأ السورة بوصف طريقتهم في مداراة ما في قلوبهم من الكفر، وإعلانهم الإسلام والشهادة بأن النبي هو رسول الله ﷺ، وحلفهم كذبًا ليصدقهم المسلمون، واتخاذهم هذه الأيمان وقاية وجنة يخفون وراءها حقيقة أمرهم، ويخدعون المسلمين فيهم.

فهم مع المسلمين يشاركونهم المعاش، يصعب على العامة أن يميزونهم، وقد أطلع الله نبيه ﷺ على أسماءهم ثم حمل هذا السر عن رسول الله ﷺ حذيفة بن اليمان، ولم يكن أحد يعلم عن أمر ذاك السر بعد حذيفة شيئًا، ومما يؤكد هذه الحقيقة أن عمر بن الخطاب ﵁ كان يسأل حذيفة عمّا إذا كان رسول الله ﷺ سماه له مع المنافقين أم لا.

وقد دلنا النبي ﷺ على علامات تميزهم عن المؤمنين ويعرفون بها، عن أبي هريرة ﵁ أن رسول الله ﷺ قال: **«آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب وإذا اؤتمن خان وإذا وعد أخلف»** [البخاري: ٢٤٨٥].

﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ ﴿١﴾ اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ ۚ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢﴾﴾، فهم كانوا يجيئون إلى رسول الله ﷺ فيشهدون بين يديه برسالته شهادة باللسان، لا يقصدون بها وجه الحق، إنما يقولونها للتقية، وليخفوا أمرهم وحقيقتهم على المسلمين، فهم كاذبون في أنهم جاءوا ليشهدوا هذه الشهادة، فقد جاءوا ليخدعوا

المسلمين بها، ويداروا أنفسهم بقولها، ومن ثم يكذبهم الله في شهادتهم بعد التحفظ الذي يثبت حقيقة الرسالة : ﴿وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ﴾، ﴿وَٱللَّهُ يَشۡهَدُ إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ﴾.

٢ - اتخاذهم الأيمان جنة :

﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُمۡ جُنَّةً﴾ وهي توحي بأنهم كانوا يحلفون الأيمان كلما انكشف أمرهم أو عرف عنهم كيدٌ أو تدبيرٌ، أو نقلت عنهم مقالة سوء في المسلمين؛ كانوا يحلفون ليتقوا ما يترتب على افتضاح أمرٍ من أمورهم، فيجعلون أيمانهم وقاية وجنة يحتمون وراءها، ليواصلوا كيدهم ودسَّهم وإغوائهم للمخدوعين فيهم، ﴿فَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ صدوا أنفسهم وصدوا غيرهم مستعينين بتلك الأيمان الكاذبة، ﴿إِنَّهُمۡ سَآءَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ وهل أسوأ من الكذب للخداع والتضليل ؟!

ويعلل حالهم هذه بأنهم كفروا بعد الإيمان، واختاروا الكفر بعد أن عرفوا الإسلام :

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ فَهُمۡ لَا يَفۡقَهُونَ ۝٣﴾.

فهم عرفوا الإيمان إذن ، ولكنهم اختاروا العودة إلى الكفر، وما يعرف الإيمان من دخله ثم عاد إلى الكفر فلا يفعل ذلك قلبٌ فيه فقه، أو تذوق، أو حياة، وإلا فمن ذا الذي يذوق ويعرف ويحيا في نور الإيمان الوضيء، ويتفيأ ظلال الإيمان الندية، ثم يعود إلى الكفر الكالح الكنود ؟ من ذا الذي يصنع هذا إلا المطموس.. الذي لا يفقه ولا يحس ولا يشعر بهذا الفارق البعيد ! ﴿فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ فَهُمۡ لَا يَفۡقَهُونَ﴾.

٣ - صورة مثيرة لخداع المنافقين :

ثم يرسم لهم السياق صورة فريدة مبدعة ؛ تثير السخرية والهزء والزراية : ﴿وَإِذَا رَأَيۡتَهُمۡ تُعۡجِبُكَ أَجۡسَامُهُمۡۖ وَإِن يَقُولُواْ تَسۡمَعۡ لِقَوۡلِهِمۡۖ كَأَنَّهُمۡ خُشُبٞ مُّسَنَّدَةٞۖ يَحۡسَبُونَ كُلَّ صَيۡحَةٍ عَلَيۡهِمۡۚ هُمُ ٱلۡعَدُوُّ فَٱحۡذَرۡهُمۡۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُۖ أَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ ۝٤﴾ . فهم أجسام تعجب، لا أناسي تتجاوب ! وما داموا صامتين فهم أجسام معجبة للعيون، فأما حين ينطقون فهم خواء من كل معنى ومن كلِّ حسٍّ ومن كلِّ خالجة، ﴿تَسۡمَعۡ لِقَوۡلِهِمۡۖ كَأَنَّهُمۡ خُشُبٞ﴾ ولكنها ليست خشبًا فحسب؛ إنما هي ﴿خُشُبٞ مُّسَنَّدَةٞ﴾ لا حركة لها. ﴿يَحۡسَبُونَ كُلَّ صَيۡحَةٍ عَلَيۡهِمۡ﴾ وهم يخشون في كل لحظة أن يكون أمرهم قد افتضح، وسترهم قد انكشف، والتعبير يرسمهم أبدًا متلفتين حواليهم؛ يتوجسون من كلِّ حركة ومن كلِّ صوت ومن كل هاتف، يحسبونه يطلبهم ، وقد عرف حقيقة أمرهم!!

٤- المنافقون العدو الأول:

وهم بهذا وذاك يمثلون العدو الأول للرسول ﷺ وللمسلمين: ﴿هُمُ ٱلْعَدُوُّ فَٱحْذَرْهُمْ﴾..

هم العدو الحقيقي، العدو الكامن داخل المعسكر، المختبئ في الصف، وهو أخطر من العدو الخارجي الصريح، ﴿فَٱحْذَرْهُمْ﴾.

﴿قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾ فالله مقاتلهم حيثما صرفوا وأنى توجهوا، والدعاء من الله حكم بمدلول هذا الدعاء، وقضاء نافذ لا راد له ولا معقب عليه، وهذا هو الذي كان في نهاية المطاف.

ثالثًا: جوانب تطبيقية مستفادة من الآيات:

* المؤمنة الصادقة تنأى بنفسها عن صفات المنافقين، وتقوِّم نفسها أولًا بأول كي تستقيم على الجادة، ولا تكن فيها خصلة من خصال النفاق، والعياذ بالله.

* يجب علينا جميعا الحذر من المنافقين؛ لأنهم كالسوس؛ ينخرون في جسد المجتمع المسلم.

* ضرورة مطابقة القول للفعل والسرِّ للعلانية.

* ضرورة التصرف بحكمة مع أصحاب الضلالات والعلل.

رابعًا: التقويم: (الدرجة النهائية ١٥)

١- من أشد أعداء المجتمع المسلم معسكر النفاق. وضحي ذلك في ضوء فهمك للآيات. (٥درجات)

٢- اذكري معنى الكلمات الآتية: جنة - طبع - أنى يؤفكون. (٣درجات)

٣- اذكري بعض صفات المنافقين كما وردت بالآيات. (درجتان)

٤ - وضحي بعض صور النفاق التي بدأت تتسلل إلى المجتمع المسلم، وكيفية علاجها. (٥درجات)

* * *

الدرس الثاني

عداوة المنافقين للرسول ﷺ

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّوْا رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ ﴿٥﴾ سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿٦﴾ هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنفِقُوا عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّوا وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٧﴾ يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨﴾﴾.

أولاً: معاني المفردات:

لووا رءوسهم: عطفوها إعراضا واستهزاءًا. ينفضوا: يتفرقوا عن الرسول ﷺ.

ثانيًا: في ظلال الآيات:

* دلائل عداوتهم لرسول الله ﷺ.
* صورة من فسقهم وعداوتهم.
* غرورهم وتوعدهم للرسول والمسلمين.

١ - دلائل عداوتهم لرسول الله ﷺ:

ويستطرد السياق في وصف تصرفاتهم الدالة على دخل قلوبهم، وتبييتهم للرسول ﷺ وكذبهم عند المواجهة، وهي مجموعة من الصفات اشتهر بها المنافقون: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّوْا رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ ﴿٥﴾﴾. وقد ذكر غير واحد من السلف أن هذا السياق كله نزل في عبدالله بن أبي بن سلول.. وفصل ابن إسحاق هذا في حديثه عن غزوة بني المصطلق سنة ست..

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّوْا رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ ﴿٥﴾﴾.. فهم يفعلون الفعلة، ويطلقون القولة، فإذا عرفوا أنها بلغت رسول الله ﷺ جبنوا وتخاذلوا وراحوا يقسمون بالأيمان يتخذونها جنة، فإذا قال لهم قائل: تعالوا يستغفر لكم رسول الله ﷺ، وهم في أمن من مواجهته، لووا رءوسهم ترفعا واستكبارا،

فهم يستكبرون ويصدون ويلوون رءوسهم ما داموا في أمان من المواجهة، حتى إذا ووجهوا كان الجبن والتخاذل والأَيْمان!

يتوجه الخطاب إلى رسول الله ﷺ بما قضاه الله في شأنهم على كل حال، وبعدم جدوى الاستغفار لهم بعد قضاء الله: ﴿سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ أَسۡتَغۡفَرۡتَ لَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تَسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ لَن يَغۡفِرَ ٱللَّهُ لَهُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ ۝٦﴾.

٢ – صورة من فسقهم وعداوتهم:

ويحكي القرآن طرفا من فسقهم الذي استوجب قضاء الله فيهم:

﴿هُمُ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنفِقُواْ عَلَىٰ مَنۡ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّواْ﴾. وهي قولة يتجلى فيها خبث الطبع، وهي خطة التجويع التي يبدو أن خصوم الحق والإيمان يتواصون بها على اختلاف الزمان والمكان، في حرب العقيدة ومناهضة الأديان. ذلك أنهم –لخسة مشاعرهم– يحسبون لقمة العيش هي كل شيء في الحياة كما هي في حسهم، فيحاربون بها المؤمنين، وهي خطة غيرهم ممن يحاربون الدعوة إلى الله وحركة البعث الإسلامي في بلاد الإسلام بالحصار والتجويع، ومحاولة سد أسباب العمل والارتزاق، وهكذا يتوافى على هذه الوسيلة الخسيسة كلُّ خصوم الإيمان من قديم الزمان، ناسين الحقيقة البسيطة التي يذكرهم القرآن بها قبل ختام هذه الآية:

﴿وَلِلَّهِ خَزَآئِنُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَٰكِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ لَا يَفۡقَهُونَ﴾، فما أغباهم وأقل فقههم وهم يحاولون قطع الرزق عن الآخرين، وهكذا يُثبِّتُ الله المؤمنين، ويقوي قلوبهم على مواجهة هذه الخطة اللئيمة والوسيلة الخسيسة، التي يلجأ أعداء الله إليها في حربهم، ويطمئنهم إلى أن خزائن الله في السماوات والأرض هي خزائن الأرزاق للجميع، فالذي يعطي أعداءه لا ينسى أولياءه..

٣ – غرورهم وتوعدهم للرسول ﷺ والمسلمين:

﴿يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعۡنَآ إِلَى ٱلۡمَدِينَةِ لَيُخۡرِجَنَّ ٱلۡأَعَزُّ مِنۡهَا ٱلۡأَذَلَّ﴾..

وقد رأينا كيف حقق ذلك عبد الله بن عبد الله بن أبي! وكيف لم يدخلها الأذل إلا بإذن الأعز!

﴿وَلِلَّهِ ٱلۡعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ لَا يَعۡلَمُونَ﴾. ويضم الله –

سبحانه – رسوله ﷺ والمؤمنين إلى جانبه، ويُضفي عليهم من عزّته، وهو تكريم هائل لا يكرِّمه إلا الله، وصدق الله؛ فجعل العزَّة صنو الإيمان في القلب المؤمن، العزة المستمدة من عزَّته تعالى؛ العزة التي لا تهون ولا تهن، ولا تنحني ولا تلين، ولا تزايل القلب المؤمن في أحرج اللحظات إلا أن يتضعضع فيه الإيمان، فإذا استقر الإيمان ورسخ فالعزة معه مستقرة راسخة.. ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾.. وكيف يعلمون وهم لا يتذوقون هذه العزة ولا يتصلون بمصدرها الأصيل ؟

ثالثًا : جوانب تطبيقية مستفادة من الآيات :

* الله ﷻ يتولى الدفاع عن المؤمنين ويفضح كيد المنافقين.

* المؤمنة توقن بأن خزائن الله عامرة؛ فهو الرزاق ذو القوة المتين.

* المؤمنة تستمد عزتها من الله؛ فهو المعز المذل؛ القوي العزيز الكريم.

* ضرورة حفظ أمانة المجلس وعدم نقل الكلام للخارج.

* تفعيل المقاطعة والدعاء والإنفاق (الجهاد المالي) وحث الآخرين على ذلك لمناصرة المحاصرين.

* تعلم التقنيات الحديثة للاتصال كوسيلة للجهاد ونشر الدعوة.

رابعًا : التقويم : (الدرجة النهائية ٥)

١- فيمن نزلت هذه الآية: ﴿يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ... ﴾؟ (درجة واحدة)

٢- أثبتت الآيات السابقة غباء المنافقين وقلة فقههم... وضحي ذلك . (درجتان)

٣- العزة صنو الإيمان في القلب المؤمن.. هاتي من الآيات ما يدل على ذلك. (درجتان)

* * *

الدرس الثالث
تحذير المؤمنين من فعل المنافقين

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ (٩) وَأَنفِقُوا مِن مَّا رَزَقْنَاكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ الصَّالِحِينَ (١٠) وَلَن يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا ۚ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ (١١) ﴾.

أولاً: معاني المفردات:

أجل: زمن. يؤخر: يؤجل ويمهل.

ثانيًا: في ظلال الآيات:

تحذير المؤمنين من اللهو عن ذكر الله وأمرهم بالإنفاق والعمل الصالح.

لهؤلاء المؤمنين -الذين أوقفهم الله في صفه مع رسول الله ﷺ وجعل عزّتهم من عزّته- يوجه النداء الأخير في السورة، ليرتفعوا إلى هذا المكان الكريم، ويبرءوا من كل صفة تشبه صفات المنافقين: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ (٩) ﴾ ..

والأموال والأولاد ملهاة ومشغلة إذا لم يستيقظ القلب ويدرك غاية وجوده، ويشعر أن له هدفًا أعلى يليق بالمخلوق الذي نفخ الله فيه من روحه، وقد منحه الأموال والأولاد ليقوم بالخلافة في الأرض، لا لتلهيه عن ذكر الله، والاتصال بالمصدر الذي تلقى منه ما هو به إنسان، ومن يغفل عن الاتصال بذلك المصدر، ويلهه عن ذكر الله لا يتم له هذا الاتصال ﴿فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ ..

ويلمسهم في موضوع الإنفاق لمسات متنوعة في آية واحدة.. ﴿وَأَنفِقُوا مِن مَّا رَزَقْنَاكُم﴾ .. فيذكرهم بمصدر هذا الرزق الذي في أيديهم؛ فهو من عند الله الذي آمنوا به والذي يأمرهم بالإنفاق، كما أن هذا الرزق ليس مال فحسب، بل هو شامل كل مادي ومعنوي.

﴿ مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ ﴾.. فيترك كل شيء وراءه لغيره، وينظر فلا يجد أنه قدم شيئا لنفسه، وهذا أحمق الحمق وأخسر الخسران. ثم يرجو حينئذ ويتمنى أن لو كان قد

أمهل ليتصدق وليكون من الصالحين ! وأنى له هذا ؟ ﴿وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَا﴾ وأنى له ما يتقدم به ؟ ﴿وَٱللَّهُ خَبِيرُۢ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾.

ثالثًا : جوانب تطبيقية مستفادة من الآيات :

* المؤمنة الصادقة لا تجعل همها زخرف الحياة الدنيا، ولا تشغلها الدنيا عن ذكر الله.

* ضرورة اغتنام الحياة الدنيا بالأعمال الصالحة.

* الأجل لا يتأخر لحظة، فيجب الاستعداد للقاء الله ﷻ.

* الأموال والأولاد من أكثر ما يلهي المرء عن دينه وواجباته تجاه ربه، وقد جعلهما الله فتنة لنا، وهو ما يتطلب ضرورة الأخذ في الاعتبار عدم إلهاء النفس عن الواجبات الربانية وحقوق الناس الآخرين، ومحاولة تحقيق التوازن في الحياة بمتطلباتها المتعددة.

رابعًا : التقويم : (الدرجة النهائية ١٥)

١ – متى يكون الأموال والأولاد سببًا في الخسارة ؟ (٣درجات)

٢– ترسم الآيات صورة للإنسان الذي فرط في جنب الله وندمه يوم القيامة. وضحي ذلك. (٣درجات)

٣– ماذا تستشعرين من قول الله ﷻ: ﴿وَأَنفِقُوا۟ مِن مَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ ....﴾؟ (درجتان)

٤ – ما أهمية الإنفاق في سبيل الله؟ (٣درجات) وما صوره وخاصة في ظل الظروف الاقتصادية الصعبة والتضييق على المسلمين من ناحية أخرى. (٤درجات)

* * *

ثانيًا: الأحاديث النبوية الشريفة

مقدمة

روى الإمام مسلم في صحيحه، عن همام بن منبه قال: هذا ما حدثنا أبو هريرة عن رسول الله ﷺ فذكر أحاديث، منها: وقال رسول الله ﷺ: «**نصرت بالرعب وأوتيت جوامع الكلم**» [صحيح مسلم: ٨١٥].

فأقوال النبي ﷺ كلمات قليلة، تتطلب لشرحها عبارات طويلة، كما أن القول الواحد أو الحديث الواحد يكون بمثابة الدرس الجامع الشامل، بل قد يكون منهجا كاملا لجانب أو عدة جوانب من جوانب الحياة.

وهذا الجزء يحتوي على خمسة أحاديث تتعلق بالموضوعات التالية :

بيان كثرة طرق الخير ، والصدق ، واليقين والتوكل ، والمبادرة إلى الخيرات، تحريم العقوق وقطيعة الرحم .

وهو يهدف إلى تنمية الجانب المعرفي من خلال الشرح والتقويم، وتنمية الجانب العملي من خلال الجوانب التطبيقية وتنمية العديد من مهارات التواصل والإيجابية ..

واتبع منهج ثابت في عرض الأحاديث يحتوي على نص الحديث ،يليه معاني المفردات، ثم نسبح في رحاب الحديث لتتضح لنا بعض جوانبه، فنحلل المعلومة، ونعمق الفهم، وندرك أبعاد الحديث، ونثبت مصطلحاته ومعانيه ، ثم يتم عرض بعض الجوانب التطبيقية المستفادة من الحديث، وهي تهدف تنشيط الذهن لاستدعاء جوانب تطبيقية أخرى يمكن استخدامها في مواقف حياتية متنوعة بما يمثل زادا عمليًّا؛ ننطلق منه جميعًا ، ويختم العرض بمجموعة أسئلة تقويمية، تهدف إلى التدريب على استدعاء المعلومة وتذكرها والاحتفاظ بها لإمكانية استخدامها في مواقف حياتية متنوعة.

* * *

الحديث الأول
بيان كثرة طرق الخير

عن أبي هريرة ﷺ، أن رسول الله ﷺ قال: « **الإِيمَانُ بِضْعٌ وسَبعُونَ- أو بِضْعٌ وسِتُّونَ شُعبَةً- فأَفْضلُها: قولُ: لا إلهَ إلا اللهُ. وأدْنَاهَا إِماطَةُ الأذَى عن الطَّرِيقِ، والحَياءُ شُعبَةٌ مِن الإيمانِ** » (متفقٌ عليه) .

أولاً : معاني المفردات :

بضع: بكسر الباء، ويجوز فتحها، العدد من الثلاثة إلى العشرة.

شعبة: الفرقة من الشيء **أدناها**: أقلّها.

إماطة: إزالة. **الأذى**: ما يؤذي كحجرٍ وشوكٍ ورمادٍ وقذرٍ ونحو ذلك.

الحياء: الاحتشام، والتَّحرُّج مِن القبيح.

ثانيًا : في رحاب الحديث :

رضا الله ودخول الجنة أمنية كل مسلم ومسلمة وغايتهما، وقد منَّ الله علينا فجعل لبلوغ هذه الغاية أبوابا عديدة؛ ليتخذ كلٌّ بابه الأيسر والذي يجيد السير فيه، ويرتاح إليه، ومع ذلك لم يمنع الإسلام أصحاب الهمم العالية أن يدخلوا من جميع أبواب الخيرات إلى الله، ويتقربوا بها إليه، بل ويكون هذا سببًا في تفتُّح جميع أبواب الجنان يوم القيامة لهم ليدخلوا من أيها شاءوا.

وفي رحاب هذا الحديث يتضح: أن شعب الإيمان تعدد طرق الخير في الإسلام، كما تتضح صور من هذه الشعب، والمفاضلة بين الشعب، وتميز الحياء عن سائر الشعب..

١- شعب الإيمان تُعَدِّد طرق الخير في الإسلام :

نبه الإسلام إلى ضرورة التعلق بالأعمال النافعة، وحب السعي لتحصيل الخير، وإذا تولد هذا الحب وهذه الرغبة من المسلمة لفعل الخير وزيادة الحسنات والدرجات تجد نفسها أمام سؤال عمليّ: كيف يتحقق لي ذلك؟ والجواب يكون في هذا الحديث، أي أن طرق الخير متعددة ، يقول النبي ﷺ : «**الإِيمَانُ بِضْعٌ وسَبعُونَ، أو بِضْعٌ وسِتُّونَ شُعبَةً** ».

هذا العدد يدل على المبالغة والتكثير، والشك في العدد من راوي الحديث، وعليه فهي ترجع إلى أصل واحد وهو تكميل النفس بصلاح المعاش المؤدي إلى تحسين المعاد، وذلك

بأن يعتقد الحق ويستقيم في العمل، ولذا قال ﷺ لسفيان الثقفي حين قال له: «قل لي في الإسلام قولًا لا أسأل عنه أحدًا غيرك. قال: قل: آمنت بالله. ثم استقم» .

٢ – صور من شعب الإيمان:

وقد فصلت السنة بعض هذه الشعب نذكر منها على سبيل المثال:

– عن أبي ذر رضي الله عنه: « أن ناسًا قالوا: يا رسول الله، ذهب أهل الدثور بالأجور، يصلون كما نصلي، ويصومون كما نصوم، ويتصدقون بفضول أموالهم. قال: **أو ليس قد جعل الله لكم ما تصدقون به: إن بكل تسبيحة صدقة، وكل تكبيرة صدقة، وكل تحميدة صدقة، وكل تهليلة صدقة، وأمر بالمعروف صدقة، ونهي عن المنكر صدقة، وفي بضع أحدكم صدقة...**» (مسلم:١٠٠٦).

– عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ :« **كل سلامى من الناس عليه صدقة كل يوم تطلع فيه الشمس: تعدل بين الاثنين صدقة، وتعين الرجل في دابته، فتحمله عليها، أو ترفع له عليها متاعه صدقة، والكلمة الطيبة صدقة، وبكل خطوة تمشيها إلى الصلاة صدقة، وتميط الأذى عن الطريق صدقة**» (البخاري: ٢٦٥٠).

– وفي عقد النوايا ومداومة العمل عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : «**إذا مرض العبد أو سافر كتب له مثل ما كان يعمل مقيمًا صحيحًا**» (صحيح البخاري: ٢٨٣٤) .

– عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**ما من مسلم يغرس غرسا أو يزرع زرعا فيأكل منه طير أو إنسان أو بهيمة إلا كان له به صدقة**» (البخاري: ٢١٩٥).

– عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ :«**إن الله ليرضى عن العبد أن يأكل الأكلة فيحمده عليها، أو يشرب الشربة فيحمده عليها**» (مسلم:٢٧٣٤).

– وللنساء طريق خير تعدل الكثير مما يصنعه الرجال، ذكرها النبي ﷺ في حديثه لوافدة النساء، فعن أسماء بنت يزيد الأنصارية: «أنها أتت النبي ﷺ وهو بين أصحابه، فقالت: بأبي أنت وأمي، إني وافدة النساء إليك، واعلم – نفسي لك الفداء – أما إنه ما من امرأة كائنة في شرق ولا غرب سمعت بمخرجي هذا أو لم تسمع إلا وهي على مثل رأيي، إن الله بعثك بالحق إلى الرجال والنساء، فآمنا بك وبإلهك الذي أرسلك، وإنا معشر النساء محصورات مقصورات، قواعد بيوتكم، ومقضى شهواتكم، وحاملات أولادكم، وإنكم

معاشر الرجال فضلتم علينا بالجمعة والجماعات، وعيادة المرضى، وشهود الجنائز، والحج بعد الحج، وأفضل من ذلك الجهاد في سبيل الله، وإن الرجل منكم إذا أخرج حاجًّا أو معتمرًا أو مرابطًا حفظنا لكم أموالكم، وغزلنا لكم أثوابًا، وربينا لكم أولادكم، فما نشارككم في الأجر يا رسول الله ؟ فالتفت النبي ﷺ إلى أصحابه بوجهه كله، ثم قال: **هل سمعتم مقالة امرأة قط أحسن من مسألتها في أمر دينها من هذه؟**. فقالوا: يا رسول الله، ما ظننا أن امرأة تهتدي إلى مثل هذا. فالتفت النبي ﷺ إليها، ثم قال لها :**انصرفي أيتها المرأة، وأعلِمي من خلفك من النساء أن حسن تبعل إحداكن لزوجها، وطلبها مرضاته، واتباعها موافقته تعدل ذلك كله**. فأدبرت المرأة وهي تهلل وتكبر استبشارًا». (البيهقي في شعب الإيمان: ٨٧٤٣).

٣ – المفاضلة بين الشعب:

ثم يعود الحديث لتوجيه المؤمنين والمؤمنات ألا يتيهوا في تلك الطرق، وأن يفاضلوا بينها فليست كلها على درجة واحدة؛ فيأخذوا بالأفضل إلى الأدنى، دون تحقير لأي خير.

«فأفضلُها قولُ لا إلهَ إلا الله» فقولها بحقها: يقينًا بها وعملًا بها. إذا أيقنت أنه لا إله إلا الله لا أظلم ولا أحسد ولا أبغض ولا أخاف من مخلوق؛ لأنه لا إله إلا الله، هو كافيني ومولاي .

فهي كلمة التوحيد، وهي كلمة يستطيع أن يرددها أي إنسان، وبذات الوقت فهي من خير الكلام، وأفضل الأذكار التي يذكر بها العبد ربه، قال النبي ﷺ : «**خَيْرُ مَا قُلْتُ أَنَا وَالنَّبِيُّونَ مِنْ قَبْلِي: لَا إِلَهَ إِلَّا الله وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**» (الترمذي:٣٥٨٥). وعن أبي ذر رضي الله عنه قال: « قلت: يا رسول الله، أوصني. قَالَ: **إِذَا عَمِلْتَ سَيِّئَةً فَأَتْبِعْهَا حَسَنَةً تَمْحُهَا**. قُلْتُ: يَا رَسُولَ الله، أَمِنْ الْحَسَنَاتِ لَا إِلَهَ إِلَّا الله؟ قَالَ: **هِيَ أَفْضَلُ الْحَسَنَاتِ**» (أحمد:٢١٢٢٥).بل وهي أمان لصاحبها من النار، وبطاقة دخول الجنة، قال ﷺ:« **مَنْ كَانَ آخِرُ كَلَامِهِ لَا إِلَهَ إِلَّا الله دَخَلَ الْجَنَّةَ**». (أبو داود: ٣١١٦).

« وأدْنَاهَا إِمَاطَةُ الأذَى عن الطَّرِيقِ» . وإماطة الأذى عن الطريق فوق أنها تحمل في دلالتها على نفس صاحبها النبل وحب الخير للناس، وفعل ما ينفعهم؛ فإنها صدقة عظيمة عند الله؛ لأن خير الناس أنفعهم للناس، قال ﷺ: «**وَإِمَاطَتُكَ الحجَرَ وَالشَّوْكَةَ وَالْعَظْمَ عَنْ الطَّرِيقِ لَكَ صَدَقَةٌ**» (الترمذي:١٩٥٦)، وعنه أيضًا قال: « **بَيْنَمَا رَجُلٌ يَمْشِي بِطَرِيقٍ إِذْ وَجَدَ غُصْنَ شَوْكٍ عَلَى الطَّرِيقِ فَأَخَّرَهُ فَشَكَرَ الله لَهُ فَغَفَرَ لَهُ**» (رواه مالك في الموطأ:٢٩٣).

٤- تميز الحياء عن سائر الشعب:

وتأتي اللفتة الأخيرة في الحديث، إلى أفضل ما يتوسط قول لا إله إلا الله وإماطة الأذى عن الطريق، فقال:« والحَياءُ شُعبةٌ مِن الإيمانِ» أي: شعبة عظيمة من الإيمان.

وحقيقة الحياء أنه خلقٌ يبعث على ترك القبيح، ويمنع من التقصير في حق ذي الحق.

والذي جعل الحياء يحظى بهذه المكانة أنه مجمع البر والإحسان، وحصن الأمان من ارتكاب الكبائر والإصرار على الصغائر، فإذا كان الصدق يحملك على التقوى وأداء الحقوق، فالحياء يحملك على الإحسان وإعطاء الفضل.

ويكفي أن نعلم أن النبي ﷺ قال:« الحياء خير كله» (مسلم:٣٧).

وما بدا في مجتمعاتنا من المجاهرة بالمعاصي، وقلة الأدب مع الوالدين، والجيران، والمربين، والمعلمين، أو الخروج بملابس فاضحة أو غير لائقة بالمسلم أو المسلمة، أو ارتفاع صوت المرأة بالضحك في مجلس يسمعها فيه الرجال، شيوع ذلك كله راجع إلى نقص الحياء.

وهذا الخلق وإن كان مطلوبًا للرجال والنساء إلا أنه بالنساء أجدر، ولهن أزين، ولعفتهن وطهرهن أبين؛ فإذا نزع حياء البنت نزع معه إيمانها.

ثالثًا: جوانب تطبيقية مستفادة من الحديث:

الحرص على الأمور التالية ضرورة لتحقيق الحديث في حياتنا:

١- التزام ذكر «لا إله إلا الله» (١٠٠) مرة يوميًا، وأذكار الصباح والمساء والأحوال .

٢- التزام الأذكار المأثورة عن الرسول ﷺ في الأوقات والأحوال المختلفة

٣- الاستغفار والتوبة والندم عند ارتكاب معصية.

٤- المشي باحترام في الطريق.

٥- مراعاة عدم رفع الصوت في الأماكن العامة، أو الضحك بصوت مرتفع .

٦- التأدب بآداب الحديث مع الزائرين ، وكذلك عند الرد على الرجال في التليفون بما يليق بالمرأة المسلمة.

٧- التزام آداب الإسلام في العمل وأماكن اختلاط الرجال بالنساء صيانة لكرامة المرأة المسلمة.

رابعًا: التقويم: (الدرجة النهائية ٣٠)

١-أكملي الحديث:(٤درجات)

«الإِيمَانُ بِضْعٌ وسَبعُونَ، أو ......، فَأَفْضلُها ....، وأَدْنَاهَا ....، و.......... شُعبَةٌ مِن الإيمانِ».

٢-(أ) اذكرى معاني المفردات الآتية : (٥درجات)

بضع : .... أدناها : ....

شعبة : .... الحياء : .... إماطة : ....

(ب) ما حقيقة الشعب في هذا الحديث ؟ (درجتان)

(ج) وعلام يدل العدد ؟ (درجتان)

٣-عددي سبعًا من شعب الإيمان غير ما نص عليه الحديث.(٧درجات)

٤-في هذا الحديث الشريف فضّل رسول الله ﷺ قول:« لا إله إلا الله » وكذلك في غيره من الأحاديث، فلماذا كان ذلك ؟(٤درجات)

٥-«خير الناس أنفعهم للناس » اذكري المقطع من الحديث الذي يدل على هذا المعنى؟ (درجة)

٦-(أ) « الحياء خير كله » فعلى أي شيء يحض خُلُق الحياء؟ وما الفرق بينه وبين الصدق ؟ (٤درجات)

(ب) خُلُق الحياء ليس مطلوبًا من المرأة فقط، اذكري من سيرة الرسول ﷺ ما يدل على أن هذا الخلق مطلوبٌ من الرجال أيضًا تمثلًا برسول الله ﷺ ؟(درجة)

* * *

الحديث الثاني

الصـــدق

عن ابن مسعود رضي الله عنه، عن النَّبيِّ ﷺ ، قَالَ: «إنَّ الصِّدقَ يَهْدِي إِلَى البِرِّ، وإنَّ البر يَهدِي إِلَى الجَنَّةِ، وإنَّ الرَّجُلَ لَيَصدُقُ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ الله صِدِّيقًا، وَإِنَّ الكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الفُجُورِ، وَإِنَّ الفُجُورَ يَهدِي إِلَى النَّارِ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَكْذِبُ حَتَّى يُكتَبَ عِنْدَ الله كَذَّابًا» (مُتَّفَقٌ عَلَيهِ).

أولاً: معاني المفردات:

البِرّ - بكسر الباء-: الخير وهو اسم جامع لكل خير.

يَهدِي: يرشد ويوصل.

صِدِّيقًا: من يتكرر منه الصدق حتى يصير سجية له، ويقابله الكذاب.

الفُجُور: الخروج عن طاعة الله.

ثانيًا: في رحاب الحديث:

تتضح حقيقة الصدق ولوازمه، وعاقبة الصدق في الدنيا والآخرة، والارتقاء في منازل الصدق، واختلال الصدق (الكذب).

١- حقيقة الصدق ولوازمه :

الصدق خلق لازم للمسلمة، يشمل الأقوال والأفعال والأحوال، ويعني: استواء السرّ والعلانية والظاهر والباطن؛ بألا تُكذِّب أحوالُك أعمالَك، ولا أعمالُك أقوالك.

والصِّـدْق من معالم الشخصية الإسلامية، وهو منبت المكارم ورأس الفضائل، وفي ظلاله تحيا الحقيقة، وتتحقق العدالة، وتطمئن الحياة، والمرأة الصادقة شخصيتها محبوبة، وحديثها مرغوب، ولكلمتها وزنها واحترامها عند الناس، ولشهادتها مكانتها وقبولها.

٢- عاقبة الصدق في الدنيا والآخرة:

وهذا الحديث دعوة للتخلق بالصدق، وذلك بذكر آثاره في الدنيا؛ فيقول ﷺ: «إنَّ الصِّدقَ يَهْدِي إِلَى البِرِّ » فالبر من نتائج الصدق، فترين المسلمة التي وفقها الله مغروسة في أبواب الخير؛ لا ترينها تفرغ من عمل حتى تدخل في غيره، ما بين صلاة وتعلم وتعليم وصلة رحم..إلخ، يقول تعالى: ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ ۝٧ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَب ۝٨﴾ [الشَّرح].

وصاحبة البر يهديها برُّها إلى الجنة، والجنة غاية كل مطلب: « وإن البر يهدي إلى الجنة».

٣ – الارتقاء في منازل الصدق:

إن الصدق ليس مجرد كلمة تقولينها بلسانك، إنما هو حالة تلازمك، والمطلوب أن يتكرر الصدق منك؛ حتى تستحقي اسم المبالغة في الصدق، وحتى يصبح الصدق سجية، وتستحقين الوصف به، وتشتهرين في الملأ الأعلى بهذه الصفة، وتعرفين بين الناس بالصادقة، ويحكم لك بذلك.

ويصور لنا الحديث المداومة والحرص على الصدق التي ترفع من شأن الصادقين والصادقات فيقول: «**وإن الرجل ليصدق**» وكذا المرأة، وفي سورة الأحزاب: ﴿وَٱلصَّـٰدِقِينَ وَٱلصَّـٰدِقَـٰتِ﴾ إلى أن قال: ﴿أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣٥﴾﴾. وفي رواية للحديث تكرار «**ويصدق**» تأكيدا لملازمة الصدق «**ويتحرى الصدق**» فتتبعه وتسير وراءه ولا تتعجل في الكلام ولا الأحكام على الغير، وتراجع سلوكها ونواياها، إلى أن يصير الصدق سجيتها؛ عندها تصبح من الصادقات المميزات «**حتى يكتب عند الله صديقا**».

ومعلوم أن الصديقية درجة عظيمة لا ينالها إلا الأفذاذ من الناس، وتكون في الرجال وتكون في النساء قال الله تعالى: ﴿مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌ ۖ كَانَا يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامَ﴾ [المائدة:٧٥].

٤ – اختلال الصدق [الكذب]:

وقد حذر النبي ﷺ من التساهل في الصدق؛ فالتساهلَ فيه يؤدي إلى الكذب فيكثر منه؛ فيعرف المرء به.

وقوله: «**وَإِنَّ الكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الفُجُورِ**»، والفجور: يعني الخروج عن طاعة الله قال تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّ كِتَـٰبَ ٱلْفُجَّارِ لَفِى سِجِّينٍ ﴿٧﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سِجِّينٌ ﴿٨﴾ كِتَـٰبٌ مَّرْقُومٌ ﴿٩﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٠﴾﴾ [المطففين].

فالكذب يهدي إلى الفجور والفجور يهدي إلى النار، والكذب من الأمور المحرمة، بل قال بعض العلماء: إنه من كبائر الذنوب؛ لأن الرسول ﷺ توعَّدَهُ بأنه يكتب عند الله كذابًا.

إن الكذب هو الآفة التي لا تدخل على فرد أو مجتمع إلا أهلكته، فالكاذبة غير منضبطة، لا تؤتمن على مال ولا ولد، وحسبك بفضيحتها بين الملأ الأعلى وقد كتبت عند الله كذابة، فإذا تفشّى هذا النوع من الناس في المجتمع صار المجتمع كله متهما، لا أمانة فيه ولا أمان.

ثالثًا: جوانب تطبيقية مستفادة من الحديث:

* التأكيد على الصدق في حياتنا باعتباره أمرًا ربانيًا، فالصدق خلق إسلامي رفيع مأمور به كل المؤمنين. قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ١١٩﴾ [التوبة].

* جعل الصدق من الضرورات لحياتنا: فعن عبادة بن الصامت أن النبي ﷺ قال: **«اضمنوا لي ستًّا من أنفسكم، أضمن لكم الجنة: اصدقوا إذا حدثتم، وأوفوا إذا وعدتم، وأدوا إذا اؤتمنتم، واحفظوا فروجكم، وغضوا أبصاركم وكفوا أيديكم»** (أحمد:٢١٦٩٥).

* الحرص على تدريب الأبناء وتربيتهم على صدق الحديث بدون الحلف، والعمل بشدة لإبطال عادة الحلف بغير الله (مثل: وحياتي عندك، وحياة بابا، ورحمة أمي ..وغيرها). عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: **«لا تحلفوا بآبائكم ولا بأمهاتكم ولا بالأنداد، ولا تحلفوا إلا بالله، ولا تحلفوا إلا وأنتم صادقون»**(النسائي: ٣٧٦٩).

قال الشيخ الألباني: صحيح عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: **«لا تحلفوا إلا بالله، ولا تحلفوا بالله إلا وأنتم صادقون»** (رواه أبو داود والنسائي).

* مراعاة متطلبات الصدق مع الله؛ حيث تبدأ بالإيمان بالله ورسوله ﷺ إيمانًا يعلو على الشك والريبة ثم الجهاد في سبيله بالمال والنفس. قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ١٥﴾ [الحُجُرات].

*العمل على الاستفادة من الصدق في راحة البال، عن أبي الحوراء السعدي قال: قلت للحسن بن علي: ما حفظت من رسول الله ﷺ؟ قال حفظت من رسول الله ﷺ: **"دع ما يريبك إلى ما لا يريبك فإن الصدق طمأنينة وإن الكذب ريبة"** (الترمذي: ٢٥١٨).

* هل تعلمي ما أعده الله لأهل الصدق من الأجر؟ قال تعالى: ﴿قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْۚ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ١٥ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ إِنَّنَآ

ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٦﴾ ٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْمُنفِقِينَ وَٱلْمُسْتَغْفِرِينَ بِٱلْأَسْحَارِ ﴿١٧﴾ ﴾ [آل عمران].

* الصدق طريقك للجلوس بجوار الرسول ﷺ : فإذا كان الصدق يهدي إلى البر، وكان البر حسن الخلق، وكان حسن الخلق طريقك لجوار النبي ﷺ في الجنة، أفلا يزداد تمسكك به ؟

* صدق الحديث مع الزوج يثبته وقت الشدة: فالمسلمة والزوجة العاقلة في وقت الشدائد والابتلاءات تكون صادقة النية رابطة الجأش ، وألا تهتز مما يحدث لزوجها إذا أصابته شدة، وعليها أن تقف بجانبه؛ تشد من أزره، وتقوي ظهره، وتحثه على العمل، وتعينه عليه دون كلل أو ملل؛ فذلك من صدقها مع زوجها في طريق دعوته وإسلامه، وكذلك تربت على كتفي أولادها، وأن تكون صادقة في دعواها أمامهم؛ لتشجعهم وتحببهم في طريق الخير، متخذة من آبائهم قدوة وأسوة لهم .

قالت أم المؤمنين خديجة رضي الله عنها للرسول ﷺ في قصة بدء الوحي :« ... كَلَّا، أَبْشِرْ، فَوَاللهِ لَا يُخْزِيكَ اللهُ أَبَدًا، فَوَاللهِ إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ، وَتَصْدُقُ الْحَدِيثَ، وَتَحْمِلُ الْكَلَّ، وَتَكْسِبُ الْمَعْدُومَ وَتَقْرِي الضَّيْفَ وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الْحَقِّ ... » (البخاري: ٤٦٧٠).

* أن نجعل الصدق سبيلنا للإصلاح: يقول الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ ﴾ [الأحزاب].

* التزام آداب المزاح في حياتنا: فالإسلام لا يمنع المزاح؛ ولكن وضع له شرطا أساسيّة ؛ وهي قول الحق ، ومراعاة آداب الحديث وآداب المجلس.

* ليس من الصدق التحدث بكل ما تعرفين : فعندما يؤدي الحديث عن صفات الغير مثلا، أو أعمالهم، أو الحديث عنهم، إلى إلحاق الضرر بهم أو فساد ذات البين– وكما سماها الرسول ﷺ بأنها الحالقة – فيصبح الصدق هنا قبيحا .

رابعًا : التقويم: (الدرجة النهائية ٢٠)

١ – أكملي الحديث: (٧درجات)

عن ابن مسعود رضي الله عنه ، عن النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ الصِّدقَ يَهْدِي ....، وإنَّ البر .....

الجَنَّةِ، وإنَّ الرَّجُلَ لَيَصدُقُ حَتَّى .... صِدِّيقًا، وَإِنَّ الكَذِبَ .... الفُجُورِ، وَإِنَّ ...... يَهدِي إِلَى النَّارِ، وَإِنَّ الرَّجُلَ........ حَتَّى .... كَذَّابًا» (مُتَّفَقٌ عَلَيهِ).

٢-اذكري معاني الكلمات التالية: البر، الفُجُور، صديقا. (٣درجات)

٣-كيف يكون طريقك إلى الجنة كما تفهمين من الحديث؟ (درجتان)

٤-لا صغيرة مع إصرار وتكرار ..هات من الحديث ما يدعم ذلك .(درجتان)

٥-كيف يؤدي الكذب إلى ظلم النفس وسوء العاقبة في الدنيا والآخرة ؟ (درجتان)

٦- من النماذج السيئة في الحوار والتي تؤدي إلى الكذب:

النكتة بالكذب لإضحاك الناس، والتفاخر بالأنساب بالباطل ، والتفاخر بالماديات والماركات التي تدعى ماركة أصلية ..وغيرها ..كيف تستطيعين معالجة هذه الأمراض بأساليب بسيطة ودون إحراج نفسك أو الآخرين؟ (٤درجات)

* * *

الحديث الثالث

اليقـــين والتـــوكل

عن عُمَر ﷺ، قَالَ: سمعتُ رَسُول الله ﷺ، يقول: «**لَوْ أَنَّكُمْ تَتَوَكَّلُونَ عَلَى الله حَقَّ تَوَكُّلِهِ لَرَزَقَكُمْ كَمَا يَرْزُقُ الطَّيْرَ، تَغْدُو خِمَاصًا وَتَرُوحُ بِطَانًا**» (رواه الترمذي، وَقالَ: حَدِيث حسن).

أولاً: معاني المفردات:

حَقَّ تَوَكُّلِهِ: أي تصدقون في اعتمادكم على الله تعالى في سائر أحوالكم.

تَغْدُو: الغدو: الذهاب في أول النهار.

خِمَاصًا: جمع خميص أي ضامر البطن من الجوع.

تَرُوحُ : الرواح: السير آخر النهار.

بِطَانًا: جمع بطنان ،أي: ممتلئ البطون.

ثانيًا: في رحاب الحديث:

هذا الحديث أصل في التوكل على الله، وبيان أنه من أعظم الأسباب التي يستجلب بها الرزق، وفي رحاب الحديث يتضح حقيقة التوكل وعلاقته باليقين والتوكل وجلب الرزق وعلاقة التوكل بالأخذ بالأسباب.

١ – حقيقة التوكل وعلاقته باليقين:

التوكل على الله: هو الترجمة العملية لليقين به، فما حقيقته؟ وكيف يكون؟ يقول ﷺ: «**لو أنكم تتوكلون على الله حق توكله**». أي: تحقق توكلكم على الله بأن تعتمدوا عليه في سائر الأحوال، وتروا أن الخير بيده ومن عنده.

يقول ابن رجب الحنبلي في حقيقة التوكل: هو صدق اعتماد القلب على الله ﷻ في استجلاب المصالح ودفع المضار من أمور الدنيا والآخرة كلها. وقال الحسن: إن توكل العبد على ربه أن يعلم أن الله هو ثقته.

فالتوكل عبادة قلبية، تستوجب تفويض الأمور إلى الله والتبرؤ من حولنا وقوتنا إلى حوله وقوته،بعد الأخذ بالأسباب وإتقانها غاية الإتقان ، وهو حال لازم للمؤمن وليست صفة عارضة.

وهذا عين ما فعلته أمنا هاجر عليها السلام من السعي بين الصفا والمروة، -نموذج للسعي على الأرزاق ببذل أقصى الجهد- ثم جاء الفضل من الله برزقها ماء زمزم (طعام وشراب وعلاج وأمن وأمان من القوافل التي عسكرت عند الماء)، وكذا هجرة المصطفى إلى المدينة وحادث الخندق، فقد جاء الفضل من الله بعد كمال الأخذ بالأسباب من حيث لا يُحتسب جائزة على الأخذ بالأسباب بعد اليقين وقبل التوكل على رب الأسباب ﴿فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ ﴿١٥﴾﴾ [الملك].

وهو فريضة إسلامية لقوله تعالى: ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾، وشرط من شروط الإيمان، ولازم من لوازمه ومقتضياته، مقترن بمراتب الدين الثلاث: الإيمان والإسلام والإحسان، وشعائره العظام.

يقول علي رضي الله عنه: " يا أيها الناس توكلوا على الله وثقوا به؛ فإنه يكفي مما سواه" . تأملي مقالة علي بن أبي طالب رضي الله عنه؛ تجدي أنه يربط التوكل بالثقة واليقين بالله ، وإلا فلا توكل ما لم يكن معه اليقين، واليقين يتمثل في العمل لله خالصًا ولا يُطلب به عرض الدنيا ولا رضا المخلوقين مع الثقة في الوقت نفسه بوعد الله وهو الرزق.

وقيل لبعض الحكماء: ما الفرق بين اليقين والتوكل؟ قال: أما اليقين فهو أن تصدق الله بجميع أسباب الآخرة ، والتوكل أن تصدق الله بجميع أسباب الدنيا .

٢- التوكل وجلب الرزق :

وهذا الحديث يدل على أن الناس إنما يُؤْتَوْن من قلة تحقيق التوكل، ووقوفهم مع الأسباب الظاهرة بقلوبهم، فلذلك يتعبون أنفسهم في الأسباب، ويجتهدون فيها غاية الاجتهاد ولا يأتيهم إلا ما قدر لهم، فلو حققوا التوكل بقلوبهم لساق إليهم أرزاقهم مع أدنى سبب؛ كما يسوق الطير إلى أرزاقها بمجرد الغدو والرواح، وهو نوع من الطلب والسعي لكنه يسير.

«لرزقكم كما يرزق الطير». قال بعض السلف: تَوَكَّلْ تُسَقْ إليك الأرزاق بلا تعب ولا تكلف. وعن عيسى عليه السلام كان يقول: «اعملوا لله، ولا تعملوا لبطونكم، وإياكم وفضول الدنيا، هذا طير السماء يغدو ويروح ليس معه من أرزاقه شيء لا يحرث ولا يحصد ويرزقه الله، فإن قلتم: إن بطوننا أعظم من بطون الطير. فهذه الوحوش من البقر والحمير تغدو وتروح وليس معها من أرزاقها شيء ولا تحرث ولا تحصد ويرزقها الله».

قال الله تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝٢ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾ [الطلاق:٣] وقد قرأ النبي ﷺ هذه الآية على أبي ذر رضي الله عنه وقال له: «**لَوْ أَنَّ النَّاسَ كُلَّهُمْ أَخَذُوا بِهَا لَكَفَتْهُمْ**» (المستدرك:٣٨١٩): يعني لو حققوا التقوى والتوكل لاكتفوا بذلك في مصالح دينهم ودنياهم.

قال بعض السلف: فحسبك من التوسل إليه أن يعلم من قلبك حسن توكلك عليه، فكم من عبد من عباده قد فوض إليه أمره وكفاه منه ما أهمه ثم قرأ: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝٢ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾.

وفي حديث ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «**من سرَّه أن يكون أقوى الناس فليتوكل على الله**» (مسند الحارث ـ زوائد الهيثمي: ١٠٧٠) ومن توكل على الله لا يخشى ولا يخضع ولا يذل إلا لله، ولا يستغيث ولا يلوذ إلا بجنابه.

٣ – علاقة التوكل بالأخذ بالأسباب :

واعلمي أن تحقيق التوكل لا ينافي السعي في الأسباب المقدورات التي قدرها الله ﷻ بها، وجرت بها سنته في خلقه، فإن الله تعالى أمر بتعاطي الأسباب مع أمره بالتوكل: فالسعي في الأسباب بالجوارح طاعة له، والتوكل بالقلب عليه إيمان به.

ففي مثال رزق الطير يقول النبي ﷺ : «**تغدو خماصا وتروح بطانا**». ولذا أنَّب عمر بن الخطاب رضي الله عنه جماعة من أهل اليمن كانوا يحجون بلا زاد، فذمهم، قال معاوية بن قرة:«لقي عمر بن الخطاب ناسًا من أهل اليمن، فقال: من أنتم ؟ قالوا نحن المتوكلون. قال: بل أنتم المتواكلون؛ إنما المتوكل الذي يُلْقِي حَبَّةً في الأرض، ثم يتوكل على الله»[(١)].

قال سهل التستري: من طعن في الحركة– يعني في السعي والكسب – فقد طعن في السنة، ومن طعن في التوكل فقد طعن في الإيمان، فالتوكل حال النبي ﷺ ، والكسب سنته، فمن عمل على حاله فلا يتركن سنته.

ثالثًا : جوانب تطبيقية مستفادة من الحديث:

لو توكلنا على الله حق توكله؛ لمدَّ لنا في رزقنا، ولبسط لنا في رضا الزوج، ولجعل فهمنا لأمور الدنيا والدين عظيم، ولرزقنا مجالسة الصالحين، وحسن التوجيه والحفظ والتدبير،

(١) جامع العلوم والحكم، ص٣٨٤.

وحُسن منطق الكلام والتفسير لغيرنا من الملتزمين، ومتابعة غيرنا من الصالحين، ولذا فمن تلك الجوانب التطبيقية ما يلي:

١- إحسان التوكل على الله في كل أمر وهو منطلق كل خير وبر.

٢- الأخذ بأسباب الرزق الحسن هو التوكل بذاته.

٣- نأخذ بالأسباب ونتوكل على الله لنكسب الدنيا والآخرة معا.

٤- اليقين بأن التوكل على الله أساس الانتشار والتعايش مع الآخرين.

٥- الاعتقاد بأن حسن تدبير المعيشة والتصرف بحكمة في مصروف البيت يؤمن الأسرة من المفاجآت.

٦- عدم إشعار الزوج بضيق الحال أو بالأزمات؛ بل العكس تذكيره بأن فرج الله قريب.

٧- اليقين بأن لله خزائن السماوات والأرض رغم كيد الأعداء والظالمين ﴿هُمُ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنفِقُوا۟ عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّوا۟ ۗ وَلِلَّهِ خَزَآئِنُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٧﴾﴾ [المنافقون]، ومن أمثلة ذلك نهب الأموال ومصادراتها في المحاكمات العسكرية.

رابعًا: التقويم: (الدرجة النهائية ٤٠)

١- أكملي الحديث (٤درجات)

« لَوْ أَنَّكُمْ تَتَوَكَّلُونَ عَلَى الله حَقَّ تَوَكُّلِهِ ...... كَمَا ...... الطَّيْرَ، تَغْدُو ..... وَتَرُوحُ ...... ».

٢- أكملي :(٤درجات)

الغدو : هو .... والرواح : هو ....

الخميص : هو ضامر .... من ....

البطنان : دليل على ....

٣- بعض الحكماء عرّف الفرق بين اليقين والتوكل ؛ فما هو الفرق ؟(درجتان)

اليقين : ....

التوكل :..............................

٤- أكملي الفراغات فيما يلي : (٨درجات)

- التوكل عبادة ..... تستوجب تفويض ..... إلى الله تعالى والتبرؤ من كل ..... و..... إلى حول الله تعالى وقوته وهو لازم ..... وليست صفة عارضة له .

- والتوكل فريضة .... لقوله تعالى: ﴿ .... ﴾.

٥- ضعي علامة (√) أمام العبارة الصحيحة وعلامة (×) أمام العبارة الخطأ فيما يلي في ضوء فهمك للحديث : (٤درجات)

- حقيقة التوكل هو صدق اعتماد القلب على الله وترك الأسباب. ( )

- إن توكل العبد على ربه أن يعلم أن الله هو ثقته. ( )

- حسبك من التوسل إلى الله أن يعلم من قلبك حسن توكلك عليه. ( )

- توكل تُسق إليك الأرزاق بلا سعي. ( )

٦- أكملي العبارات الآتية ليكتمل المعنى بما يتفق مع مقاصد الحديث :(٦درجات)

- اعمل عمل رجل لا .... إلا عمله، وتوكل توكل رجل لا .... إلا ....

- من طعن في السعي والكسب فقد طعن في .... ومن طعن في التوكل فقد ..... في ....

٧-ما الفرق بين المتواكلين والمتوكلين في العمل؟ (٢درجة)

٨-ما المشكلات التي يقع فيها المتواكلون؟ (٢درجة)

٩-كيف أدى تواكل بعض المسلمين إلى الإساءة للإسلام والمسلمين ؟ (٤درجات)

١٠-كيف تتوكلين على الله حق توكله ؟ اذكري نماذج تطبيقية ناجحة. (٤درجات)

* * *

الحديث الرابع

المبادرة إلى الخيرات

عن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رَسُول الله ﷺ، قَالَ: «بَادِرُوا بِالأَعْمَالِ سَبْعًا، هَلْ تَنْتَظِرُونَ إِلَّا فَقْرًا مُنسيًا، أَوْ غِنىً مُطغِيًا، أَوْ مَرَضًا مُفسِدًا، أَوْ هَرَمًا مُفْنِدًا، أَوْ مَوتًا مُجْهِزًا، أَوْ الدَّجَّالَ فَشَرُّ غَائِبٍ يُنْتَظَرُ، أَوْ السَّاعَةَ فالسَّاعَةُ أَدْهَى وَأَمَرُّ» (رواه الترمذي، وَقالَ: حديث حسن).

أولاً: معاني المفردات:

بَادِرُوا: سابقوا وتقدموا.

مُطغِيًا: يحمل صاحبه على مجاوزة الحد في المعاصي.

هَرَمًا: كبر السن.

مُفْنِدًا: مضعفًا للرأي مفسدًا له.

مُجْهِزًا: سريعًا مميتًا بسرعة وذلك كموت الفجأة.

الدَّجَّال: إنسان كافر فاجر يظهر قرب القيامة يدعو إلى الكفر.

السَّاعَة: يوم القيامة.

أَدْهَى: أعظم بلية.

وَأَمَرُّ: أشد مرارة عن عذاب الدنيا وأهوالها.

ثانيًا: في رحاب الحديث:

بين عقد النوايا وبين تنفيذها، مقعد للشيطان، يحول فيه بين المرء وبين التنفيذ، وهذا الحديث يدعونا لتقليل هذه المدة قدر المستطاع، لاسيما إن كانت هناك أحوال تعوق المرء عن تنفيذ نيته.

وفي رحاب الحديث يتضح الأمر بالمبادرة بالأعمال الصالحة، والحث على الإقبال عليها دون تردد، والأحوال السبعة المعوقات، ودلالة ذكر المعوقات السبع:

١- الأمر بالمبادرة بالأعمال الصالحة:

ففي هذا الحديث الذي بين أيدينا أشار النبي ﷺ إلى عوائق سبعة ينبغي للإنسان أن يبادر بالأعمال حذرًا منها فقال: «**بَادِرُوا بِالأَعْمَالِ سَبْعًا**». يعني سبعة أشياء كلها محيطة بالإنسان يخشى أن يصيبه منها.

والقرآن الكريم حين يتكلم عن العمل الصالح يستخدم لفظ المسابقة والمسارعة، قال تعالى: ﴿**وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ١٣٣**﴾ [آل عمران].

والنبي ﷺ كان مثالا للمبادرة لفعل الخير وعدم التردد وإطالة الفصل بين عقد النوايا والعمل، فعنْ أبي سِرْوَعَةَ - بكسرِ السين المهملةِ وفتحها - عُقبةَ بنِ الحارثِ ﷺ قال: « صليت وراءَ النبيِّ ﷺ بالمدينةِ العصْرَ، فسلَّم ثُمَّ قامَ مُسْرعًا فتخطَّى رِقَابَ النَّاسِ إلى بعض حُجَرِ نسائِهِ، فَفَزِعَ النَّاس من سرعَتِهِ، فخرج عَليهمْ، فرأى أنَّهُمْ قَدْ عَجِبوا منْ سُرْعتِهِ، قالَ: ذكرت شيئًا من تبْرٍ عندَنا، فكرِهْتُ أن يحبسَني، فأمرْتُ بقسْمتِهِ» (البخاري:٨١٣).

٢ - الأحوال السبعة المعوقات:

يذكرنا الحديث بالأحوال والأعراض التي تأتي علينا فتعوقنا عن العمل الصالح، وهي تأتي فجأة بلا مبررات أو إنذارات، فنحن أمام سبعة أودية مهلكة نمر بها يتبع بعضها بعضًا، فما أن تعبرين أحدها وتظنين أنك قد نجوت حتى تسقطي في الثاني.

«**هَلْ تَنْتَظِرُونَ إلاَّ فَقْرًا مُنسيًا، أَوْ غِنىً مُطغِيًا**»؟! فالإنسان بين حالين بالنسبة للرزق، فتارة يُصيبه الفقر فينسى أن الله هو الرزاق ذو القوة المتين، ويقعد عن التوكل عليه، وتارة يغنيه الله ﷻ، ويمده بالمال والبنين والأهل والقصور والمراكب والجاه وغير ذلك من أمور الغنى، فإذا رأى نفسه في هذه الحال فإنه يطغى -والعياذ بالله- ويتكبر، ويستنكف عن عبادة الله كما قال الله تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَيَطۡغَىٰٓ ﴿٦﴾ أَن رَّءَاهُ ٱسۡتَغۡنَىٰٓ ﴿٧﴾ إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلرُّجۡعَىٰٓ ﴿٨﴾﴾ [العلق]، يعني مهما بلغت من الاستغناء والعلو فإن مرجعك إلى الله.

ونحن نشاهد أن الغنى يكون في أحيان كثيرة سببًا للفساد؛ فتجد الإنسان في حال فقره مُخْبِتًا إلى الله، منكسر النفس، ليس عنده طغيان، فإذا أمده الله بالمال؛ استكبر وأطغاه غناه.

كما أن الفقر الشديد ينسي الإنسان مصالح كثيرة؛ لأنه يشتغل بطلب الرزق عن أشياء كثيرة تهمه، وهذا شيء مشاهد في الحياة.. ولهذا يخشى على الإنسان من هذه الحالين؛ إما الغنى المطغي، أو الفقر المنسي.

والمرض يفسد على الإنسان أحواله فالإنسان حينما يكون في صحة تجده منشرح الصدر، لكنه إذا أصيب بالمرض ضاقت عليه الأرض بما رحبت وصار همه نفسه، فالمرض يفسد على الإنسان أحواله.

والإنسان لا يكون موفور الصحة بشكل دائم، فقد يصاب بالمرض في أية لحظة؛ فكم من إنسان أصبح نشيطًا صحيحًا وأمسى مريضًا أو بالعكس، فيجب على الإنسان أن يبادر إلى الأعمال الصالحة حذرًا من أن يصيبه مرض يفسد عليه حياته.

والهرم: يعني الكبر؛ فالإنسان إذا كبر وطالت به الحياة فإنه كما قال الله تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّىٰكُمْ ۚ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ لِكَىْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٧٠﴾ ﴾ [النحل] ، أي: إلى أسوئه وأردئه، فهذا الرجل الذي عهدته من أعقل الرجال يرجع حتى يكون مثل الصبيان، ولذلك استعاذ النبي ﷺ من أن يرد إلى أرذل العمر (١)؛ لأن الإنسان إذا رُدَّ إلى أرذل العمر تعب وأتعب غيره حتى إن أخص الناس به يتمنى أن يموت ؛ لأنه آذاه وأتعبه، وإذا لم يَتَمَنَّ بلسان المقال يتمنى بلسان الحال.

أما الموت المجهز: فيعني موت الفجأة ؛ فقد يموت الإنسان على فراشه نائمًا، وقد يموت على كرسيه عاملًا، وقد يموت في طريقه ماشيًا بسيارة مسرعة تجهز عليه، فالعاقل هو الذي يبادر بالعمل قبل الموت المجهز.

والدجال: صيغة مبالغة من الدَّجل وهو الكذب والتمويه؛ وهو رجل يبعثه الله في آخر الزمان يدعي أنه رب؛ فيمكث في فتنته أربعين يومًا: يومًا كسنة، ويومًا كشهر، ويومًا كأسبوع، وسائر أيامه يفتن الناس، فالحاصل أن فتنته عظيمه نستعيذ منها في صلاتنا، عن أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ : «إِذَا تَشَهَّدَ أَحَدُكُمْ فَلْيَسْتَعِذْ بِالله مِنْ أَرْبَعٍ؛ يَقُولُ: اللهمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ جَهَنَّمَ، وَمِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، وَمِنْ فِتْنَةِ المحْيَا وَالمَمَاتِ، وَمِنْ شَرِّ فِتْنَةِ المسِيحِ الدَّجَّالِ»(مسلم: ٥٨٨).

والساعة: يعني قيام الساعة: ﴿ بَلِ ٱلسَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَٱلسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ ﴿٤٦﴾ ﴾ [القمر]، فهذه سبع عوائق حذرنا الرسول ﷺ منها، فنسأل الله أن يعيننا على الأعمال الصالحة.

٣ - دلالة ذكر المعوقات السبعة في الحديث:

وحاصل ذكر هذه المهلكات أننا في حاجة إلى المبادرة الدائمة بكل عمل عقدنا عليه النية، فقد تستغرق هذه الأحوال السبعة كلها- أو بعضها - أعمارنا كلها، وربما كان العائق شيئا غيرها، وقد تتبدل الأحوال وتلتبس الواحدة منَّا- والعياذ بالله- بالفتن، وتخالف طريق المؤمنين، فمن خافت سوء العواقب والخواتيم أولى بها أن تبادر إلى فعل

---

(١) عن عَمْرِو بْن مَيْمُونٍ الْأَوْدِيِّ قَالَ: «كَانَ سَعْدٌ يُعَلِّمُ بَنِيهِ هَؤُلَاءِ الْكَلِمَاتِ كَمَا يُعَلِّمُ المعَلِّمُ الْغِلْمَانَ الْكِتَابَةَ وَيَقُولُ: إِنَّ رَسُولَ الله ﷺ كَانَ يَتَعَوَّذُ مِنْهُنَّ دُبُرَ الصَّلَاةِ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْجُبْنِ، وَأَعُوذُ بِكَ أَنْ أُرَدَّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الدُّنْيَا، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ».(حديث صحيح، رواه البخاري والترمذي وأحمد والنسائي).

كل خير ولا تتردد فيه: عَنْ أبي هريرة أن رسولَ الله ﷺ قال: « بادِروا بالأعْمالِ الصَّالِحَةِ ؛ فستكونُ فِتَنٌ كقطَعِ اللَّيلِ المظْلمِ؛ يُصبحُ الرجُلُ مُؤمنًا ويُمْسِي كافرًا ، ويُمسِي مُؤْمنًا ويُصبحُ كافرًا ، يبيع دينه بعَرَضٍ من الدُّنيا» (مسلم: ١١٨) .

ثالثًا : جوانب تطبيقية مستفادة من الحديث :

١- عدم التبذير والإسراف عند الغنى .

٢- اغتنام الصحة قبل المرض، والشباب قبل الهرم .

٣- الاستعداد لموت الفجأة؛ فإنه شر غائب لابد منه .

٤- أن تعملي لدنياك كأنك تعيشين أبدا وأن تعملي لآخرتك كأنك تموتين غدًا .

٥- بعض الظواهر الإيجابية التي يمكن القيام بها :

-مراجعة الملابس ؛ لاستخراج ما يمكن التصدق به.

-حث الأسرة على المبادرة إلى الخيرات.

-مساعدة الزوج ماليًا إذا كان لديك ما تعينينه به وذلك عن طيب نفس .

-الكف عن المطالبة بما لا يستطيعه الزوج.

-عدم دفع الزوج إلى انتهاز فرص الغنى وجمع الثروات دون التحقق من حلها أو حرمتها؛ فيواجه الغنى المطغي .

رابعًا : التقويم : (الدرجة النهائية ٣٠)

١-أكملي الحديث: (٨ درجات)

«بَادِرُوا بِالأَعْمَالِ ......، هَلْ تَنْتَظِرُونَ إِلَّا ..... مُنسيًا، أَوْ ..... مُطْغِيًا، أَوْ .... مُفسِدًا، أَوْ ...... مُفْنِدًا، أَوْ ....مُجْهِزًا، أَوْ الدَّجَّالَ .....غَائِبٍ يُنْتَظَرُ، أَوْ .... أَدْهَى وَأَمَرُّ».

٢-اذكري معنى المفردات الآتية : (٥درجات)

بادروا : .... مطغيًا : ....

مفندًا : .... مجهزًا : ....

أدهى : ....

٣-(أ) اذكري آية من كتاب الله تعالى تدعو للمسارعة إلى عمل الخير. (درجة)

(ب) في حديثٍ رواه الإمام البخاري ما يؤكد سنة رسول الله ﷺ في المسارعة للعمل الصالح ؛ اذكري هذا الحديث .(درجة)

٤- يقول رسول الله ﷺ : « بادروا بالأعمال سبعًا ... » الحديث .. عددي هذه المعوقات السبع ثم وضحي كيف يعيق الفقر عن المبادرة للعمل وكذلك الهرَم.(٥درجات)

٥- المبادرة بصالح الأعمال مما حثنا عليه رسولنا ﷺ ... اذكري نص الحديث. (درجتان)

٦- في هذا السياق أكملي الحديث الذي رواه الإمام مسلم : «بادروا بالأعمال الصالحة؛ فستكون فتن .... » (درجتان)

٧- الزوجة المسلمة الصالحة عليها واجب في حث زوجها ووليها على المبادرة للعمل الصالح ... وضحي ذلك في ستة نقاط.(٦درجات)

* * *

الحديث الخامس
تحريم العقوق وقطيعة الرحم

عن أبي محمد جبير بن مطعم رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : «لَا يَدْخُلِ الجَنَّـةَ قَاطِعٌ» (متفق عليه).

أولاً : معاني المفردات :

قاطع : قاطع رحم.

ثانيًا : في رحاب الحديث:

صلة الرحم من دوائر الإصلاح الموسعة التي أوصى الإسلام بالعناية بها، ومن الخطورة على الفرد والمجتمع شيوع عقوق الوالدين وقطيعة الأرحام؛ لأن ذلك يؤدي إلى مجتمع ممزق الأواصر والروابط، والحديث يبين خطورة الأمر على العاق وقاطع الأرحام في دنياه وآخرته .

والعقوق مشتق من العق وهو القطع والمراد به صدور ما يتأذى به الوالدان من ولدهما من قول أو فعل.

وفي رحاب الحديث يتضح: مفهوم الرحم وموقف الإسلام من قطيعتها، وعقوبات قاطع الرحم، وبركات صلة الأرحام.

١ – مفهوم الرحم وموقف الإسلام من قطيعتها:

والرحم الأقارب، وهم من بينك وبينهم نسب سواء كان هناك توارث أم لا، سواء كان ذا محرم أم لا .

ولكن بعض العلماء توسع في مفهوم الرحم فقالوا : أهل البلد إن عاشوا في بلد آخر والمسلمون إن عاشوا في غير بلاد الإسلام فهم رحم حتى يعودوا إلى بلادهم .

إن الإسلام دين المودة والمحبة ودين الألفة والاجتماع ودين التكافل والترابط بين البشر، فكلهم لآدم وكلهم من ذكر وأنثى، وإذا كان المجتمع الإنساني يشبه البنيان كان التماسك بين لبناته أساس قوته وصلابته وزيادة نفعه وطول بقائه، فإن تماسك المجتمع

البشري يبدأ بالأبوين وأبنائهما، فجاء الأمر أولًا ببر الوالدين، تلاه الأمر بصلة الرحم، ثم الإحسان إلى الجار المسلم وغير المسلم، ثم ابن السبيل وأمثاله. قال تعالى : ﴿وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنٗا وَبِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡجَارِ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡجَارِ ٱلۡجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلۡجَنۢبِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ﴾ [النساء:٣٦].

وموقف القرآن من قطيعة الأرحام يعلن الوعيد على هؤلاء الذين يقطعون أرحامهم، واعتبر قطيعة الأرحام لونا من ألوان الفساد في الأرض، وجعل عقاب ذلك الطرد من رحمة الله وسوء العاقبة في الآخرة .

قال سبحانه: ﴿وَٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهۡدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقۡطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفۡسِدُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱللَّعۡنَةُ وَلَهُمۡ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ﴿٢٥﴾﴾ [الرعد].

٢ - عقوبات قاطع الرحم:

عن أبي هريرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : « **أن الله تعالى خلق الخلق حتى إذا فرغ منهم قامت الرحم وقالت: هذا مقام العائذ بك من القطيعة. قال : نعم، أما ترضين أن أصل من وصلك وأقطع من قطعك ؟ قالت : بلى . قال : فذلك ، ثم قال رسول الله ﷺ: اقرءوا إن شئتم:** ﴿فَهَلۡ عَسَيۡتُمۡ إِن تَوَلَّيۡتُمۡ أَن تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَتُقَطِّعُوٓاْ أَرۡحَامَكُمۡ ﴿٢٢﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فَأَصَمَّهُمۡ وَأَعۡمَىٰٓ أَبۡصَٰرَهُمۡ ﴿٢٣﴾﴾ [محمد]» (متفق عليه).

وعن أبي هريرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : «**إن أعمال ابن آدم تعرض عشية خميس ليلة جمعة فلا يقبل عمل قاطع رحم**» (رواه البخاري في الأدب المفرد) .

والأجدر بنا جميعاً أن يخاف كل منا على طاعاته من صلاة وصيام وقيام وحج وتلاوة قرآن كريم وأمر بمعروف ونهي عن منكر أن لا تقبل هذه الأعمال بسبب قطيعة الأرحام .

وعن ابن أبي أوفي ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ: «**إن الرحمة لا تنزل على قوم فيهم قاطع رحم**» (رواه البخاري في الأدب المفرد) . قال الطيبي : يحتمل أن يراد بالقوم الذين يساعدونه على قطيعة الأرحام ولا ينكرون عليهم ... فعلى كل منا الحذر أن يكون من هذا الصنف.

بالنظر للحديث السابق ندرك خطورة وعقوبات قاطع الرحم الآتية :

* قاطع الرحم يقطعه الله ﷻ .

* تعجيل العقوبة له في الدنيا مع ما ينتظره من عذاب يوم القيامة .

* الحرمان من قبول الأعمال مهما كانت عظيمة .

* الحرمان من نزول رحمة الله .

* عدم فتح السماء بقبول الدعاء.

٣ - بركات صلة الأرحام :

١- عن أبي أيوب خالد بن زيد الأنصاري ﷺ: «أن رجلًا قال : يارسول الله، أخبرني بعمل يدخلني الجنة ويباعدني عن النار. فقال النبي ﷺ : **تعبد الله ولا تشرك به شيئا وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصل الرحم**» (متفق عليه).

٢- عن أنس بن مالك ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : «**من سره أن يمد له في عمره ويزاد له في رزقه فليبر والديه وليصل رحمه**» (قال المنذري: رواه أحمد ورجاله محتج بهم في الصحيح).

ثالثًا : جوانب تطبيقية مستفادة من الحديث :

* بيان أهمية صلة الرحم وثوابه للأسرة والأقربين والجيران .

* توضيح بركات صلة الرحم في مواقف عملية، والاستشهاد بالأدلة والنماذج الحياتية.

* التحذير من عقوبة قطع الأرحام، وخاصة على نطاق الأقارب الذين بعَّدت بينهم المسافات .

* الدعاء لذوي الأرحام الأموات باستمرار.

* تشجيع الأبناء على صلة الرحم من أصل الأب ولأم .

استعيني بهذه الوسائل لتعزيز قيمة صلة الرحم لديك:

* اعتبري كل آية وحديث وموقف من مواقف الصالحين في هذا الباب خطابا لك .

* معايشة الذين يحسنون الصلة بالأرحام .

* الدعاء بأن يوفقك الله لصلة الأرحام، والدعاء للأرحام بظاهر الغيب .

* التعهد بالسؤال وتفقد الأحوال والمساعدة في حل مشاكلهم.

* ترتيب زيارات دورية هادفة لذوي الأرحام .

* تقديم الهدايا والهبات والصدقات لذوي الأرحام.

* التواصل معهم أثناء السفر بوسائل مناسبة (هاتف ـ خطاب ـ ..... إلخ).

* التناصح والعدل لهم.

رابعًا : التقويم : (الدرجة النهائية ٢٠)

١- وضحي مفهوم الرحم . (درجتان)

٢- لقاطع الرحم عقوبات ولواصل الرحم بركات . وضحي ذلك مع الاستعانة بآيات من القرآن الكريم. (١٠ درجات)

٣- اذكري حديثًا نبويًا شريفًا يبين أهمية واصل الرحم. (٤ درجات)

٤- اذكري ثلاثة وسائل تعين على وصل الرحم من وجهة نظرك. (٤ درجات)

* * *

ثالثًا: العقيدة

الإيمان

بعد أن تتحقق المسلمة من سلامة العقيدة لديها بأركانها الستة (الإيمان بالله، الإيمان بالملائكة، الإيمان بالكتب السماوية، الإيمان بالرسل، الإيمان باليوم الآخر، الإيمان بالقدر خيره وشره)، يُطلب منها بعد ذلك البحث عن أدلة هذه العقيدة وآثارها لديها، وهو ما يستوجب توضيح هذه الأمور في السطور القادمة من خلال عرض الموضوعات التالية:

* مقدمة حول حقيقة الإيمان.
* أثر الإيمان بالله.
* أثر الإيمان بالملائكة.
* مقتضيات الإيمان بالكتب السماوية.
* الإيمان بالرسل والأنبياء.
* أثر الإيمان باليوم الآخر.
* أثر عقيدة الإيمان بالقدر.

* * *

١- حقيقة الإيمان

إن قضية الإيمان ليست أمرًا على هامش الوجود يمكن لنا أن نغفله أو نستخف به أو ندعه في زوايا النسيان، كيف وهو أمر يتعلق بوجود الإنسان ومصيره، بل إن قضية الإيمان هي أعظم قضية مصيرية بالنظر إلى الإنسان، إنها سعادة الأبد أو شقوته، إنها لجنة أبدًا أو لنار أبدًا، فكان لزامًا على كل فرد أن يفكر فيها ويطمئن إلى حقيقتها.

ونستوضح حقيقة الإيمان من خلال العناصر التالية:

بعض الحقائق عن الإيمان والإسلام، وحقيقة الإيمان الذي نريد إيقاظه، ومقتضيات الإيمان الحق، وبيان الفرق بين موقف صاحبة العقيدة وصاحبة الرأي.

١- بعض الحقائق عن الإيمان والإسلام:

* أصل الإيمان التصديق، وأصل الإسلام الاستسلام والانقياد.

* كل مؤمن مسلم وليس كل مسلم مؤمنا، فقد تكون المسلمة مؤمنة في بعض الأحوال ولا تكون مؤمنة في بعضها، والمؤمنة مسلمة في جميع الأحوال.

* حديث: «الإيمان بضع وسبعون شعبة...» يبين أن الإيمان اسم لمعنى ذي شعب وأجزاء له أدنى وأعلى، والاسم يتعلق ببعضها كما يتعلق بكلها، والحقيقة تقتضي جميع شعبه وتستوفي جملة أجزائه وفيه إثبات التفاضل في الإيمان وتباين المؤمنين في درجاته.

* الإيمان قول وعمل ويزيد وينقص. قال تعالى: ﴿وَيَزِيدُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ هُدًى﴾ [مريم:٧٦] وقال: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ زَادَهُمْ هُدًى﴾ [محمد:١٧] وقال: ﴿وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِيمَـٰنًا﴾ [المدثر:٣١].

* التصديق يكمل بالطاعات كلها، فكلما ازدادت المؤمنة من أعمال البر كان إيمانها أكمل، وبهذه الجملة يزيد الإيمان وبنقصانها ينقص؛ فمتى نقصت أعمال البر نقص كمال الإيمان، ومتى زادت زاد الإيمان كمالا، وأما التصديق بالله تعالى ورسوله ﷺ فلا ينقص؛ لأنه إذا نقص صار شكًّا وخرج عن اسم الإيمان.

* المعنى الذي نستحق به المدح والولاية من المؤمنين هو إتياننا لهذه الأمور الثلاثة: التصديق بالقلب، والإقرار باللسان، والعمل بالجوارح، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَـٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ

يَتَوَكَّلُونَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝٣ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا﴾ [الأنفال] فأخبرنا سبحانه وتعالى أن المؤمن من كانت هذه صفته.

* قيل: التصديق هو أول منازل الإيمان ويوجب للمصدق الدخول فيه، لكنه بذلك لم يستكمل منازله ولا يسمى مؤمنا كاملًا.

* المؤمنة تسعى دوما لزيادة الإيمان بالعمل الصالح، وتراقب هذه الزيادة وتقيسها في نفسها بعلامات الإيمان، وتحترس من التلبس بعلامات النفاق المؤدية إليه -والعياذ بالله- قال البخاري في صحيحه: قال ابن أبي مليكة: أدركت ثلاثين من أصحاب النبي ﷺ كلهم يخاف النفاق على نفسه. وهذا لا يمنع أن تقول الواحدة عن نفسها: أنا مؤمنة. أو: مؤمنة إن شاء الله.

٢ – حقيقة الإيمان الذي نريد إيقاظه:

الإيمان ليس مجرد إعلان المرء بلسانه أنه مؤمن، فما أكثر المنافقين الذين قالوا: آمنا. بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم، قال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ۝٨ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ۝٩﴾ [البقرة].

وهو ليس مجرد قيام بأعمال وشعائر اعتاد أن يقوم بها المؤمنون، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ۝١٤٢﴾ [النساء].

و هو ليس مجرد معرفة ذهنية بحقائق الإيمان، فكم من قوم عرفوا حقائق الإيمان ولم يؤمنوا، قال تعالى: ﴿وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾ [النمل:١٤]، وقال تعالى: ﴿وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة:١٤٦].

إن الإيمان في حقيقته ليس مجرد عمل لساني ولا عمل بدني ولا عمل ذهني فقط.

إنما الإيمان في حقيقته عمل نفسي يبلغ أغوار النفس ويحيط بجوانبها من إدراك وإرادة ووجدان، ولابد أن يبلغ هذا الإدراك العقلي حد الجزم الموقن واليقين الجازم الذي لا يزلزله شك ولا شبهة، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُواْ﴾ [الحُجُرات:١٥].

ولابد أن يصحب هذه المعرفة الجازمة إذعان قلبي وانقياد إرادي يتمثل في الخضوع والطاعة لحكم من آمن به مع الرضا والتسليم لله جل وعلا، قال تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾﴾ [النساء].

٣ - مقتضيات الإيمان الحق:

ولابد أن يتبع تلك المعرفة وهذا الإذعان حرارة وجدانية قلبية تبعث على العمل بمقتضيات العقيدة، والالتزام بمبادئها الخلقية والسلوكية، والجهاد في سبيلها بالمال والنفس، ولهذا نجد القرآن الكريم يصف المؤمنين فيقول: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُمْ دَرَجَاتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾﴾ [الأنفال].

والقرآن الكريم يعرض دائمًا الإيمان في أخلاق حية وأعمال ناصعة يتميز بها المؤمنون، قال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴿٢﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ ﴿٤﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ﴿٥﴾﴾ [المؤمنون]، وقال تعالى في وصف المؤمنين الصادقين: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴿١٥﴾﴾ [الحجرات].

فالإيمان تصديق القلب بالله ورسوله، التصديق الذي لا يرد عليه شك ولا ارتياب، التصديق المطمئن الثابت المستيقن الذي لا يتزعزع ولا يضطرب، ولا تهجس فيه الهواجس، ولا يتلجلج فيه القلب والشعور، والذي ينبثق منه الجهاد بالمال والنفس في سبيل الله، وهذا الانطلاق إلى الجهاد في سبيل الله بالمال والنفس هو انطلاق ذاتي من نفس المؤمن؛ يريد به أن يحقق الصورة الفرضية التي في قلبه حتى يراها في واقع الحياة والناس.

هذه العناصر والمقومات هي التي تكوِّن الإيمان الحق، وإن شئتِ قلتِ: العقيدة الحق. وإذا فُقِدَ بعض هذه العناصر فإن ما بقي منها لا يستحق أن يسمى إيمانًا أو عقيدة، بل يُسمى فكرة، أو نظرية، أو رأيًا [1].

(١) انظري الإيمان والحياة، د. يوسف القرضاوي.

٤- الفرق بين صاحبة العقيدة وصاحبة الهوى:

إن صاحبة الهوى تعتقد أنها ترى صوابا ما قد يكون في الواقع باطلًا، وهذا ما قامت الأدلة عليه اليوم، وقد تقوم الأدلة على عكسه غدًا، وقد يكون مخطئًا، وقد يكون مصيبًا، **أما صاحبة العقيدة** فجازمة، لا يوجد عندها شك ولا ظن، عقيدتها هي الحق لا محالة، هي الحق اليوم، وهي الحق غدًا، خرجت عن أن تكون مجالًا للدليل بعد الاقتناع والتصديق، وسمَت عن معترك الشكوك والظنون.

وصاحبة الهوى فاترة أو باردة إن تحقق ما ترى ابتسمت ابتسامة هادئة، وإن لم يتحقق فلا بأس، **وصاحبة العقيدة** متحمسة لا تهدأ إلا إذا حققت عقيدتها.

صاحبة الهوى سهل أن تتحول عند وجود الدليل أو عندما تظهر المصلحة في شكل دليل، **أما ذات العقيدة** فخير مظهر لها ما قال الرسول ﷺ: «**لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الذي جئت به ما تركته**» (حديث مشهور ضعيف، رواه أصحاب السير).

التقويم : (الدرجة النهائية ١٥)

١ - اختاري الإجابات مما بين القوسين :

الإيمان الصادق في حقيقته ...... (عمل لساني - عمل بدني - عمل ذهني - عمل نفسي يبلغ أغوار النفس). (٣ درجات)

٢ - القرآن الكريم يعرض دائمًا الإيمان في أخلاق حية وأعمال ناصعة يتميز بها المؤمن.. اكتبي مما تحفظي ما يدل على ذلك. (٤ درجات)

٣- لماذا كان الإيمان أعظم قضية مصيرية تخص الإنسان ؟ (٥درجات)

٤- ما الفرق بين صاحبة الرأي وصاحبة العقيدة ؟ (٣درجات)

* * *

٢- أثر الإيمان بالله

حينما تصل المسلمة إلى معرفة الله عن طريق العقل والقلب تثمر لها هذه المعرفة ثمارًا يانعة، وتترك في نفسها آثارًا طيبة، وتوجه سلوكها وجهة الخير والحق والسمو والجمال.

وهذه الآثار تتمثل في: تحرير النفس من عبودية غير الله، وبث روح الشجاعة والإقدام في النفس، والرغبة في الاستشهاد من أجل الحق، والاعتقاد بأن الله هو الرازق، وبعث السكينة في النفس والقلب، وسنتناول هذه الآثار في السطور التالية:

أ- تحرير النفس من عبادة غير الله:

ونعني هنا كل ما يمكن أن تخضع له النفس وتستجيب لنداءه فيما سوى الله، وهو: النفس والهوى والشيطان والناس، وذلك أن الإيمان يقتضي الإقرار بأن الله هو المحيي المميت الخافض الرافع الضار النافع، قال تعالى: ﴿قُل لَّآ أَمۡلِكُ لِنَفۡسِي نَفۡعٗا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ وَلَوۡ كُنتُ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ لَٱسۡتَكۡثَرۡتُ مِنَ ٱلۡخَيۡرِ وَمَا مَسَّنِيَ ٱلسُّوٓءُۚ إِنۡ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٞ وَبَشِيرٞ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ١٨٨﴾ [الأعراف].

والله تعالى واحد في ربوبيته؛ فهو رب السماوات والأرض ومن فيهن وما فيهن، خلق كل شيء فقدره تقديرًا، وأعطى كل شيء خلقه ثم هدى، ولا يستطيع أحد من خلقه أن يدعي أنه الخالق أو الرازق أو المدبر لذرة في السماء أو في الأرض: ﴿وَمَا يَنۢبَغِي لَهُمۡ وَمَا يَسۡتَطِيعُونَ ٢١١﴾ [الشعراء]، وهو تعالى واحد في ألوهيته؛ فلا يستحق العبادة إلا هو، ولا يجوز التوجه بخوف أو رجاء إلا إليه، فلا خشية إلا منه، ولا ذل إلا إليه، ولا طمع إلا في رحمته، ولا اعتماد إلا عليه، ولا انقياد إلا لحكمه، والبشر جميعًا سواء أكانوا أنبياء وصديقين أم ملوكًا وسلاطين عباد لله، لا يملكون لأنفسهم ضرًا ولا نفعًا ولا موتًا ولا حياة ولا نشورًا، فمن ألّه واحدًا منهم أو خشع له وحنى رأسه فقد جاوز به قدره ونزل بقدر نفسه.

«لا إله إلا الله» نداءٌ عالميٌّ لتحرير الإنسانية من عبودية الإنسان والطبيعة وكل من[1] خلق الله وما[2] خلق الله، وكانت «لا إله إلا الله» عنوان منهج جديد ليس من صنع حاكم ولا فيلسوف، إنه منهج الله الذي لا تُحنى الجباه إلا له، ولا تنقاد القلوب إلا

(١) يقصد به العاقل من المخلوقات.

(٢) يقصد به غير العاقل من المخلوقات.

لحكمه، ولا تخضع إلا لسلطانه، وكانت «لا إله إلا الله» إيذانًا بمولد مجتمع جديد يغاير مجتمعات الجاهلية، مجتمع متميز بعقيدته، متميز بنظامه، لا عنصرية فيه ولا إقليمية ولا طبقية؛ لأنه ينتمي إلى الله وحده، ولا يعرف الولاء إلا له سبحانه.

ب- بث روح الشجاعة والإقدام في النفس والرغبة في الاستشهاد من أجل الحق:

هبة العمر من الله، فالعمر لا ينقص بالإقدام، ولا يزيد بالإحجام، فكم من إنسان يموت على فراشه الوثير، وكم من إنسان ينجو وهو يخوض غمرات المعارك والحروب، قال تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ كِتَٰبًا مُّؤَجَّلًا ﴾ [آل عمران:١٤٥]. قال عز وجل: ﴿ وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ ظَنَّ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ۖ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ مِن شَىْءٍ ۗ قُلْ إِنَّ ٱلْأَمْرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِ ۗ يُخْفُونَ فِىٓ أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبْدُونَ لَكَ ۖ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَٰهُنَا ۗ قُل لَّوْ كُنتُمْ فِى بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ ٱلَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ ۖ وَلِيَبْتَلِىَ ٱللَّهُ مَا فِى صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِى قُلُوبِكُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴾ [آل عمران:١٥٤]، وقال تعالى: ﴿ أَيْنَمَا تَكُونُوا۟ يُدْرِككُّمُ ٱلْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِى بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ ﴾ [النساء:٧٨].

ولقد رأينا الناس لا يضعف نفوسهم شيء كالحرص على الحياة - وإن تكن ذليلة - والهرب من الموت - وإن تكن كريمة - ولا يغرس فيهم القوة شيء كالاستهانة بالحياة والإقبال على الموت في سبيل الحق الذي يعتقدونه، ولا شيء كالإيمان بالله وبالخلود، يهون على الإنسان لقاء الموت وفراق الحياة، ولقد رأينا سحرة فرعون حين آمنوا بالله والآخرة استهانوا بالدنيا ولم يجزعوا من الموت، يقولون لفرعون في ثبات الجبال: ﴿ فَٱقْضِ مَآ أَنتَ قَاضٍ ۖ إِنَّمَا تَقْضِى هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَآ ﴾ [طه:٧٢]. إنهم لا يحرصون على شيء عنده، ولا يخافون على شيء عندهم، فلماذا يهنون أو يضعفون، كلا، لقد انقلبوا من أعداء له إلى دعاة إليه؛ يبشرون وينذرون: ﴿ إِنَّآ ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَٰيَٰنَا وَمَآ أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ ٱلسِّحْرِ ۗ وَٱللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴾ [طه:٧٣].

وأعجب من مواقف الرجال مواقف المرأة المؤمنة في حين أنها لا تتمتع بما يتمتع به الرجال من قوة بدنية، فهذه ماشطة ابنة فرعون...

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لَمَّا كَانَتْ اللَّيْلَةُ الَّتِي أُسْرِيَ بِي فِيهَا، أَتَتْ عَلَيَّ رَائِحَةٌ طَيِّبَةٌ، فَقُلْتُ: يَا جِبْرِيلُ، مَا هَذِهِ الرَّائِحَةُ الطَّيِّبَةُ؟ فَقَالَ: هَذِهِ رَائِحَةُ مَاشِطَةِ ابْنَةِ فِرْعَوْنَ وَأَوْلادِهَا، قَالَ: قُلْتُ: وَمَا شَأْنُهَا؟ قَالَ: بَيْنَا هِيَ تُمَشِّطُ ابْنَةَ فِرْعَوْنَ

ذَاتَ يَوْمٍ ، إِذْ سَقَطَتْ الْمِدْرَى مِنْ يَدَيْهَا ، فَقَالَتْ : بِسْمِ الله. فَقَالَتْ لَهَا ابْنَةُ فِرْعَوْنَ : أَبِي ؟ قَالَتْ : لاَ ، وَلَكِنْ رَبِّي وَرَبُّ أَبِيكِ الله. قَالَتْ : أُخْبِرُهُ بِذَلِكَ ؟ قَالَتْ : نَعَمْ . فَأَخْبَرَتْهُ ، فَدَعَاهَا، فَقَالَ : يَا فُلاَنَةُ ؛ وَإِنَّ لَكِ رَبًّا غَيْرِي ؟ قَالَتْ : نَعَمْ ؛ رَبِّي وَرَبُّكَ الله . فَأَمَرَ بِبَقَرَةٍ مِنْ نُحَاسٍ فَأُحْمِيَتْ ، ثُمَّ أَمَرَ بِهَا أَنْ تُلْقَى هِيَ وَأَوْلاَدُهَا فِيهَا ، قَالَتْ لَهُ : إِنَّ لِي إِلَيْكَ حَاجَةً ، قَالَ: وَمَا حَاجَتُكِ ؟ قَالَتْ : أُحِبُّ أَنْ تَجْمَعَ عِظَامِي وَعِظَامَ وَلَدِي فِي ثَوْبٍ وَاحِدٍ وَتَدْفِنَنَا. قَالَ : ذَلِكَ لَكِ عَلَيْنَا مِنْ الحقِّ ، قَالَ : فَأَمَرَ بِأَوْلاَدِهَا فَأُلْقُوا بَيْنَ يَدَيْهَا وَاحِدًا وَاحِدًا إِلَى أَنْ انْتَهَى ذَلِكَ إِلَى صَبِيٍّ لَهَا مُرْضَعٍ ، وَكَأَنَّهَا تَقَاعَسَتْ مِنْ أَجْلِهِ ، قَالَ : يَا أُمَّهْ ؛ اقْتَحِمِي فَإِنَّ عَذَابَ الدُّنْيَا أَهْوَنُ مِنْ عَذَابِ الآخِرَةِ ، فَاقْتَحَمَتْ » . قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما : تَكَلَّمَ أَرْبَعَةُ صِغَارٍ : عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ عليه السلام ، وَصَاحِبُ جُرَيْجٍ ، وَشَاهِدُ يُوسُفَ ، وَابْنُ مَاشِطَةِ ابْنَةِ فِرْعَوْنَ (١) .

كما رأينا شهيد الإسلام سيد قطب حين طلب منه أن يكتب اعتذارًا ويعقبه بثناء على الطغاة مقابل أن يخفف عنه حكم الإعدام، فقال كلمته التي سطرها التاريخ بأحرف من نور: «إن حوكمت بحق فأنا أرتضي الحق، وإن حوكمت بباطل فأنا أكبر من أن استرحم الباطل، وإن إصبعي السبابة الذي يشهد لله بالوحدانية في الصلاة يأبى أن يخط ثناء يستجدي به طاغية».

وعندما صدر الحكم على الداعية زينب الغزالي سألها أخواتها فقالت: (أختكم زينب الغزالي الجبيلي خمسة وعشرون سنة في سبيل الله).

ذلك هو شأن الإيمان إذا عمقت جذوره وقوي سلطانه على النفس؛ أن يمد صاحبه بيقين لا يهن وهمة لا تني (٢) وأمل لا يخبو ودافع لا يتوقف وعزم لا يخور، وهو يملك الدنيا ولكنها لا تملكه، ويجمع المال ولكنه لا يستعبده، وتحيط به النعمة ولكنها لا تبطره، وينزل به البلاء ولكنه لا يقهره، ولا تزيده الشدائد إلا عزيمة مع عزيمته وقوة مع قوته، كالذهب الأصيل لا تزيده النار إلا نقاءً وصفاءً.

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في " المسند " (١/ ٣٠٩) ، والطبراني (١٢٢٨٠) ، وابن حبان (٢٩٠٣)، والحاكم (٢/ ٤٩٦).

(٢) لا تني: أي لا تضعف.

ج- الاعتقاد بأن الله هو الرازق:

وتوقن المسلمة أن الرزق لا يسوقه حرص حريص ولا يرده كراهية كاره، قال تعالى: ﴿وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا ۚ كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴿٦﴾﴾ [هود]، ﴿وَكَأَيِّن مِّن دَابَّةٍ لَّا تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ ۚ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٦٠﴾﴾ [العنكبوت]، ﴿اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ ۚ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٦٢﴾﴾ [العنكبوت].

وإذا تمكنت هذه العقيدة من نفس المسلمة تخلصت من رذيلة البخل والحرص والشره والطمع، واتصفت بفضيلة الجود والشماء والأنفة والعفة، وكانت مأمولة الخير مأمونة الشر.

وقد كان الرجل يذهب إلى الميدان مجاهدًا في سبيل الله فيعترض سبيله المثبطون ويخوفونه من ترك أولاده، فيقول: علينا أن نطيعه تعالى كما أمرنا، و يرزقنا كما وعدنا.

وكان المعوِّقون والمخَذِّلون يذهبون إلى المرأة فيثيرون مخاوفها على رزقها ورزق عيالها إذا ذهب زوجها إلى الجهاد، فتجيبهم في ثقة واطمئنان: زوجي عرفته أكَّالًا ولم أعرفه رزَّاقًا، فإن ذهب الأكال فقد بقي الرزاق.

وها هي أمنا خديجة ﵂ تقول لزوجها ﷺ: (والله لا يخزيك الله أبدا)، وهذه أمنا هاجر قالت لزوجها لما علمت أن الله هو الذي أمره بالخروج إلى مكة: (إذن لن يضيعنا).

بهذه العقيدة تعيش المؤمنة حياتها آمنة على رزقها، مطمئنة إلى أنَّ الله لن يهلكها جوعًا، وهو الذي يطعم الطير في الوُكُنَاتِ [(١)] والسباع في الفَلَوات [(٢)] والأسماك في البحار والديدان في الصخور.

د- بعث السكينة في النفس والقلب:

قال تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾﴾ [الرعد] ، ﴿هُوَ الَّذِي أَنزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَّعَ إِيمَانِهِمْ﴾ [الفتح:٤]. ولذا كان توجيه المصطفى ﷺ لفاطمة حينما ذهبت إليه تطلب خادمة أن تسبح

---

(١) الوُكُنَات: عش الطائر.

(٢) الفلوات: الصحاري.

ثلاثًا وثلاثون ، وتحمد ثلاثًا وثلاثون، وتكبر أربعًا وثلاثون عندما تأوي إلى الفراش .

إن السكينة في قلب المسلمة ثمرة من ثمار دوحة الإيمان، وشجرة التوحيد الطيبة التي تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها، فهي نفحة من السماء، ينزلها الله على قلوب المؤمنين من أهل الأرض؛ ليثبتوا إذا اضطرب الناس، ويرضوا إذا سخط الناس، ويوقنوا إذا شك الناس، ويصبروا إذا جزع الناس، ويحلموا إذا طاش الناس.

هذه السكينة روح من الله، ونور يسكن إليه الخائف، ويطمئن عنده القلق، ويتسلى به الحزين، ويستروح به المتعب، ويقوى به الضعيف، ويهتدي به الحيران.

هذه السكينة نافذة على الجنة، يفتحها الله للمؤمنين من عباده، منها تهب نسماتها وتشرق عليهم أنوارها، ويفوح شذاها وعطرها؛ ليذيقهم بعض ما قدموا من خير، ويريهم نموذجًا صغيرًا لما ينتظرهم من نعيم، فينعموا من هذه النسمات بالروح والإيمان والسلام والأمان.

- ومن الأمور التي توفر السكينة لدى المؤمنة ما يلي:

أ - الاستجابة لنداء الفطرة:

إن أول أسباب السكينة لدى المؤمنة أنها قد هديت إلى فطرتها التي فطرها الله عليها، وهي فطرة متسقة كل الاتساق مع فطرة الوجود كله، فتعيش المؤمنة مع فطرتها في سلام ووئام، لا في حرب وخصام، إن في فطرة الإنسان فراغًا لا يملؤه علم ولا ثقافة ولا فلسفة، وإنما يملؤه الإيمان بالله ﷻ، يقول ابن القيم ؒ: «في القلب شعث لا يلمه إلا الإقبال على الله، وفيه وحشة لا يزيلها إلا الأنس بالله، وفيه حزن لا يذهبه إلا السرور بمعرفته وصدق معاملته، وفيه قلق لا يسكنه إلا الاجتماع عليه والفرار إليه، وفيه نيران حسرات لا يطفئها إلا الرضا بأمره ودوام ذكره وصدق الإخلاص له، ولو أعطي الدنيا وما فيها لم تسلك تلك الفاقة أبدًا» [1].

ب- اهتداء المؤمنة إلى سر وجودها:

إن في أعماق كل إنسان أصواتًا خفية تناديه، وأسئلة تلحُّ عليه تنتظر الجواب الذي يُذْهب بالقلق وتطمئن به النفس: من الإنسان ؟ من أين جاء ؟ من خلقه ؟ من يدبر أمره؟

---

(١) انظر: مدارج السالكين، ٢/ ١٦٤.

ما هدفه؟ ما الحياة ؟ ما الموت ؟ أي مستقبل ينتظرنا بعد هذه الحياة ؟ هل يوجد شيء بعد هذه الحياة العابرة؟ وما علاقتنا بهذا الخلود ؟

كل هذه الأسئلة التي أَلَحَّتْ على الإنسان من يوم خُلِق، وستظل إلى أن تطوى صفحة الحياة؛ لم ولن تجد لها من أجوبة شافية إلا في العقيدة الإسلامية؛ إن الوحي وحده هو السبيل للوصول إلى اليقين، وبغير اليقين لن تكون سكينة، وبغير السكينة لن تكون سعادة.

ج- الحياة في معية الله :

إن شعور المؤمنة بأن يد الله في يدها وأن عنايته تسير بجانبها، وأنها محوطة بعينه التي لا تنام، وأنه معها حيث كان يطرد عنها شبح الوحدة المخيف، ويزيح عن نفسها كابوسها المزعج، كيف تشعر بالوحدة من تقرأ كتاب ربها: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿١١٥﴾﴾ [البقرة]، ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤﴾﴾ [الحديد]، إنها لا تشعر إلا بما شعر به سيدنا موسى ﷺ حين قال لبني إسرائيل: ﴿قَالَ كَلَّآ ۖ إِنَّ مَعِىَ رَبِّى سَيَهْدِينِ ﴿٦٢﴾﴾ [الشعراء].

إن شعور المؤمنة بِمَعِيَّةِ الله وصحبته دائما تجعلها في أنس دائم بربها ونعيم موصول بقربه، تحس أبدًا بالنور يغمر قلبها ولو أنه في ظلمة الليل البهيم، وتشعر بالأنس يملأ عليها حياتها وإن كانت في وحشة من الخلطاء المعاشرين، تنشر ما قاله العبد الصالح يناجي ربه:

إن قلبا أنت ساكنه ... غير محتاج إلى السرج
وجهك المأمول حجتنا ... يوم يأتي الناس بالحجج

د- الحياة بعيدا عن «لو» و«ليت» :

من أهم العوامل التي تفقد المسلمة سكينة القلب وأمنها ورضاها هو تحسرها على الماضي وسخطها على الحاضر وخوفها من المستقبل، إن بعض الناس تنزل بهم النازلة من مصائب الدهر فتظل فيهم شهورًا وأعوامًا يجترون آلامها ويستعيدون ذكرياتها القاتمة، متحسرين تارة ومتمنين أخرى، شعار أحدهم: ليتني فعلت، وليتني تركت، لو أني فعلت كذا لكان كذا.

إن شعار المؤمنة دائمًا: «قدّر الله وما شاء فعل.....الحمد لله على كل حال»، وبهذا لا تأسى على ما فات، ولا تحيا في خضم اليوم من الذكريات، وحسبها تلاوة قوله تعالى: ﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١١﴾ ﴾ [التغابن]، وهذا يسبغ عليها أيضًا نعمة الرضا واليقين.

لما مات أخو الخنساء في الجاهلية ظلت ترثيه وتبكيه شهرًا في جزع وهلع سنين طويلة، لكن لما استشهد أولادها في الإسلام قالت: الحمد لله الذي شرفني باستشهادهم في سبيله. في رضا وطمأنينة بعد أن دخل نور الإيمان قلبها ورضت بقضاء الله وقدره.

* * *

٣- أثر الإيمان بالملائكة

لا تكتمل حقيقة الإيمان لدى المسلمة إلا إذا آمنت بذلك العالم الروحي إيمانًا لا يتطرق إليه الشك ولا تتسرب إليه الظنون، وهذا هو منهج الأنبياء والمؤمنين الذين انكشفت الحقائق أمام أبصارهم، فأدركوا من الكون ما لم يدركه الغافلون.

قال تعالى: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦ﴾ [البقرة:٢٨٥].

هذا العالم الغيبي لا يمكن لإنسٍ أو جنٍّ أو شيطانٍ أن يدركه بالحواس فضلا عن الوصول إليه، قال تعالى: ﴿لَّا يَسَّمَّعُونَ إِلَى ٱلۡمَلَإِ ٱلۡأَعۡلَىٰ وَيُقۡذَفُونَ مِن كُلِّ جَانِبٖ ۝٨﴾ [الصافات]، ومن ثم كان طريق معرفته الوحي؛ قال تعالى: ﴿مَا كَانَ لِيَ مِنۡ عِلۡمِۭ بِٱلۡمَلَإِ ٱلۡأَعۡلَىٰٓ إِذۡ يَخۡتَصِمُونَ ۝٦٩ إِن يُوحَىٰٓ إِلَيَّ إِلَّآ أَنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٞ مُّبِينٌ ۝٧٠﴾ [ص].

والمؤمنة التي عرفت ما يلزمها اعتقاده في الملائكة تبحث عن آثار هذا الإيمان في نفسها وعلى سلوكها.

وسنتاول فيما يلي أهم هذه الآثار:

أ- سمو الروح والتدليل على صدق التسليم بالغيب:

إن في الاتصال بالملائكة سموٌّ للروح وتحقيق للحكمة الإلهية التي خلق الإنسان من أجلها؛ وهي أداء أمانة الحياة والقيام بالخلافة عن الله في الأرض، ولهذا كان الإيمان بالملائكة من البر، ومن دلائل الصدق والتقوى؛ قال تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلۡبِرَّ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ﴾ [البقرة:١٧٧].

ب- الوقاية من الوقوع في الخرافات المتعلقة بالجن:

فالله ﷻ جنبنا بما أطلعنا عليه من أمر هذه الأرواح المؤمنة وأفعالها الوقوع في الخرافات والأوهام التي وقع فيها من لا يؤمنون بالغيب ولا يتلقون معارفهم عن الوحي الإلهي.

ج- الاستقامة على أمر الله:

فإنه من يستشعر بقلبه وجود الملائكة جنود الله، ويؤمن برقابتهم لأعماله وأقواله، وشهادتهم على كل ما يصدر عنه لَيستحي من الله ومن جنوده؛ فلا يخالفه ولا يعصيه، لا

في السر ولا في العلانية، إذ كيف له ذلك وهو يعلم أن كل شيء محسوب ومكتوب ومشهود عليه.

د- تأكيد معاني الثبات عل الحق:

فعلى المؤمنة أن تتعلم معاني الثبات على الحق؛ كالصبر ومواصلة الجهاد في سبيل الله تعالى وعدم اليأس والشعور بالأنس والطمأنينة، فهذه المعاني من لوازم الإيمان بالملائكة وما أخبر الله من أفعالها وأحوالها؛ فعندما تصبح المؤمنة غريبة في وطنها وبين أهلها وتجد منهم الاستهزاء والتخذيل والتثبيط عن طاعة الله والاستقامة على أمره، هنا تجد المؤمنة أنيسًا رفيقًا يصحبها ويرافقها ويواسيها ويصبرها ويطمأنها ويشجعها على مواصلة السير على درب الهدى، فهذه جنود الله معها: تعبد الله كما تعبد، وتتجه إلى خالق السماوات والأرض كما تتجه، وتبارك خطواتها وتشد من أزرها وتذكرها بالخير عند ربها، فهي إذًا ليست وحدها في الطريق إلى الله، ولكنها تسير مع الركب العظيم ومع الأكثرية من مخلوقات الله عز وجل: مع الملائكة الكرام ومع الأنبياء عليهم السلام ومع السماوات والأرض، فهم الأكثر رفيقًا، وهم الأقوى سندًا، فتجعلها هذه المشاعر الصادقة صابرة مطمئنة لا يزيدها صدود الناس إلا ثباتا وجهادًا.

وفي ختام الكلام عن علاقة الملائكة بالإنسان وأثرهم في أعماله الإرادية وغير الإرادية نثبت كلمة لابن قيم الجوزية رحمه الله تعالى في كتابه (إغاثة اللهفان من مكايد الشيطان): «والملائكة الموكلة بالإنسان من حين كونه نطفة إلى آخر أمره لهم وله شأن آخر؛ فإنهم موكلون تخليقه ونقله من طور إلى طور، وتصويره وحفظه في أطباق الظلمات الثلاث، وكتابة رزقه وعمله وأجله وشقاوته وسعادته، وملازمته في جميع أحواله، وإحصاء أقواله وأفعاله، وحفظه في حياته، وقبض روحه عند مماته، وعرضها على خالقه وفاطره، وهم الموكلون بعذابه ونعيمه في البرزخ وبعد البعث، وهم الموكلون بعمل آلات النعيم والعذاب، وهم المثَبِّتونَ للعبد المؤمن بإذن الله، والمعلمون له ما ينفعه، والمقاتلون الذائدون عنه، وهم أولياؤه في الدنيا والآخرة، وهم الذين يَعِدُونَه بالخير ويدعونه إليه، وينهونه عن الشر ويحذرونه منه، فهم أولياؤه وأنصاره وحفظته ومعلموه وناصحوه والداعون له والمستغفرون له، وهم الذين يصلون عليه ما دام مطيعًا لربه، ويصلون عليه ما دام يعلم الناس الخير، ويبشرونه بكرامة الله تعالى في منامه وعند موته ويوم بعثه، وهم الذين يزهدونه في الدنيا ويرغبونه في الآخرة، وهم الذين يذكرونه إذا نسي، وينشطونه إذا

كسل، ويثبتونه إذا جزع، وهم الذين يسعون في مصالح دنياه وآخرته، وهم الذين يدعون الله له ولآبائه ولزوجته وأولاده بهذا الدعاء الرباني: ﴿رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِي وَعَدتَّهُمْ وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ﴾ [غافر:٨]، فهم رسل الله في خلقه وأمره وسفراؤه بينه وبين عباده، تتنزل بالأمر من عنده سبحانه في أقطار العالم وتصعد إليه بالأمر».

* * *

٤- مقتضيات الإيمان بالكتب السماوية

أكد القرآن المجيد ضرورة الإيمان بما أنزل الله من كتب في مواطن متعددة من المصحف الشريف، قال تعالى: ﴿ قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ١٣٦ ﴾ [البقرة] ، فالإيمان مرتبط بكل ما أنزل الله على جميع أنبيائه، ولا يمكن تجزئة هذا الإيمان أو الاختيار فيه والانتقاء، وقد أطلق القرآن لفظ "الكتاب" على ما جاء به الأنبياء؛ لأنه يكتب ويحفظ ويتداول، قال تعالى: ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ ﴾ [البقرة:٢٨٥].

والإيمان بالكتب المقدسة يكون تفصيلًا فيما فصله القرآن، وإجمالًا فيما أجمله ، والكتب التي جاء ذكرها بالتعيين هي: صحف إبراهيم، وتوراة موسى، وزبور داود، وإنجيل عيسى.

ثم جاء القرآن الكريم ختاما والذي أمرنا أن نتعبد بتلاوته وتدبره وحفظه، فإن من يبتغي الحق ويريد الوصول إلى التعاليم الإلهية الصحيحة لا يجد أمامه غير القرآن الكريم، فهو الكتاب الذي حُفِظت أصوله، وسَلِمت تعاليمه، وتلقته الأمة عن الرسول ﷺ عن جبريل عليه السلام عن الله ﷻ ، وهو ما لم يتوفر لغيره من الكتب السماوية، وإنه الجامع لأسمى المبادئ وأقوم المناهج وخير النظم، والحافل بكل ما يحتاج إليه البشر من حيث العقائد والعبادات والآداب والمعاملات والنظم، إنه الكفيل بتكوين الفرد الكامل والأسرة الفاضلة والمجتمع الصالح والحكومة العادلة والكيان القوي الذي يقيم الحق والعدل ويرفع الظلم ويدفع العدوان، وإنه الوسيلة الوحيدة لتحقيق الخلافة ووراثة الأرض، قال الله تعالى: ﴿ قَدۡ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٞ وَكِتَٰبٞ مُّبِينٞ ١٥ يَهۡدِي بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضۡوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِهِۦ وَيَهۡدِيهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ١٦ ﴾ [المائدة].

- ويقتضي الإيمان بهذا الكتاب واجبات منها:

أ- تلاوة وتدبر القرآن:

فقد ورد الأمر بتلاوته في أول آية نزلت من القرآن: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴿١﴾﴾ [العلق]، وقد تكرر الأمر بتلاوته وقراءته في مثل قوله تعالى: ﴿أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا ﴿٤﴾﴾ [المزمل]، وقوله تعالى: ﴿ ٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ ﴾ [العنكبوت:٤٥].

وعلى المسلمة مراعاة آداب التلاوة؛ فلا تقرأ إلا في تؤدة وتدبر، يقول الله تعالى: ﴿وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا ﴿١٠٦﴾﴾ [الإسراء]، ورسوله ﷺ يأمرنا بتلاوة القرآن فيقول: «**اقْرَءُوا الْقُرْآنَ فَإِنَّهُ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ شَفِيعًا لِأَصْحَابِهِ**»(حديث صحيح، رواه أحمد ومسلم، واللفظ له).

وكذلك أمرنا الله عز وجل بالتدبر فقال: ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿١٧﴾﴾ [القمر]، ويقول تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٩﴾﴾ [ص]، ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴿٢٤﴾﴾ [محمد].

وثمرة التلاوة التي يصحبها التدبر إنما هي زيادة الإيمان وثبات اليقين، يقول تعالى: ﴿وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾﴾[الأنفال].

ب- المعايشة بالقرآن:

ويكون ذلك بتحقيق القرآن في واقع حياتنا؛ فنأتمر بما أمر، وننتهي عما نهى، ونتخلق بآدابه ونتحاكم إليه في كل شئوننا: ﴿ذَٰلِكُمْ حُكْمُ ٱللَّهِ ۖ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ ﴾[الممتحنة:١٠]، وقد سئلت السيدة عائشة عن خُلُقِ النبي ﷺ الشريف فقالت: «كَانَ خُلُقُهُ الْقُرْآنَ، أَمَا تَقْرَأُ الْقُرْآنَ قَوْلَ الله ﷻ: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾﴾ [القلم]» (حديث صحيح، رواه أحمد).

ويقول الإمام أحمد بن حنبل مستوعبا لتلك الواجبات: «من لم يقرأ القرآن فقد هجره، ومن قرأه ولم يفهمه فقد هجره، ومن قرأه وفهمه ولم يعمل به فقد هجره، وهو ممن قيل فيهم: ﴿ وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِى ٱتَّخَذُوا۟ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا ﴿٣٠﴾﴾ [الفرقان].

ج- أن نعرف قدر هذا القرآن:

على المسلمة أن تعرف قدر هذا القرآن، وأن الله ﷻ عندما ذكر بركته النامية ونعماءه

على الناس أجمعين اختار لذلك طريقين؛ قال تعالى: ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝١﴾ [الملك] ، وقال ﷻ: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ۝١﴾ [الفرقان].

إن هذا القرآن عالم آخر من المعاني والمشاعر والهدايا والتوجيهات يضارع أو يساوي العالم الكبير الذي تدور أفلاكه ولا نعرف آماده ولا نهاياته، هذا هو القرآن الذي اعتمد عليه نبينا ﷺ وهو يهدي الإنسانية إلى ما فيه الخير للعباد.

د- العمل على التمكين لدين الله في الأرض والتحاكم لشريعته:

إن كانت المرأة لا تتقلد دروع الحروب وتقف في صفوف الجهاد ولا تتولى مناصب الرئاسة العليا، فهذا كله لا يعفيها من دورها في الدعوة إلى الله ولتحكيم كتاب الله وإفساح الطريق ليسود الإسلام، فهي تشارك الرجل في المجتمع وتنفرد بالمجتمعات النسائية وتساند الرجل وتآزره ليتفرغ لما يختص به.

إن المقتضى الفطري للإيمان أن نتحاكم إلى أمره وشرعه ومنهجه وتكون التلبية الكاملة هي البديهية الفطرية، فأما حين نصد ونأبى فهذه مخالفة للبديهة الفطرية [١]، قال تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ۝٦٥﴾ [النساء]. فيقسم الله ﷻ بذاته العلية أنه لا يؤمن مؤمن حتى يحكِّم رسول الله ﷺ في أمره كله، ثم يمضي راضيًا بحكمه مسلِّمًا بقضائه، ليس في صدره حرج منه، ولا في نفسه تلجلج في قبوله.

* * *

(١) في ظلال القرآن، [illegible] قطب، بتصرف.

٥- الإيمان بالرسل والأنبياء

نتناول في هذا الموضوع: المقصود بالإيمان بالأنبياء والرسل، والصفات الضرورية للأنبياء، والأمور التي تفرد بها الأنبياء دون البشر، وطرق إعلام الله أنبياءه ورسله، المعجزات وآيات خاتم الأنبياء والمرسلين ﷺ، وكيف نؤدي حق النبي ﷺ علينا .

أ - المقصود بالإيمان بالأنبياء والرسل:

التعريف المختار للتفرقة بين الرسول والنبي هو: أن الرسول من أوحي إليه بشرع جديد والنبي هو المبعوث بتقرير شرع من قبله.

الإيمان بالرسل والأنبياء واجب؛ لأنه أصل من أصول الدين، من أخل به كفر، قال تعالى: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ... ﴾ الآية [البقرة:٢٨٥].

وعلى المسلمة أن تؤمن إجمالا بجميع أنبياء الله ورسله بدون حصر؛ لأن حصرهم غير معلوم بنص القرآن لقوله ﷻ: ﴿وَرُسُلٗا قَدۡ قَصَصۡنَٰهُمۡ عَلَيۡكَ مِن قَبۡلُ وَرُسُلٗا لَّمۡ نَقۡصُصۡهُمۡ عَلَيۡكَۚ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا ١٦٤ رُّسُلٗا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةُۢ بَعۡدَ ٱلرُّسُلِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمٗا ١٦٥﴾ [النساء]، ويجب الإيمان تفصيلًا بالأنبياء الذين ورد ذكرهم في القرآن الكريم، وعددهم أربعة وعشرون، وهم حسب ترتيب وجودهم: (١)آدم، (٢)إدريس، (٣)نوح، (٤)هود، (٥)صالح، (٦)إبراهيم، (٧)لوط، (٨)إسماعيل، (٩)إسحاق، (١٠)يعقوب، (١١)يوسف، (١٢)أيوب، (١٣)شعيب، (١٤)موسى، (١٥)هارون، (١٦)يونس، (١٧) داود، (١٨)سليمان، (١٩)إلياس، (٢٠)اليسع، (٢١)زكريا، (٢٢)يحيى، (٢٣)عيسى، (٢٤)محمد عليهم الصلاة والسلام، وعدّ أكثر المفسرين منهم (٢٥) ذا الكفل، فيكون عددهم خمسة وعشرين رسولًا، وأولو العزم من الرسل عددهم خمسة على الترتيب الآتي مبدوءا بأعلاهم منزلة: محمد-إبراهيم-موسى-عيسى-نوح عليهم الصلاة والسلام، قال تعالى: ﴿فَٱصۡبِرۡ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلۡعَزۡمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ﴾ [الأحقاف:٣٥]، وسُموا بذلك؛ لأنهم صبروا على أذى قومهم، وصبروا على المشاق والمتاعب، وتحملوا أكثر من غيرهم.

لذلك كله تجد العلماء عرفوا للرسل مكانتهم، ووضعوهم في الموضع اللائق بهم

بالنسبة للحاجة إليهم، وضرورة الأخذ بما جاءوا به من دين، فيقول ابن القيم في ذلك: «إنه لا سبيل إلى السعادة والفلاح لا في الدنيا ولا في الآخرة إلا على أيدي الرسل، ولا سبيل إلى معرفة الطيب والخبيث على التفصيل إلا من جهتهم، ولا يُنال رضا الله ألبتة إلا على أيديهم، فالطيب من الأعمال والأقوال والأخلاق ليس إلا هديهم وما جاءوا به، فهم الميزان الراجح الذين على أقوالهم وأعمالهم وأخلاقهم توزن الأقوال والأخلاق والأعمال، وبمتابعتهم يميز أهل الهدى من أهل الضلالة، فالضرورة إليهم أعظم من ضرورة البدن إلى روحه، والعين إلى نورها، والروح إلى حياتها، فأية ضرورة وحاجة فُرضت فضرورة العبد وحاجته إلى الرسل فوقها بكثير».

وإذا كانت سعادة العبد في الدارين معلقة باقتفاء آثارهم خصوصًا إمامهم النبي الخاتم محمد ﷺ، فيجب على كل من نصح نفسه وأحب نجاتها وسعادتها أن يعرف من هديهم وسيرتهم وشأنهم ما يخرج به عن الجاهلية، ويدخل به في عداد أتباعهم وشيعتهم وحزبهم، والناس في هذا بين مستقل ومستكثر ومحروم، والفضل بيد الله يؤتيه من يشاء، والله ذو الفضل العظيم.

ب- الصفات الضرورية للأنبياء(1):

جملة ما يجب للأنبياء أربع صفات:

الصفة الأولى: الذكورة:

فلا تكون النبوة والرسالة لأنثى، قال الله تعالى:

﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ إِلَّا رِجَالٗا نُّوحِيٓ إِلَيۡهِم﴾[يوسف:١٠٩]، وكان هذا القضاء والحكم من الله بحصر الرسالة والنبوة في الرجال لحكمة يقتضيها المقام:

١- إن الرسالة تقتضي الاشتهار بالدعوة ومخاطبة الرجال والنساء، ومقابلة الناس في السر والعلانية، والانتقال في فجاج الأرض، ومواجهة المكذبين ومحاجتهم ومخاصمتهم.

٢- الرسالة تقتضي قوامة الرسول على من يتابعه، فهو في أتباعه الآمر الناهي، وهو فيهم الحاكم والقاضي، ولو قامت بذلك امرأة لم يتم ذلك على الوجه الأكمل، ولاستنكف أقوام عن الاتباع والطاعة.

---

(١) انظري هذا المبحث في: د.عمر سليمان الأشقر، الرسل والرسالات، ص(٨٤ - ٨٥).

٣- يكون في المرأة ما يعطلها عن كثير من الوظائف والمهمات، كالحيض والحمل والولادة، وما يصاحب ذلك من اضطرابات نفسية وأوجاع وآلام، عدا ما يتطلبه الوليد من عناية، وكل ذلك مانع من القيام بأعباء الرسالة وتكاليفها ولكنها ترقى إلى درجة الصديقية التي تلي درجة النبوة كالسيدة مريم والصديقة بنت الصديق (عائشة ﵂).

واعلمي أنه لا يتنافى مع هذه الحقيقة إسناد الوحي إلى أم موسى في مثل قوله تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ﴾ [القصص:٧]، إذ الوحي المسند إلى مثل أم موسى إنما هو بمعنى الإلهام[١]، وهو قدر مشترك للناس كلهم، وقد أسند الله الوحي إلى النحل، فقال: ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ أَنِ ٱتَّخِذِى مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴿٦٨﴾﴾ [النحل]، وهو لا يعني النبوة ولا يستلزمها.

الصفة الثانية: الأمانة:

ونعني بها الصدق وحفظ الله لظواهرهم وبواطنهم عن التلبيس بأي منهي عنه، إذ لو لم يكونوا كذلك لكانت بعثتهم إلى الناس عبثًا، وهو محال على الله ﷻ كما قد علمت.

وهذا يعني أن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام معصومون عن الكذب، خصوصًا فيما يتعلق بأمر الشرائع وتبليغ الأحكام وإرشاد الأمة، أما عمدًا فبالإجماع، وأما سهوًا فعند جمهور المسلمين[٢].

الصفة الثالثة: العصمة عن الوقوع في الذنوب:

وفي هذه الصفة تفصيل يجب الوفاء به، وهو أن الذنوب تختلف في الخطورة، فالكفر وتعمد ارتكاب الكبائر محال عليهم قبل النبوة وبعدها بالإجماع.

واعلمي أن الخطأ في الاجتهاد ليس داخلًا في شيء من الذنوب التي ثبتت عصمة الأنبياء عنها؛ إذ الاجتهاد عبادة يثاب عليها المجتهد -أصاب أو أخطأ- ولكن ثبت أن الأنبياء لا يتركهم الله على الخطأ في الاجتهاد، بل لابد أن يأتيهم الوحي ببيان ما هو الأصوب أو الأكمل في علم الله ﷻ، ومما لا يخفى أن هذا التصويب الذي يأتي به الوحي دليل من أقوى الأدلة على نبوة النبي ﷺ، وعلى أنها ليست أفكارًا داخلية أو شعورًا وجدانيًا كما يتصوره المشككون والمنافقون.

---

(١) الإلهام: إيقاع شيء في القلب يطمئن له الصدر، يخص به الله سبحانه بعض أصفيائه من الأنبياء وغيرهم.

(٢) كبرى اليقينيات الكونية، ص ٢٠٣.

الصفة الرابعة: كمال العقل والضبط والعدالة:

إذ هي من مستلزمات أداء الرسالة التي كلف بتبليغها، ويستحيل أن يكون الرسول ناقصًا في عقله أو ضبطه أو عدالته مع تكليفه بتبليغ الرسالة المنوطة به، لكونه متنافيًا مع أصل الرسالة، وهو من العبث المحال على الله ﷻ.

واعلم أن هذه الصفات الأربع التي يجب توافرها في الرسول والنبي دل عليها كلٌّ من برهاني السمع والعقل، أما السمع فما سمعناه في القرآن وصحيح السنة من صفات الرسل والأنبياء الذين بعثوا على مر الأزمنة والدهور، وأما العقل فما تقرر من استلزام أداء الرسالة الموكولة إليهم لهذه الصفات وارتباطه بها [1].

ج - الأمور التي تفرد بها الأنبياء دون البشر:

مع علمنا أن الأنبياء بشر، وأنهم صفوة البشر، وليس فيهم أي منقصة تدعو إلى النظر؛ لأن حكمة الله تعالى اقتضت أن يتخذ من البشر أنفسهم صفوة يجعل رسالته إلى الناس عن طريقهم، ولكنهم تفردوا بأمور لم تتوفر لغيرهم من البشر هي:

١- تخيير الأنبياء عند الموت:

مما تفرد به الأنبياء أنهم يخيرون بين الدنيا والآخرة، فعن عائشة ﵂ قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**مَا مِنْ نَبِيٍّ يَمْرَضُ إِلا خُيِّرَ بَيْنَ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ**» (البخاري: ٤٢٢٠).

٢- لا يقبر نبي إلا حيث يموت:

وأنه لا يقبر نبي إلا في الموضع الذي مات فيه، ففي الحديث عن أبي بكر ﵁ أن رسول الله ﷺ قال: «**لَنْ يُقْبَرَ نَبِيٌّ إِلا حَيْثُ يَمُوتُ**»(أحمد: ٢٧). ولهذا فإن الصحابة رضوان الله عليهم دفنوا الرسول ﷺ في حجرة عائشة ﵂ حيث قبض.

٣- لا تأكل الأرض أجسادهم:

ومن إكرام الله لأنبيائه ورسله أن الأرض لا تأكل أجسادهم، فمهما طال الزمان وتقادم العهد تبقى أجسادهم محفوظة من البلى، ففي الحديث: «**إِنَّ اللهَ ﷻ قَدْ حَرَّمَ عَلَى الأَرْضِ أَنْ تَأْكُلَ أَجْسَادَ الأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلام**» (النسائي: ١٣٥٧).

---

(١) المرجع السابق.

٤- أحياء في قبورهم:

صح عن النبي ﷺ أنه قال: «**مَرَرْتُ عَلَى مُوسَى لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِي عِنْدَ الْكَثِيبِ الأَحْمَرِ**[١] **وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي قَبْرِهِ**» (مسلم: ٤٣٧٩).

د - طرق إعلام الله أنبياءه ورسله[٢]:

قال الله تعالى مبينًا هذه الطرق: ﴿**وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ عَلِيٌّ حَكِيمٌ ﴿٥١﴾**﴾ [الشورى].

الكيفية الأولى: الإلقاء في روع النبي الموحى إليه:

بحيث لا يشك النبي في أن هذا أُلقي في قلبه من الله تعالى، كما جاء في صحيح ابن حبان عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**إن روح القدس نفث في روعي أن نفسًا لن تموت حتى تستكمل رزقها وأجلها، اتقوا الله، وأجملوا في الطلب**»[٣] وذهب ابن الجوزي إلى أن المراد بالوحي في قوله: ﴿**إِلَّا وَحْيًا**﴾ الوحي في المنام[٤].

الكيفية الثانية: رؤيا الأنبياء:

وهذا الذي فسر به ابن الجوزي المقام الأول داخل في الوحي بلا شك، فإن رؤيا الأنبياء حق؛ ولذلك فإن خليل الرحمن إبراهيم بادر إلى ذبح ولده عندما رأى في المنام أنه يذبحه، وعد هذه الرؤيا أمرًا إلهيًّا، قال تعالى في إبراهيم وابنه إسماعيل: ﴿**فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْىَ قَالَ يَٰبُنَىَّ إِنِّىٓ أَرَىٰ فِى ٱلْمَنَامِ أَنِّىٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٠٢﴾ فَلَمَّآ أَسْلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ ﴿١٠٣﴾ وَنَٰدَيْنَٰهُ أَن يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدْ صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَآ ۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٠٥﴾**﴾ [الصافات].

وفي الحديث عن عائشة رضي الله عنها قالت: "**أَوَّلُ مَا بُدِئَ بِهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ مِنْ الْوَحْيِ الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ فِي النَّوْمِ فَكَانَ لا يَرَى رُؤْيَا إِلا جَاءَتْ مِثْلَ فَلَقِ الصُّبْحِ**" (البخاري: ٣).

---

(١) **الكثيب الأحمر**: هو المكان الذي دفن فيه موسى عليه السلام.

(٢) عمر سليمان الأشقر، الرسل والرسالات، ص[٥٩- ٦٤] بتصرف واختصار.

(٣) تفسير ابن كثير، جـ٦، ص٢١٥، تفسير الآية (٥١) من سورة الشورى.

(٤) زاد المسير، جـ٧، ص٢٩٧.

الكيفية الثالثة: تكليم الله لرسله من وراء حجاب:

وذلك كما كلم الله تعالى موسى عليه السلام، وذكر الله ذلك في أكثر من موضع في كتابه، فقال تعالى: ﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ﴾[الأعراف:١٤٣] ، وقال تعالى: ﴿فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِيَ يَٰمُوسَىٰٓ ۝١١ إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخۡلَعۡ نَعۡلَيۡكَ إِنَّكَ بِٱلۡوَادِ ٱلۡمُقَدَّسِ طُوٗى ۝١٢ وَأَنَا ٱخۡتَرۡتُكَ فَٱسۡتَمِعۡ لِمَا يُوحَىٰٓ ۝١٣ إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدۡنِي وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ ۝١٤﴾ [طه]، وممن كلمه الله آدم عليه السلام ، قال تعالى: ﴿قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئۡهُم بِأَسۡمَآئِهِمۡ﴾ [البقرة:٣٣]، وكلم الله عبده ورسوله محمدًا ﷺ عندما عرج به إلى السماء.

الكيفية الرابعة: الوحي إلى الرسول بواسطة الملك:

وهذا هو الذي عناه الله تعالى بقوله: ﴿أَوۡ يُرۡسِلَ رَسُولٗا فَيُوحِيَ بِإِذۡنِهِۦ مَا يَشَآءُۚ إِنَّهُۥ عَلِيٌّ حَكِيمٞ﴾ [الشورى:٥١]، وهذا الرسول هو جبريل عليه السلام، وقد يكون غيره، وذلك في أحوال قليلة.

وبالتأمل في النصوص في هذا الموضوع نجد أن للملك ثلاثة أحوال:

الأول: أن يراه الرسول على صورته التي خلقه الله عليها، ولم يحدث هذا لرسولنا ﷺ إلا مرتين.

الثاني: أن يأتيه الوحي في مثل صلصلة الجرس، فيذهب عنه وقد وعى عنه الرسول ما قال.

الثالث: أن يتمثل له الملك رجلًا فيكلمه ويخاطبه ويعي عنه قوله، وهذه أخف الأحوال على الرسول.

هـ - المعجزات، وآيات خاتم الأنبياء والمرسلين ﷺ[(١)]:

يجب على المسلم أن يعتقد بأن الله ﷻ قد أيد أنبياءه ورسله الذين أرسلهم إلى الناس بمعجزات تبين صدق دعوتهم وتوضح للناس ارتباطهم بالله ﷻ وأنهم مؤيدون به، وما من نبي إلا وقد أكرمه الله ﷻ بمعجزة نبهت الناس إلى ضرورة الإيمان به والتمسك

---

(١) أما معجزات بقية الأنبياء فسنذكرها تفصيلًا مع قصة كل نبي في هذا الجزء وما يليه من الأجزاء إن شاء الله.

بهديه، وفي ذلك يقول رسول الله ﷺ: «ما من نبي إلا وأوتي من الآيات ما مثله آمن عليه البشر، وإنما كان الذي أوتيته وحيًا أوحي إليَّ، فأنا أرجو أن أكون أكثرهم تبعًا يوم القيامة» والآيات القرآنية التي دلت على تأييد الله أنبياءه بالمعجزات المختلفة كثيرة ومعروفة ولا مجال لسردها.

وأعظم الآيات التي أعطيها رسولنا ﷺ، بل أعظم آيات الرسل كلهم "القرآن الكريم": ﴿وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾﴾ [فُصِّلَت].

وهذه هي المعجزة الكبرى لسيد الخلق أجمعين ﷺ، وجرت على يديه معجزات غيرها، نذكر منها على سبيل المثال: الإسراء والمعراج، وانشقاق القمر، وتكثير الطعام لرسول الله ﷺ، وتكثيره الماء ونبعه من بين أصابعه الشريفة، وكف الأعداء عنه، وإصابة دعوته ﷺ، وإبراء المرضى بإذن الله، وإخباره بالأمور الغيبية، وحنين الجذع، وانقياد الشجر وكلامه، وتسليم الحجر، وشكوى البعير... وغيرها كثير.

و- كيف نؤدي حق النبي ﷺ علينا ؟

من السلوكيات التي يلتزم بها المسلم مع النبي ﷺ:

١- تصديقه ﷺ:

المسلم يصدق النبي ﷺ في كل ما أخبر به؛ لأنه يعلم أنه مرسل من ربه، ولا يتحدث من تلقاء نفسه، بل بما يوحيه الله إليه، قال تعالى: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾﴾ [النجم].

٢- طاعته ﷺ:

قال تعالى: ﴿وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا۟﴾[النور:٥٤]، وقد جعل الله طاعته مقترنة بطاعة نبيه ﷺ، وذلك من تشريف الله وتعظيمه لنبيه، يقول تعالى: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾ [النساء:٨٠]، ويحذر من عاقبة مخالفة النبي ﷺ فيقول تعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾﴾ [النور].

٣- حبه ﷺ:

وعن أنس ﷺ قال: قال ﷺ: «لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَلَدِهِ

وَوَالِدِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ» (حديث صحيح، رواه أحمد والبخاري ومسلم والنسائي وابن ماجه والدارمي)، وعن أنس رضي الله عنه: أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ النَّبِيَّ ﷺ عَنِ السَّاعَةِ فَقَالَ: مَتَى السَّاعَةُ؟ قَالَ: وَمَاذَا أَعْدَدْتَ لَهَا؟ قَالَ: لا شَيْءَ إِلا أَنِّي أُحِبُّ الله وَرَسُولَهُ ﷺ. فَقَالَ: أَنْتَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ. قَالَ أَنَسٌ: فَمَا فَرِحْنَا بِشَيْءٍ فَرَحَنَا بِقَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: أَنْتَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ. قَالَ أَنَسٌ: فَأَنَا أُحِبُّ النَّبِيَّ ﷺ وَأَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ، وَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ مَعَهُمْ بِحُبِّي إِيَّاهُمْ، وَإِنْ لَمْ أَعْمَلْ بِمِثْلِ أَعْمَالِهِمْ»(حديث صحيح، رواه أحمد والبخاري ومسلم والدارمي).

٤- الاقتداء به ﷺ:

المسلم يتأسى بأخلاق النبي ﷺ ويقتدي به، قال تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾﴾ [الأحزاب].

٥- الصلاة عليه ﷺ:

المسلم يكثر من الصلاة عليه ﷺ، وخاصة إذا ذكر اسمه، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ ۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾﴾ [الأحزاب]، وحث ﷺ على الإكثار من الصلاة عليه، فعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلَاةً صَلَّى الله عَلَيْهِ بِهَا عَشْرًا»(حديث صحيح، رواه أحمد ومسلم وأبوداود والترمذي)، وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «الْبَخِيلُ مَنْ ذُكِرْتُ عِنْدَهُ ثُمَّ لَمْ يُصَلِّ عَلَيَّ»(حديث صحيح، رواه أحمد)، ويستحب أن يكثر المسلم من الصلاة على النبي ﷺ يوم الجمعة وليلتها؛ كما يستحب الصلاة عليه ﷺ عقب الأذان وآخر التشهد، وحين يذكر اسمه، وفي كل وقت.

وللصلاة عليه ﷺ صيغ كثيرة، منها ما ورد عَنْ أَبِي مَسْعُودٍ عُقْبَةَ بْنِ عَمْرٍو رضي الله عنه قَالَ: قال رسول الله ﷺ: «...قُولُوا: اللهمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ، وَبَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ كَمَا بَارَكْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ فِي الْعَالَمِينَ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ»(حديث صحيح، رواه أحمد ومالك في الموطأ ومسلم والترمذي والدارمي بألفاظ مختلفة، واللفظ للترمذي).

٦- الدعاء له ﷺ:

وعَنْ عَبْدِ الله بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رضي الله عنهما أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «إِذَا سَمِعْتُمْ الْمؤَذِّنَ

فَقُولُوا مِثْلَ مَا يَقُولُ، ثُمَّ صَلُّوا عَلَيَّ؛ فَإِنَّهُ مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلَاةً صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ بِهَا عَشْرًا، ثُمَّ سَلُوا اللهَ لِيَ الْوَسِيلَةَ؛ فَإِنَّهَا مَنْزِلَةٌ فِي الجَنَّةِ لَا تَنْبَغِي إِلَّا لِعَبْدٍ مِنْ عِبَادِ اللهِ، وَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَنَا هُوَ، فَمَنْ سَأَلَ لِيَ الْوَسِيلَةَ حَلَّتْ لَهُ الشَّفَاعَةُ»(حديث صحيح، رواه أحمد ومسلم وأبو داود والترمذي والنسائي).

وعن جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ ﭬ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**مَنْ قَالَ حِينَ يَسْمَعُ النِّدَاءَ: اللهمَّ رَبَّ هَذِهِ الدَّعْوَةِ التَّامَّةِ وَالصَّلَاةِ الْقَائِمَةِ آتِ مُحَمَّدًا الْوَسِيلَةَ وَالْفَضِيلَةَ وَابْعَثْهُ مَقَامًا مَحْمُودًا الَّذِي وَعَدْتَهُ حَلَّتْ لَهُ شَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ**»(حديث صحيح، رواه أحمد والبخاري وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه، واللفظ للبخاري).

٧- إحياء سنته ﷺ :

وسنة النبي ﷺ هي كل قول أو فعل ورد عن النبي ﷺ ، والمسلمة تحرص على تطبيقها والتمسك بها، وإذا ترك الناس واحدة منها وغفلوا عنها، كان عليها أن تحييها مرة أخرى، عن عمرو بن عوف ﭬ قال: قال رسول الله ﷺ : « **مَنْ أَحْيَا سُنَّةً مِنْ سُنَّتِي فَعَمِلَ بِهَا النَّاسُ كَانَ لَهُ مِثْلُ أَجْرِ مَنْ عَمِلَ بِهَا لَا يَنْقُصُ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئًا...**»(حديث حسن، رواه ابن ماجه).

عن العرباض بن سارية ﭬ قال: قال رسول الله ﷺ :«....**فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ بَعْدِي فَسَيَرَى اخْتِلَافًا كَثِيرًا، فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الخلفَاءِ المَهْدِيِّينَ الرَّاشِدِينَ، تَمَسَّكُوا بِهَا وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ، وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الْأُمُورِ، فَإِنَّ كُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ**»(حديث صحيح، رواه أحمد وأبو داود والترمذي وابن ماجه والدارمي، واللفظ لأبي داود).

٨- حب صحابته ﷺ رجالاً ونساءً:

فلفظ الصحابي يقال لكل من لقي الرسول ﷺ مسلما ومات على الإسلام، وما من مسلم إلا ويحب أصحاب الرسول ﷺ ويحترمهم، قال ﷺ : «**اللهَ اللهَ فِي أَصْحَابِي، اللهَ اللهَ فِي أَصْحَابِي، لَا تَتَّخِذُوهُمْ غَرَضًا بَعْدِي، فَمَنْ أَحَبَّهُمْ فَبِحُبِّي أَحَبَّهُمْ، وَمَنْ أَبْغَضَهُمْ فَبِبُغْضِي أَبْغَضَهُمْ، وَمَنْ آذَاهُمْ فَقَدْ آذَانِي، وَمَنْ آذَانِي فَقَدْ آذَى اللهَ، وَمَنْ آذَى اللهَ يُوشِكُ أَنْ يَأْخُذَهُ**» (حديث حسن رواه أحمد والترمذي)، ومن دلائل محبتهم أن يقول المسلم كلما ذكر اسم أحد منهم: ﭬ . وألا يخوض في الخلافات التي وقعت بينهم، وأن يدعو لهم، وألا يسمح لأحد أن يقلل من قدرهم.

٩- التعرف على سيرته ﷺ:

المسلم حريص على أن تعرف أخبار النبي ﷺ، وذلك يدفع المسلم إلى مواصلة السير على منهجه.

١٠- الدقة في نقل أقواله ﷺ:

المسلم لا يروي حديثا من أحاديثه ﷺ إلا إذا تأكد من صحته؛ وإن كان حديثًا ضعيفًا بين ذلك للناس، ولا يستشهد بالموضوعات والمناكير من الأحاديث التي نسبها الكذابون إليه، فيكون كأحدهم، فعن سعيد بن زيد قال: قال ﷺ: «**إِنَّ كَذِبًا عَلَيَّ لَيْسَ كَكَذِبٍ عَلَى أَحَدٍ، مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ**» (حديث صحيح، رواه أحمد والبخاري ومسلم، واللفظ للبخاري)، وليتحر المسلم الدقة في نقل كلامه ﷺ من غير تحريف أو تأويل ليكون أهلًا لدعاء النبي ﷺ، فعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**نَضَّرَ اللهُ امْرَءًا سَمِعَ مِنَّا شَيْئًا فَبَلَّغَهُ كَمَا سَمِعَ، فَرُبَّ مُبَلَّغٍ أَوْعَى مِنْ سَامِعٍ**»(حديث صحيح، رواه الترمذي وابن ماجه، واللفظ للترمذي).

١١- نصرته ﷺ:

المسلم ينصر النبي ﷺ بنصرته للإسلام واتباعه ﷺ في أقواله وإحياء سنته، قال تعالى:

﴿ **ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِي يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ** (١٥٧) ﴾ [الأعراف].

١٢- إكرام أهل بيته ﷺ:

قال الله تعالى: ﴿ **قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِي ٱلْقُرْبَىٰ** ﴾ [الشورى:٢٣]، عن طاوس عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما أَنَّهُ سُئِلَ عَنْ قَوْلِهِ: ﴿ **إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِي ٱلْقُرْبَىٰ** ﴾، فَقَالَ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ: قُرْبَى آلِ مُحَمَّدٍ ﷺ؟ فقال ابن عباس: عجلت، إن النبي ﷺ لم يكن بطن من قريش إلا كان له فيهم قرابة. (أثر صحيح، رواه أحمد والبخاري والترمذي)، وقال الثَّعْلَبِيّ: «...الْآيَة دَالَّة عَلَى الْأَمْر بِالتَّوَدُّدِ إِلَى الله بِطَاعَتِهِ أَوْ بِاتِّبَاعِ نَبِيِّه أَوْ صِلَة رَحِمه بِتَرْكِ أَذِيَّته أَوْ صِلَة أَقَارِبه مِنْ أَجْله وَكُلّ

ذَلِكَ مُسْتَمِرّ الْحُكْم غَيْر مَنْسُوخ» قال الحافظ ابن حجر العسقلاني: «...وَالْحَاصِل أَنَّ سَعِيد بْن جُبَيْر وَمَنْ وَافَقَهُ كَعَلِيِّ بْن الْحُسَيْن وَالسُّدِّيّ وَعَمْرو بْن شُعَيْب فِيمَا أَخْرَجَهُ الطَّبَرِيُّ عَنْهُمْ حَمَلُوا الْآيَة عَلَى أَمْر الْمخَاطَبِينَ بِأَنْ يُوَادِدُوا أَقَارِب النَّبِيّ ﷺ»[1].

وقد حث النبي ﷺ على إكرام أهل بيته ﷺ، ورغب في ذلك في إحدى خطبه، فعن زيد بن أرقم قال رضي الله عنه: قال رسول الله ﷺ: «...أَمَّا بَعْدُ أَلَا أَيُّهَا النَّاسُ فَإِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ يُوشِكُ أَنْ يَأْتِيَ رَسُولُ رَبِّي فَأُجِيبَ، وَأَنَا تَارِكٌ فِيكُمْ ثَقَلَيْنِ، أَوَّلُهُمَا كِتَابُ اللهِ، فِيهِ الْهُدَى وَالنُّورُ، فَخُذُوا بِكِتَابِ اللهِ وَاسْتَمْسِكُوا بِهِ» -فَحَثَّ عَلَى كِتَابِ اللهِ وَرَغَّبَ فِيهِ ثُمَّ قَالَ-: «وَأَهْلُ بَيْتِي، أُذَكِّرُكُمْ اللهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي، أُذَكِّرُكُمْ اللهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي، أُذَكِّرُكُمْ اللهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي»، فَقَالَ لَهُ حُصَيْنٌ: وَمَنْ أَهْلُ بَيْتِهِ يَا زَيْدُ ؟ أَلَيْسَ نِسَاؤُهُ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ، قَالَ: نِسَاؤُهُ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ، وَلَكِنْ أَهْلُ بَيْتِهِ مَنْ حُرِمَ الصَّدَقَةَ بَعْدَهُ، قَالَ: وَمَنْ هُمْ ؟ قَالَ: هُمْ آلُ عَلِيٍّ، وَآلُ عَقِيلٍ، وَآلُ جَعْفَرٍ، وَآلُ عَبَّاسٍ، قَالَ: كُلُّ هَؤُلَاءِ حُرِمَ الصَّدَقَةَ ؟ قَالَ: نَعَمْ»(حديث صحيح، رواه أحمد ومسلم والدارمي).

فهل تؤدين حق النبي ﷺ عليك ؟

* * *

---

(١) ابن حجر العسقلاني، فتح الباري، القاهرة: المطبعة السلفية ومكتبتها، ط٣، (١٤٠٥هـ)، ج٨، ص٤٢٧.

٦- أثر الإيمان باليوم الآخر

اليوم الآخر، هو يوم القيامة الذي لا يوم بعده، حين يُبعَث الناس أحياء للبقاء: إما في دار النعيم، وإما في دار العذاب الأليم. فيه يقوم الناس من قبورهم لرب العالمين، حفاة بلا نعال، عراة بلا ثياب، غرلا بلا ختان ﴿يَوْمَ نَطْوِي ٱلسَّمَآءَ كَطَيِّ ٱلسِّجِلِّ لِلْكُتُبِ ۚ كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ ۚ وَعْدًا عَلَيْنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿١٠٤﴾﴾ [الأنبياء]، وفيه توزع صحائف الأعمال؛ تعطى باليمين، أو من وراء الظهور بالشمال، ونؤمن بالموازين توضع يوم القيامة فلا تظلم نفس شيئاً ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴿٨﴾﴾ [الزلزلة]، وقال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴿٦﴾ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴿٨﴾ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ ﴿٩﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا هِيَهْ ﴿١٠﴾ نَارٌ حَامِيَةٌۢ ﴿١١﴾﴾ [القارعة] ، ونؤمن بالشفاعة، وبأن الله تعالى يخرج من النار أقواماً من المؤمنين بغير شفاعة؛ بل بفضله ورحمته، وبحوض رسول الله ﷺ ، وبالصراط المنصوب على جهنم، وبعذاب القبر ونعيمه.

والنصوص في هذا كثيرة معلومة، فعلى المؤمنة أن تؤمن بكل ما جاء به الكتاب والسنة من هذه الأمور الغيبية، وأن يتحول هذا الإيمان إلى سلوكيات عملية على النحو التالي:

* ظهور أثر هذا الإيمان على السلوك الحياتي للمرأة.
* وسائل الاستعداد العملي للموت واليوم الآخر.

وسوف نتناول فيما يلي هذين العنصرين بشيء من التفصيل:

أولاً: أثر الإيمان باليوم الآخر على سلوك المرأة:

١- المسارعة في العمل الصالح:

إن الإيمان باليوم الآخر له أثر عظيم في حياة المسلمة، ذلك أن الإيمان به وبما فيه من جنة ونار، حساب وعقاب، ثواب وفوز وخسران؛ له أشد الأثر في توجيه الإنسان وانضباطه والتزامه بالعمل الصالح وتقوى الله ﷻ ، وشتان بين اثنين؛ أحدهما لا يعتقد ببعث ولا حساب على أعماله وأقواله، ولا يقيده غير مصلحته الشخصية ومنفعته الذاتية، وآخر يعتقد بيوم يحاكم فيه الإنسان على أعماله وأقواله أمام أعدل العادلين، فيثاب على

الخير ويعاقب على الشر، فالأول منفلت من أي ضابط سوى هواه وشهوته، والغاية عنده غاية أنانية تبرر أية وسيلة وأي خلق وأي عمل مهما كان ضرره، والآخر منضبط في حدود الحق والخير والصلاح، وهي الأمور التي لها وزن واعتبار عند الله ذلك اليوم، كما قال تعالى: ﴿وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ ۚ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٨﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُم بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَظْلِمُونَ ﴿٩﴾﴾ [الأعراف].

ويشير إلى هذه الحكمة أسلوب القرآن في الربط بين الإيمان باليوم الآخر والعمل الصالح في كثير من الأحيان، من ذلك قوله تعالى: ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ ﴿١﴾ فَذَٰلِكَ الَّذِي يَدُعُّ الْيَتِيمَ ﴿٢﴾ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ ﴿٣﴾﴾ [الماعون]، وقوله ﷻ: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ [التوبة:١٨]، وقوله تعالى: ﴿لَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَن يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ ﴿٤٤﴾ إِنَّمَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ ﴿٤٥﴾﴾ [التوبة]، وقوله ﷻ: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ﴾ [الممتحنة:٦].

فإنه لما كان الإنسان مفطورًا على طلب المصلحة لنفسه ودفع المفسدة عنها كان الإيمان باليوم الآخر مقويًا للوازع النفسي عنده، ذلك الوازع الذي يُرغِّب صاحبه في الخير ويصده عن الشر، ولذلك كانت عناية القرآن بكثرة التذكير به حتى يتعمق ذلك الوازع في قلب المؤمن ويشتد تأثيره.

٢- عدم التثاقل إلى الأرض والركون إلى الدنيا:

ولعل من حكمة الاهتمام القرآني بالإشارة إلى اليوم الآخر كثرة نسيان العباد له وغفلتهم عنه بسبب تثاقلهم إلى الأرض وحبهم لمتاع الدنيا، فيكون الإيمان به وبما فيه من عذاب ونعيم مخففًا من الغلو في حب الدنيا، فيعلم العباد أن شهوات الدنيا كلها لا تستحق منهم الطلب والجهد والتنافس فيها، وأن الذي يستحق ذلك منهم إنما هو ما أُعدَّ لهم في ذلك اليوم العظيم، ويشير إلى ذلك المعنى قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ ۚ أَرَضِيتُم بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ ۚ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٣٨﴾﴾ [التوبة].

٣- القوة النفسية:

وتستمد المؤمنة قوتها من الخلود الذي توقن به، فحياتها ليست هذه الأيام المعدودة في الأماكن المحدودة، إنما حياتها حياة الأبد.

هذا عمير بن الحمام الأنصاري في غزوة بدر يسمع النبي ﷺ يقول لأصحابه: «**والذي نفسي بيده، ما من رجل يقاتلهم اليوم فيقتل صابرًا محتسبًا مقبلًا غير مدبر إلا أدخله الله الجنة**». فيقول عمير: بخ بخ، فيقول: «**مم تبخبخ يا بن الحمام؟**» فيقول: أليس بيني وبين الجنة إلا أن أتقدم فأقاتل هؤلاء فأقتل؟ فيقول الرسول ﷺ: «**بلى**». وكان في يده تمرات يأكل منها، فقال: أعيش حتى آكل هذه التمرات إنها لحياة طويلة. وألقى التمرات من يده وأقبل يقاتل ويقول:

ركضًا إلى الله بغير زاد إلّا التقى وعمل المعاد
والصبر في الله على الجهاد وكل زاد عرضة للنفاد
غير التقى والصبر والرشاد

وهذه أسماء بنت أبي بكر في كبر سنها، عندما خاطبها ابنها عبد الله بن الزبير وقال: إني أخاف أن يُمَثِّل بي أهل الشام. قالت: وهل يضر الشاة سلخها بعد ذبحها. فدنا ابن الزبير فقبّل رأسها وقال: هذا والله رأيي، والذي قمت به داعيًا إلى يومي هذا، ما ركنت إلى الدنيا، ولا أحببت الحياة فيها، وما دعاني إلى الخروج إلا الغضب لله أن تستحل حرمته، ولكني أحببت أن أعلم رأيك فزدت بصيرة مع بصيرتي، فانظري يا أماه فإني مقتول من يومي هذا، فلا يشتد حزنك. قالت: إني لأرجو من الله أن يكون عزائي فيك حسنًا.

٤- استشعار قيمة الوقت:

والمؤمن أعمق الناس إحساسا بقيمة الوقت وبأن الله سائله يوم القيامة عن عمره فيم أفناه، وعن شبابه فيم أبلاه، فهو يَضنُّ بوقته أن يضيع في عبث أو يبعثر في مهب الرياح الهوج، إنه رأس ماله الوحيد، فكيف يضيعه ويبقى صفر اليدين؟ إن الوقت نعمة يجب أن نشكر بالانتفاع بها ولا نكفر بالتفريط، وقد قال عمر بن عبد العزيز: «إن الليل والنهار يعملان فيك فاعمل فيهما».

والمؤمن كذلك حريص على أن يكون يومه خيرًا من أمسه وغده خيرًا من يومه، وأن يطيل حياته بعد موته بطول أعماله، يمد عمره بامتداد الجميل من آثاره، إنه يحرص أن

يخلف وراءه علما نافعًا أو عملًا طيبًا أو مشروعًا مثمرًا أو صدقة جارية أو ذرية صالحة، وعلى قدر ما يمتد ويبقى الأثر الذي يخلفه وعلى قدر ما ينتفع الناس به تكون مثوبته عند الله.

٥ - التوجه في كل لحظة إلى الدار الباقية:

إن ذكر الموت يورث استشعار الانزعاج من هذه الدار الفانية والتوجه في كل لحظة إلى الدار الآخرة الباقية، ثم إن الإنسان لا ينفك عن حالتي ضيق وسعة ونعمة ومحنة، فإن كان في حال ضيق ومحنة فذكر الموت يسهل عليه بعض ما هو فيه، فإنه لا يدوم، والموت أصعب منه. أو في حال نعمة وسعة فذكر الموت واليوم الآخر يمنعه من الاغترار بها والسكون إليها لقطعه عنها، ولقد أحسن من قال:

اذكر الموت هادم اللذات — وتجهز لمصرع سوف يأتي

وقال غيره:

واذكر الموت تجد راحة — في اذكار الموت تقصير الأمل

وقال التيمي: شيئان قطعا عني لذة الدنيا؛ ذكر الموت وذكر الموقف بين يدي الله تعالى.

٦ - إصلاح النفس:

إن لتذكر الموت أثرًا كبيرًا في إصلاح النفس وتهذيبها، ذلك أن النفوس تؤثر الدنيا وملذاتها وتطمع في البقاء المديد في هذه الحياة، وقد تهفو إلى الذنوب والمعاصي، وقد تقصر في الطاعات، فإذا كان الموت دائمًا على بال العبد فإنه يصغر الدنيا في عينيه ويجعله يسعى في إصلاح نفسه وتقويم المعوج من أمره.

قال الدقاق: من أكثر ذكر الموت أكرم بثلاثة: تعجيل التوبة، وقناعة القلب، ونشاط العبادة. ومن نسي الموت عوجل بثلاثة: تسويف التوبة، وترك الرضا بالكفاف، والتكاسل في العبادة.

٧ - الاستعداد الفعلي لاستقبال الموت:

فالموت مصيبة، هكذا أسماه الله ﷻ في كتابه العزيز: ﴿فَأَصَٰبَتۡكُم مُّصِيبَةُ ٱلۡمَوۡتِ﴾ [المائدة:١٠٦]، والعاقل من لا يتغافل عن هذه المصيبة الأكيدة، فقد يكون الاستعداد للمصيبة سبب نجاة وفوز، فالميت مصاب بمصيبة الموت، أن انقطع عمله وضاعت

فرصته في استدراك ما فاته، وأهله مصيبتهم في ألم الفراق وفي انقطاع منافع كان الميت سببًا فيها، ولكن إذا استعد الإنسان لموته لم يعد موته مصيبة، بل قد يكون هو راحته وفوزه، وإذا استعد الإنسان لموت أصابه هدي على الصبر والثبات وفاز من المصيبة بالأجر.

ثانيًا: وسائل الاستعداد العملي للموت واليوم الآخر:

١- كتابة الوصية ودوام مطالعتها لحذف أو إضافة: عن ابن عمر ﭬ أن رسول الله ﷺ قال: «**مَا حَقُّ امْرِئٍ مُسْلِمٍ لَهُ شَيْءٌ يُوصِي فِيهِ يَبِيتُ لَيْلَتَيْنِ إِلَّا وَوَصِيَّتُهُ مَكْتُوبَةٌ عِنْدَهُ**»(حديث صحيح، رواه أصحاب الكتب الستة، وأحمد ومالك في الموطأ والدارمي)، وفي هذه الوصية تكتب الواحدة منا ما تريده من أهلها وأولادها، توصيهم فيها بالتقوى والعمل الصالح، وكيف ينظمون حياتهم بعدها، وكيف يتصرفون في مالها.

٢- عمل ورد محاسبة عن الواجبات التي يجب على المرأة أن تقوم بها تجاه زوجها وأبنائها ووالديها وأرحامها وأقارب زوجها وجيرانها.

٣ - تحاسب نفسها قبل النوم يوميًا، وتستشعر قيمة الوقت؛ فلا تضيعه في اللغو أو كثرة الحديث في التليفون من القيل والقال فضلًا عن الغيبة أوالنميمة، (لو أنكم تشترون الكاغد للحفظة - الملائكة الذين يكتبون عليكم- لسكتم عن كثير من الكلام). فمجرد دفع ثمن الحبر والورق للكلام الذي ستسجله الملائكة علينا سيدفعنا إلى أن نقلل كثيرا من الكلام.

٤- التفكير في صدقة جارية يعود نفعها إليها بعد موتها.

٥- شراء الكفن ومشاهدته كل فترة.

٦- الجلوس مع الزوج وترتيب أمر بيتها بعد موتها.

٧- المسارعة إلى تسديد الديون، بل وعدم الاستدانة .

٨- استرضاء أصحاب الحقوق علينا، وطلب العفو ممن أخطأت في حقهم أو حقهن.

ولقد كان السلف الصالح ﭫ يحرصون على الاستعداد الفعلي للموت، فهذا حبيب أبي محمد الفارسي يقول لامرأته: «إن مت اليوم فأرسلي إلى فلان يغسلني وافعلي كذا وكذا. فقيل لامرأته: أرأى رؤيا ؟ قالت: هذا يقوله كل يوم».

* * *

٧- أثر عقيدة الإيمان بالقدر

هذه العقيدة كان لها في نفوس أصحاب الرسول ﷺ أجلّ الأثر؛ فقد انطلقوا في الأرض وهم يحملون عقيدة القدر كما علمهم إياها رسول الله ﷺ، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «كنت خلف رسول الله ﷺ يوما فقال: **يا غلام، إني أعلمك كلمات؛ احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام وجفت الصحف**». (صحيح، سنن الترمذي: ٢٥١٦).

هذه العقيدة سكبت في قلوبهم السكينة، وأفاضت على نفوسهم الطمأنينة، وربتهم على العزة، فارتاحت أعصابهم وهم منطلقون لتبليغ هذا الدين إلى البشرية، وقد استصغروا قوى الأرض جميعا أمام إيمانهم بقدر الله.

فأية سعادة تضفيها هذه العقيدة على النفس، وأية شجاعة انطوت عليها قلوب آمنت أن الأمر بيد الله، وأن البشر لا أمر لهم. إن قوى الأرض جميعًا لا تقف أمام إنسان يحمل هذا المبدأ، وَيُكِنُّ بين جَنباته هذا الإيمان، ومن هنا نجد التفسير الصحيح للأعمال التي حققها هذا الإيمان على يد العصبة المؤمنة التي انطلقت بهذا الدين. إنها أعمال تشبه الخوارق، ولكنها حقائق، إن تلك الإنجازات العظيمة التي حققها رسول الله ﷺ وصحبه الكرام إن هي إلا ثمرة إيمانهم بالله واليوم الآخر وقدر الله ﷻ.

إن هذه العقيدة لتنتزع كل مظهر للجبن من القلب الذي تعمره، فتدفع صاحبها إلى جهاد الكفار والطغاة دون أن يحسب لوسائلهم وأساليبهم أي حساب، لماذا ينشغل بالحساب لهم، وقد ضمن له خالقه وخالقهم أن يستوفي رزقه وأجله ؟ ولماذا يجبن وهو يعلم أن المقدور نازل به لا محالة، وغير المقدور لن يحيق به أبدًا، فما أحسن قول من قال:

أي يومي من الموت أفر … يوم لا قدر أو يوم قدري

يوم لم يقدر لا أرهبه … وإن جاء لا يغني الحذر

إن النفس المؤمنة بقدر الله ﷻ تنعم بنعمة أخرى لا تعدلها نعم الدنيا كلها، إنها نعمة الرضا في كل حال، ذلك أن هذه النفس ترى أن المقادير تجري بأمر الله ﷻ ومشيئته وتدبيره وأن الأحداث تنبثق بحكمة الله وإرادته، وهو يعلم والناس لا يعلمون، كما

قال تعالى: ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ شَرّٞ لَّكُمۡۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ﴾ [البقرة:٢١٦].

فتعلم هذه النفس المؤمنة أن الذي قدَّر لها الخير أو الشر حكيم رحيم؛ فلا تبطر بنعمة، ولا تجزع من مصيبة، فهي شاكرة في السراء، صابرة في الضراء، أمرها كله خير، كما قال المصطفى ﷺ: «عَجَبًا لِأَمْرِ المؤْمِنِ إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ، وَلَيْسَ ذَاكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ: إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ» (رواه مسلم).

وكتب عمر بن الخطاب إلى أبي موسى الأشعري ﵄: «أما بعد، فإن الخير كله في الرضا، فإن استطعت أن ترضى، وإلا فاصبر» (١)، وقال ابن عطاء: «الرضا سكون القلب إلى قديم اختيار الله للعبد أنه اختار له الأفضل» (٢).

هذا والصبر واجب باتفاق العلماء، وأعلى من ذلك الرضا بحكم الله، وقيل عن الرضا: إنه واجب. وقيل: هو مستحب. وقد أجمع العلماء على أن حكمه لا يقل عن الاستحباب (٣).

إن الرضا بالقدر والصبر على البلاء والطمأنينة إلى حكم الله ﷻ هي أهم القواعد التي يقام عليها السكن النفسي، وهي من أبرز الدوافع لانطلاق جميع الطاقة البشرية للعمل في هذه الأرض ضمن منهج الله، فلا التفات للوراء، ولا محطات للتحسر والندم، ولا لو كان كذا وكذا لكان كذا وكذا، ولكن قدر الله وما شاء فعل.

ففي هذه العقيدة هدوء القلب وراحة البدن والنفس والأعصاب، ومفارقة الهم والحزن، فلا تمزق نفسي، ولا توتر عصبي، ولا شذوذ، ولا انفصام، وإنما رضا وسكينة وسعادة وراحة وطمأنينة، وبرد اليقين، وقرة العين، وهناءة الضمير، وانشراح الصدر، والاطمئنان إلى رحمة الله وعدله، وعلمه وحكمته، فهو الملاذ والمعاذ من الوسواس والهواجس.

إن الاعتقاد بعقيدة القدر يحدث في واقع الناس وفوق هذه الأرض نتائج إيجابية هائلة.

وأما المجتمعات التي تركت هذه العقيدة، وفرغت من الإيمان بالله وتدبيره لشئون

---

(١) مدارج السالكين، ج٢، ص١٧٧.

(٢) المرجع السابق، ج٢، ص١٧٥.

(٣) المرجع السابق، ج٢، ص١١٧، ص٤٨٩.

الحياة والأحياء، فنصيبها في الآخرة خلود في العذاب المهين، وفي هذه الدنيا ضياع السعادة، وتمزق الأعصاب، وضنك العيش وتوتر الحياة، مصداقًا لقوله تعالى: ﴿فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾﴾ [طه].

الإيمان بالقدر لا ينافي الأخذ بالأسباب:

ويجب ألا يغيب عن بالنا أننا مأمورون بالأخذ بالأسباب مع التوكل على الله ﷻ، والإيمان أن بيده ملكوت كل شيء، والإيمان أن الأسباب لا تعطي النتائج إلا بإذن الله ﷻ، قال تعالى: ﴿يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ ﴿٤٩﴾ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَٰثًا وَيَجْعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًا إِنَّهُۥ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾﴾ [الشورى]، ولذا يحرم على المسلم ترك الأخذ بالأسباب، فلو ترك إنسان السعي في طلب الرزق لكان آثما، مع أن الرزق بيد الله تعالى.

وقد بين رسول الله ﷺ أن الأسباب المشروعة هي من القدر، فقيل له: «يَا رَسُولَ الله أَرَأَيْتَ رُقًى نَسْتَرْقِيهَا وَدَوَاءً نَتَدَاوَى بِهِ وَتُقَاةً نَتَّقِيهَا هَلْ تَرُدُّ مِنْ قَدَرِ الله شَيْئًا ؟ قَالَ: هِيَ مِنْ قَدَرِ الله» (حديث حسن، رواه الترمذي وابن ماجه)[1]؛ فالالتفات إلى الأسباب واعتبارها مؤثرة في المسببات شرك في التوحيد، ومحو الأسباب أن تكون أسباب نقصٌ في العقل، والإعراض عن الأسباب المأمور بها قدح في الشرع[2].

يقول ابن القيم الجوزية: «لا تتم حقيقة التوحيد إلا بمباشرة الأسباب التي نصبها الله تعالى....، وإن تعطيلها يقدح في نفس التوكل...، وإن تركها عجزًا ينافي التوكل الذي حقيقته اعتماد القلب على الله في حصول ما ينفع العبد في دينه ودنياه، ودفع ما يضره في دينه ودنياه، ولابد مع هذا الاعتماد من مباشرة الأسباب، وإلا كان معطلًا للحكمة والشرع، فلا يجعل العبد عجزه توكلًا، ولا توكله عجزًا....»[3].

يحسن بالمرأة أن ترضى بقدر الله بعد الأخذ بالأسباب، وخاصة في أمور الزواج والإنجاب وضيق الرزق، وتوقن أن ضيق الرزق ليس إهانة، كما أن سعة الرزق ليست

---

(١) زاد المعاد، ج٢، ص٦٦.

(٢) مجموع فتاوى ابن تيمية، ج٨، ص٥٢٨.

(٣) زاد المعاد، ج٣، ص٦٧.

إكراما، قال تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلْإِنسَٰنُ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ فَأَكْرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَكْرَمَنِ ﴿١٥﴾ وَأَمَّآ إِذَا مَا
ٱبْتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَهَٰنَنِ ﴿١٦﴾ كَلَّا ۖ بَل لَّا تُكْرِمُونَ ٱلْيَتِيمَ ﴿١٧﴾﴾ [الفجر].

* * *

التقويم:

أ - اختاري الإجابة الصحيحة (قد تكون هناك أكثر من إجابة صحيحة)

١- من مقتضيات الإيمان بالقرآن:

أ	الحفاظ على تلاوته	ب	معرفة قدره
ج	العمل بما جاء به	د	التداوي به

٢- هاجِر القرآن - كما قال الإمام أحمد بن حنبل - هو:

أ	من لم يقرأه	ب	من لم يفهمه
ج	من لم يعمل به	د	جميع ما سبق

٣- يرى أكثر المفسرين أن عدد الأنبياء الذين ذكروا في القرآن:

أ	٢٣	ب	٢٤
ج	٢٥	د	٢٦

٤- عدد أولي العزم من الرسل:

أ	٤	ب	٥
ج	٦	د	٧

٥- من أولي العزم من الأنبياء:

أ	إبراهيم وموسى	ب	إبراهيم وإسماعيل
ج	موسى وعيسى	د	نوح وهود

٦- من آثار الإيمان باليوم الآخر:

أ	استشعار قيمة الوقت	ب	المسارعة في تسديد الديون
ج	الاستمتاع بملذات الحياة	د	التمتع بقوة نفسية

٧- كي يكون الإيمان صادقًا لابد أن يتوفر فيه:

أ	إذعان قلبي وانقياد إرادي	ب	حرارة وجدانية تبعث على العمل
ج	إدراك ذهني يكشف حقائق الوجود	د	جميع ما سبق

٨- من آثار الإيمان بالله تعالى:

أ	الشعور بالقلق من المستقبل	ب	التخلص من البخل والحرص
ج	تحرير النفس من سيطرة الغير	د	جميع ما سبق

٩- «لئن كسر المدفع سيفي، فلن يكسر الباطل حقي» قالها:

أ	محمد كريم	ب	عمر مكرم
ج	عمر المختار	د	محمد بن عبد الوهاب

١٠- من آثار الإيمان بالملائكة:

أ	الاستقامة على أمر الله	ب	الاطمئنان على الرزق
ج	عدم الوقوع في الخرافات	د	الصبر ومواصلة الجهاد

١١- من وظائف الملائكة التي جمعها الإمام ابن القيم:

أ	حفظ الإنسان في حياته	ب	إحصاء أعمال الإنسان وأقواله
ج	تثبيت المؤمنين	د	كتابة رزق الإنسان وأجله

١٢- قال الدقاق: من أكثر ذكر الموت أكرم بثلاثة:

أ	استشعار قيمة الوقت	ب	تعجيل التوبة
ج	نشاط في العبادة	د	قناعة القلب

١٣- من فوائد الإيمان بالقدر:

أ	استعظام قوة الأعداء	ب	الشعور بالاطمئنان
ج	الشعور بالعزة	د	جميع ما سبق

١٤- «الرضا سكون القلب إلى قديم اختيار الله للعبد أنه اختار له الأفضل» قائلها:

أ	ابن عباس	ب	عمر بن الخطاب
ج	أبو محمد الحريري	د	ابن عطاء

١٥- الأخذ بالأسباب:

أ	ينافي الإيمان بالقدر	ب	من قدر الله
ج	يأثم تاركه	د	جميع ما سبق

١٦- يقول صاحب العقيدة الطحاوية: إن الأخذ بالأسباب قد يكون:

أ	فرض	ب	مستحب
ج	حرام	د	جميع ما سبق

ب- ضعي علامة (√) أمام العبارة الصحيحة وعلامة (×) أمام العبارة الخاطئة:

١	يعد المرء مؤمنًا إذا ما أعلن بلسانه أنه مؤمن.	
٢	بمجرد المعرفة الذهنية بحقائق الإيمان يعد المرء مؤمنًا.	
٣	لافرق بين الرأي والعقيدة.	
٤	يجيب الإيمان بالله عن أسئلة الإنسان حول وجوده في هذا الكون.	
٥	تستطيع الشياطين معرفة العالم الغيبي.	
٦	الوحي هو طريق الإنسان الوحيد لمعرفة عالم الغيب.	
٧	يجب الإيمان إجمالًا بجميع الأنبياء والرسل بدون حصر لهم.	
٨	توجد علاقة بين حب الإنسان الخير لنفسه وبين الإيمان باليوم الآخر.	
٩	استحضار اليوم الآخر يخفف عن الإنسان ما يعانيه من ضيق.	
١٠	قال القرآن عن الموت إنه مصيبة.	

١١	بني الإسلام على التسليم لحكمة الله وعدم السؤال عن الحكمة في الأوامر والنواهي.	
١٢	قد يظهر مع الإيمان العميق بالقدر بعض مظاهر الجبن والخوف.	
١٣	أجمع العلماء على أن الرضا واجب.	
١٤	من أنواع الصبر المطالب بها المسلم أن يصبر على الذل والضيم.	
١٥	يساعد الرضا بالقدر على انطلاق الطاقات للعمل والبناء.	
١٦	اعتبار الأسباب مؤثرة في المسببات يعد خلل في التوحيد.	
١٧	ما يسمى الآن بالتوراة والإنجيل ليس هو الكتاب الحق المنزل من عند الله.	
١٨	تضمن الزبور تشريعات وأحكام.	
١٩	أنزل الله الإنجيل والتوراة لبني إسرائيل.	

ج - اختاري الإجابة التي توافقك:

م	الجملة	دائما	غالبا	أحيانا	نادرا	لا
١	أوقن أن الإيمان عمل نفسي يبلغ أغوار النفس.					
٢	لا أقبل الخضوع لأحد إلا الله.					
٣	لا أنسى أن أحدا لن ينفعني أو يضرني إلا بإذن الله.					
٤	أشعر بسكينة الإيمان كلما تقربت إلى الله بالصالحات.					
٥	أؤمن أن الإنسان لن يعيش في سلام مع نفسه إلا في ظل الإيمان بالله.					
٦	شعوري المستمر بمعية الله يخفف عني كل ما ألاقيه من عناء.					

م	الجملة	دائما	غالبا	أحيانا	نادرا	لا
٧	لا أجد حسرة في قلبي على شيء من الدنيا فاتني.					
٨	شعوري برقابة الملائكة لي يدفعني إلى تجنب المعاصي.					
٩	أستحضر حضور الملائكة في بيتي حين أملأه بالطاعات.					
١٠	أشعر بضيق إذا قصرت في تلاوة القرآن.					
١١	أشعر بحلاوة الإيمان حين أتدبر آيات القرآن.					
١٢	أحب أن يكون القرآن أنيسي في أموري الحياتية.					
١٣	أحب العمل بأحكام القرآن.					
١٤	أحب جميع الأنبياء حبا جما.					
١٥	لا يغيب عني ما بذله الرسل من جهد ومشقة لهداية الناس.					
١٦	يفيض قلبي حبًّا برسول الله ﷺ.					
١٧	ينتابني ضيق إذا ما خالفت ما أمر به النبي ﷺ.					
١٨	أحب الإكثار من الصلاة على النبي ﷺ.					
١٩	أجد في قلبي كل حب وتقدير لصحابة النبي ﷺ.					
٢٠	خشيتي من النار تدفعني إلى تحري الدقة عند النقل عن النبي ﷺ.					
٢١	استحضاري لأهوال يوم القيامة يدفعني إلى الإكثار من الصالحات.					
٢٢	أميل إلى القراءة عن يوم القيامة إذا وجدت في نفسي ركونا إلى الدنيا.					

م	الجملة	دائما	غالبا	أحيانا	نادرا	لا
٢٣	أشعر بضيق إذا ضاع مني وقت دون الانتفاع به.					
٢٤	إيماني بالآخرة يهون على نفسي ما تجده من ضيق وكرب.					
٢٥	لا يغيب عني أنني قد أموت في أي لحظة.					
٢٦	أحب أن يكون لى صدقة جارية أنتفع بها بعد موتي.					
٢٧	لا يغيب عن قلبي أن ما أصابني لم يكن ليخطئني وما أخطأني لم يكن ليصيبنى.					
٢٨	أشعر باطمئنان وسكينة مهما أصابني من الكروب.					
٢٩	أؤمن أن الإيمان بالقدر يكسب صاحبه شجاعة لا نظير لها.					
٣٠	أكره تكاسل بعض الناس عن الأخذ بالأسباب.					

د - اختاري الإجابة التي توافقك:

م	الجملة	دائما	غالبا	أحيانا	نادرا	لا
١	أذكر من حولي أن الإيمان يحرر صاحبه من العبودية لكل ما سوى الله.					
٢	لا يقعدني عن نصرة ديني لوم لائم أو بغي ظالم.					
٣	أحث زوجي على بذل جزء معلوم من ماله في الخير ثقة في رزق الله.					
٤	أذكر من حولي أن الأرزاق بيد الله وحده.					

م	الجملة	دائما	غالبا	أحيانا	نادرا	لا
٥	أحافظ على أورادي من الذكر والعبادة.					
٦	أذكر معارفي بأن عمل الصالحات باب للسكينة وراحة البال.					
٧	أتجنب المعصية استحياء من الملائكة.					
٨	أملأ بيتي بالطاعات والقربات لتحضره الملائكة.					
٩	أتجنب كل ما يؤذي الملائكة من طعام أو غيره.					
١٠	أحافظ على تلاوة وردي اليومي من القرآن.					
١١	أجتهد في تدبر آيات القرآن عند تلاوته.					
١٢	أحرص على أن يكون القرآن ضابطًا لأعمالي وأقوالي.					
١٣	لا أدخر جهدا في السعي لتحكيم القرآن في حياة المجتمع.					
١٤	أذكر معارفي بفضائل الأنبياء ومكانتهم عند الله.					
١٥	أستفيد بما ورد عن الأنبياء في تهذيب نفسي.					
١٦	أحرص على طاعة ما أمر به النبي ﷺ.					
١٧	أحرص على الاقتداء بالنبي ﷺ في جميع شئوني.					
١٨	أواظب على سؤال الوسيلة للنبي ﷺ بعد كل أذان.					
١٩	أجتهد في الالتزام بسنة النبي ﷺ.					
٢٠	أحرص على استثمار وقتي في كل نافع مفيد.					
٢١	أخفف عمن أصابه مكروه بأن الدنيا فانية والآخرة خير وأبقى.					

م	الجملة	دائمًا	غالبًا	أحيانًا	نادرًا	لا
٢٢	أذكر من حولي بالاستعداد للموت.					
٢٣	أحرص على كتابة وصيتي.					
٢٤	أحاسب نفسي كل يوم قبل نومي.					
٢٥	أذكر من حولي أنه لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا.					
٢٦	ألتزم الرضا والصبر إذا ما أصابني مكروه.					
٢٧	أبين لمعارفي أن الإيمان بالقدر يمنح صاحبه قوة وشجاعة.					
٢٨	أتجنب الالتفات للوراء: لو كان كذا لكان كذا.					
٢٩	لا أدخر جهدًا في الأخذ بالأسباب مع التوكل على الله.					

* * *

رابعًا : السيرة النبوية

قراءة سيرة رسول الله ﷺ تبعث في النفس سعادة وإحساسا بالقرب الحقيقي منه ﷺ، كما أنها تُحفِّز على التطبيق والاقتداء.

وهذه مختارات من السيرة النبوية، تتضمن العديد من المواقف التي كان للمرأة دور فيها، والعديد من المواقف التي تخدم المرأة اليوم في حياتها، مع استقصاء الأحداث الأقل شهرة في السيرة لمزيد التعرف على حياة النبي ﷺ.

ويحتوي هذا الجزء على موضوعين أساسين وهما:

١ - أهم الأحداث التاريخية من قبل البعثة وحتى نزول الوحي.

٢ - نزول الوحي والدعوة السرية .

وتتمثل المنهجية في هذا الجزء فيما يلي:

- ذكر عنوان الحدث المنتقى وربطه بما يجاوره من أحداث السيرة.

- تحديد ما يتضمنه الموضوع.

- عزو القارئة إلى الصفحات التي بها الموضوع من كتاب: "السيرة النبوية عرض وقائع وتحليل أحداث" للدكتور علي محمد الصلابي[١].

- التقويم : يراعى عند القيام بالتقويم أن يتم على ثلاث مراحل :

- مرحلة التقويم القبلي ، وتتم قبل قراءة الموضوع في كتاب السيرة، وذلك بقلم رصاص .

- مرحلة التقويم المرحلي ، وتتم بعد قراءة الموضوع من كتاب السيرة (وفيها يتم تدارك ما لم تستطيعي الإجابة عليه، والتأكد من إجاباتك ، والبحث عن إجابات للتساؤلات التطبيقية من أصحاب الاختصاص ومن لهم علم بالموضوع).

- مرحلة التقويم البعدي، وتتم بعد الانتهاء من جميع موضوعات السيرة المتناولة في الكتاب (وفيها يتم التركيز على نقاط الضعف في الإجابات، وتوسيع دائرة الخبرة للتساؤلات التطبيقية مع الاستعانة بأصحاب الاختصاص).

---

(١) طبعة دار النشر للجامعات، القاهرة ٢٠٠٨م.

١- أهم الأحداث التاريخية من قبل البعثة وحتى نزول الوحي

تعني دراسة السيرة بحياة النبي ﷺ منذ البعثة إلى وفاته ليتسنى لنا أخذ القدوة والتشريع من حياته، إلا أن المؤرخين عنوا بأهم الأحداث التاريخية من قبل البعثة وحتى نزول الوحي، لتكون بمثابة المقدمات التي تجعلنا نحسن فهم السيرة وتحليل مواقفها.

- ويشتمل هذا العنوان على الموضوعات التالية:

أ - وضع المرأة في المجتمع العربي قبل الإسلام.

ب- أخلاق العرب قبل الإسلام بين سلامة الفطرة وتيه العقل.

ج - قصة أصحاب الفيل.

د - عمل النبي ﷺ بالرعي.

هـ - حلف الفضول.

و - تجارة النبي ﷺ في مال خديجة وزواجه منها.

ز - اشتراك النبي ﷺ في بناء الكعبة.

أ- وضع المرأة في المجتمع العربي قبل الإسلام:

عكس وضع المرأة في المجتمع العربي قبل الإسلام الانحطاط الحضاري السائد آنذاك.

يتضمن هذا الموضوع: التخبط في الزواج بمن يحل ومن يحرم من النساء، وحرمان المرأة من الميراث، والتعيير بالبنات ووأدهن، ودور المرأة العربية في بيتها ومجتمعها، والأنكحة الفاسدة، وقواعد الطلاق المضرة بالمرأة. (الصلابي – ص: ٢٦ – ٢٩).

جوانب تطبيقية مستفادة:

- لا يوجد في العالم اليوم فكر ولا ملة تصون للمرأة حقوقها وكرامتها مثل الإسلام، فهل تستطيعين أن تشرحي هذه الصورة للنساء غير المسلمات عبر الوسائط الإعلامية!

- استعيني بالمقارنة بين أوضاع المرأة قبل الإسلام وبعده، لترغيب المسلمات المقلدات للغرب في العودة إلى تعاليم الإسلام الصافية.

- إذا كانت المرأة في الجاهلية بهذه الإيجابية في البيت والمجتمع ففي الإسلام أولى.

التقويم: (الدرجة النهائية ٢٠)

١ – كان العرب لا يورثون... ولا ... ولا ...، إلى أن توفي ... واشتكت امرأته إلى رسول الله ﷺ فقال: ... إلى أن نزل قوله تعالى ...(٦ درجات)

٢ – ما الذي كان يفعله بعض العرب ليجعل المرأة تكسب مالا؟ (درجتان)

٣ – اذكري بعض مظاهر مشاركة المرأة في خدمة البيت والمجتمع قبل الإسلام.(٤ درجات)

٤ – من الأنكحة الفاسدة قبل الإسلام ... و... و... وقد نص القرآن على تحريم نكاح الخدن، قال تعالى: ﴿......................﴾ (٤ درجات)

٥ – اذكري مظهرين من مظاهر تقويم الإسلام لنظام الطلاق الجاهلي بما فيه مصلحة المرأة على وجه الخصوص.(٤ درجات)

ب- أخلاق العرب قبل الإسلام بين سلامة الفطرة وتيه العقل:

إن انقطاع وحي السماء إلى الأرض قرابة ٦٠٠ عام (الفترة ما بين عيسى ومحمد عليهما السلام) جعلت الأخلاق العامة في انحدار تماشيا مع ضلال العقل السائد آنذاك، إلا أن كثيرا من العرب احتفظوا ببقايا الفطرة السليمة.

يتضمن هذا الموضوع: ذكاء العرب ، وفطنتهم، وكرمهم، وسخائهم، ومروءتهم، ونخوتهم، وعشقهم الحرية، والوفاء بالعهد، والوضوح، والصدق، وقوة البدن، وعظمة النفس.(الصلابي – ص: ٣٠ – ٣٥).

جوانب تطبيقية مستفادة:

– تنشر المسلمة دعوتها بين جموع الناس، ولا تدخر ذات جهدٍ جهدها لكنها تختار من بينهم أولات الصفات الحميدة لكي يكن حاملات للدعوة.

– الأولى أن نختار الأوساط والمنافذ التي يغلب على أهلها الصلاح وطيب الخلق.

– العقل والصفاء النفسي وحدهما لا يكفي لأن تكون الواحدة على صواب، بل لابد من الهداية الربانية والعلم الشرعي فاستعيني دوما بهذا الدعاء: ﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦ ﴾ [الفاتحة].

التقويم: (الدرجة النهائية ١٥)

١ - اذكري موقف أم عمرو بن كلثوم مع أم عمرو بن هند. (٣درجات)

٢ - اذكري صورتين من الوفاء عند العرب. (درجتان)

٣ - كيف وجَّه الإسلام الوفاء إلى وجهته السليمة؟ (٤درجات)

٤ - كان العرب يعيبون على الرجل الأكول، ومن حكمهم: البطنة تذهب الفطنة. علام يدل ذلك؟(٤درجات)

٥ - من أقوال العرب في صيانة العرض قول شاعرهم: ...(درجتان)

ج- قصة أصحاب الفيل:

اقتضت حكمة الله أن يكون اليسر مع العسر؛ ففي أجواء الظلام التي سادت العالم ببلاد العرب قبل الإسلام ظهرت بشارات تنبئ بقدوم نبي ذاك الزمان ومنها هذه القصة.

يتضمن هذا الموضوع: الإشارة إلى الحدث في القرآن والسنة، وذكر أحداث القصة، مع توضيح حقد النصارى على الكعبة، وحرمة المقدسات عند الجميع والكعبة على وجه الخصوص، ودور الخونة في هذا الحدث وجزاؤهم، والمقارنة بين موقف كلا من قريش وملك حِمْيَر من أبرهة، ودلالة الحادث على نبوة النبي ﷺ. (الصلابي - ص : ٣٦ - ٤٢).

جوانب تطبيقية مستفادة:

- أن النصر مع الصبر، وأن مع العسر يسرا، فما علينا إلا الاهتمام والدعوة والصبر.

- طبيعة الإسلام تطلب منا الدفاع بأيدينا عن المقدسات فبدلا من أن نقول: (للبيت رب يحميه) نقول: ﴿قَٰتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ ﴿١٤﴾ وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ ۗ وَيَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٥﴾﴾ [التوبة].

- تدعونا الآيات والأحاديث دوما للتفكر في قصص السابقين، فلتكن محل انتباهنا، ولنعلمها أبناءنا وبناتنا.

التقويم: (الدرجة النهائية ١٥)

١ - أشار الرسول ﷺ إلى قصة الفيل، فمتى كان ذلك؟ (درجة واحدة)

٢ – ماذا تفهمين من قول الله: ﴿أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ ۝٢﴾ [الفيل]؟ (درجتان)

٣ – قارني بين موقف ملك حِمْيَر وأهل قريش وعبد المطلب من جيش أبرهة. (٦ درجات)

٤ – تتبعي مظاهر الخيانة في حادث الفيل. (درجتان)

٥ – كيف كانت عاقبة الخائنين في واقعة الفيل؟ (درجتان)

٦ – "لسنا في زمن أبرهة" هل تؤيدين هذه العبارة ؟ولماذا؟ (درجتان)

د - عمل النبي ﷺ بالرعي:

عمل النبي ﷺ بالرعي فترة من عمره أهّلته لاكتساب مهارات أعانته فيما بعد على حمل الرسالة.

يتضمن هذا الموضوع: ملابسات العمل بالرعي، وما أكسبه هذا العمل من صفات؛ كالصبر والشجاعة والتواضع والعطف والرحمة. (الصلابي – ص:٥٢ - ٥٤)

جوانب تطبيقية مستفادة:

– المؤمنة رقيقة الحس، لا تكون عبئا على عائلها، بل عونا له، فساعدي عائل الأسرة من مالك الخاص عند الحاجة، وإلا فتحملي معه الأزمات المالية وقللي متطلباتك.

– الصبر والتواضع والعطف والرحمة من لوازم التربية، فأين أنت منها؟!

التقويم: (الدرجة النهائية ١٥)

١ – ما الظروف التي ألجأت محمدﷺ قبل البعثة للعمل برعي الغنم؟ (٣درجات)

٢ – كيف يمكنك الاستفادة بهذا الموقف من حياة الرسول ﷺ في حياتك المنزلية ؟ (٦ درجات)

٣ – اذكري ما أعجبك من الصفات التي اكتسبها النبي ﷺ من رعي الغنم وتأملين غرسها في أبنائك ومن تقومين بتربيتهم.(٦ درجات)

هـ - حلف الفضول:

حلف الفضول من الأحداث التي عايشها النبي قبل البعثة والتي تتطلب الوقوف عندها.

يتضمن هذا الموضوع: ملابسات حلف الفضول، وما اشتمل عليه، وشهود النبي له وثناؤه عليه، وبيان طلاقة قيمة العدل، والتعلم من إيجابية محمد ﷺ. (الصلابي – ص: ٥٧ – ٥٩).

جوانب تطبيقية مستفادة:

- الإسلام يدعو للعدالة المطلقة، فإياك من تغليب المصلحة الشخصية أو الانتصار لأحد على حساب العدل.

- لا مانع أن نتبنى أفكار الغير ومشاريعهم ما دامت في ميزان الإسلام مقبولة.

- اجتمعي مع أخواتك من أهل الحي لإنشاء لجنة صلح لحماية الحقوق ورد المظالم.

التقويم: (الدرجة النهائية ١٠)

١ – من هم أطراف حلف الفضول ؟ (درجتان)

٢ – علام تحالف القبائل ؟ (درجتان)

٣ – العدل قيمة مطلقة.

وضحي المقصود بالجملة السابقة بذكر مظاهر اختلال العدل المطلق في حياتنا الاجتماعية. (٣درجات)

٤ – اذكري بعض المجالات والمواقف التي يمكنك تفعيل إيجابيتك من خلالها في ضوء دراستك لحلف الفضول. (٣درجات)

و-تجارة النبي ﷺ في مال خديجة وزواجه منها:

كانت تجارة محمد في مال خديجة وزواجه منها نقلة اجتماعية في حياته قبل البعثة، وهي فترة تصور لنا مرحلة شبابه؛ ليتسنى لنا الاقتداء بها.

يتضمن هذا الموضوع: استثمار السيدة خديجة لمالها، واختيارها لمحمد ﷺ تاجرا ثم زوجا، وبيان مسئولية الاختيار عند المرأة مقابل القوامة عند الرجل، ووفاء النبي ﷺ لخديجة، وسلوكنا عند فقد الأولاد، ورد شبهة المستشرقين في زواج رسول الله ﷺ. (الصلابي – ص: ٦٠ – ٦٢).

جوانب تطبيقية مستفادة:

– قيد الإسلام الزوجة بطاعة زوجها والسير تحت قوامته، لكن أعطاها الحرية التامة والمسئولية الكاملة في اختيار الزوج، فتبصري جيدا من ستختارين ليكون قيما عليك.

– للمرأة ذمتها المالية المستقلة في الإسلام، ولها حق البيع والشراء وسائر المعاملات، ولكن لا يدعوها هذا للخروج على وليها.

– الأنسب للمرأة بدلا من أن تباشر التجارة والأعمال الكسبية أن تعين أمينا ليباشر لها الكسب وتقوم هي بدور الإشراف والمتابعة.

التقويم: (الدرجة النهائية ١٠)

١ – قررت خديجة الزواج من محمد ﷺ بعد أن حدثها عنه ... فحدثت برغبتها صديقتها ... فعرضت هي على محمد ﷺ فكرة الزواج فرضي، فتزوجها رسول الله ﷺ وأصدقها ... (٣ درجات)

٢ – للمرأة ذمتها المستقلة في الإسلام، وقوامة الرجل عليها لاتعفيها من مسئولية الاختيار، وضحي هذه العبارة بالإجابة على ما يلي:

– ماذا كانت تفعل خديجة لاستثمار مالها؟ (درجتان)

– لماذا اختارت محمدا ﷺ ليتاجر لها في مالها؟ (درجتان)

– حاولي توضيح وجهة نظرها في اختيارها له من تاجر لها إلى زوج. (٣ درجات)

ز – اشتراك النبي ﷺ في بناء الكعبة:

يصور حادث تجديد بناء الكعبة واشتراك محمد فيها إيجابية النبي ﷺ كفرد من أفراد المجتمع، مع الحكمة وعدم التطلع إلى المكانة.

يتضمن هذا الموضوع: ملابسات وأحداث تجديد بناء الكعبة، ودور محمد ﷺ في البناء، وقضية النزاع حول وضع الحجر، وعناية الله ومباركته لهذا العمل، ومراحل تجديد بناء الكعبة على مر التاريخ. (الصلابي – ص: ٦٢ – ٦٤).

جوانب تطبيقية مستفادة:

– قداسة الكعبة ممتدة من تشريف الله لها، وعليه فنحن نقدس كل ما عظمه الله.

- فإهدار دم المسلم بغير حق أعظم عند الله جرما من هدم الكعبة.
- والمسجد الأقصى له قداسته في قلوبنا تماما مثل البيت الحرام.
- ومحارم الله حماه في أرضه، نغضب إذا حاول أحد انتهاك شيء منها.
- المسلمة تسعى لمشاركة المجتمع في فعل الخير، لا تتطلع إلى أن تسود وتتسلط على الجميع.

التقويم: (الدرجة النهائية ١٠)

١ - كان تجديد بناء الكعبة مصحوبا بحفظ الله.

اشرحي العبارة بالجواب على ما يلي، مع ذكر دلالة ما تقولين على مكانة الكعبة:

أ - ماذا فعلت قريش لما عابت هدم الكعبة؟ وماذا كانت النتائج؟ (٥ درجات)

ب- لماذا قصرت النفقة بقريش في عملية تجديد بناء الكعبة؟ وماذا نتج عن هذا القصور؟ (٥ درجات)

* * *

٢- نزول الوحي والدعوة السرية

تمتد هذه الفترة ما بين بدء نزول الوحي إلى أن أُمِرَ النبي ﷺ بالجهر بالدعوة، وهي فترة تقارب ثلاث سنوات.

في هذا الدرس يتم تناول الموضوعات التالية:

أ - وصف نزول الوحي ومقدماته.

ب- دور السيدة خديجة في بداية نزول الدعوة.

ج - بدء الدعوة السرية.

د - استمرار النبي ﷺ في الدعوة.

هـ- أهم خصائص الجماعة التي تَربَّتْ على يد رسول الله ﷺ.

و - البناء العقدي في العهد المكي.

ز - تصحيح الجانب العقدي لدى الصحابة رضي الله عنهم.

ح - البناء التعبدي والأخلاقي في العهد المكي.

أ- وصف نزول الوحي ومقدماته:

قصة نزول الوحي مجملة في حديث أخرجه البخاري عن عائشة رضي الله عنها، وهي فترة تبلغ من أهميتها توقف إثبات صحة السنة وحجيتها بما تحمله من تعاليم الإسلام على إثباتها، ومحاولة أعداء الإسلام التشكيك في حقيقة الوحي؛ لإبطال ما تحمله من تعاليم الإسلام والتوصل لهدم الإسلام.

يتضمن هذا الموضوع: تحليل حديث السيدة عائشة رضي الله عنها ببيان الرؤيا الصالحة، وتحبيب الخلاء إلى النبي ﷺ، وحقيقة ما تم في غار حراء ووصفه، والشدة التي تعرض لها الرسول ﷺ عند نزول الوحي. (الصلابي - ص : ٧٠ - ٧٨).

جوانب تطبيقية مستفادة:

- للإيمان الصادق والعبادة الصحيحة والمجاهدة نور وحلاوة يقذفها الله في قلب من يشاء من عباده، ولكن الإلهام والخواطر والكشف والرؤى ليست من أدلة الأحكام الشرعية، ولاتعتبر إلا بشرط عدم اصطدامها بأحكام الدين ونصوصه.

- عمل القلب أهم من عمل الجوارح ، وتحصيل الكمال في كليهما مطلوب شرعا ، وإن اختلفت مرتبتا الطلب.

- حاولي الالتحاق بجهة شرعية موثوق بها لتصقلي نفسك بالعلم، لتتمكني من الدفاع عن الإسلام.

التقويم: (الدرجة النهائية ١٥)

١ - ما وجه دلالة الرؤيا الصالحة على صلاح من حظي بها رجلا كان أو امرأة؟ (٤ درجات)

٢ - كيف كانت الخلوة لونا من ألوان الإعداد النفسي للنبي ﷺ؟ (درجتان)

٣ - كيف تستفيدين كمسلمة وداعية من إعداد الله النبي ﷺ للرسالة بتحبيب الخلاء إليه؟ (٥ درجات)

٤ - لماذا يحرص أعداء الإسلام على إنكار حديث الوحي والتشكيك فيه؟ (درجتان)

٥ - من أنواع الوحي ... و... (درجتان)

ب- دور السيدة خديجة في بداية نزول الدعوة:

نستكمل هنا تحليل حديث السيدة عائشة في نزول الوحي.

يتضمن هذا الموضوع: أثر المرأة الصالحة في خدمة الدعوة، ووفاء النبي ﷺ للسيدة خديجة ﭫ، وسنة تكذيب المرسلين كما اتضحت للنبي ﷺ أول الرسالة، وقصة فترة الوحي(الصلابي - ص : ٧٨ - ٨٢).

جوانب تطبيقية مستفادة:

- عدّدي سمات زوجك الصالحة، لتعميق العلاقة بينك وبينه.

- الزوجة اللبقة تعرف طبيعة وظيفة زوجها وتطور هذه الوظيفة وتتعامل معه وفق هذا التطور المستمر.

- لا تستهيني بأهمية الكلمات والنصائح التي تؤدينها لزوجك في أمور الدين، فقد تكوني سببا لنشر الخير والهداية في أوساط ومجتمعات كبيرة.

التقويم: (الدرجة النهائية ٢٠)

١ – اتسمت السيدة خديجة ﵂ بالسكينة وعدم الفزع وسعة الإدراك.

فما مظاهر هذه السمات عند إعلام النبي ﷺ إياها بخبر الوحي؟ (٥درجات)

٢ – كيف تقتادين كزوجة وداعية بالسيدة خديجة ﵂ ؟ (٦درجات)

٣ – عن أبي هريرة ﵁ : «أتى جبريل النبي ﷺ فقال : يا رسول الله، هذه خديجة ... أكملي الحديث. (درجتان)

٤ – علام يدل إخبار ورقة النبيَّ ﷺ بإخراج قريش له وهو يترجم له ما حدث في غار حراء؟ (درجتان)

٥ – ما المقصود بفترة الوحي؟ (درجة واحدة)

٦ – هل توافقين على أن فترة الوحي جعلت النبي ﷺ يغدو عدة مرات ليتردى من أعلى الجبل ويظهر له جبريل كل مرة ويبشره أنه رسول الله؟ ولماذا؟ (٤ درجات)

ج- بدء الدعوة السرية:

بتتبع فترة الدعوة السرية التي بدأ بها الرسول ﷺ دعوته يتبين للدعاة والمصلحين الترتيب السليم لمراحل الدعوة والأولويات عند الدعاة.

يتضمن هذا الموضوع: إسلام السيدة خديجة، وإسلام علي بن أبي طالب، وإسلام زيد ابن حارثة، وإسلام بنات النبي ﷺ ، والعوامل التي يسرت لهم قبول الإسلام، وأهمية تكوين البيت المسلم لإصلاح البشرية (الصلابي - ص : ٨٤ – ٨٦).

جوانب تطبيقية مستفادة:

– تعرفي على مزيد من أحوال بيت النبوة، واجعليها قدوة وحاولي التأسي بها، ولا تنظري لها على أنها أمثال خيالية.

– اهتمي بدعوة أهل بيتك وأهل زوجك ومن يعيش حولك؛ فإن لهم الأولوية، وهذا يقتضي أن تتعالي على أي خلاف يقع بينك وبين الأهل، فهذا هو شأن الداعيات.

التقويم: (الدرجة النهائية ٢٠)

١ – اختص بيت النبوة بخصال تؤهله لأن يكون البيت القدوة لبيوت المسلمين. وضحي ذلك من خلال دراستك لموضوع إسلام بيت النبي ﷺ. (٥درجات)

٢ – الزوجة أولى الناس بالدعوة والتعليم، ما تأصيل هذه القاعدة؟ (درجتان)

٣ – أسلم عليٌّ جهارا، وأعلم بذلك أهله وأعمامه منذ البداية. هل هذه العبارة صحيحة ؟ ولماذا؟ (٣ درجات)

٤ – ما الأسباب التي يسرت لبنات النبي ﷺ الدخول في الإسلام؟ (٤ درجات)

٥ – الفرد المسلم ركن الزاوية الذي يقوم عليه المجتمع المسلم.

ناقشي هذه العبارة موضحة أهمية إصلاح الفرد وتكوين البيت المسلم كأول خطوات الإصلاح، مستدلة على ما تقولين من السيرة النبوية .(٦ درجات)

د- استمرار النبي ﷺ في الدعوة :

هذه الفترة من الدعوة تبين الأسس والمبادئ التي ينبغي اتخاذها لإتمام عملية الإصلاح وتكوين الأجيال الجديدة.

يتضمن هذا الموضوع: الحس الأمني وضوابطه، وأهمية غرسه في نفوس الدعاة، ودور دار الأرقم في هذه المرحلة. (الصلابي – ص: ٩١ – ٩٣).

جوانب تطبيقية مستفادة:

– تعرفي على فقه الأوليات والثوابت والمتغيرات في الإسلام، فقد يكون العمل في وقت من الأوقات وتحت ظروف معينة صالحا أن يتم ، ولا يصلح في وقت آخر.

– احرصي على الانتظام في حلقة تعليمية تربوية، وتغلبي على الأعذار للحفاظ على انتظام هذا اللقاء واستمراره.

– تعرفي على الصفات الأساسية لمن تدعينها إلى خصال الخير، راجية أن تكون حاملة الدعوة بعد، وهذا يتطلب مخالطة واسعة النطاق لشرائح المجتمع.

التقويم: (الدرجة النهائية ١٠)

١ – كانت الدعوة السرية مرحلة خطيرة تحتاج إلى حذر، في ضوء العبارة وضحي:

أ – ما مظاهر صعوبة أداء الشعائر آنذاك؟ (درجتان)

ب–كيف كان اجتماع المسلمين لتلقي العلم أمرا صعبا ؟ (درجتان)

٢ – ما الصفات التي كان يشترطها الصحابة رضي الله عنهم في من يدعونه في الدعوة السرية؟ (درجتان)

٣ - ما الذي كان يقتضيه معرفة صفات المدعو قبل عرض الإسلام عليه في المرحلة السرية؟ (درجتان)

٤ - أكملي هذه العبارة:

من فوائد الحس الأمني أنه يجنب المسلمين ... (درجتان)

هـ- أهم خصائص الجماعة التي تربت على يد رسول الله ﷺ:

في هذا الدرس يتبين لنا الصفات التي بها سبق الصحابة ﷺ، والتي أهّلتهم لسيادة الأمم.

يتضمن هذا الموضوع: الامتثال الكامل للوحي، وعدم التقديم بين يديه، والتأثر الوجداني العميق بالوحي والإيمان (الصلابي – ص: ٩٤ – ٩٥).

جوانب تطبيقية مستفادة:

- المؤمنة تسخر العلم من أجل العمل، فهي لا تتعلم إلا ما ينفعها، ولا تنغمس في التعلم وتترك العمل والتطبيق.

- داومي على تلاوة القرآن والتدبر في معانيه؛ لتسلكي طريق **الصحابة** والتابعين.

- نرفض ما عليه الكثير اليوم من تحول العلم إلى مسائل جدلية، يكون الهدف منها مغالبة الآخرين.

التقويم: (الدرجة النهائية ١٠)

١ - ما أسباب استماع الطليعة الأولى لأوامر القرآن والسنة؟ (٤درجات)

٢ - لم يكن علم الصحابة حقائق علمية مجردة ...وضحي هذه العبارة.(٣درجات)

٣ - كان الصحابة ﷺ رهبان بالليل فرسان بالنهار... وضحي هذه العبارة. (٣درجات)

و-البناء العقدي في العهد المكي:

نعني في هذا الدرس الجواب على سؤال: ما العقيدة السليمة التي غرسها النبي ﷺ في نفوس الصحابة منذ بداية الدعوة؟ وعليه نرجع مفهوم العقيدة إلى أصله بعد أن صارت العقيدة مسائل معقدة معرفية جدلية عقيمة، لا يُبنىَ عليها عمل وانضم إليها ما ليس منها.

هذا الموضوع يتضمن: فقه النبي ﷺ في التعامل مع السنن، وضوابط التعامل مع السنن، وسنة التغيير وعلاقتها بالبناء العقدي. (الصلابي - ص : ١٠٢ - ١٠٥).

جوانب تطبيقية مستفادة:

- اجعلي هدف حياتك الأول الوصول للربانية بتعميق الإيمان بالأركان الستة.

- تعرفي على السنن الإلهية في قيام الأمم وسقوطها عبر التاريخ، والفرق بين العمل للتغيير وبين انتظار المعونة الإلهية وجريان السنن.

- عود العزة للمسلمين متوقف على إصلاح عقيدتهم على نهج النبوة، فأين أنت وأولادك من هذه العقيدة؟!

التقويم: (الدرجة النهائية ٢٠)

١ - لماذا عني القرآن بإبراز السنن الكونية؟ (٣درجات)

٢ - ما أهمية معرفة السنن الكونية؟ (٣درجات)

٣ - ما منهجنا في التعامل مع السنن؟ (٤درجات)

٤ - ما أثر معرفة السنن الإلهية على الدعاة ؟ (٤درجات)

٥ - اذكري شكلا مجملا للتدرج الذي سارت به الدعوة توافقا مع السنن الإلهية.(٤درجات)

٦ - ما علاقة التغيير بالتمكين ؟ (درجتان)

ز- تصحيح الجانب العقدي لدى الصحابة رضي الله عنهم :

نستمر هنا في عرض قضايا العقيدة السليمة التي ينبغي للمسلمة أن تعود إليها.

تناول هذا الموضوع يتضمن: تصحيح عقيدة الصحابة رضي الله عنهم في أسماء الله وصفاته، ووصف الجنة والنار وأثره في نفوس الصحابة رضي الله عنهم، ومفهوم القضاء والقدر وأثره في تربية الصحابة رضي الله عنهم ومعرفتهم لحقيقة الإنسان، وتصحيح عقيدة أهل الكتاب في الخطيئة الأولى، والوقوف على عداوة الشيطان ونظرتهم للحياة والكون والمخلوقات.(الصلابي - ص:١٠٥ - ١٠٩).

جوانب تطبيقية مستفادة:

- خصصي وقتًا كافيًا للتعرف على أسماء الله الحسنى، وكيفية التفكر فيها وإحصائها،

فهذا وحده طريق إلى الجنة. عن أبي هريرة: أن رسول الله ﷺ قال: «إن لله تسعة وتسعين اسما مائة إلا واحدا من أحصاها دخل الجنة».

– راقبي نفسك في مدى الإيمان بالقدر من خلال انفعالاتك تو وقوع القدر وبعده، واستعيني بالله، ففي الحديث عن أبي الدرداء عن زيد بن ثابت «... أسألك اللهم الرضا بعد القضاء ...» (مسند أحمد: ٢٠٦٧٨).

– استحضري عداوة الشيطان أمام عينيك لتكون حافزا لك على الطاعة وترك المعصية.

التقويم: (الدرجة النهائية ٢٠)

١ – ما أثر تركيز القرآن على وصف الجنة في الصحابة والدعاة؟ (٣درجات)

٢ – اذكري بعض آثار التصور الإسلامي لأسماء الله وصفاته. (٥درجات)

٣ – ذكر القرآن في آية واحدة أصل عقيدة القضاء والقدر، فما هي هذه الآية؟ (درجتان)

٤ – اذكري بعض ثمار تصويب عقيدة القضاء والقدر عند الصحابة .(٤درجات)

٥ – صحح الإسلام قضية الخطيئة الأولى وعداوة الشياطين للإنسان وضرورة التغلب على طبيعة النفس...

في نقاط محدد ة بيّني موقف القرآن من قصة آدم مع الشيطان، وكيف واجه الصحابة عداوة الشيطان. (٦درجات)

ح - البناء التعبدي والأخلاقي في العهد المكي:

يهتم المصلحون والمربون ببناء جيل جديد يفهم الإسلام فهما صحيحا، على أن تُبنى شخصية هذا الجيل بناء متكامل الجوانب « الروح والعقل والبدن » وفي دراسة هذا الموضوع يتثنى لنا الاقتداء بالنبي ﷺ في التربية.

يتضمن هذا الموضوع: تزكية أرواح الرعيل الأول بأنواع العبادات، والخطوات التي وضعها الرسول ﷺ لتربية العقل والتربية الجسدية، وكيف وازن الرسول ﷺ بين حاجات البدن. (الصلابي – ص: ١١٠ - ١١٢).

جوانب تطبيقية مستفادة:

– كلًّا من أعمال القلوب وأعمال الجوارح له أثره على الآخر، فالقلب يدفعنا لأداء العبادة بيسر، والعبادة تزيد القلب زكاءً، لكن القلب بالنسبة للجوارح كالعقل المحرك للجهاز.

– ارجعي في كل مشكلة تربوية إلى السيرة تجدين حلها مبسطا بعيدا عن الفلسفة النظرية المعقدة.

– من تقوم بالتربية تسير في ثلاث خطوط متوازية: العقل، الروح، البدن.

التقويم: (الدرجة النهائية ١٥)

١ – العبادة من وسائل التربية الروحية لدى الصحابة رضي الله عنهم، وهي نوعان.... و...
كالصلاة التي كان من أثرها على زكاء أرواح الصحابة رضي الله عنهم ... و.... و....
(٤ درجات)

٢ – اذكري وسائل التربية الوجدانية لدى الصحابة رضي الله عنهم .(٤درجات)

٣ – ما هي الخطوات التي وضعها القرآن لتربية العقل؟ (٣درجات)

٤ – كيف وازن الرسول ﷺ بين الحاجات الجسدية للصحابة رضي الله عنهم ؟ (٤ درجات)

* * *

خامسًا : الفقـــــه

مقدمة

المنهجية المتبعة والمحتوى الرئيس:

يهدف جزء الفقه من هذا الكتاب إلى توضيح قضايا ومسائل فقهية حيوية تمس المرأة مسًّا مباشرا، وتجيب على كثير مما يتردد في الأذهان وما يدور على الألسنة من تساؤلات، كما أنها تُرسي مفاهيم قد اختلطت على الكثير.

أ- وقد اتُّبع المنهج التالي للعرض:

١ – اختيار كتاب المفصل في أحكام المرأة للدكتور عبد الكريم زيدان كمرجع أساسي [http://majles.alukah.net/showthread.php?t=٦٤١٠، ٢٦ -١١ – ٢٠٠٨م].

٢ – تقسيم هذه القضايا في شكل حلقات دراسية تأكيدا على ضرورة الاجتماع لتلقي الفقه من أهل التخصص.

٣ – تحديد الموضوعات الرئيسة .(١٤موضوعًا)

٤ – تحديد الموضوعات الفرعية .

٥- عزو تلك الموضوعات إلى أرقام صفحات الموضوعات بالمرجع المشار إليه.

٦- وضعت مجموعة أسئلة تقويم تهدف إلى قياس المعرفة والفهم والإدراك لبعض المسائل الفقهية المتناولة.

ويفضل في التقويم اتباع المراحل التالية :

التقويم القبلي حيث يتم قبل قراءة الموضوع بالكتاب ،ثم تقويم مرحلي حيث يتم الإجابة على الأسئلة بعد قراءة الموضوع من الكتاب ، ثم التقويم البعدي بعد الانتهاء من دراسة الموضوعات بأكملها .

٧- مع ملاحظة أنه من الأمور الأولى لنا تركها في تناول موضوعات الفقه ما يلي :

- الاختلافات الفقهية في مسألة واحدة طالما يوجد رأي راجح.
- تفسير الآيات والآراء فيها وآراء المفسرين الفقهية.
- مناقشة الأدلة والردود والترجيح بينها، والاكتفاء بعرض الدليل فقط.

ب - تم تناول المحتوى من خلال العناوين التالية:

١ - **اللباس والزينة للمرأة**: ويحتوي على ثلاثة عشر درسا لموضوعات رئيسة تحت العناوين التالية:

ألوان اللباس، ما يشترط في لباس المرأة المسلمة، تعريف الزينة، الحلي، الكحل، الخضاب، الطيب، الشعر وما يتعلق به، الوشم والوشر، زينة المرأة في الوقت الحاضر، أعمال التجميل وعملياته.

٢ - **التبرج والاختلاط**: ويحتوي على دراسة لمفهوم الاختلاط، وحكمه، وحكم الاختلاط للحاجة.

ج- واجبات عملية تقوم بها المسلمة بمفردها أو بمعاونة المتخصصات:

على المسلمة عدم الاكتفاء بما في خطة الدراسة هذه للإلمام بالمسائل الفقهية والفتاوي المتعلقة بهذه الموضوعات، ولكن التعرف على الفتاوى المعاصرة في المصادر المختلفة المعتمدة.. **فمن هذه المسائل فيما يتعلق باللباس والزينة:**

- المتاجرة بأدوات التجميل والمكياج والعطور.
- تحديد الفتنة بالنسبة للمرأة.
- حكم لبس النقاب والبرقع واللثام.
- حكم لبس العباءة على الكتفين وتغطية الرأس.
- حكم لبس العباءة المطرزة.
- حكم الجلوس مع أقارب الزوج بالحجاب.
- حكم كشف المرأة الكبيرة سنًّا وجهها.
- حكم تقصير شعر الرأس للمرأة.
- حكم لبس الباروكة.
- حكم تخفيف الحاجب وتطويل الأظافر ووضع طلاء الأظافر.
- حكم خروج المرأة متعطرة ومتزينة.
- حكم شراء مجلات الأزياء.

ومنها فيما يتعلق بالخلوة والاختلاط:

- سفر المرأة، أو إقامتها في غير بلدها بدون محرم.
- حكم دخول الأسواق المختلطة.
- حكم عمل المرأة في مكان مختلط.

ويمكن الرجوع إلى فتاوى دار الإفتاء المصرية وغيرها، كذا فتاوى العلماء المتخصصين المعتدلين كفتاوى الشيخ القرضاوي وغيره.

١ - اللباس والزينة للمرأة

مسلسل	الموضوع الرئيس	الموضوعات الفرعية	الصفحات
الأول	ألوان اللباس	الأصل في ألوان اللباس الإباحة، النص على إباحة اللون الأسود للنساء، النص على إباحة اللون الأخضر للنساء، المعصفر مباح للنساء محظور على الرجال، اللون الأبيض، اللون الأصفر. **التقويم: (الدرجة النهائية ١٠)** أكملي: ١ – عن أم خالد بنت خالد قال: « أتي للنبي ﷺ بثياب فيها ... فقال: من ترون أن تكسو هذه؟ فسكت القوم، قال: ائتوني بأم خالد. فأتي بها، فأخذ الخميصة بيده، فألبسها وقال... وكان فيها...(٤ درجات) ٢– الثوب المعصفر مباح للمرأة محظور على الرجل، ما الدليل على هذا؟(درجتان) ٣ – ورد الحديث بجواز لبس الرجل للثوب المصبوغ بالأصفر، فما دليل إباحته للمرأة؟(٤ درجات)	٣١٣-٣١٥
الثاني	ما يشترط في لباس المرأة المسلمة	هل يجب استيعاب جميع بدن المرأة باللباس؟ الخمار، معنى الخمار، معنى الجيوب، الخلاصة في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ﴾، ما ورد في السنة بشأن آية الخمار، الجلباب، الراجح في تعريف الجلباب، تفسير آية الجلباب، لبس الجلباب عند الخروج من البيت، لبس الجلباب في البيت. السراويل، معنى السراويل في اللغة، الأحاديث في لبس المرأة السراويل، لبس المرأة السراويل يحقق لها مقصود اللباس، لبس المرأة السراويل جائز ومستحب. الخلاصة في طول ثوب المرأة، كم المرأة والرجل.	٣١٨-٣٢٩

		التقويم: (الدرجة النهائية ٢٠) ١ – ما المقصد الشرعي من لباس المرأة ؟ (درجتان) ٢ – ما المقصود بكل من: الخمار، الجيب ، الجلباب ، السراويل.(٨درجات) ٣ – تكلمت السيدة عائشة ﵂ عن آية الخمار، فماذا قالت؟(درجتان) ٤ – ما حكم لبس المرأة الجلباب عند الخروج من البيت لقضاء حاجتها أو لسبب مشروع كالصلاة؟(٤درجات) ٥ – هل لباس المرأة قاصر على الخمار والجلباب والسروال؟ وضحي. (٤درجات)	
الثالث		أن يكون اللباس واسعا، اللباس الضيق للمرأة محظور، اللباس الضيق محظور ولو كان كثيفا، أقوال الفقهاء في اللباس الضيق الكثيف، تضييق الأكمام وتوسيعها. أن يكون اللباس كثيفا غير شفاف، اللباس الشفاف محظور. التقويم: (الدرجة النهائية ١٠) ١ – ما الحكمة من حظر الثوب الضيق على المرأة؟(٤درجات) ٢ – بما أوصى النبي ﷺ لتلاشي عيب الثوب الضيق الكثيف؟ (درجتان) ٣ – ما الذي يحسن بالمرأة فعله في ذيل ثوبها وكُمّه؟(درجتان) ٤ – من هم النساء الكاسيات العاريات؟ (درجتان)	٣٣٠- ٣٣٢
الرابع		ألا يكون لباس المرأة لباس شهرة، المقصود بلباس الشهرة، لباس الشهرة محظور، تكون الشهرة باللباس	٣٣٥- ٣٤٤

		الخسيس والنفيس، الشهرة بالدوام على زي معين، هل المحظور اللبس بقصد الشهرة أم حصولها فعلا؟ الشهرة باللباس والرغبة في الحسن منه، التواضع باللباس والاشتهار به، المرأة ولباس الشهرة. ألا يكون لباسها شبيها بلباس الرجل، التشبه باللباس محظور، هل لبس المرأة السراويل تشبه بالرجل؟ حكمة تحريم التشبه، التشبه بغير المسلمين. **التقويم:** (الدرجة النهائية ٢٠) ١ – ما المقصود بلباس الشهرة؟ (درجتان) ٢ – ما الفرق بين لبس الثوب للشهرة أو حصولها بلا قصد؟ (٤ درجات) ٣ – اذكري حديثا على تحريم لبس المرأة الثوب المختص بالرجال. (درجتان) ٤ – متى يكون لبس السراويل للمرأة مباحا؟ ومتى يكون محظورا ومتى يكون مستحبا؟ (٦ درجات) ٦ – ما الحكمة من تحريم تشبه الرجال بلباس المرأة أو المرأة بلباس الرجل؟ (٦ درجات)	
الخامس	تعريف الزينة	تعريف الزينة، مشروعية الزينة، حكمة إباحة الزينة، الزينة مستحبة للزوجة، حكمة استحباب الزينة للزوجة. **التقويم:** (الدرجة النهائية ١٠) ١ – ما هو الأصل في حكم الزينة؟ (درجتان) ٢ – ما حكمة إباحة الإسلام الزينة للمرأة؟(درجتان) ٣ – اذكري حكم الزينة للزوجة وحكمتها؟(٦ درجات)	٣٤٦- ٣٤٨
السادس	الحلي	تعريف الحلي، التزين بالحلي من الذهب والفضة المباح للنساء، أنواع حلي النساء من الذهب والفضة، حلي	٣٤٩- ٣٥٢

		النساء في زمن النبي ﷺ، السرف في الحلي، التحلي بغير الذهب والفضة، التختم بالحديد ونحوه. **التقويم:** (الدرجة النهائية ٥) ١ – هل يجوز للمرأة أن تكثر لبس الحلي؟ (درجتان) ٢ – ما حكم لبس الخاتم الحديد ونحوه؟(ثلاثة درجات)	
السابع	الكحل والخضاب	تعريف الكحل، تعريف الخضاب، هل الكحل مباح؟ أقوال الفقهاء، الخضاب لتغيير الشيب، الخضاب بالسواد، رأي ابن القيم، جواز صبغ المرأة شعرها، هل تصبغ المرأة شعرها بالسواد؟ أقوال الفقهاء في خضاب اليدين، مقدار ما يخضب من يدي المرأة، خضاب القدمين للمرأة، مقدار ما يخضب من قدمي المرأة، لعن الفاشرة والمفشورة، الخلاصة في معنى الفاشرة والمفشورة، الفشر في الوقت الحاضر، حكم الفشر وحكمة حكمه. **التقويم:** (الدرجة النهائية ١٠) ١ – هل الكحل مباح؟(درجة واحدة) ٢ – هل يجوز الخضاب بالأسود؟(درجتان) ٣ – ما حكم خضب المرأة يديها للزوج والمحارم؟(٣درجات) ٤ – ما مقدار خضب المرأة يديها وقدميها؟(درجتان) ٦ – ما حكم الفشر؟(درجتان)	٣٥٣-٣٦٤
الثامن	الطيب	الطيب مباح للمرأة، لا يتطيب الرجل في وجهه خلافا للمرأة، طيب الرجل والمرأة، كراهية خروج المرأة من بيتها وهي متعطرة، نهي المتعطرة عن حضور المسجد. **التقويم:** (الدرجة النهائية ٥) ١ – ما حكم الطيب للمرأة ؟(درجة واحدة)	٣٦٦-٣٦٧

		٢ – ما الفرق بين تطيب الرجل وتطيب المرأة؟(درجتان) ٣ – هل يجوز للمرأة الخروج من البيت متعطرة؟(درجتان)	
التاسع	الشعر وما يتعلق به	من كان له شعر فليكرمه، ترجيل الشعر، النهي عن الترجيل إلا غبا، المرأة كالرجل في ترجيل الشعر وإكرامه والغب، نتف الشيب محظور، نتف الشيب لإرهاب العدو جائز، النهي عن نتف الشيب يشمل الرجل والمرأة، كراهة القزع للرجل والمرأة، النهي عن حلق المرأة رأسها. التقويم: (الدرجة النهائية ١٠) ١ – اذكري ضوابط إكرام الشعر وترجيله. (٤ درجات) ٢ – هل يجوز نتف الشيب؟(درجتان) ٣ – ما حكم القزع والحلق بالنسبة للمرأة؟(٤ درجات)	٣٦٩- ٣٧٤
العاشر		وصل الشعر، معنى الواصلة والمستوصلة، تحديد الوصل المحرم، (الرأي الراجح)، الشعر الصناعي والوصل به، النامصة والمتنمصة، لعنهما، تحريم النماص (الراجح)، الاستثناء من التحريم، هل يجوز الحف لوجه المرأة؟ هل يجوز حلق شعر وجه المرأة، أو الحف منه، أو الأخذ من الحاجبين؟ التقويم: (الدرجة النهائية ١٥) ١ – من هي الواصلة، المستوصلة، النامصة، المتنمصة؟(٤ درجات) ٢ – هل المنهي عنه الوصل بالشعر أم الوصل بأي شيء مطلقا؟(درجتان) ٣ – هل يجوز وصل المرأة شعرها بشعر صناعي؟(درجتان)	٣٧٤- ٣٨٦

		٤ – متى يجوز النمص للمرأة؟(درجتان) ٥ – قد تنبت اللحية أو الشارب في وجه المرأة فما حكم إزالتها هذا؟(٣درجات) ٦ – هل يجوز للمرأة أن تأخذ شيئا من حاجبيها إذا طالا؟ (درجتان)	
الحادي عشر	الوشم والوشر	معنى الوشم والواشمة والمستوشمة، معنى الوشر والناشرة والمؤتشرة، معنى المتفلجة، حكم الوشم والوشر، حكمة تحريم الوشر والوشم، وجوب إزالة الوشر، الوشم في الصغر يزال في الكبر. **التقويم: (الدرجة النهائية ٥)** ١ – من هي الواشمة – المؤتشرة – المتفلجة؟(٣درجات) ٢ – إذا وشمت الفتاة في الصغر وبقي إلى أن كبرت فما الحكم ؟(درجتان)	٣٨٩-٣٩١
الثاني عشر	زينة المرأة في الوقت الحاضر	المحظور من الحلي للمرأة - استعمال مواد الزينة للوجه، تحمير الوجه وتطريف الأصابع – الاعتدال في استعمال الزينة – الابتعاد عن الزينة الضارة - قص شعر الرأس، قص شعر الحاجبين، حف الحاجبين، المبالغة في تزيين الشعر. **التقويم: (الدرجة النهائية ١٥)** ١ – المحظور في الحلية هو......(درجتان) ٢ – هل استعمال الأصباغ والأدهان الحديثة يُمنع لأن فيه تغييرا لخلق الله؟(درجتان) ٣ – ما حكم تعميم الوجه بالمساحيق والأصباغ؟(درجتان) ٤ – ما هي ضوابط استعمال الزينة؟(٣درجات) ٥ – كثير من نساء العصر يقمن بقص شعر الحاجبين وحفها فما مدى الحظر والإباحة في هذا؟(٤درجات)	٣٩٤-٤٠٢

		٦ – ما ضوابط تزيين المرأة شعرها ؟(درجتان)	
الثالث عشر	أعمال التجميل وعملياته	المرأة تسمن نفسها، المرأة تقلل وزنها، ممارسة الرياضة لتقليل الوزن، إزالة النمش من الوجه، عمليات جراحة لدفع الأذى يحصل بها تجميل، استعمال الذهب في عمليات يحصل بها تجميل، عمليات التجميل الحديثة، عمليات التجميل بإزالة القبيح. **التقويم: (الدرجة النهائية ١٠)** ١ – ما هي ضوابط تسمين المرأة نفسها أو تقليل وزنها؟(٣درجات) ٢ – هل يمكن للمرأة تناول الأدوية من أجل التسمين أو تقليل الوزن؟(درجتان) ٣ – ما هي ضوابط ممارسة الرياضة للمرأة للحفاظ على مظهرها؟(٣درجات) ٤ – قد يصاب وجه المرأة بشيء من النمش أو البهق فهل يجوز للمرأة أن تعالجه بالأدوية لتذهبه ؟ (درجتان) ٥- افتحي حوارًا للنقاش حول ما يجري من البعض من تحايل على الشريعة في مسائل اللباس والزينة، مبينة صور هذه الحيل، وموقف المسلمة الملتزمة منها.	٤٠٢- ٤١٠

* * *

٢- التبرج والاختلاط

مسلسل	الموضوع الرئيس	الموضوعات الفرعية	الصفحات
الأول	الاختلاط	الاختلاط في اللغة، المراد من الاختلاط في بحثنا، هل الأصل في الاختلاط الحظر أم الإباحة؟ الأدلة على أن الأصل في الاختلاط الحظر، الدليل الأول منع سفر المرأة وحدها وخلوة الأجنبي بها، الدليل الثاني من حكم الجهاد بالنسبة للمرأة، الدليل الثالث عدم وجوب أداء الصلاة جماعة على المرأة، الدليل الرابع عدم وجوب صلاة الجمعة على المرأة، الدليل الخامس اختصاص المرأة ببعض أحكام المناسك في أعمال الحج، الدليل السادس نهي النساء عن المشي مع الرجال، الاختلاط للضرورة. التقويم: (الدرجة النهائية ١٠) ١ - اذكري الأدلة على أن الأصل في الاختلاط الحظر.(٥درجات) ٢ - هل يجوز خلوة رجل بامرأة ومعه أخته هو أو أحد محارمه؟(درجتان) ٣ - اختصت المرأة بأحكام في صلاة الجماعة وأعمال الحج تشير لحظر الاختلاط، اذكري بعض هذه الأحكام.(٣درجات) ٤ - افتحي نقاشًا حول مفهوم الاختلاط، والفرق بينه وبين الخلوة، لما شاع بين الناس من خلط بين المصطلحين.	٤٢١- ٤٢٦
الثاني	الاختلاط للحاجة	الاختلاط لإجراء المعاملات الشرعية، الاختلاط لحاجة إجراء معاملات القضاء، الاختلاط لغرض تحمل الشهادة، الاختلاط لغرض أعمال الحسبة، الاختلاط لغرض خدمة الضيوف، الاختلاط لإكرام الضيف	٤٢٦- ٤٣٢

		بالأكل معه، الاختلاط في السيارات العمومية لحاجة استعمالها، الاختلاط للقيام بأعمال الجهاد، الاختلاط لغرض استماع الوعظ والإرشاد، الاختلاط لجريان العادة به، ما جرت به العادة من الاختلاط في الوقت الحاضر، هل يباح الاختلاط لغرض التعليم؟ **التقويم : (الدرجة النهائية ١٥)** ١ – قد تقتضي الحاجة اختلاط النساء بالرجال في المعاملات المالية كالبيع والشراء، فما ضوابط هذا الاختلاط؟(٥درجات) ٢ – اذكري مع الدليل حكم قيام المرأة بالحسبة والقضاء على الرجال.(درجتان) ٣ – هل يجوز للمرأة أن تأكل مع زوجها ومع الضيف إكراما له ؟(درجتان) ٤ – ما حكم جلوس المرأة جنب الأجنبي في السيارة أو قيامها بجواره؟(درجتان) ٥ – اذكري صورة للاختلاط الجائز لمجرد اعتياده.(درجتان) ٦ – هل يباح الاختلاط لغرض التعليم كما يجري في الجامعات؟(درجتان)	

* * *

الفصل الثاني

المحور الأخلاقي السلوكي

(التعرف على عيوب النفس والاجتهاد في محاسبتها وإصلاحها)

الــدرس الأول : محاسبة النفس.

الدرس الثاني : إصلاح النفس.

الدرس الثالث : مجاهدة النفس.

الدرس الرابع : التحلي بالأخلاق والقيم الإسلامية.

التعرف على عيوب النفس و الاجتهاد في محاسبتها وإصلاحها

إن الأخت المسلمة التي ترغب في تزكية نفسها وتعمل لذلك بجد إنما تجعل هدفها في المقام الأول ذلك النداء الذي أطلقه أحد دعاة الإسلام - وهو الإمام حسن البنا-:

«آمنوا بالله واعتزوا بمعرفته والاعتماد عليه والاستناد إليه ، فلا تخافوا غيره ولا ترهبوا سواه ، وأدوا فرائضه واجتنبوا نواهيه ، وتخلقوا بالفضائل وتمسكوا بالكمالات، وكونوا أقوياء بأخلاقكم، أعزاء بما وهب الله لكم من عزة المؤمنين وكرامة الأتقياء الصالحين ، وأقبلوا على القرآن تتدارسونه، وعلى السيرة المطهرة تتذاكرونها ، وكونوا عمليين لا جدليين، فإذا هدى الله قومًا ألهمهم العمل، وما ضل قوم بعد هدىً كانوا عليه إلا أوتوا الجدل ، وتحابوا فيما بينكم ، واحرصوا كل الحرص على رابطتكم؛ فهي سر قوتكم وعماد نجاحكم ، واثبتوا حتى يفتح الله بينكم وبين قومكم بالحق وهو خير الفاتحين" .

إن سعادة الإنسان ليست في ماله ولا في مظهره، إنما السعادة إذا حاسب نفسه وعرف عيوبها ودروبها ومنحنياتها ثم أصلحها، لينال بعد ذلك رضا الله ﷻ، فهو سبب كل السعادة في الدنيا والآخرة.

ومن أجل ذلك فعليكِ معرفة وفهم الدروس التالية والعمل بها:

الدرس الأول: في محاسبة النفس:

ويشمل:

١ - مفهوم محاسبة النفس.

٢ - كيفية محاسبة النفس، والتدقيق في محاسبتها.

الدرس الثاني: في إصلاح النفس:

ويشمل:

١ - مفهوم إصلاح النفس.

٢ - وسائل إصلاح النفس.

٣- الاجتهاد في إصلاح النفس (مجاهدة لنفسها).

الدرس الثالث: في مجاهدة النفس:

ويشمل:

١- مجاهدة النفس للتخلص من بعض آفات اللسان: (الغيبة - النميمة - المراء والجدل).

٢- تنقية النفس من خطاياها: (الكبر - الغضب - الحقد - الحسد).

الدرس الرابع: في التحلي بالأخلاق والقيم الإسلامية:

ويشمل:

١- قوة الإرادة.

٢- مخالفة الهوى.

* * *

الدرس الأول: محاسبة النفس

أولاً: مفهوم محاسبة النفس

المحاسبة هي النظر والتدقيق فيما قام به المرء من أعمال ووزنها بميزان الصواب والرضا من الله سبحانه.

ومحاسبة النفس نوعان:

النوع الأول: فهو أن تقفي عند أول همّكِ وإرادتكِ، ولا تبادري بالعمل حتى يتبين لكي رجاحته على تركه، مما يتطلب مراجعة النية قبل العمل ليتحقق الإخلاص، ومراجعة الشرع حتى يتحقق الصواب، فإن الله لا يقبل من العمل إلا ما كان خالصا صوابا، أي: مطابقا للكتاب والسنة.

النوع الثاني: محاسبة النفس بعد العمل، وهي ثلاثة أنواع:

١- محاسبتها على طاعة قصّرت فيها في حق الله تعالى؛ فلم تقم بها على الوجه الذي ينبغي.

وحق الله في **الطاعة** ستة أمور: الإخلاص في العمل - التضحية لله فيه - ومتابعة الرسول ﷺ - وشهود مشهد الإحسان - وشهود منة الله - وشهود تقصيرها فيه بعد ذلك فتحاسب نفسها؛ هل وفّت هذه المقامات كلها حقها ؟!

٢- أن تحاسبي نفسكِ على عملٍ كان تركه خيرًا من فعله.

٣- أن تحاسبي نفسك على أمر مباح تم فعله؛ هل أردت به الله والدار الآخرة ؟ فيكون رابحًا، أم أردت به الدنيا وعاجلها ؟ فتخسري ذلك الربح، ويفوتك الظفر به.

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٖۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ١٨﴾ [الحشر].

فالآية تأمر المؤمنين بتقوى الله، وأن يخافوه ويراقبوا أعمالهم ويتأملوا فيها وينظروا... هل هي موافقة لما أمر الله تعالى به أم لا ؟ فالنفس "مأمورة من الله ﷻ بأن تنظر في عملها، وما قدمت لغدها من خير وشر، وفي هذا تنبيه لها وتحذير؛ لأن ما قدمته من عمل ستحاسب عليه خيرا أو شرًا".

وقال ابن كثير في تفسير تلك الآية : "حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، وانظروا ماذا ادخرتم لأنفسكم من الأعمال الصالحة ليوم معادكم وعرضكم على ربكم".

- وفي الحديث عن شداد بن أوس ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ: « **الكيس من دان نفسه، وعمل لما بعد الموت، والعاجز من أتبع نفسه هواها، وتمنى على الله الأماني**». (الترمذي: ٢٤٥٩)، ومعنى دان نفسه أي: حاسب نفسه في الدنيا.

- وعن عمر بن الخطاب ﷺ قال: "حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا ، وزنوا أعمالكم قبل أن توزن عليكم ، وتزينوا للعرض الأكبر ، وإنما خف الحساب يوم القيامة على من حاسب نفسه في الدنيا" [١].

- وقال الحسن: "إن العبد مازال بخير ما كان له واعظ من نفسه، وكانت المحاسبة همه".

- يقول الغزالي :" اعلم أن أعدى عدوك نفسك التي بين جنبيك ، وقد خُلقت أمّارة بالسوء، ميّالة للشر، فرّارة من الخير ، وأمرتَ بتزكيتها وتقويمها ، ومنعها عن شهواتها، وفطامها عن لذاتها ، فإن أهملتها؛ جمحت وشردت، فلا تغفلن ساعة عن تذكيرها ، ولا تشغلن بوعظ غيرك ما لم تشتغل أولا بوعظ نفسك ". ويقول أيضا : " إن الإنسان إذا أهمل نفسه لم ير منها إلا الخيانة وتضييع رأس المال " ويقول : "فحتمٌ على كل ذي حزمٍ آمن بالله واليوم الآخر ألّا يغفل عن محاسبة نفسه، والتضييق عليها في حركاتها وسكناتها، وخطراتها وحظوظها ، فإن كل نَفَسٍ من أنفاس العمر جوهرة ، فانقضاء هذه الأنفاس ضائعة أو مصروفة إلى ما يجلب الهلاك خسرانٌ عظيمٌ هائل، لا تسمح به نفس عاقل ".

- وقال ابن القيم : "من لم يحاسب نفسه في الدنيا فهو في غفلة".

- وكتب عمر إلى أبي موسى الأشعري ﷺ : "حاسب نفسك في الرخاء قبل حساب الشدة".

التقويم : (الدرجة النهائية ١٠)

١ – اختاري أدق الإجابات : المفهوم الصحيح للمحاسبة هو (أن ينصِّب الفرد على نفسه من يحاسبه – المحاسبة الذاتية – المحاسبة الجماعية). (درجتان)

---

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير

٢ – أكملي ما يأتي ثم أجيبي عما يليه من أسئلة:

عن شداد بن أوس أن رسول الله ﷺ قال: « **الكيّس مـن دان نفـسه و**...............

والعاجز .... **وتمنّى على الله الأماني** ».

أ) اكتبي الحديث كاملًا ؟ (درجتان)

ب) ما معنى : دان نفسه ؟ (درجة واحدة)

ج) لماذا كانت محاسبة النفس صفة الكيّس من الناس ؟ (٣درجات)

د) فرّق الحديث بين الكيّس والعاجز . وضحي ذلك . (درجتان)

* * *

ثانيًا: كيفية محاسبة النفس والتدقيق في محاسبتها

يجب أن يكون الحساب على الصغير والكبير، وعلى دقائق الأمر ... على كل كلمة وعلى الخطرات واللحظات والذرَّة .

وللوقوف على عيوب النفس أربع طرق :

الطريقة الأولى:

الجلوس بين يدي مُربية بصيرة بعيوب النفس؛ تعرفكِ عيوب نفسك وطرق علاجها .

الطريقة الثانية:

أن تطلبي صديقة صدوقة بصيرة متدينة،وتنصِّبيها رقيبة على نفسكِ؛ لتنبهكِ على المكروه من أخلاقكِ وأفعالكِ .

الطريقة الثالثة:

أن تستفيدي من معرفة عيوب نفسكِ من ألسنة أعدائك؛ فإن عين السخط تبدي المساويا، وانتفاع الإنسان بعدوٍّ مشاجر يذكره عيوبه، أكثر من انتفاعه بصديق مداهن يخفي عنه عيوبه .

الطريقة الرابعة :

أن تخالطي الملتزمات والمخلصات والصالحات، فكل ما يكون مذموما فيما بينهن تجتنبينه.

يقول ابن القيم في منزلة المحاسبة ما معناه :

* أن تقايسي بين فضل الله تعالى عليكِ ، وما هو منكِ وبسببكِ ... ثم تقايسي بين الحسنات والسيئات ؛ فالحسنات من الله والسيئات منك: ﴿مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ ۚ وَأَرْسَلْنَٰكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴿٧٩﴾﴾ [النساء] .

* التفرقة بين الحق والباطل والضار والنافع والخير والشر ، وألَّا يحسن الظن بالنفس؛ لأن حسن الظن بالنفس يلبّس عليه؛ فيرى المساوئ محاسن والعيوب كمالا ، ومن ثم كان دعاء النبي ﷺ : «اللهم أرنا الحق حقًّا وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلا وارزقنا

اجتنابه»[١] أي: اجعل أعيننا ترى الحق حقا والباطل باطلًا.

* التفرقة بين النعمة والفتنة ؛ فقد تكون النعمة نعمة استدراج ، فكم من مُستدرَجٍ بالنعم وهو لا يشعر ، مفتونٍ بثناء الجهال عليه، مغرورٍ بقضاء الله حوائجه وستره عليه .

* التمييز بين ما لكِ وما عليكِ ، إذا عرفتِ ذلك؛ لزم التمييز بين الطاعة والمعصية، وكثير من الناس من يخلط بينهما بترك المباح ، ويظن -لجهله- أن ذلك عليه، وقد أنكر النبي ﷺ ذلك على النفر الذين سألوا عن عبادته ؛ فكأنهم تقالوها، فعن سَعِيدِ بْنِ أَبِي مَرْيَمَ: أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ ، أَخْبَرَنَا حُمَيْدُ بْنُ أَبِي حُمَيْدٍ الطَّوِيلُ: أَنَّهُ سَمِعَ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ رضي الله عنه يَقُولُ: « جَاءَ ثَلَاثَةُ رَهْطٍ إِلَى بُيُوتِ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ ﷺ؛ يَسْأَلُونَ عَنْ عِبَادَةِ النَّبِيِّ ﷺ، فَلَمَّا أُخْبِرُوا؛ كَأَنَّهُمْ تَقَالُّوهَا ، فَقَالُوا: وَأَيْنَ نَحْنُ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ قَدْ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ . قَالَ أَحَدُهُمْ : أَمَّا أَنَا فإني أُصَلِّي اللَّيْلَ أَبَدًا . وَقَالَ آخَرُ: أَنَا أَصُومُ الدَّهْرَ وَلَا أُفْطِرُ . وَقَالَ آخَرُ : أَنَا أَعْتَزِلُ النِّسَاءَ فَلَا أَتَزَوَّجُ أَبَدًا . فَجَاءَ رَسُولُ الله ﷺ فَقَالَ : **أَنْتُمُ الَّذِينَ قُلْتُمْ كَذَا وَكَذَا، أَمَا وَالله إِنِّي لَأَخْشَاكُمْ لله وَأَتْقَاكُمْ لَهُ ؛ لَكِنِّي أَصُومُ وَأُفْطِرُ ، وَأُصَلِّي وَأَرْقُدُ، وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ ، فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سنتي فَلَيْسَ مِنِّي**» (البخاري: ٤٧٧٦).

من وسائل محاسبة النفس:

١-الاختبار والتفتيش والمشارطة :فلابد للإنسان أن يفتش على نفسه فيما صدر منها، فقد سئل الحارث المحاسبي عن كيفية محاسبة النفس ، فضرب مثلا بالقوارير- أي الزجاجات المملوءة - ولا يعرف ما فيها، فكشف ، فرأى في هذه رائحة المسك، وهذه فيها رائحة العنبر، وهذه ياسمين ... وهذه كبريت ، وهذه رائحة القطران ، ثم يقول : "فالقوارير أخلاقك وآدابك ، وريحها الطيب خير أخلاقك وآدابك الحسنة المرغوب فيها، والرائحة النتنة شر أخلاقك وآدابك السيئة القبيحة ، ولا تعرف النفس حتى تمتحن وتختبر ، فاختبر نفسك حتى تعلم ما فيها ... ".

٢- الخلوة مع النفس : ومن محاسبتكِ لها أن تختلي بها ، وترددي عليها أفعالها، فتقولين: يا نفسي، إنك لا تقدرين أن تخادعي الله ؛ فلا تتبعي هواكِ؛ فيرديكِ ويهلككِ.

٣- المشارطة : بأن تشترطي على نفسكِ عمل الحسنات وترك السيئات ، فتحاسبي نفسك وتقوِّميها، فتعرفي كيف تربحين الحسنات بعمل الصالحات، وتتجنبين الخسارة

---

(١) ابن كثير ج١، ص ٣٣٧ .

بترك السيئات، وفي هذا فلاحك: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ۝١٠﴾ [الشمس] فكما أن الشريك في التجارة يحاسب شريكه؛ فيحتاج أن يشارطه ، فكذلك أنتي تحتاجين إلى أن تشارطي نفسك ؛ بأن تسلكي الطريق المستقيم ، وتطالبيها بالوفاء بما شرط عليها ... فإن هذه تجارة ربحها الفردوس الأعلى والنجاة من النار [١] .

٤ - المراقبة : بأن تراقبي نفسك وتلاحظيها؛ مدركةً رقابة الله عليها: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ۝١﴾ [النساء]. وفي جزء من حديث جبريل عن عبد الله بن عمر قال : قال رسول الله ﷺ: « **الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه؛ فإن لم تكن تراه فإنه يراك......** » (مسلم: ٨). وقال أبو حفص : "إذا جلست للناس فكن واعظا لنفسك ؛ فإنهم يراقبون ظاهرك والله رقيب على باطنك ".

التقويم: (الدرجة النهائية ١٠)

١ - الاختبار والتفتيش - المشارطة - المراقبة - الخلوة مع النفس .

رتبي هذه الوسائل لمحاسبة النفس؟ (٤درجات)

٢ - هل تجدين تساهلا في محاسبة نفسك وترفقكِ بها ؟ لو الإجابة بنعم؛ فما هي دواعي ذلك وكيف تتغلبين عليها ؟ (٦درجات)

* * *

(١) المستخلص في تزكية الأنفس : ص ١٢٣، ط دار السلام - بتصرف.

الدرس الثاني: إصلاح النفس

أولاً: مفهوم إصلاح النفس

إصلاح النفس يعني تغيير النفس والسمو بها، قال تعالى: ﴿لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٞ مِّنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ يَحۡفَظُونَهُۥ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡۗ وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ سُوٓءٗا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٍ ۝١١﴾ [الرعد]، وصلاح النفس يعني تغييرها من النفس الأمّارة بالسوء حتى نصل إلى النفس اللوّامة ثم المطمئنة.

وإصلاح النفس حياة لها، وإن تركها هو الممات: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيۡتٗا فَأَحۡيَيۡنَٰهُ وَجَعَلۡنَا لَهُۥ نُورٗا يَمۡشِي بِهِۦ فِي ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ لَيۡسَ بِخَارِجٖ مِّنۡهَاۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلۡكَٰفِرِينَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ۝١٢٢﴾ [الأنعام]. وفي الحديث عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: «إن حمزة بن عبد المطلب جاء إلى النبي ﷺ، فقال: يا رسول الله، اجعلني على شيء أعيش به. فقال رسول الله ﷺ: **يا حمزة، نفسٌ تحييها أحب إليك أم نفسٌ تميتها؟** قال: بل نفس أحييها. قال: **عليك بنفسك**» (مسند أحمد: ٦٦٣٩. وقال الشيخ أحمد شاكر: إسناده صحيح).

ثانيًا: وسائل إصلاح النفس

يقول الإمام البنا في صفات المسلم العشرة: "مجاهدا لنفسه" أن تجاهد نفسك جهادا عنيفا؛ حتى يسلس لك قيادتها، وتغض طرفك وتضبط عاطفتك، وتقاوم نوازع الغريزة في نفسك، وتسمو بها دائما إلى الحلال الطيب، وتحول بينها وبين الحرام.

ويمكن توضيح ذلك كما يلي:

- **المنهج الرباني:**

اهتم الإسلام بالنفس لحمايتها وإصلاحها وتزكيتها وفلاحها، والله ﷻ هو خالق كل شيء، ومن مخلوقاته هذه النفس البشرية، وصاحب الصنعة هو أدرى بصنعته، وهو الذي وضع وسائل، إصلاح النفوس ﴿أَلَا يَعۡلَمُ مَنۡ خَلَقَ﴾ [الملك:١٤].

وإن القرآن العظيم هو المنهج الرباني الذي أنزله الله تعالى لإصلاح الحياة بما اشتمل عليه من وسائل، منها: التقوى والعبادة والمجاهدة وغيرها. قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِٱلۡكِتَٰبِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُصۡلِحِينَ ۝١٧٠﴾ [الأعراف]. فالتمسك

بالكتاب وإقامة الشعائر هما طرفان للمنهج الذي تصلح به الحياة والنفوس ، ولا تصلح بسواه..

- **تقوى الله :**

التقوى حالة تجعل المؤمنة حسَّاسة تراقب ربها وتحاسب نفسها ، وتستحي أن يطلع الله عليها في حالة يكرهها، قال تعالى : ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا (٧) فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا (٨) قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا (٩) وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا (١٠)﴾ [الشمس]، فالله ﷻ قد بين للإنسان طريق الهدى من الضلال، وأمره بالتقوى لصلاح نفسه ، والتقوى تزكي النفس وتنقلها من الأمَّارة بالسوء إلى النفس اللوامة التي تلوم صاحبها عن تقصيره في أداء حقوق الله تعالى.

- **العبادات:**

إن طبيعة الإنسان كما ورد في كتاب الله تعالى: ﴿إِنَّ الْإِنسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا (١٩) إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا (٢٠) وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا (٢١)﴾ [المعارج] فلكي يتغلب على هذه الطبيعة فليؤد ما فرضه الله عليه من العبادات، ولذلك جاءت الآية بعدها : ﴿إِلَّا الْمُصَلِّينَ (٢٢)﴾ [المعارج] قال تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ (١٧٠)﴾ [الأعراف] كما أشرنا سابقًا إلى هذا المعنى.

عن يَحْيَى بن أَبِي كَثِيرٍ : حَدَّثَنِي أَبُو سَلَمَةَ ، حَدَّثَنِي رَبِيعَةُ بن كَعْبٍ الأَسْلَمِيُّ قَالَ: «كُنْتُ أَبِيتُ مَعَ رَسُولِ الله ﷺ ، فَأَتَيْتُهُ بِوَضُوئِهِ وَحَاجَتِهِ ، فَقَالَ لِي:سَلْ. فَقُلْتُ:أَسْأَلُكَ مُرَافَقَتَكَ فِي الْجَنَّةِ . قَالَ : أَوَ غَيْرَ ذَلِكَ؟ قُلْتُ: هُوَ ذَاكَ . قَالَ: فَأَعِنِّي عَلَى نَفْسِكَ بِكَثْرَةِ السُّجُودِ » (مسلم: ٤٨٩). ومعناه :كن لي عونا في إصلاح نفسك بكثرة السجود ونحوها، والسجود: الطاعة والخضوع. وقال تعالى : ﴿وَقَطَّعْنَاهُمْ فِي الْأَرْضِ أُمَمًا مِّنْهُمُ الصَّالِحُونَ وَمِنْهُمْ دُونَ ذَلِكَ وَبَلَوْنَاهُم بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ (١٦٨)﴾ [التوبة] ، وهكذا سائر العبادات .

- **تهذيب الغرائز والشهوات :**

ومن وسائل المساعدة على تهذيب الغرائز والشهوات: حسن اختيار الوسط والبيئة الصالحة التي تعينك على الارتقاء بنفسك، وتتمثل فيها الأخلاق الفاضلة، وتشكل نماذج يقتدى بها.

إن النفس أمّارة بالسوء، وهي تميل إلى الشهوات، كما أن الشيطان يوسوس للإنسان لكي يقع في الشهوات والشبهات فيضله عن سبيل الله، ومن رحمة الله أنه لم يمنع النفس من شهواتها، بل نهاها عن الطغيان والتمادي والتعدي، قال الله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ﴿٣٧﴾ وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٣٨﴾ فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾﴾ [النازعات].

فالإسلام لم يكبت الشهوات؛ وإنما هذبها ورغّب فيها الآخرة؛ لكي يتحقق التوازن بين الدنيا والآخرة: ﴿وَقَالُوا۟ رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا ٱلْقِتَالَ لَوْلَآ أَخَّرْتَنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ ۗ قُلْ مَتَٰعُ ٱلدُّنْيَا قَلِيلٌ وَٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ ٱتَّقَىٰ وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٧٧﴾﴾ [النساء]. وقال تعالى أيضا: ﴿وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٧٧﴾﴾ [القصص]. وفي الحديث: عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: « **استحيوا من الله حق الحياء. قال: قلنا: يا رسول الله، إنا نستحيي والحمد لله. قال: ليس ذاك، ولكن الاستحياء من الله حق الحياء أن تحفظ الرأس وما وعى، والبطن وما حوى، ولتذكر الموت والبلى، ومن أراد الآخرة ترك زينة الدنيا، فمن فعل ذلك فقد استحيا من الله حق الحياء**" (الترمذي: ٢٤٥٨).

وحديث الرجل الذي قتل مائة نفس العلاج فيه بأن يتوب توبة نصوحا، وينتقل من المكان الذي فيه قتلة وفاسدين إلى المكان الذي فيه قوم صالحون طائعون، فتكون الصحبة هي الداء وهي الدواء.

ومن الوسائل المساعدة على إصلاح النفس: حسن اختيار الوسط والبيئة الصالحة التي تعينك على الارتقاء بنفسك.

* * *

ثالثًا : الاجتهاد في إصلاح النفس

(مجاهدة لنفسها)

مجاهدة النفس لا تكون بمجرد القراءة؛ ولكن بمجاهدة عملية .. بمنعها عن هواها، والحد من شهواتها ، فالنفس كالطفل؛ إن تهمله شبَّ على حب الرضاعة ، وإن تفطمه ينفطم ، وإن الأم التي تحب طفلها حبا جما هي التي تفطمه عن شهوته رغما عنه لمصلحته ولمستقبله.

فعليكِ أن :

تبذلي الجهد ما استطعتِ في معرفة عيوب وأمراض نفسكِ، ثم تجتهدي في إصلاحها، وذلك عن طريق :

- الاستعانة بالله؛ فهي أصل كل صلاح وفلاح، وقد أمرنا أن نقرأ ونتدبر ، قال تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾ [الفاتحة]، والاستعانة بالله هي دأب الصالحين ، ولولا فضله ورحمته ما صلح الإنسان ، قال الله ﷻ : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِۚ وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَإِنَّهُۥ يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِۚ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ۝٢١﴾ [النور] .

- أن تصلحي نفسك عن طريق أخواتك ، فالمسلمة تطلب النصيحة من أخواتها المخلصات اللاتي يُبصِّرْنها بعيوبها وأخطائها ، وفي الحديث عَنْ تَمِيمٍ الدَّارِيِّ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «الدِّينُ النَّصِيحَةُ.قُلْنَا: لِمَنْ ؟قَالَ: لله وَلِكِتَابِهِ وَلِرَسُولِهِ وَلأَئِمَّةِ المُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ» (البخاري: ٤٠) .

- وقال وهب بن منبه : في حكمة آل داود : "حق على العاقل ألّا يُشغل عن أربع ساعات : ساعة يناجي فيها ربه ، وساعة يحاسب فيها نفسه ، وساعة يفضي فيها إلى إخوانه الذين يخبرونه بعيوبه ويصدقونه عن نفسه ، وساعة يخلّ بين نفسه ولذاتها فيما يحل ولا يحرم ".

- والمسلمة كذلك إذا رأت عيبا في أحد ؛ فعليها أن تفتش عن هذا العيب في نفسها ، فإن كان فيها فهي أولى بالإصلاح .

وكان عمر يقول : "رحم الله امرءًا أهدى إليَّ عيوبي ".

التقويم:

أ- قيسي مدى اجتهادك في محاسبة نفسك وإصلاحها:

المظاهر	دائما ٤	غالبا ٣	أحيانا ٢	نادرا ١
أستعين بالله في إصلاح نفسي.				
أطلب النصيحة من إخواني وأخواتي.				
أسعد عندما يُهدي إليَّ أحدٌ عيبا من عيوبي.				
أراجع نفسي بعد كل عمل.				
أقتدي بالصالحين من السلف ﷺ.				
أحرص على لقاء الصالحين الذين يذكرونني بالآخرة.				
أتواصى بالحق والصبر مع أخواتي.				
أعرض نفسي على كتاب الله أثناء قراءة وردي.				
أحاسب نفسي قبل النوم يوميًّا.				
أملأ ورد المحاسبة بعناية.				
أنفذ الواجب العملي لكل لقاء مع أخواتي.				
أطلب من أخواتي مساعدتي في تقويم عيوبي.				
أفطم نفسي عن شهواتها.				
أشغل نفسي بالحق حتى لا تشغلني بالباطل.				

(أعلى درجة ٥٦- وأدنى درجة ١٤)

فمن حصلت على (٥٦) درجة فهي بخير؛ فلتحمد الله، ولتحافظ على ذلك، ومن حصلت على أقل من ذلك؛ فلتبحث عن مظاهر الضعف عندها، وتبدأ في رفع درجاتها بالتدريج والمتابعة والصبر والعزيمة والاستعانة بالله ولا تعجز.

ب – أجيبي على ما يلي: (الدرجة النهائية ٥)

١ – أكملي ما يأتي : «من أصلح سريرته أصلح الله ....». (درجة واحدة)

٢ – قال رسول الله ﷺ : «استحيوا من الله تعالى حق الحياء، من استحيا من الله حق الحياء فليحفظ ..... وما وعى، وليحفظ .... وما حوى، وليذكر ....، ومن أراد الآخرة ....، فمن فعل ذلك فقد استحيا من الله حق الحياء » (الترمذي: ٢٤٥٨) (٣درجات)

٣– عَـنْ تَمِـيمِ الـدَّارِيِّ أَنَّ النَّبِـيَّ ﷺ قَـالَ: « الـدِّينُ النَّـصِيحَةُ .قُلْنَـا :لِمَـنْ ؟قَـالَ: ....» .(البخاري: ٥٧) (درجة واحدة)

في اجتماع أسري قومي بفتح حوار حول:

* وسيلة من وسائل إصلاح النفس قمت بتجربتها ، فكانت لها ثمرة عظيمة ، وكيف تجاوبت معها .

* كيفية تهذيب الشهوات والغرائز .

* * *

الدرس الثالث: مجاهدة النفس

أولاً: مجاهدة النفس للتخلص من بعض آفات اللسان

(الغيبة - النميمة – المراء والجدل)

ومن أخطر الآفات على أصحاب الدعوات آفات اللسان ، فإن للسان عثرات وموبقات والعاقل من يصونه ويحتاط.

احـذر لـسانك أيهـا الإنـسان لا يلـدغنك إنـه ثعبـان

عن أبي هريرة ﷺ: "سئل رسول الله ﷺ عن أكثر ما يدخل الناس النار، فقال: الفم والفرج " (الترمذي: ٢٠٠٤).

ولقد شهد تاريخ الدعوات بأن من أبرز صفات المصلحين عفة القول وطهارة اللسان، كما شهد بأن أكبر أسباب تنفير المدعوين وتساقط السائرين وفشل الحركات آفات اللسان، فما أحوج الدعاة إلى التحلي الدائم بعفة القول وتطهير اللسان، وليس ذلك من باب الفضل والندب، وإنما من باب الوجوب والفرض، ومن أعظم التوجيهات النبوية في هذا المقام وأبلغها وأجمعها ما رواه أبو هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: **«من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت»** (البخاري: ٥٧٨٥).

ومن آفات اللسان:

- الغيبة .
- النميمة .
- المراء والجدل .

١- مجاهدة النفس للتخلص من الغيبة

الغيبة منها المباح ومنها الحرام ، والغيبة ليست فقط بالكلام ، بل للحسد والغضب والغرور نصيب منها، وللتخلص منها تطلعي وتعمقي في هذا الجزء ؛ ففيه :

مفهوم الغيبة ، ومظاهر وصور الغيبة ، وحكم الغيبة في ميزان الإسلام ، وأسباب الوقوع في الغيبة ، والآثار السيئة للغيبة ، وعلاج الغيبة.

أ- مفهوم الغيبة :

الغيبة لغة: " ذكر الغير في غيابه سواء أكان ذلك بما يرضى أم بما لا يرضى، سواء أكان ذلك بالخير أم بالشر "(المعجم الوسيط).

الغيبة اصطلاحا :" ذكر المسلم أخاه المسلم في غيابه بما فيه مما يسوءه ويكرهه، يستوي في ذلك اللفظ والكتابة، التصريح والتلويح ". جاء في الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه : أنه ﷺ قال لأصحابه يوما: " **أتدرون ما الغيبة ؟** قالوا: الله ورسوله أعلم. قال : **ذكرك أخاك بما يكره** . قيل: أفرأيت إن كان في أخي ما أقول ؟ قال : **إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته، وإن لم يكن فيه ما تقول فقد بهته** " (مسلم: ٢٥٨٩).

ب - من مظاهر وصور الغيبة ما يلي:

١- ذكر العيوب البدنية، كقولك عن المسلمة : عمياء – عرجاء – عمشاء – سوداء ... وهكذا.

٢- ذكر العيوب الدينية، كقولك عن مسلمة: فاسقة – فاجرة – سارقة – خائنة – ظالمة– متهاونة بالصلاة ... وهكذا.

٣- ذكر العيوب الدنيوية، كقولك عنها: قليلة الأدب – كثيرة الكلام – كثيرة الأكل أو النوم.

٤- ذكر العيوب الخلقية للمغتاب، كقولك: سيئة الخلق – متكبرة – مرائية – عجول – عاجز – متهورة ...وهكذا.

٥- ذكر العيوب في اللباس والهيئة، كقولك عن المغتابة: واسعة الكم – وسخة الثياب ..وهكذا.

٦- محاكاة المغتابة في مشيتها وحركتها وحديثها، مثل : المشي متعرجة – مطأطئة الرأس – مصعرة الخد، ونسبة ذلك إلى المغتابة ....وهكذا.

٧- سوء الظن بغير دليل ولا برهان، فإنه غيبة القلب .

٨- سماع المغتابات وعدم زجرهن والإنكار عليهن أو عدم مقاطعة مجلسهن ...وهكذا.

ج - الغيبة في ميزان الإسلام :

والغيبة في ميزان الإسلام حرام بإجماع المسلمين؛ للدلائل الواضحة الصريحة

المنصوص عليها في الكتاب والسنة، إذ يقول الله ﷻ: ﴿وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحُجُرات:١٢].

ويقول النبي ﷺ في شأن الغيبة في خطبة يوم النحر بمنى في حجة الوداع: **«فإن دماءكم وأموالكم وأعراضكم بينكم حرام كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا»** (البخاري: ٦٧).

ويقول ﷺ: **«لما عرج بي مررت بقوم لهم أظفار من نحاس يخمشون وجوههم وصدورهم، فقلت: من هؤلاء يا جبريل؟ قال: هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس ويقعون في أعراضهم»**(سنن أبي داود: ٤٨٧٨). ويقول ﷺ: **«إن أربى الربا الاستطالة في عرض المسلم بغير حق»** (سنن أبي داود: ٤٨٧٦). ويقول النبي ﷺ للسيدة عائشة ؓ وقد قالت عن صفية ؓ: حسبك من صفية كذا وكذا. يقول لها: **«لقد قلت كلمة لو مزجت بماء البحر لمزجته»** (سنن أبي داود: ٤٨٧٥).

إن الغيبة تباح في أحوال ولأسباب هي:

١- التظلم:

يجوز للمظلوم أن يتظلم إلى السلطان والقاضي وغيرهما ممن له ولاية أو قدرة على إنصافه من ظالمه، فيذكر أن: فلانا ظلمني وفعل بي كذا وأخذ مني كذا، ونحو ذلك، وأطلب منك إنصافي ورد مظلمتي. وفي هذا جاء قوله ﷻ: ﴿لَّا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَن ظُلِمَ ۚ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا ﴿١٤٨﴾﴾ [النساء].

٢ - الاستعانة على تغيير المنكر ورد العاصي إلى الصواب:

فتقول لمن ترجو قدرته على إزالة المنكر: فلان يعمل كذا فازجره عنه. ونحو ذلك، ويكون مقصودها إزالة المنكر، فإن قصدت غير ذلك كانت مغتابةً إذ يقول ﷺ: **«من رأى منكم منكرًا فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان»** (مسلم:٧٨).

٣- الاستفتاء:

عن عائشة: «أن هند بنت عتبة قالت: يا رسول الله، إن أبا سفيان رجل شحيح، وليس يعطيني ما يكفيني وولدي إلا ما أخذت منه وهو لا يعلم. فقال: **«خذي ما يكفيك وولدك بالمعروف»** (البخاري: ٥٠٤٩).

٤- تحذير المسلمين من الشر ونصيحتهم:

وذلك من وجوه منها:

١- جرح المجروحين من رواة الحديث، وكذلك الشهود، وذلك جائز بإجماع المسلمين. بل واجب للحاجة، فقد استأذن رجل على النبي ﷺ فقال: «**ائذنوا له بئس أخو العشيرة**» (البخاري:٥٦٨٥). وقال ﷺ في رجلين من المنافقين: «**ما أظن فلانا وفلانا يعرفان من ديننا شيئا**» (البخاري:٥٧٢٠).

٢- عند الاستشارة في مصاهرة أو مشاركة وجب عليك أن تذكري ما تعلمينه منه على وجه النصيحة، فإن حصل الغرض بمجرد قولك: "لا تصلح لك معاملته أو مصاهرته أو لا تفعلي هذا أو نحو ذلك". لم تجز الزيادة بذكر المساوئ، وإن لم يحصل الغرض إلا بالتصريح بعينه وجب عليك ذكره بصراحة، جاء في حديث فاطمة بنت عميس: أنها جاءت تستشير رسول الله ﷺ في رجلين خطباها؛ هما: معاوية، وأبو جهم. فقال رسول الله ﷺ: «**أما معاوية فصعلوك وأما أبو جهم فلا يضع العصا عن عاتقه**» (مسلم: ١٤٨٠).

٣- التعريف: فإذا كانت امرأة معروفة بلقب مذموم كالعمشاء والعرجاء والصماء والعمياء وغيرها جاز تعريفها بنية التعريف بالأحوال، كعبد الله بن أم مكتوم الأعمى، ويحرم إطلاقه على جهة النقص، ولو أمكن التعريف بغيره كان أولى، وإذا أمكن التعريف بلقب واحد من الألقاب المذمومة فإن الزيادة على هذا اللقب تعد غيبة، وهي حرام.

د - أسباب وبواعث تدفع إلى الوقوع في الغيبة:

من تلك الأسباب ما يلي:

١- عدم التثبت أو التبين:

ذلك أن الحكم على الأمور والأشخاص بالسوء دون طلب للدليل وفحص له والتأكد من صحته والموازنة بينه وبين الظروف المحيطة والواقع المعاش - وهو ما يعرف بعدم التثبت أو التبين - قد يكون من بين الأسباب أو البواعث التي تدفع بالمسلمة إلى أن تقع في الغيبة، وصدق الله إذ يقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوۡمَۢا بِجَهَٰلَةٖ فَتُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلۡتُمۡ نَٰدِمِينَ ٦﴾ [الحجرات].

٢- الغضب :

وقد يكون الغضب من بين الأسباب أو البواعث التي تدفع إلى الوقوع في الغيبة، ذلك أن الإنسان إذا غضب من إنسان وهيّج هذا الغضب ولم يكن هناك وازع من دين أو خلق فإن لسانه يسبق إلى غيبة هذا الإنسان من باب التشفي وإراحة النفس ، وأحيانًا يمتنع الإنسان عن التشفي وإراحة النفس عند الغضب لسبب أو لآخر، فيحتقن الغضب في الباطن، فيصير حقدًا ثابتًا كامنًا في النفس، الأمر الذي يؤدي إلى ذكر العيوب والمساوئ، وهذه هي الغيبة بعينها .

٣- البيئة المحيطة قريبة كانت أو بعيدة :

وقد تكون البيئة المحيطة - قريبة ونعني بها البيت ، أو بعيدة ونعني بها مجتمع الصديقات - هي السبب في الوقوع في الغيبة ، ذلك أن الإنسان شديد التأثر ببيئته ولاسيما إذا كان في مرحلة الإعداد والبناء، وعليه، فإذا وجد في بيئة لا ترعى للغائب حقه ولا حرمته فإنه يحاكيها، بل ربما وسوس له الشيطان وسولت له نفسه أن الإنكار على هذه البيئة أو قطع هذا المجلس قد يؤدي إلى استثقاله والنفور منه ، وأبعد من ذلك غضبه لغضب رفاقه، والخوض في ذكر معايب ومساوئ الغائبين إظهارًا للمشاركة والمساهمة في السراء والضراء، وهذا من أكبر أمراض المجتمع المصري فينبغي التحصين ضدها، ثم محاولة علاجها بالحكمة والموعظة الحسنة.

٤- الحسد :

ذلك أن الإنسان قد يحسد من يثني الناس عليه ويجلونه ويكرمونه ، متمنيًا زوال نعمته، ولا يجد سبيلًا لتحقيق هذه الأمنية إلا بالطعن فيه والنيل منه حتى تسقط منزلته ومكانته عند الناس، وهذه هي الغيبة المحظورة أو المحرمة، ولعل هذا من الأسرار التي من أجلها نهى الإسلام عن الحسد، فعن أبي هريرة ﵁ قال : قال رسول الله ﷺ: **«لا تحاسدوا، ولا تناجشوا، ولا تباغضوا، ولا تدابروا، ولا يبع بعضكم على بيع بعض، وكونوا عباد الله إخوانا، المسلم أخو المسلم؛ لا يظلمه، ولا يخذله، ولا يحقره التقوى هاهنا - وأشار إلى صدره - بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم ، كل المسلم على المسلم حرام؛ دمه وماله وعرضه»** (مسلم: ٢٥٦٤). وهذا مرض عظيم متفشٍّ يحتاج للمجاهدة.

وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إياكم والحسد؛ فإن الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب**» (أبو داود: ٤٩٠٣).

٥- الإعجاب بالنفس إلى حد الغرور والتكبر:

ذلك أن الإنسان قد تعجبه نفسه إلى حد الغرور والتكبر، فيحاول وصفها بالرفعة وعلو المنزلة والمكانة على حساب غيره، فيتناول هذا الغير بالانتقاص والطعن، فيقول: فلان جاهل وفهمه ركيك وكلامه هزيل أو ضعيف لا يحسن أن يبين به عما في نفسه. كما قال هذا الطاغية الجبار فرعون عن موسى عليه السلام، وقصده بذلك أن يرفع من قدر نفسه: ﴿أَمْ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ ﴿٥٢﴾ فَلَوْلَآ أُلْقِىَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِّن ذَهَبٍ أَوْ جَآءَ مَعَهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ مُقْتَرِنِينَ ﴿٥٣﴾﴾ [الزُّخرُف]. وقد تكون تلك العيوب التي تصف بها المغرورة غيرها فيها هي، لكنها لا تقبل حكم أحد عليها؛ لأن ميزانها ميزان الهوى لا الشرع.

٦- محاولة تبرئة النفس من التهمة والعيب:

وذلك أن الإنسان قد توجه إليه بعض التهم وتلصق به بعض العيوب، ويحاول أن يبرئ نفسه من هذه وتلك بسلوكه الحميد وخلقه الطيب، أو عن طريق الشهود الثقات فيلجأ إلى الطعن والنيل ممن اتهمه وعابه، وهذه هي الغيبة المحرمة.

وصلى الله وسلم وعظم وبارك على الأنبياء والمرسلين وعلى رأسهم سيدنا محمد ﷺ، إذ كانت توجه إليهم الطعون وتلصق بهم التهم، فكانوا يصبرون ويحتسبون، ويمضون في طريقهم إلى نهايتها مفوضين الأمر كله لله قائلين: " حسبنا الله ونعم الوكيل ". وقد اقتدى بهم أتباعهم في كل عصر ومصر، ومن كل جيل وقبيل، وشغلوا أنفسهم بالله وطاعته عن الطعن والنيل من خصومهم وأعدائهم، ويوم القيامة سيكون فوزهم وربحهم وخسارة أعدائهم وخصومهم بسبب ما كانوا يصنعون، كما قال سبحانه: ﴿قَالَ ٱخْسَـُٔوا۟ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴿١٠٨﴾ إِنَّهُۥ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِى يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١٠٩﴾ فَٱتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا حَتَّىٰٓ أَنسَوْكُمْ ذِكْرِى وَكُنتُم مِّنْهُمْ تَضْحَكُونَ ﴿١١٠﴾ إِنِّى جَزَيْتُهُمُ ٱلْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوٓا۟ أَنَّهُمْ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿١١١﴾﴾ [المؤمنون].

٧- استشعار الطعن من الآخرين :

وقد تستشعر المسلمة أن الأخريات سيتوجهن إليها بالطعن والعيب؛ فتحاول أن تبادرهن قبل أن يبادرنها، وأن تبادئهن قبل أن يبادئنها؛ فتقبح من حالهن، أو تذكر بعض ما فيهن من خير، وتتخذه سبيلا للطعن فيهن والنيل منهن، فتقول: ليس من عادتي الكذب. وتبني على ذلك ما تريد من الطعن فيهن والنيل منهن، ولاسيما في غيابهن، فتقع في آفة الغيبة المحظورة أو المحرمة .

٨- المزاح أو التفكه :

وقد تذكر المسلمة عيوب الآخرين - ولاسيما في غيابهم - من باب المزاح والتفكه ومحاولة تضييع الوقت وإضحاك الآخرين، ناسيةً أنها بذلك تأكل لحوم الناس وناسيةً حديث الرسول ﷺ الذي رواه أبو هريرة ﷺ إذ يقول ﷺ : "**وإن العبد ليتكلم بالكلمة من سخط الله لا يلقي لها بالا يهوي بها في جهنم**" (البخاري: ٦١١٣). ويقول الرسول ﷺ : "**ويل للذي يحدث فيكذب ليضحك به القوم ويل له ويل له**" (الترمذي: ٢٣١٤).

٩- عدم الدقة في التعبير وتصوير المراد :

ذلك أن المسلمة قد ترى من أخرى ثباتًا أو صبرًا على بلاء أهل ومال وولد وعشيرة، فتتعجب من صنيعها هذا، أو تشفق عليها وتغضب فيها لله، وتحاول أن تعبر عن ذلك وأن تصورها فلا توفق؛ إذ بدل أن تذكرها بصفتها تذكرها باسمها، وتعيب عليها أنها كانت ينبغي أن تصنع كذا وكذا، أو ما تدري ظروفها أو الملابسات التي أحاطت بها، فتكون بذلك مغتابةً لها.

جاء في الحديث : **أن رجلا مر على قوم، فسلم عليهم، فردوا عليه السلام، فلما جاوزهم قال رجل منهم: والله إني لأبغض هذا في الله. فقال أهل المجلس: بئس والله ما قلت، أما والله لننبئنه، قم يا فلان - رجلا منهم - فأخبره. قال: فأدركه رسولهم، فأخبره بما قال، فانصرف الرجل حتى أتى رسول الله ﷺ، فقال: يا رسول الله، مررت بمجلس من المسلمين فيهم فلان، فسلمت عليهم، فردوا السلام، فلما جاوزتهم أدركني رجل منهم فأخبرني أن فلانا قال: والله إني لأبغض هذا الرجل في الله. فادعه فسله على ما يبغضني. فدعاه رسول الله ﷺ فسأله عما أخبره الرجل، فاعترف بذلك، وقال: قد قلت له ذلك يا رسول الله. فقال رسول الله ﷺ: فلم تبغضه؟ قال: أنا جاره، وأنا به خابر، والله ما رأيته يصلي صلاة قط إلا هذه الصلاة المكتوبة التي يصليها البر والفاجر. قال الرجل: سله يا**

رسول الله: هل رآني قط أخرتها عن وقتها أو أسأت الوضوء لها أو أسأت الركوع والسجود فيها؟ فسأله رسول الله ﷺ، عن ذلك فقال: لا. ثم قال: والله ما رأيته يصوم قط إلا هذا الشهر الذي يصومه البر والفاجر. قال: فسله يا رسول الله: هل رآني قط أفطرت فيه أو انتقصت من حقه شيئا؟ فسأله رسول الله ﷺ ، فقال: لا. ثم قال: والله ما رأيته يعطي سائلا قط، ولا رأيته ينفق من ماله شيئا في شيء من سبيل الله بخير إلا هذه الصدقة التي يؤديها البر والفاجر. قال: فسله يا رسول الله: هل كتمت من الزكاة شيئا قط أو ماكست فيها طالبها؟ قال: فسأله رسول الله ﷺ عن ذلك، فقال: لا. فقال له رسول الله ﷺ: قم إن أدري لعله خير منك" (مسند أحمد: ٢٣٨٥٤)[(١)].

١٠- عدم قيام الأمة بواجبها نحو المغتابين:

وقد يكون عدم قيام الأمة بواجبها - حكامًا أو محكومين- نحو المغتابين من الأسباب التي تفتح الطريق أمام هذه الآفة حتى تشيع وتنتشر في الناس، ذلك أن واجب الأمة نحو المغتابين يقضي بالآتي:

أ- عدم السماع أو الاستحسان لما يصدر عن هؤلاء المغتابين. جاء رجل إلى أبي بكر – رضي الله عنه- فقال له: أأنت الخليفة أم عمر؟ فلم يستمع له ولم يستحب قوله وقال له: بل عمر لو أراد.

ب- زجر أولئك وتخويفهم من عقاب الله في الدنيا والآخرة.

ج- مقاطعة مجالسهم والإعراض التام عنهم، وإلا فالإنكار والبغض القلبي .

د – ثم دعوتهم إلى أن يشتغلوا بعيوبهم عن عيوب الناس: " طوبي لمن شغله عيبه عن عيوب الناس" [(٢)].

هـ- آثار الغيبة:

للغيبة آثار ضارة وعواقب مهلكة ، فمن آثارها الضارة:

١- قسوة القلب:

ذلك أن المغتابة كثيرة الكلام بغير ذكر الله؛ لأنها وقاعة في أعراض الناس، أكّالة للحومهم، ومن كثر كلامها بغير ذكر الله قسا قلبها فلم توفق لخير أبدًا، وإن وفقت فإنما

---

(١) قال شعيب الأرناؤوط: حديث ضعيف لإرساله.

(٢) تخريج أحاديث الإحياء (٣).

هو توفيق الجوارح لا توفيق القلوب ، لهؤلاء من رهن الويل، كل الويل قال ﷻ: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾[الزُّمَر:٢٢].

٢- التعرض لسخط الله وغضبه :

وذلك أن المغتابة قد تطاولت بهذه الغيبة على حدود الله، وأتت منكرًا من القول وزورًا، والتطاول على حدود الله وإتيان المنكر من القول والزور مما يعرض لغضب الله وسخطه، كما جاء في حديث أبي هريرة ﷺ أنه قال: «**وإن العبد يتكلم بالكلمة من سخط الله لا يلقي لها بالا يهوي بها في جهنم**»(البخاري: ٦١١٣).

٣- تناقص الحسنات وضياعها :

وذلك أن المغتابة تضيع حسناتها إن كانت لها حسنات، بل تتكاثر عليها السيئات، الأمر الذي يعرضها للعذاب الشديد، فعن أبي هريرة ﷺ قال : قال ﷺ لأصحابه: «**أتدرون من المفلس؟ قالوا: المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع. فقال: إن المفلس من أمتي من يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة، ويأتي وقد شتم هذا وقذف هذا وأكل مال هذا وسفك دم هذا وضرب هذا، فيعطى هذا من حسناته، وهذا من حسناته فإن فنيت حسناته قبل أن يقضى ما عليه أخذ من خطاياهم فطرحت عليه، ثم طرح في النار**» (ابن حبان: ٤٤١١).

٤- الفرقة والتمزق :

فالغيبة تؤدي إلى شيوع الشر والفساد وطول الطريق وكثرة التكاليف وتمكن العدو من رقابنا، ذلك أنها تؤدي إلى قول الزور وقول الزور، يؤدي إلى البهتان، والبهتان يؤدي إلى الخصومة، ثم التدابر والقطيعة أو الفرقة، ولعل هذا هو ما عناه سهل بن عبد الله حين قال: من أراد أن يسلم من الغيبة فليسد عن نفسه باب الظنون، ومن سلم من التجسس سلم من الغيبة، ومن سلم من الغيبة سلم من الزور، ومن سلم من الزور سلم من البهتان.

و- عـــــلاج الغيبة :

ويكون ذلك بعدة أمور منها:

١- تربية ملكة تقوى الله ومراقبته في النفس ، فهذه الملكة إن نبتت ورسخت في النفس فإنها تحمي صاحبتها من أكل لحوم الناس، بل قد تدفعها إلى أن تصون أعراض الآخرين من أن تنتهك في مجلسها وهي ساكتة لا تفعل شيئا، ولعل هذا الدواء هو

الوارد في آية تحريم الغيبة إذ ختمت بقوله سبحانه: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحُجُرات:١٢].

٢- أن تضعي في حسبانك أن كل ما تتفوهين به مكتوب ومحسوب عليك، إذ يقول سبحانه: ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾﴾ [ق]، ولأن تحسب لها كلماتها التي تتفوه بها خير من أن تحسب عليها.

٣- التثبت أو التبين في الحكم على الأشياء والأشخاص، بل وفي نقل هذا الحكم وإشاعته بين الناس حفاظا على أعراض الناس وإبقاء على رابطة الأخوة، إذ يقول سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ ﴿٦﴾﴾ [الحجرات].

٤- كظم الغيظ ومقاومة الغضب على اعتبار أن الغضب من أسباب الوقوع في الغيبة كما قدمنا، قال تعالى: ﴿وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴿٤٣﴾﴾ [الشورى].

٥- قيام الأمة بواجبها نحو المغتابين بألا تسمع لهؤلاء، بل عليها أن تزجرهم بكل ما تملك من أساليب ووسائل، ومن أبرز هذه الأساليب وتلك الوسائل رد غيبة هؤلاء، فقد جاء في الحديث أن النبي ﷺ قال: **«من رد عن عرض أخيه رد الله عن وجهه النار يوم القيامة»** (الترمذي: ١٩٣١). وقوله: **«ما من امرئ خذل امرأ مسلما في موضع تنتهك فيه حرمته وينتقص من عرضه إلا خذله الله في موطن يحب فيه نصرته، وما من امرئ ينصر مسلما في موضع ينتقص فيه من عرضه وينتهك فيه حرمته إلا نصره الله في موطن يحب نصرته»** (سنن أبي داود: ٤٨٨٤) . وقوله: **«من حمى مؤمنا من منافق بعث الله تعالى ملكا يحمي لحمه يوم القيامة من نار جهنم، ومن رمى مسلما بشيء يريد شينه حبسه الله على جسر جهنم حتى يخرج مما قال»** (سنن أبي داود:٤٨٨٣) .

٦- التذكير الدائم بعواقب الغيبة في الدنيا والآخرة، سواء أكان ذلك على العاملين أم على العمل الإسلامي، فإن الإنسان ينسى، وعلاج النسيان إنما يكون بالتذكير، قال تعالى: ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَىٰ تَنفَعُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٥﴾﴾ [الذاريات] .

٧- القول المأثور: "لو أنكم تشترون الكاغد للحفظة لسكتتم عن كثير من الكلام" فيه معنى جميل عن تكلفة فضول الكلام لو أننا سندفع ثمن الحبر والورق الذي سيكتب

به كلامنا الكثير، فسيجعلنا هذا نسكت عن كثير من الكلام المباح شحًّا وبخلًا، فما بالكن إذا كان الكلام غيبة أو نميمة وثمنه غال جدًّا ... ليس مالا ... ولكن سيئات ومعاص تورث النار وغضب الجبار والعياذ بالله.

التقويم: (الدرجة النهائية ١٥)

١ – عرفي الغيبة ؟ (درجة واحدة)

٢ – اذكري حكم الغيبة في ميزان الإسلام ؟ (درجتان)

٣– اذكري خمسة من أسباب وقوع الإنسان في الغيبة ؟ (٥درجات)

٤ – إذا كنت مصابة بداء الغيبة، فماذا يجب عليك فعله للتخلص منها ؟ (٥درجات)

٥–إذا قدر عليك بأهل أو بزملاء عمل أو بصديقات لديهم داء الغيبة ماذا يجب عليك فعله تجاههم؟ (درجتان)

* * *

٢- مجاهدة النفس للتخلص من النميمة

ابحثي عن النميمة والنمام عندما تقسو القلوب وتنزع الهيبة ويظهر الحقد والحسد وتسود الفرقة بين الناس ، وللحاجة الماسة للتبصر بهذا الداء فعلينا التعرف عليه ، ومعرفة موقف الإسلام منه ، وأسبابه ، والآثار المترتبة عليه، ومقاومته واجتثاث جذوره .

أ- تعريف النميمة :

في اللغة : الترقيش والزخرفة.

وفي الاصطلاح الشرعي: فلها معنيان؛ أحدهما خاص، وهو نقل كلام الناس بعضهم إلى البعض على جهة الإفساد بينهم ، والآخر عام ، وهو كشف ما يكره المرء سواء كرهه المنقول إليه أو كرهه ثالث ، وسواء أكان الكشف بالقول أم بالكتابة أم بالرمز أم بالإيماء -يعني الإشارة- وسواء أكان المنقول من الأفعال أم من الأقوال ، وسواء أكان عيبا أو نقصا في المنقول عنه أم لم يكن .

"وليس من النميمة بمعنييها الخاص والعام نقل الكلام أو الحديث على جهة الإصلاح كالتقريب بين المتخاصمين مثلا، وكما إذا رأى من يعتدي على مال غيره بسرقة أو اختلاس وشهد به مراعاة لحق المشهود عليه ويعرف هذا في اللغة باسم الإنماء ".

فعن أم كلثوم بنت عقبة مرفوعا : أن النبيﷺ قال: «**ليس الكذاب من أصلح بين الناس فقال خيرا أو نمى خيرا**» (مسند أحمد: ٢٧٣١٤).

والفرق بين النميمة والغيبة على هذا التعريف هو العموم والخصوص المطلق أي: إن كل نميمة غيبة وليس كل غيبة نميمة، فإن الإنسان قد يذكر عن غيره ما يكرهه ولا إفساد فيه بينه وبين أحد، وهذا غيبة، وقد يذكر عن غيره ما يكرهه وفيه إفساد، وهذا غيبة ونميمة معا".

ب - موقف الإسلام من النميمة :

الإسلام يحرم النميمة، ويراها من الكبائر التي تحرم الواقعة فيها القائمة عليها من الجنة وتوجب لها النار؛ نظرًا لأنها سعت في قطع ما أمر الله به أن يوصل وتفسد في الأرض. يقول تبارك وتعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَظْلِمُونَ ٱلنَّاسَ وَيَبْغُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤٢﴾ ﴾ [الشورى]. والنمامة واحدة من هؤلاء. قال تعالى: ﴿ وَلَا تُطِعْ

﴿كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ۝١٠ هَمَّازٍ مَّشَّاءٍ بِنَمِيمٍ ۝١١﴾ [القلم]. وعن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال: «إن من شرار الناس من اتقاه الناس لشره» (سنن الترمذي:٤٧٩٣)، وعن حذيفة بن اليمان أن النبي ﷺ قال: «لا يدخل الجنة قتات» (البخاري:٥٧٠٩) . وقتات بمعنى : نمام. وعن عمار بن ياسر قال: قال ﷺ: «من كان له وجهان في الدنيا كان له لسانان من نار يوم القيامة» (سنن أبي داود:٤٨٧٣)، وعن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : «تجدون من شر عباد الله يوم القيامة ذا الوجهين» (مسلم: ٢٥٢٦).

ج - من أسباب النميمة :

١- الحسد ومحبة الشر والسوء للناس :

وقد يكون الحسد أو محبة الشر والسوء للناس مدعاة للوقيعة والإفساد على نحو ما جاء عن حماد بن سلمة إذ قال : " باع رجل عبدًا وقال للمشتري: ما فيه عيب إلا النميمة. قال : قد رضيت. فاشتراه، فمكث الغلام أيامًا ثم قال لزوجة مولاه: إن سيدي لا يحبك، وهو يريد أن يتسرى عليك، فخذي الموسى واحلقي من شعر قفاه عند نومه شعرات حتى أسحره عليها فيحبك. ثم قال للزوج : إن امرأتك اتخذت خليلًا وتريد أن تقتلك فتناوم لها حتى تعرف ذلك. فتناوم لها فجاءت المرأة بالموسى فظن أنها تريد قتله، فقام إليها فقتلها، فجاء أهل المرأة فقتلوا الزوج، ووقع القتال بين القبليتن".

٢- التملق لدى ذوي الوجاهة والسلطان إرضاء لهم وطمعًا فيما بأيديهم .

وقد يكون التملق لذوي الوجاهة والسلطان إرضاءً لهم أو طمعًا فيما بأيديهم هو السبب في وقوع آفة النميمة، ذلك أن نفرًا من الناس يتصورون بفهمهم القاصر أن إرضاء ذوي الوجاهة والسلطان أو الحصول على ما بأيديهم لا يتم إلا على أعراض الناس والوشاية أو الوقيعة بينهم، وقد نسوا أو تناسوا أن ما عند الله وما عند الناس لا يناله المرء إلا بطاعته لله وتفانيه في مرضاته. عن عائشة قالت: قال رسول الله ﷺ: «من التمس رضا الله بسخط الناس رضي الله عنه وأرضى عنه الناس، ومن التمس رضا الناس بسخط الله سخط الله عليه وأسخط عليه الناس» (1). وعن المستورد بن شداد قال : قال النبي ﷺ: «من أكل برجل مسلم أكلة فإن الله يطعمه مثلها من جهنم، ومن كسي ثوبًا برجل مسلم

---

(١) أخرجه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب عقب حديث، رقم ٢٢٥٠. وعزاه إلى ابن حبان في صحيحه.

فإن الله يكسوه مثله من جهنم، ومن قام برجل مقام سمعة ورياء فإن الله يقوم به مقام سمعة ورياء يوم القيامة» (سنن أبي داود: ٤٨٨١).

٣- الترويح عن النفس بالباطل :

وقد ترى بعض المسلمات أن الخوض في الفضول والباطل والسعي بين الناس بالقطيعة والإفساد إنما هو من قبيل التنفيس والترويح عن النفس، ومن ثم لا يتورعن عن الوقوع في هذه الآفة ناسيات أو متناسيات أن الترويح عن النفس بالخوض بالباطل والفضول والسعي بين الناس بالقطيعة والإفساد لا يعود على المرء إلا بالقلق والاضطراب النفسي؛ نظرا لأنه معصية، وللمعصية عواقب وخيمة وآثار مهلكة، أعظمها هذا القلق والاضطراب النفسي، مصداقا لقوله سبحانه: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾﴾ [طه].

٤- عدم قيام الأمة بواجبها نحو النمام :

وقد يكون عدم قيام الأمة بواجبها نحو النمام من تكذيبه وزجره وتخويفه واستهجان عمله - قد يكون هذا سببا من الأسباب التي تؤدي للوقوع في النميمة، وقد وعى السلف واجبهم نحو النمامين؛ فقطعوا الطريق عليهم بأداء هذا الواجب، هذا أمير المؤمنين عمر ابن عبد العزيز يدخل عليه رجل فيذكر له عن رجل شيئا، فيقول له أمير المؤمنين عمر: "إن شئت نظرنا في أمرك فإن كنت كاذبا فأنت من أهل هذه الآية: ﴿إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ﴾ [الحجُرات:٦] ، وإن كنت صادقا فأنت من أهل هذه الآية ﴿هَمَّازٍ مَّشَّاءٍ بِنَمِيمٍ ﴿١١﴾ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ﴿١٢﴾﴾ [القلم]، وإن شئت عفونا عنك. فقال: العفو يا أمير المؤمنين لا أعود إليك أبدا».

د - آثار النميمة :

ومن أبرز آثارها ما يلي:

١- قسوة القلب :

ذلك أن النميمة تعتبر من المعاصي والسيئات؛ تسود القلب وتدنسه فيصيبه المرض، ويظل هذا المرض يسري فيه حتى يموت، فتكون القسوة والويل كل الويل لمن قسا قلبه، كما قال سبحانه: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ اللَّهِ ۚ أُولَٰئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ [الزُّمَر:٢٢].

٢- نزع الهيبة من قلوب الناس :

وتنتهي النميمة بصاحبتها إلى نزع هيبتها والثقة بها من قلوب الناس من باب: أن من نمَّ لك نمَّ عليك، وإذا نزعت هيبة المسلمة وضاعت الثقة بها من قلوب الناس احترقت كل أوراقها، ولم يبق لها ما يعيش أو يحيا بين الناس، فتكون قد حكمت على نفسها بالموت وإن بدا أنها واحدة من الأحياء.

٣- الإفلاس :

وتنتهي النميمة كذلك بصاحبتها إلى الإفلاس؛ إذ تضيع حسناتها إن كانت لها حسنات الواحدة تلو الأخرى، بل ربما حُط عليها من سيئات الآخرين إن لم تف حسناتها بما عليها من مظالم وديون.

٤- سلب الأموال وانتهاك الأعراض وسفك الدماء من آثار النميمة:

وقد مر بنا العبد النمام، وكيف حرَّض سيده على مولاته حتى قتلها، ثم قُتل بأيدي أقاربها واشتعلت الحرب بين الفريقين .

٥- التعرض لغضب الله وسخطه :

فالنميمة تنتهي بصاحبتها إلى التعرض لغضب الله وسخطه الموجبين للنار فضلًا عن عقاب الدنيا إذ يقول سبحانه: ﴿وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ﴾[فاطر:٤٣]. وعن حذيفة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : « لا يدخل الجنة نمام» (مسلم: ١٠٥) .

٦- الفرقة والتمزق :

وذلك أن سماع النميمة إذا لم يكن معه تقوى الله يؤدي إلى سوء الظن، ثم التجسس وتتبع العورات، ثم الغيبة، ثم الخصومة، ثم التدابر والتقاطع أو الفرقة والتمزق. وصدق الله العظيم إذ يقول: ﴿ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٥﴾ ﴾ [آل عمران].

هـ - علاج النميمة :

مادمنا قد وقفنا على أسباب وبواعث النميمة، وأدركنا آثارها الضارة وعواقبها الوخيمة؛ فإنه يسهل علينا أن نرسم طريق الوقاية والعلاج، وتتلخص في الخطوات التالية:

١- المبادرة بعدم تصديق النمامة، بل زجرها وتخويفها من الله والدار الآخرة، فإن ذلك يقطع الطريق عليها ولا يجعلها تستمرئ أو تتمادى، وتوقن المسلمة أن مثل هذه الخطوات من باب ﴿وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾ [لقمان:١٧].

٢- تربية فضيلة تقوى الله ومراقبته في النفس، فإن هذه الفضيلة لها دور كبير في التخلص من العيوب والآفات ومن بينها النميمة، ثم التحلي بالفضائل والمنجيات.

٣- تنقية الوسط الذي تعيش فيه النمامة، سواء أكان قريبًا كالبيت أم بعيدًا كالمجتمع، فإن المسلمة تتأثر ببيئتها، وكم من أناس طهرت قلوبهم وزكت جوارحهم واستقاموا على الطريق بسبب عيشهم في وسط نقي نظيف، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**الرجل على دين خليله، فلينظر أحدكم من يخالل**». (سنن الترمذي: ٢٣٠٠).

٤- اليقين التام بأن ما عند الله لا ينال بالمعصية أو الوقيعة أو الإفساد بين الناس، وإنما ينال بالطاعة والاستقامة. قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا۟ مَا يُوعَظُونَ بِهِۦ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا﴾ [النساء:٦٦].

٥- قيام أولي الأمر بواجبهم نحو النمامين، وذلك بزجرهم وتخويفهم، بل وتعذيرهم إن اقتضت المصلحة ذلك، فالذين لا يزجرهم عن جرائمهم الإيمان لابد من زجرهم بما شرعه الله في القرآن، وكلف الله تطبيقه من ولي أمور الأمة من الحكام.. ولهذا قال عثمان بن عفان رضي الله عنه: "إن الله ليزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن".

٦- مقاطعة النمامة إن أصرت على هذا الخلق الذميم، وما لم تنفع الأساليب المتقدمة فإن آخر الدواء الكي.

التقويم: (الدرجة النهائية ١٠)

أجيبي عما يلي من أسئلة مسترشدة بما جاء في هذا الموضوع:

١- ضعي علامة صح أو خطأ أمام العبارتين التاليتين مع بيان السبب:

أ- من أصلحت بين الناس بالكذب فهي نمامة. (درجة واحدة)

ب- مقاطعة النمامة أولى وسائل العلاج. (درجة واحدة)

٢- اذكري بعض الآثار السيئة للنميمة. (٣درجات)

٣- ما هي أسباب النميمة؟ (٥درجات)

بطاقة تقويم ذاتية

المظاهر	دائمًا ٤	غالبًا ٣	أحيانًا ٢	نادرًا ١
١ – أراقب الله في كل أقوالي وأفعالي.				
٢ – أحافظ على أمانة المجالس.				
٣ – أتثبت مما يصل إليّ من أخبار.				
٤ – أتنزه عن ترويج الشائعات.				
■ – أنأى بنفسي عن الجلوس في مجالس النميمة.				

الدرجة النهائية (٢٠) - الدرجة الدنيا (٥)

* * *

٣- مجاهدة النفس للتخلص من المراء والجدل

كم مرة لم يتقبل الناس النصيحة منك ؟ كم مرة لم يعجبك كلام غيرك ففتحتي حوارا طويلا لتوضحي له خطأه ؟ كم مرة حاولت الانتصار على غيرك في الحوار؟ وكم مرة حاولت التشويش على حديث غيرك؟

هنا، وفي هذا الجزء، سوف يتبين لكي العديد من المواقف التي من الممكن أن تتعرضي لها أو تقومي أنت بها بالفعل بدون أن تشعري، وأحيانا بعلمك وإحساسك، مما يؤكد على ضرورة مدارسة هذه الجوانب للتخلص من هذه الآفة والوقاية منها، وسوف نتناول بالعرض ما يلي :

أ - مفهوم المراء والجدل.

ب- صور من المراء والجدل في ميزان الإسلام.

ج - أسباب الوقوع في المراء والجدل.

د - آثار الوقوع في المراء والجدل.

هـ- العلاج والوقاية من المراء والجدل.

أ - مفهوم المراء والجدل:

المراء لغة: المناظرة والجدل، قال تعالى: ﴿فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَآءً ظَٰهِرًا﴾[الكهف:٢٢].

الجدل لغة: شدة الخصومة والمناقشة ، قال تعالى: ﴿وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ [النحل:١٢٥].

اصطلاحًا : " كل اعتراض على كلام الغير بإظهار خلل فيه إما في اللفظ وإما في المعنى وإما في قصد المتكلم، أو قصد إفحام الغير وتعجيزه بالقدح في كلامه ونسبته إلى القصور والجهل" [(١)] يقول الرسول ﷺ: **«لا تعلَّموا العلم لتباهوا به العلماء، ولا لتماروا به السفهاء، ولا لتحوذوا به المجالس، فمن فعل ذلك فالنار النار»** (ابن ماجه: ٢٥٠) .

---

(١) إحياء علوم الدين للغزالي (٣/ ١١٧).

ب - صور من المراء والجدل:

ومن تلك الصور ما يلي:

١- الطعن في كلام الغير من حيث اللفظ، بإظهار خلل فيه من جهة النحو أو جهة اللغة العربية، أو من جهة النظم والترتيب بسوء تقديم أو تأخير.

٢- الطعن في كلام الغير من حيث المعنى .

٣- الطعن في كلام الغير من حيث القصد بأن يقول المماري لخصمه: هذا الكلام حق ولكن ليس قصدك منه الحق وإنما أنت صاحب غرض .

والمراء والجدل على هذا النحو مذمومان، وذلك للنصوص الكثيرة الدالة على ذلك، ومنها قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُمَارُونَ فِي ٱلسَّاعَةِ لَفِي ضَلَٰلٍۭ بَعِيدٍ ﴿١٨﴾﴾ [الشورى] وقوله تعالى: ﴿لِيُدْحِضُواْ بِهِ ٱلْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ﴿٥﴾﴾ [غافر]. وقوله ﷻ: ﴿وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَٰدِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴿١٢١﴾﴾ [الأنعام]. وقول رسول الله ﷺ في الحديث الذي رواه أبو أمامة ﵁ أن النبي ﷺ قال: **"أنا زعيم ببيت في ربض الجنة لمن ترك المراء وإن كان محقًا، وببيت في وسط الجنة لمن ترك الكذب وإن كان مازحا، وببيت في أعلى الجنة لمن حسن خلقه"** (سنن أبي داود: ٤٨٠٠). وقوله ﷺ: **"ما ضل قوم بعد هدى كانوا عليه إلا أوتوا الجدل. ثم تلا قوله تعالى: ﴿مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًۢا ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ﴾ [الزُّخرُف:٥٨]"** (أحمد: ٢٢٢١٨). وقوله ﷺ أيضًا في الحديث الذي روته عائشة ﵂: **"أبغض الرجال الألدُّ الخصم"** (البخاري:٦٧٦٥).

وعن أبي الدرداء وأبي أمامة وواثلة بن الأسقع وأنس بن مالك قالوا: **"خرج علينا رسول الله ﷺ يوما ونحن نتمارى في شيء من أمر الدين، فغضب غضبا شديدا لم يغضب مثله، ثم انتهرنا فقال: مهلا يا أمة محمد، إنما هلك من كان قبلكم بهذا، أخذوا المراء لقلة خيره، ذروا المراء، فإن المؤمن لا يماري، ذروا المراء، فإن المماري قد تمت خسارته، ذروا المراء، فكفاك إثما أن لا تزال مماريا، ذروا المراء، فإن المماري لا أشفع له يوم القيامة، ذروا المراء، فأنا زعيم بثلاث أبيات في الجنة؛ في رباضها ووسطها وأعلاها لمن ترك المراء وهو صادق، ذروا المراء، فإن أول ما نهاني عنه ربي بعد عبادة الأوثان المراء، وشرب الخمر، ذروا المراء، فإن الشيطان قد يئس أن يعبد ولكنه قد رضي منكم بالتحريش وهو المراء، ذروا المراء، فإن بني إسرائيل افترقوا على إحدى وسبعين فرقة، والنصارى على ثنتين وسبعين،**

كلهم على الضلالة إلا السواد الأعظم. قالوا : يا رسول الله، ومن السواد الأعظم ؟ قال: **من كان على ما أنا عليه وأصحابي، من لم يمار في دين الله، ومن لم يكفر أحدا من أهل التوحيد بذنب غفر له.** ثم قال : **إن الإسلام بدأ غريبا، وسيعود غريبا.** قالوا : يا رسول الله، ومن الغرباء ؟ قال : **الذين يصلحون إذا فسد الناس، ولا يمارون في دين الله، ولا يكفرون أحدا من أهل التوحيد بذنب**" (المعجم الكبير للطبراني: ٧٦٥٩).

وهذا لا يمنع أن هناك نوعًا من الجدل محمود، وهو ما كان دعوة إلى حق أو إيضاحًا وبيانًا ودفاعًا عن حق، ويشير إلى ذلك قوله تعالى: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾[النحل:١٢٥] وقوله ﷻ: ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ [العنكبوت:٤٦].

ج - أسباب الوقوع في المراء والجدل :

١- عدم رعاية آداب النصيحة :

وذلك أن للنصيحة في الإسلام آدابًا؛ أهمها أن تكون في السر ما لم تجاهر بها صاحبتها، وأن تكون بالأسلوب المناسب وفي اللحظة المناسبة، وأن تكون بنية الإصلاح والتغيير إلى ما هو أحسن، وأن تكون خالصة لوجه الله تعالى، وأن تتجرد الناصحة من حولها وقوتها إلى حول الله وقوته، وعدم رعايتها هذه الآداب قد يولد في نفس المنصوحة نوعًا من العزة بالإثم ومحاولة التعبير عنها في شكل مراء أو جدل؛ لتبرر به ما هي عليه من خطأ ولا تقبل النصيحة.

٢- الميل إلى الغلبة وعدم قبول الهزيمة:

وقد يكون الميل إلى الغلبة وعدم قبول الهزيمة سببًا من أسباب الوقوع في المراء والجدل؛ ذلك أن المسلمة قد تكون ميالةً بطبعها إلى الغلبة ولا تقبل الهزيمة، وتستخدم في سبيل تحقيق هذا الميل كل ما يتاح لها من أسباب ووسائل، ويكون المراء أو الجدل واحدًا من هذه الأساليب وتلك الوسائل، ولعل هذا هو السر في دعوة الإسلام إلى الإنصاف من النفس إذ يقول ﷻ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُواْ ۚ ٱعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾﴾ [المائدة] ، وعن عمار بن ياسر: «**ثلاث من جمعهن فقد جمع الإيمان: الإنصاف من نفسك، وبذل السلام للعالمين، والإنفاق من الإقتار**» (أخرجه

البخاري). يقول الإمام الشافعي ﷺ: (ما حاججت أحدا إلا وتمنيت الغلب له، فإني إن حججته لم أزد شيئا، وإن حجني ازددت علما). معناه: أنه تخلص من حظ نفسه في الجدال، ولا يبغي إلا الحق ويتمناه حتى ولو كان في هزيمته في المناقشة.

٣- التشويش على الحق والصواب:

وقد يكون التشويش على الحق والصواب هو السبب في الوقوع في المراء والجدل، ذلك أن المسلمة قد تكون على باطل أو خطأ، وترى شمس الحق ونور الصواب، فيغزوان هذا الباطل وذلك الخطأ، ويحاولان اقتحام العقل والقلب معًا، وهي لا تريد ذلك لسبب أو لآخر، وحينئذ تجعل من المراء والجدل سبيلًا للتشويش على الحق والصواب على نحو ما قال المشركون لبعضهم البعض وهم يتشاورون في كيفية مواجهة الوحي الذي أوحاه الله إلى رسول الله ﷺ، وقد حكاه القرآن عنهم فقال: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَسۡمَعُواْ لِهَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ وَٱلۡغَوۡاْ فِيهِ لَعَلَّكُمۡ تَغۡلِبُونَ ﴿٢٦﴾﴾ [فصلت]. ولذلك ذم الله بني إسرائيل: ﴿وَمَا تَفَرَّقُوٓاْ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡعِلۡمُ بَغۡيَۢا بَيۡنَهُمۡ﴾[الشورى:١٤].

٤- الاشتغال بعلوم الجدل والمناظرة قبل التحصن بالكتاب والسنة:

وقد يكون الاشتغال بعلوم الجدل والمناظرة من المنطق والفلسفة هو السبب في الوقوع في المراء أو الجدل، ولاسيما قبل التحصن بالكتاب والسنة، ذلك أن هذه العلوم قائمة على الجدل وتضييع الأوقات بغير طائل أو بغير جهد يذكر، ومن اشتغلت بها قبل أن تحصن نفسها بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ تبتلى لا محالة بداء المراء أو الجدل.

فينبغي تنفيذ أوامر الكتاب والسنة التي حددت كل شيء، حتى جدال أهل الكتاب بالنص، ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ﴾ [العنكبوت:٤٦] ولا يقولن أحد: إن أهل هذا الزمان ليسوا من أهل الكتاب. فهذا باطل، ولا يقولن أحد: إن زعماءهم ورؤساءهم يحاربون ديننا. فالمسئولية فردية ولا يجوز التعميم.

٥- الإعجاب بالنفس بل الغرور والتكبر:

وقد يكون الإعجاب بالنفس بل الغرور والتكبر هو السبب في الوقوع في المراء والجدل، ذلك أن من كانت معجبةً بنفسها بل مغرورةً متكبرةً تلجأ في كثير من الأحيان لتحتفظ بما ارتضته لنفسها من هذه الأمراض والآفات، ولعل ذلك ما أشار إليه رب العزة ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيۡرِ سُلۡطَٰنٍ أَتَىٰهُمۡ إِن فِي صُدُورِهِمۡ إِلَّا كِبۡرٞ

مَّا هُم بِبَٰلِغِيهِۚ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿٥٦﴾﴾ [غافر]. ﴿وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّاۚ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿١٤﴾﴾ [النمل].

٦- عدم وجود برنامج يواكب ويمتص الطاقات :

وقد يكون عدم وجود برنامج يواكب ويمتص الطاقات لدى المسلمة هو السبب في المراء والجدل، ذلك أن نفس المسلمة إن لم تشغلها بالنافع شغلتها بالضار.

د – آثار الوقوع في المراء والجدل:

إن للمراء والجدل آثارا عدة تنعكس بالدرجة الأولى على الآخرين، ومن أبرزها ما يلي:

١- إغضاب الآخرين :

الأمر الذي يؤدي إلى البغض والقطيعة، ولا بركة في قول لا يصحبه عمل كما قال ﷻ: ﴿كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُوا۟ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٣﴾﴾ [الصف]، إذ في ذلك قطع للمسلمة عن ربها، فيقسو قلبها ويكون الغضب عليها، بل البغض والقطيعة والتآمر من الآخرين . وقد وعى هذا الأثر لقمان الحكيم فقال يوصي ولده: "يا بني لا تجادل العلماء فيمقتوك".

٢- ضياع الهيبة وسقوط المروءة :

وذلك أن المراء أو الجدل يحمل صاحبته على أن تكشف عن كل أوراقها، وترمي خصمها بكل ما تستطيع، وإذا كشفت المسلمة عن كل أوراقها ورمت خصمها بكل ما تستطيع ضاعت هيبتها وسقطت مروءتها لا محالة .

وفي هذا يقول عيسى عليه السلام: "من كثر كذبه ذهب جماله، ومن لاحى الرجال سقطت مروءته " .

٣- عدم أمن الفتنة في الدين :

وذلك أن كثيرًا ما تعترض الشبهات طريق المرائية أو المجادلة، وقد لا تتمكن من الرد على هذه الشبهات، وحينئذ يتسرب الشك إلى نفسها، وقد يقود هذا الشك إلى حد الفتنة وترك الدين والعياذ بالله، وماذا بقي للمسلمة بعد الفتنة، وقد وعى هذا الصحابيُّ الجليل عبد الله بن مسعود رضي الله عنه فقال: " ذروا المراء فإنه لا تفهم حكمته ولا تأمن فتنته " .

٣- الفرقة والتمزق :

إن من أورثها المراء أو الجدل قسوة القلب وإغضاب الآخرين فإنها لن تجد إلَّا البغض من الآخرين والقطيعة والتآمر وضياع الهيبة وسقوط المروءة، وعدم أمن الفتنة في الدين، ولا يمكن أن يأتلف قلبها مع قلوب العاملات لديننا ممن سلمهن الله من هذه الأمة؛ فتكون القطيعة والفرقة .

هـ - العلاج والوقاية من المراء والجدل:

وللوقاية والعلاج من المراء والجدل يلزم اتباع عدة أمور من أهمها ما يلي:

١- رعاية الآداب الإسلامية التي لابد منها في النصيحة : من ضرورة أن تكون في السر لمن لم يجهر بها، وأن تكون بالأسلوب المناسب في اللحظة المناسبة، وأن تكون بنية الإصلاح والتغيير لما هو أحسن، وأن تكون خالصة لوجه الله تعالى، وأن يتجرد الناصح من حوله وقوته إلى حول الله وقوته، إلى غير ذلك من الآداب التي يجمعها قوله سبحانه: ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِ ﴾[النحل:١٢٥].

٢- إشعار الآخرين بالاحترام والتوقير حتى مع اختلاف الفكر وتعارض الرأي، فإن ذلك من شأنه أن يقضي على الإصرار والعناد والمتمثل في المراء والجدل، وحسبنا أن النبي ﷺ رد على عتبة بن ربيعة لما جاء رسولا من قبل قريش يريد إثناءه ﷺ عن دعوته عن طريق الاحتواء بواسطة الدنيا متمثلة في الشرف والسؤدد والوجاهة والملك والمال، ومداواته من الأمراض والعلل إن كانت مصدر ما يحدثهم به من شئون الوحي، رد عليه ﷺ في أدب واحترام وتوقير مع اختلاف فكر ورأي كل واحد منهما عن الآخر بقوله: **«قل أبا الوليد أسمع»** . وقوله له: **«أفرغت يا أبا الوليد»**. الأمر الذي كان سببًا في امتصاص ما عند عتبة من إصرار وعناد أو تسميه المراء أو الجدل، حتى إذا سمع آيات من كتاب الله وفي آخرها إنذار بالعذاب على نحو ما وقع لعاد وثمود خاف وأمسك بفي رسول الله ﷺ وهو يقول: ناشدتك الله والرحم إلا أمسكت فإني أخشى أن تنزل عليهم الصاعقة. إلى أن عاد إلى قومه يطلب منهم أن يخلوا بين النبي وبين ما يقول، إذ لا يمكن أن يكون ما سمع من قول البشر .

٣- تحري العيش في وسط سليم خال من المراء أو الجدل، فإن ذلك يُعِن النفس بل يحفظها من الوقوع في غوائل هذه الآفة.

٤- قيام الأمة بواجبها نحو هذا الصنف من الناس، كلٌّ بما يتناسب مع طاقته وإمكاناته، فالجميع ينصحون وينكرون بألسنتهم، وولي الأمر يقوم بالتعذير إن اقتضى المقام ذلك.

٥ - التحرك من خلال منهج يسد الفراغ ويُفرغ الطاقات ويربط النفس بربها باريها ومالكها والمتصرف فيها، حتى لا توجد لحظة فراغ تستغل من قبل شياطين الجن والإنس في تدنيس النفس البشرية بهذه الآفة، ولا سبيل إلى ذلك بصورة تامة دقيقة إلا في حضن جماعة مسلمة جامعة لصفات وضوابط الجماعة المسلمة الحقة. ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ﴾ [الشَّرح:٧].

٦- مجاهدة النفس وتعويدها على الجرأة والشجاعة، فالاعتراف بالخطأ وقبول الحق من الغير ولو كان مُرًّا يحتاجان إلى الجرأة والشجاعة إذ أن الرجوع إلى الحق أفضل من التمادي في الباطل، والمهم هو ظهور الحق بغض النظر على لسان من ظهر هذا الحق.

٧- معاملة من يخالفوننا في الرأي على أن رأينا صواب يحتمل الخطأ وأن رأي غيرنا خطأ يحتمل الصواب، فإن المعاملة بهذه الصورة من شأنها أن تستل الأحقاد من الصدور وأن تقضي على المراء والجدل.

٨- رؤية الكلام من العمل، فإن من يُرى كلامها من عملها يقل كلامها إلا فيما يعنيها، وبذلك يغلق باب واسع من أبواب المراء والجدال.

ملحوظة:

قد تصاب المسلمة بآفة من آفات اللسان أو بعيب من عيوب النفس غير الثلاثة التي ذكرت، فعلى المسلمة أن تلاحظ نفسها وأخواتها ومن تعول في ذلك، والتعاون في الوقوف على عيوب النفس الأخرى؛ لأن بداية العلاج أن تدرك المصابة أنها مريضة، وأن تشعر بحاجتها إلى العلاج، وأن يكون لها جهد ذاتي في تعاطي العلاج والمداومة عليه، وإلا ما لبثت أن يعود عليها المرض مرات ومرات، وقد يكون أشد من النوبة الأولى حتى يكون هلاكها والعياذ بالله، كما ينبغي الوقوف على الأسباب الحقيقية لهذا العيب، والوصول إلى جذوره لاجتثاثها وعلاجها، وسؤال أهل الخبرة، كما ذهبت امرأة إلى أُم المؤمنين عائشة رضي الله عنها وقالت لها: يا أم المؤمنين، أشكو إليك قسوة في قلبي. فنصحتها بزيارة القبور، ففعلت فعادت قائلة: جزاك الله عني خيرًا يا أم المؤمنين، فقد أذهب الله ما كان بقلبي من قسوة.

التقويم: (الدرجة النهائية ١٥)

١ - ما هو الجدل المذموم وما هو الجدل المحمود في الإسلام ؟ (٤درجات)

٢- ما هي أسباب الوقوع في المراء والجدل المذموم ؟ (٦درجات)

٣- ما آثار المراء والجدل على المسلمين ؟ (٥درجات)

في جلسة أسرية يمكن تناول إلى أي مدى يصل تأثير الجدل على العلاقة بين الناس، وماذا يمكن أن يحدث في حالة وجود جدل في بعض المواقف؟ كم من الوقت يمكن أن يضيع بسبب الجدل؟ وكم من أعمال مهمة يمكن أن تفقديها بسببه؟ ثم تناول مواقف لبعض النماذج التي أمكنها أن تترك الجدل للتأسي بها.

بطاقة تقويم ذاتية

المظاهر	دائمًا ٤	غالبًا ٣	أحيانًا ٢	نادرًا ١
١ - أشعر الآخرين بالاحترام والتقدير.				
٢ - أحرص على مطابقة قولي لفعلي.				
٣ - أعترف بخطئي وأقبل الحق.				
٤ - أراعى آداب النصيحة عند إسدائها.				
٥ - أترك الجدل حرصًا على علاقاتي بالآخرين.				

الدرجة النهائية (٢٠) والدرجة الدنيا (٤)

إذا لم تحققي الدرجة النهائية فعليك البحث عن أسباب الجدل لديك، فقد تكون الكبر أو الميل إلى الغلبة أو عدم مراعاة آداب النصيحة، ثم قومي بالبحث عن وسائل مناسبة للعلاج بالاستفادة من العرض السابق للجدل، وحاولي زيادة درجاتك وقياس ذلك بشكل مستمر حرصا على علاج الأزمة وتخطيها.

* * *

ثانيًا: تنقية النفس من خطاياها
(الكبر - الغضب - الحقد - الحسد)

ليس أروح للمسلمة ولا أطرد لهمومها ولا أقر للعين من أن تعيش سليمة القلب، بريئةً من وساوس الضغينة وثوران الأحقاد، إذا رأت نعما تنساق إلى أحد رضت بها وأحست فضل الله فيها وفقر عباده إليه. وذكرت قول النبي ﷺ: "اللهم ما أصبح بي من نعمة أو بأحد من خلقك فمنك وحدك لا شريك لك فلك الحمد ولك الشكر" (سنن أبي داود: ٥٠٧٣).

فحاولي الكشف المبكر عن الخطايا لديك، فربما تعانين من أعراض مرضية ولا تدرين ما هي وما أسبابها وكيفية علاجها؛ وفي هذا الجزء ستكتشفين الكثير منها، كما ستتعرفين على كثير من الأمور التي تساعدك على تنقية نفسك وغيرك من الذنوب والخطايا الظاهرة والباطنة، وسيكون الحديث حول الكبر والغضب والحقد والحسد.

١- تنقية النفس من الكبر

مفهوم الكبر وأنواعه:

الكبر: الركون إلى رؤية النفس فوق المتكبر عليه.

وهو سلوك باطن وظاهر، فالباطن: خلق في النفس. والظاهر: أعمال تصدر عن الجوارح. واسم الكبر بالخلق الباطن أحق، أما الأعمال فإنها ثمرات لذلك الخلق، فالأصل هو الخلق الذي في النفس. والكبر يستدعي متكبرًا عليه ومتكبرًا به، ولا يكفي أن تستعظم نفسها لتكون متكبرة، فإنها قد تستعظم نفسها ولكنها ترى غيرها أعظم من نفسها أو مثلها فلا تتكبر عليه، ولا يكفي أن تستحقر غيرها؛ فإنها مع ذلك لو رأت نفسها أحقر لم تتكبر، ولو رأت غيرها مثلها لم تتكبر؛ بل ينبغي أن ترى لنفسها مرتبة ولغيرها مرتبة ثم ترى مرتبة نفسها فوق مرتبة غيرها، فعند هذه الاعتقادات الثلاثة يحصل خلق الكبر، وهذا الاعتقاد يُعظِّم في النفس حب ذاتها فيحصل لها ركون إلى ما تعتقده، فذلك هو خلق الكبر.

وقد عرَّف النبي ﷺ الكبر بأنه بطر الحق وغمط الناس، فعن عبد الله بن مسعود ؓ، عن النبي ؛ قال: «لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر. قال رجل:

إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسنا، ونعله حسنة. قال: إن الله جميل يحب الجمال، الكبر بطر الحق وغمط الناس» (مسلم: ١٣١). ويطر الحق إنكاره ، وغمط الناس احتقارهم.

وقال بعض الحكماء: المتكبر كالصاعد فوق الجبل، يرى الناس صغارًا، ويرونه صغيرًا.

الكبر في ميزان الإسلام:

والكبر من الكبائر، ذمه القرآن وأشار إلى سوء عاقبته:

فهو سبب الصرف عن آيات الله: ﴿ سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ﴾ [الأعراف:١٤٦] وسبب ختم الله على القلوب: ﴿ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ ﴿٣٥﴾ ﴾[غافر]. والمستكبرون بعيدون عن حب الله: ﴿إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْتَكْبِرِينَ ﴿٢٣﴾ ﴾ [النحل]. وجزاؤهم دخول النار أذلاء: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾ ﴾ [غافر] ومن السنة: عن أبي هريرة ﷺ: قال رسول الله ﷺ: "**يقول الله تعالى: الكبرياء ردائي والعظمة إزاري، فمن نازعني واحدًا منهما ألقيته في جهنم ولا أبالي**" (سنن أبي داود: ٤٠٩٠)، قال محمد بن الحسين بن علي: ما دخل قلب امرئ شيء من الكبر قط إلا نقص من عقله بقدر ما دخل من ذلك قل أو كثر.

وتعظيم جرم الكبر من وجهين؛ أحدهما: أن الكبر والعز والعظمة والعلاء لا يليق إلا بالملك القادر، فأما العبد المملوك الضعيف العاجز الذي لا يقدر على شيء فمن أين يليق بحاله الكبر، فمهما تكبر العبد فقد نازع الله تعالى في صفة لا تليق إلا بجلاله.الوجه الثاني الذي تعظم به رذيلة الكبر: أنه يدعو إلى مخالفة الله تعالى في أوامره؛ لأن المتكبر إذا سمع الحق من عبد من عباد الله استنكف عن قبوله وتشمر لجحده. قال ابن مسعود: كفى بالرجل إثمًا إذا قيل له: اتق الله. قال: عليك نفسك! وعن سلمة بن الأكوع أن أباه حدثه: "أن رجلًا أكل عند رسول الله ﷺ بشماله، فقال: **كل بيمينك**. قال: لا أستطيع. قال: **لا استطعت، ما منعه إلا الكبر**. قال: فما رفعها إلى فيه". (مسلم: ٣٧٦٦).

آثار الكبر:

* يمنع الكبر أهله من الامتثال إذا أمروا بالمعروف، فمثله كمن قال الله فيه: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُ ٱتَّقِ ٱللَّهَ أَخَذَتْهُ ٱلْعِزَّةُ بِٱلْإِثْمِ ﴾ [البقرة:٢٠٦] .

* كما يحملهم على مخالفة أمر الرسول ﷺ وترك العمل بسنته، كمن تدعى للصلح

فترفض مع علمها أن خير المتخاصمين من يبدأ بالسلام.

* ومن أضر آثاره ازدراء سنة الرسول ﷺ والاستهزاء بها، كما في حديث سلمة بن الأكوع -السابق- في الرجل الذي كان يأكل بشماله.

وهذا عن المتكبرين والمتكبرات في الدنيا، أما في الآخرة:

* الحرمان من الجنة: عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر...**» (مسلم: ٩١). وإنما صار حجابًا دون الجنة؛ لأنه يحول بين قلب المسلمة وبين أخلاق المؤمنين كلها، وتلك الأخلاق هي أبواب الجنة، والكبر وعزة النفس يغلق تلك الأبواب كلها؛ لأنه لا يجتمع في قلبها شيء من العز وأن تحب للمؤمنين ما تحب لنفسها، كما لا يجتمع ذلك مع التواضع، وكظم الغيظ، والنصح اللطيف، وترك الحقد، أو الغضب، الحسد...

* وتكون العقوبة عظيمة جدًّا: قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱسْتَكْبَرُواْ عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ وَلَا يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٤٠﴾﴾ [الأعراف]. وحديث: «**يحشر المتكبرون يوم القيامة أمثال الذر في صور الرجال...**» (سنن الترمذي:٢٤٩٢).

من صور الكبر:

إن من ترى نفسها خيرًا من أختها واحتقرت أختها ونظرت إليها بعين الاستصغار، أو ترد الحق وهي تعرفه فقد تكبرت فيما بينها وبين الخلق، ومن أنفت من أن تتواضع لله بطاعته واتباع رسله فقد تكبرت فيما بينها وبين الله تعالى ورسله.

وشر الكبر من تتكبر على العباد بعلمها، وتتعاظم في نفسها بفضيلتها؛ فإن هذه لم ينفعها علمها؛ فإن من طلبت العلم للآخرة كسرها علمها، وخشع قلبها، واستكانت نفسها، وكانت على نفسها بالمرصاد، فلم تفتر عنها.

ومن طلبت العلم للفخر والرياسة، ونظرت إلى غيرها متعالية ؛ فهذا من أكبر الكبر.

وليس من الكبر أن يحب الإنسان أن يكون له ثوب حسن أو نعل حسنة، والتمتع بما أباح الله تعالى من الزينة أمر مشروع: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ﴾ [الأعراف:٣٢].

علاج الكبر:

على المسلمة أن تدفع الكبر عن نفسها؛ بأن تعرف أصلها ونشأتها وفقرها وحاجتها، وتعرف نعم الله عليها، وتتذكر مقامها بين يديه، وعاقبة المتكبرين يوم القيامة، وتتصور أنه ليس لها صبر على ذلك العذاب الأليم الذي يعذب به المتكبرون.

فإذا وجدتِ في قلبكِ شيئًا من ذلك فاحذري أشد الحذر، واعلمي أنك على خطر عظيم؛ على طرف من الكفر، وبادري إلى معالجة قلبك وإدراكه قبل أن يفوت الأوان.

وعلاجه بذكر الله تعالى دائمًا والخضوع لأوامر الله تعالى. عن أبي هريرة ﷺ، عن رسول الله ﷺ قال: «**وما نقصت صدقة من مال، وما زاد الله عبدًا بعفو إلا عزًّا، وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله**».

وعن النبي ﷺ قال: «**إن الله أوحى إليَّ أن تواضعوا حتى لا يفخر أحد على أحد، ولا يبغي أحد على أحد**».

جوانب تطبيقية مستفادة:

* ربط ما نحن فيه من خير برزق الله وحوله وقدرته ، وتحقيق شكر النعمة قولا وعملا .

* استخدام الزينة والتزين في مكانه ، فلا تزيد المرأة من تزينها عن الحد أمام الفقراء أو ضرتها أو جارتها؛ فإن ذلك مما يفسد العلاقات بينها وبين الناس، ويثير الحسد ويدفع للغيبة.

* إن هناك بعض الكلمات التي تظهر الكبر الباطن للمرء؛ منها: اتق الله ، وربنا يهديك، خاف ربنا ، حرام عليك ..ولكن قد تكون طريقة الأمر بالمعروف غير لائقة وليست بالتي هي أحسن، وهو ما يؤدي للإثارة وسوء رد الفعل ، وهي تحتاج إلى تدريب النفس على سماع الانتقاد وقبوله بصدر رحب، وتقويم النفس وإصلاحها، طاعة لله وطمعا في رضاه.

* عدم تفضيل النفس في أماكن الجلوس المميزة عن الغير،أو الطعام المميز ، أو اتخاذ الملابس المميزة وملابس الشهرة للتكبر على الغير .

* يجب على المسلمات تغيير سنة الغرب في الطعام؛ فلا يأكلن بشمالهن ويعلمن

أولادهن ذلك اتباعا لسنة الرسول ﷺ، وهي ضرورية في عصر انتشرت فيه المطاعم والفنادق الأجنبية في بلاد المسلمين، ومن سنتهم استخدام اليد اليسرى في الطعام، وهو ما يسمى بالإتيكيت في الطعام .

* تغيير أسلوبنا في اختيار الكليات لأبنائنا؛ فلا يكون الاختيار على أساس ما يقال عنها كليات القمة لكي يقال دكتور أو مهندس ، ولكن على أساس النفع للمسلمين .

* لمواجهة المتكبرين في الأرض علينا التمسك بالقرآن الكريم كدستور لنا ، وبالإسلام كشعار لحل جميع مشاكلنا .

التقويم : (الدرجة النهائية ٤٠)

١ - كيف صحح الرسول ﷺ مفهوم الكبر ؟ (٤درجات)

٢ - كيف يؤثر الكبر على العقل ؟ (درجتان)

٣ - ما جزاء المتكبر في الدنيا وفي الآخرة ؟ (درجتان)

٤ - الكبر سلوك ظاهر وباطن ، اذكري أمثلة لذلك.(٤درجات)

٥ - كيف يؤدي إهمال بعض المسلمين لمظهرهم بحجة التواضع إلى الإساءة للإسلام؟ (٣درجات)

٦ - لماذا كان إنكار الحقيقة من الكبر؟(درجتان)

٧ - كيف عظم الإسلام من سوء عاقبة احتقار الناس؟ (٣درجات)

٨ - إن من مظاهر الكبر التكبر بالعلم أو الجاه ، أو المال ، أو الجمال ، اذكري أمثلة واقعية منها. وكيف تؤدي إلى فساد المجتمعات ؟ (٦ درجات)

٩ - اذكري بعض سبل علاج الكبر في المجتمعات.(٤درجات)

١٠ - كيف تقي التربية الإسلامية داخل الأسرة الأبناء من الكبر ؟ (٤درجات)

١١ - إن من الاتجاهات الفكرية المتكبرة على الدين ما يقال عنها العلمانية ، وهي ما تعارض تطبيق الشريعة في الحياة ، وتستند إلى القوانين الوضعية فقط .فكيف يمكن مواجهة هذه الاتجاهات داخل أسرتنا وفي الحياة العملية ؟ (٦درجات)

* * *

٢- تنقية النفس من الغضب

كم مرة تغضبين في اليوم ؟ كم مرة تكظمين غيظك؟ هل من عادتك العبس في وجه الناس؟هل تعتدين على غيرك بالقول أو بالفعل؟ هل تقابلين العدوان بالمثل؟ هل تعلمين أثر ذلك على نفسك وجسدك ومن حولك؟

هل تعلمين أن للغضب معنيين محمود ومذموم فمن ماذا تغضبين؟ وأن الرسول ﷺ له منهاج لعلاج الغضب ؟ هل حاولت إيجاد أساليب لعلاج الغضب لديك ؟

الجزء التالي يجيب عن هذه التساؤلات من خلال تناول تعريف الغضب ، ومعرفة مظاهره،وحقيقته،وأسبابه،والوقوف على آثاره،وكيفية علاجه.

حاولي الإجابة عليها أولا قبل الاطلاع على هذا الجزء ، ثم أجيبي عليها مرة أخرى بعد الاطلاع عليه وقيمي نفسك وقوميها وجدولي لها العلاج وكرري الكشف عليها للاطمئنان على معالجة الداء وكفاءة الدواء" **لا تنسي الاستعانة بالله والصحبة الطيبة والبعد عن أماكن السوء والهوى**".

أ- الغضـــــب:

اللغة : السخط أو عدم الرضا بالشيء.

اصطلاحا : تغير داخلي أو انفعال يحمل على السطو والانتقام شفاء لما في الصدور وأشده الغيظ حتى قالوا في تعريفه: إنه شدة الغضب .

ب - من مظاهر الغضب:

تتعدد مظاهر الغضب لكن من أهمها ما يلي:

١ - انتفاخ العروق والأوداج مع احمرار الوجه والعينين .

٢ - عبوس وتقطيب بالوجه والجبين .

٣- العدوان على الغير أو على النفس باللسان أو باليد. أو ما يقوم مقام ذلك.

٤ - مقابلة العدوان بمثله أو أشد، مع عدم تقدير العواقب الناتجة عن ذلك.

ج - حقيقة الغضب في الإسلام المحمود منه والمذموم :

المحمود وهو ما كان دفاعًا عن نفس أو عرض أو مال أو الدين أو حقوق عامة أو نصرة مظلوم، وهذا يفهم من قوله تعالى: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ

بَيْنَهُمْ ﴾[الفتح:٢٩] وقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ ۚ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٩﴾﴾ [التحريم]، وجاء في صفته ﷺ: «أنه ما خير بين أمرين إلا أخذ أيسرهما ما لم يكن إثما، فإن كان إثمًا كان أبعد الناس منه، وما انتقم لنفسه إلا أن تنتهك حرمة الله فينتقم لله بها " (مسند أبي يعلى: ٤٣٨٢). وما كان انتقامًا للنفس هو المقصود هنا وبذمه جاءت الأخبار والآثار.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «**ليس الشديد بالصرعة، إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب**» (البخاري:٥٧٦٣)، وكذلك حديث: «**من يتصبر يصبره الله**» (البخارى: ١٤٠٠) أي نبذل الجهد والله يحقق المراد، عن أبي هريرة رضي الله عنه : «أن رجلا قال للنبي ﷺ : أوصني. قال: **لا تغضب**.. فردد مرارًا: **لا تغضب**» (البخاري: ٥٧٦٥)، وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: «**أنه سأل رسول الله ﷺ ما ينقذني من غضب الله؟ قال: لا تغضب**» (مسند الإمام أحمد: ٦٦٣٥). وكان عمر رضي الله عنه إذا خطب قال في خطبته: "أفلح منكم من حفظ الطمع والغضب والهوى ".

د - أسباب الغضب:

للغضب أسباب تؤدي إليه وبواعث توقع فيه، ومن أهم هذه الأسباب :

١- اعتداء الآخرين بأي لون من ألوان العدوان:

ذلك أن المسلمة إذا وقع عليها اعتداء من الآخرين **بأي لون من** ألوان العدوان - سخرية أو استهزاء أو تحرش أو تتبع لعوراتها أو غيبة أو نميمة - يجوز لها الغضب والانتقام، ولعل هذا هو السبب في تحذير الله ورسوله من العدوان على الآخرين دون مبرر إذ يقول سبحانه في سورة الحجرات: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُوا۟ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَآءٌ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ ۖ وَلَا تَلْمِزُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا۟ بِٱلْأَلْقَٰبِ ۖ بِئْسَ ٱلِٱسْمُ ٱلْفُسُوقُ بَعْدَ ٱلْإِيمَٰنِ ۚ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿١١﴾﴾ . ويقول الله تعالى في سورة الإسراء: ﴿ وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُوا۟ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴿٥٣﴾﴾ .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : "**إياكم والظن، فإن الظن أكذب الحديث، ولا تحسسوا ولا تجسسوا ولا تباغضوا، وكونوا عباد الله إخوانا، ولا يخطب الرجل على خطبة أخيه حتى ينكح أو يترك**" (١).

---

(١) الجمع بين الصحيحين البخاري ومسلم، باب الظن، حديث رقم ١٧١.

٢- الاستعلاء والتكبر في الأرض بغير الحق :

ذلك أن المستعلية في الأرض تتكبر بغير الحق، تتأثر كلما فاتها ما تعتقد أنه يستبقي عظمتها ومنزلتها بين الناس، فإذا طالبها أحد بحق استشاط غضبها، وكذا إذا نهاها عن رذيلة أو عارضها في أي أمر كان لاعتقادها أنها كاملة من جميع النواحي فلا يصح لأحد أن يأمرها وينهاها ويقف في سبيلها، وهي في الواقع ناقصة من كل وجه تحاول أن تخفي نقصها باستعلائها وتكبرها.

٣- التذكير بالعداوات القديمة :

وذلك أن يكون للمسلمة عند أخريات ثارات وتتنازل عنها، وتلتقي القلوب ويكون الحب والإخاء، وهنا يعمل الحاقدون والحُساد على تفريق هذه القلوب والنيل من الأخوة بوسيلة أو بأخرى، ويتخذون من التذكير بالثارات القديمة وسيلة من أنجح الوسائل لذلك .

هـ - آثـــــار الغضب:

وتتجلى آثار الغضب في عدة أمور أهمها:

١- الإضرار بالبدن :

ذلك الغضب ينشأ من غليان الدم في القلب ثم اندفاعه في العروق، كما يظهر من احمرار العينين، وتكرار ذلك ينشأ عنه غالبًا ضغط الدم، وربما تصلب الشرايين ثم الشلل والعياذ بالله . وهكذا ينتهي الغضب بالإضرار بالبدن.

١- ضعف القدرة على الإنجاز بضياع الوقت في التفكير فيما يثير المشاعر والأحاسيس.

٢- وضعف كفاءة العمل ، حيث يأخذ الغضب مساحة من العمليات العقلية فيما لا يفيد، ويؤدي إلى ضعف كفاءة الأعضاء .

٣- عدم القدرة على إتمام العبادات، فيصعب إتمام الصلاة كما يحب الله ويرضى ، ويصعب التفكر في آلاء الله ، ويضيع الصوم ، وتفقد المسلمة ثواب الحج، وكذا في باقي العبادات؛ لأن الإسلام دين العقل، والغضب يذهب بجزء منه ليحل محله هوى النفس والشيطان والمفسدين من الناس.

٤- نقصان الدين، وذلك أن الغضب قد يؤدي بصاحبته إلى غيبة الآخرين، وربما إلى انتهاك أعراضهم وسلب أموالهم وسفك دمائهم، وذلك كله إثم ونقصان في الدين.

٥- ضعف القدرة على اتخاذ القرار السليم في الوقت المناسب، فتضييع الفرص الجيدة على المسلمة، فالعقل في ساعة الغضب يكون كالمستور أو كالمغطى، وإذا سكر أو غطي صارت المسلمة غير قادرة على الإمساك بزمام النفس، وحينئذ يصدر ما لا يحمد عقباه، وما يؤدي إلى الندم ولكن بعد فوات الأوان، وقد قال سليمان بن دواد عليه السلام: " إياك وكثرة الغضب؛ فإن كثرة الغضب تستخف فؤاد الرجل الحليم".

٦- **الوقوع في منزلة الاعتذار**، فالمغضبة يقع منها حال الغضب ما لا تدري ولا تشعر به، وهذا بدوره يوقعها في منزل الاعتذار، وقد نهى النبي ﷺ عن ارتكاب ما يؤدي إلى الوقوع في الاعتذار وكل ما يعتذر منه حيث قال: «وإياك وما يعتذر منه» (الأحاديث الصحيحة للألباني:١٩١٤). وكان بعض الصالحين يقول: "إياك والغضب؛ فإنه يصير بك إلى ذلة الاعتذار".

٧- **قلة كسب الأنصار والمؤيدين**، فالنفوس تألف العاقلة المنضبطة الحكيمة في تصرفاتها، وتقبل عليها وتلتف حولها وتعينها وتؤازرها ما استطاعت، أما الطائشة الرعناء في سلوكياتها وتصرفاتها فإنها تعرض وتنفض عنها، وعليه، فإذا كان العاملات لدين الله ممن يغضبن لأنفسهن ويستجبن لكل مثير دون تقدير للعواقب فإن الناس لن يُقبلوا على هؤلاء العاملات ولن يؤازروهن، ويخسر العمل الإسلامي بذلك كثير من الأنصار والمؤيدين.

و- العلاج النبوي للغضب:

لقد تركت لنا السنة النبوية وسائل عديدة لعلاج الغضب من أهمها:

١- الاستعاذة بالله من الشيطان الرجيم:

لقد أرشدنا النبي ﷺ إلى هذا الدواء؛ إذ يقول سليمان بن صرد: استب رجلان عند النبي ﷺ ونحن عنده جلوس وأحدهما يسب صاحبه مغضبا قد احمر وجهه فقال النبي ﷺ: «**إني لأعلم كلمة لو قالها لذهب عنه ما يجد، لو قال: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم.** فقالوا للرجل: ألا تسمع ما يقوله النبي ﷺ؟ قال: إني لست بمجنون» (البخاري: ٥٧٦٤).

٢- تغيير الحال التي يكون عليها المرء ساعة الغضب:

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**ألا وإن الغضب جمرة في قلب ابن آدم؛ أما رأيتم حمرة عينيه وانتفاخ أوداجه، فمن أحس بشيء من ذلك فليلصق**

بالأرض» (ضعيف الترمذي: ٣٨٥). وعن أبي حرب بن أبي الأسود عن أبي ذر رضي الله عنه: قال: إن رسول الله ﷺ قال لنا: «إذا غضب أحدكم وهو قائم فليجلس، فإن ذهب عنه الغضب وإلا فليضطجع» (سنن أبي داود: ٤٧٨٢).

٣ – الوضوء والاغتسال:

قال ﷺ: «إن الغضب من الشيطان، وإن الشيطان من النار، وإنما تطفئ النار بالماء، فإذا غضب أحدكم فليتوضأ» (سنن أبي داود: ٤٧٨٤).

٤ – الدعاء أن يذهب الله ما بالقلب من غيظ:

الدعاء: (اللهم أذهبْ غيظَ قلبي وأَجِرْنِي من مضلاتِ الفِتَن) هذا من الدعوات التي علَّمَها صلى الله عليه وآله وسلم لسيدتِنَا عائشة رضي الله عنها، وقال لها وقد غضبتْ يومًا: «أقد جاءك شيطانك؟ قالت: يا رسول الله أو معي شيطان؟! قال: نعم. قلت: ومع كل إنسان؟ قال: نعم. قلت: ومعك يا رسول الله؟! قال: نعم، ولكن ربي أعانني عليه حتى أسلم» (مسلم: ٢٨١٥).

* ولتنظريْ أختي المسلمة إلى باعِثِ هذا الغضب، إن كان لأيِّ غرضٍ للنفس فسكِّني غضبكِ، فإنَّهُ ما مِن جرعة أحب إلى الله تعالى من جرعة غيظٍ كظمَها الإنسانُ لأجلِ الله، ومن كظَمَ غيظَهُ من أجلِ الله دعاهُ اللهُ حَتى يخيِّرَهُ من أيِّ حُلَلِ الجنةِ شاءَ يومَ القيامةِ جزاءَ ما كظمَ غيظَهُ من أجلِ الله تبارك وتعالى، قال تعالى: ﴿وَٱلْكَـٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾﴾ [آل عمران].

ومن الوسائل الأخرى لعلاج الغضب:

– ذكر الله، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾﴾ [الرعد].

– استشعار الأجر الذي ينتظر المسلم حين يجاهد نفسه ويكظم غيظه؛ إذ يقول سبحانه: ﴿وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَـٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَـٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾﴾ [آل عمران] .

وعن معاذ بن أنس عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ: «من كتم غيظا وهو قادر على أن ينفذه دعاه الله على رءوس الخلائق حتى يخيره من الحور العين يزوجه منها ما شاء»

(الترغيب والترهيب: ٢٧٥٣) والمرأة إن شاء الله يخيرها الله بين أي صور نعيم الجنة الأخرى ما شاءت، وهي كثيرة لا تخطر على قلب بشر، حتى لا نضيق المفهوم على المتع الحسية فقط.

- دوام المعايشة لكتاب الله وسنة رسوله ﷺ، فإنها تبصر الطريق وتربي ملكة التقوى، وهي خير ما يعين على التخلص -بل الوقاية- من المعاصي.

- الخوفُ من غضبِ الله تبارَكَ وتعالى، والخوف من غاية هذا الغضبِ ومصيرِه الذي سيهلك صاحبته حتماً.

- النظر في تاريخ من عرف عنهم كظم الغيظ والتحلي بالحلم والعفو كالأحنف بن قيس وعمر بن عبد العزيز والشافعي وغيرهم؛ فإن هذا النظر يحمل على الاقتداء والتأسي، أو على الأقل المحاكاة والتشبه.

احسبي درجاتك وانظري في دلالتها ؟ وماذا تنوين فعله ؟

المظاهر	أعلم وأعمل وأُعلِّم غيري ٤	أعلم وأعمل ولا أعلِّم غيري ٣	أعلم ولا أعمل ٢	لم أكن أعلم ولم أعمل ١
١ – الغضب لا يكون إلا لله.				
٢ – أذكر الله عند الغضب.				
٣ – أتعوذ بالله من الشيطان الرجيم عند الغضب.				
٤ – أغيّر حالتي عند الغضب.				
٥ – أستشعر أجر كظم الغيظ عند الغضب.				

أعلى الدرجات (٢٠) وأقلها (٤)

(كلما زادت درجاتك دل ذلك على قوتك الإيمانية والنفسية)

* * *

٣- تنقية النفس من الحقد

مكاشفة:

هل كانت لديك في وقت من الأوقات كراهية لم تعلني عنها لأحد من الناس ورغبتي في الانتقام منه في الوقت المناسب؟

هل أحسست في وقت من الأوقات أن شخصا ما يكرهك ويتمنى الانتقام منك ؟

إذا أجبتي بنعم فعليك دراسة الجزء التالي دراسة وافية للتعرف على هذا المرض ، وصوره، وأسبابه ، والآثار المترتبة عليه ، وكيفية التخلص منه بإذن الله.

الحقـــــد

أ- **الحقد لغة :** الاحتباس والمنع .

اصطلاحًا : "والحقد هو العداوة الدفينة في القلب، والعداوة هي كراهية يصاحبها رغبة بالانتقام من الشخص المكروه إلى حد إفنائه وإلغائه من الوجود" (١).

ب - من صور الحقد :

١- تشويه صورة وسمعة الآخرين .

٢- الوقوف عند بعض الأخطاء التي تاب عنها صاحبها .

ج - من أسباب الحقد :

١- **سوء التوزيع والتفريق في المعاملة .**

قد يكون سوء التوزيع للثروة وكذلك التفريق في المعاملة بين أفراد البيت الواحد وبين أبناء المجتمع والوطن الواحد وكذلك الأمة الواحدة من أهمِّ أسباب الحقد، لاسيما وإن التوزيع والمعاملة أصبحا الآن يقومان لا على أساس المواهب والطاقات والإمكانات كما كان في العصور الإسلامية الزاهرة وإنما أصبحا يقومان على اتباع الهوى والمحاباة والمجاملة، ولعل هذا هو السر في تأكيد الإسلام على العدالة في التوزيع، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ ۚ

---

(١) الأخلاق الإسلامية وأسسها.

إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَٱللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلْهَوَىٰٓ أَن تَعْدِلُوا۟ وَإِن تَلْوُۥٓا۟ أَوْ تُعْرِضُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١٣٥﴾﴾ [النساء].

يقول النبي ﷺ لبشير وقد أراد تفضيل ولده من عمرة بنت رواق بطلب منها على إخوته من غيرها: «**اتقوا الله واعدلوا في أولادكم**» (البخاري:٢٤٤٧).

٢- الكبت والقهر :

قد يكون الكبت والقهر وراء الوقوع في براثن الحقد؛ ذلك أن المسلمة إذا حيل بينها وبين التعبير عما يجيش بصدرها وما يجول بخاطرها وأضيف إلى ذلك القهر على أي صورة من سب وتجريح إلى سخرية واستهزاء فإنها تظل تختزن كل ذلك في صورة عداوة تملأ الصدر، وتتحين الفرص والمناسبات لتعلن عما بداخلها، وهذا هو الحقد.

٣- عدم رعاية حقوق الأخوة الإسلامية :

قد يكون عدم رعاية الإخوة الإسلامية من المواساة بالنفس والمال ومن إظهار الفضائل والمحاسن وإخفاء المعايب والرذائل ومن الوفاء بحق الصحبة ومن الدعاء بظهر الغيب ومن ترك التكلف ونحوها من وراء الوقوع في آفة الحقد.

٤- السماع للوشاة من غير تثبت :

قد يكون السماع للوشاة من غير تثبت هو السبب في الحقد؛ ذلك أن المسلمة كثيرًا ما تتأثر بما تسمع إذا لم تكن عاقلة وتبينت أو تثبتت من كل ما تسمع، فإنها تبني على ذلك أحكامًا قد يكون من بينها العداوة والبغضاء والحقد. قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓا۟ أَن تُصِيبُوا۟ قَوْمًۢا بِجَهَٰلَةٍ فَتُصْبِحُوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَٰدِمِينَ ﴿٦﴾﴾ [الحُجرات].

٥- القطيعة أو الهجر الطويل :

قد تكون القطيعة أو الهجر الطويل من بين الأسباب التي تؤدي إلى الحقد؛ ذلك أنه قد تختلف المسلمة مع غيرها لسبب أو لآخر، وربما تكون النتيجة القطيعة أو الهجر، ولا ضير في قطيعة خفيفة أو هجر يسير ريثما تهدأ النفوس وتكون المراجعة وعودة المياه إلى مجاريها، لكن أن تدوم القطيعة وأن يطول الهجران فذلك هو الخطر بعينه ؛ لأنه مع كل يوم يتعمق البغض وترسخ البغضاء، وتكون العاقبة الوقوع في الحقد والعياذ بالله، ولعل هذا هو السر في تحريم القطيعة بين المتخاصمين . عن أبي أيوب ﵁ : قال رسول الله ﷺ : «**لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث ليال، يلتقيان، فيعرض هذا ويعرض هذا، وخيرهما**

الذي يبدأ بالسلام» (البخاري: ٥٨٨٣).

٦- المراء أو الجدل:

قد يؤدي المراء أو الجدل إلى الوقوع في الحقد، ذلك أن كلا المتجادلتين تكون حريصة على إفحام الأخرى وغلبتها، وحين تنهزم إحداهما أمام الأخرى وتكون غير قادرة على الانتقام تضمر في نفسها الحقد والعداوة والبغضاء.

د - آثـــار الحقـــد

ومن أبرزها ما يلي:

١ - القلق والاضطراب النفسي:

وذلك أن الكراهية تورث القلق والاضطراب النفسي، إذ قد تنتهي بصاحبتها إلى الموت، قال تعالى: ﴿مُوتُواْ بِغَيْظِكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ [آل عمران:١١٩].

٢- الشماتة بالغير:

* وذلك بالسرور والفرح حين تلم بالمحقودة عليها مصيبة أو تنزل بها كارثة كما قال سبحانه عن المنافقين: ﴿وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُواْ بِهَا﴾ [آل عمران:١٢٠]. وقد نهي المسلم عن الشماتة بالمسلمين. فعن واثلة بن الأسقع أن النبي ﷺ قال: «**لا تظهر الشماتة بأخيك فيرحمه الله ويبتليك**» (الترمذي: ٢٥٠٦). بل ومن إقامة شرع الله بالعدل أو أداء الحقوق لأصحابها.

٣- الحرمان من الأجر والثواب:

* يقول أبو حامد الغزالي: والحقد يثمر ثمانية أمور:

١- الحسد، وهو أن يحملك على أن تتمنى زوال النعمة عنه فتغتم بنعمة إن أصابها، وتسر بمصيبة إن نزلت به، وهذا من فعل المنافقين.

٢- أن تهجره وتصارمه وتنقطع عنه، وإن طلبك وأقبل عليك.

٣- أن تزيد على إضمار الحسد في الباطن فتشمت بما أصابه من البلاء.

٤- أن تعرض عنه استصغارًا له.

٥- أن تتكلم فيما لا يحل من كذب وغيبة وإفشاء سر وهتك ستره وغير هذا.

٦- أن تحاكيه استهزاء به وسخرية منه.

٧- إيذاؤه بالضرب وما يؤلم بدنه.

٨- أن تمنعه من قضاء دين أو صلة رحم أو رد مظلمة، وكل ذلك حرام: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ ۚ ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ [المائدة:٨].

هـ - من وسائل علاج الحقد:

وهي كثيرة ومن أهمها:

١- الحرص على العدالة في التوزيع وفي المعاملة من الأب لأولاده، ومن الأخت لأخواتها، ومن الحاكم للرعية، فإن ذلك له دور كبير في اقتلاع جذور الحقد من النفس، وأن يحل محله العفو والصفح والإحسان.

٢- إعطاء الغير الحق في التعبير عما يدور بداخله، فإن هذا يساعد كذلك في تطهير النفس من الحقد وصبغها بصبغة العفو والتسامح.

٣- التثبت من كل ما نرى ونسمع، فإن هذا له دور كبير في عدم الوقوع في الحقد أصلًا ومن باب التخلص منه.

٤- دوام المطالعة في التاريخ الإسلامي والسماع والنظر فيما جاء عن السلف في علاج الحقد عند الآخرين، حيث كانوا يقابلون السيئة بالحسنة، فيقدمون لهؤلاء النفقة والهدية، ويحسنون جوارهم وضيافتهم، ويتفقدونهم ويشاركونهم أفراحهم، ولا يؤذونهم في غياب أو حضور، ويدعون لهم بظهر الغيب وهكذا، وحسبنا هنا موقف الصديق من مسطح بن أثاثة وكان قريبًا له، وكان الصديق يتعهده بالنفقة، وحين تورط في حادثة الإفك حلف الصديق أن يمنع عنه رفده وعطاءه نزل القرآن يقول: ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُو۟لُوا۟ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓا۟ أُو۟لِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَلْيَعْفُوا۟ وَلْيَصْفَحُوٓا۟ ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢﴾﴾ [النور]. وحين سمع الصديق ذلك قال: "بلى يا رب، أحب أن تغفر لي. وعاد إلى النفقة عليه وكفر عن يمينه " (البخاري:٢٥١٨).

٥- كثرة الدعاء والتبتل والضراعة إلى الله ﷻ أن يطهر القلوب من هذا الداء.

احسبي درجاتك . وما دلالتها ؟ وماذا تنوين فعله ؟

المظاهر	أعلم وأعمل وأُعلِّم غيري ٤	أعلم وأعمل ولا أعلِّم غيري ٣	أعلم ولا أعمل ٢	لم أكن أعلم ولم أعمل ١
١ – لا أظهر الشماتة بأحد من الناس.				
٢ – لا أهجر مسلمًا فوق ثلاث ليال.				
٣ – لا أعتدي على أحد بالضرب أو الإيذاء.				
٤ – أرد المظالم إلى أهلها.				
٥ – أتجنب الكلام فيما لا يحل مثل الكذب والغيبة......				

أعلى الدرجات (٢٠) وأقلها (٤)

(كلما زادت درجاتك دل ذلك على قوتك الإيمانية والنفسية)

في جلسة أسرية هادئة يمكن تناول موضوعات حول:

* طرق للتخلص من الحقد، وتنصحين بها غيرك .

* وسائل عملية داخل الأسرة لعلاج الحقد .

* * *

٤- تنقية النفس من الحسد

هل تمنيتي يوما ودعوت الله أن يذهب بنعمة قد أحلت بمؤمن ؟ وهل هذا يصح لغير المؤمن والظالم؟هل خشيتِ من أحد من الناس أن يحسد نعمة أنعمها الله عليك ؟ هل أحسستِ يوما بظلم الغير لتمنيك زوال النعمة عنه؟ماذا لو أذهب الله نعمة أنعمها عليك؟ هل تتهمين غيرك بحسدك ؟ أم تعتقدين أن هذا قدر من الله؟هل أحسستِ يوما بأنك فعلا في حاجة ماسة لإصلاح ذاتك تجاه الناس الذين أنعم الله عليهم؟ وهل نجحت في ذلك ؟ هل اتبعتِ الأسلوب الصحيح في العلاج؟هل استطعت إعانة غيرك في التغلب على آفة الحسد؟

الأسطر القادمة تجيب عن هذه الأسئلة من خلال التعرف على مفهوم الحسد، وأسبابه، والآثار المترتبة عليه، ومعالجة النفس منه إن وجد.

أ- الحسد في اللغة :

القشر، نقول: حسد الشجرة. قشر عنها لحاءها، ومعلوم أن الشجرة إذا قشر عنها لحاؤها يبست.

اصطلاحًا : تمني زوال نعمة المحسود إلى الحاسد [١] .

ما حكم الحسد ؟ يتفق العلماء أن الحسد بمعنى تمني زوال النعمة أو عدم نزولها بمن هو أهل لها مع السعي في تحقيق ذلك بكل وسيلة ممكنة حرام لقوله تعالى: ﴿ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ۝٥ ﴾ [الفلق].

ومن معاني الحسد غير المذموم وغير المرضي عنه :

الحسد بمعنى تمني زوال النعمة أو عدم نزولها بمن ليس أهلًا لها من كافر أو فاسق يستعين بها على معاصي الله ليس بمذموم، بل هو ممدوح لقوله تعالى: ﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ رَبَّنَآ إِنَّكَ ءَاتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُۥ زِينَةً وَأَمْوَٰلًا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا۟ عَن سَبِيلِكَ ۖ رَبَّنَا ٱطْمِسْ عَلَىٰٓ أَمْوَٰلِهِمْ وَٱشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا۟ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ۝٨٨ ﴾ [يونس].

أما الحسد بمعنى الغبطة، أي: تمني ما عند الغير من النعمة دون زوالها فجائز؛ لحديث ابن مسعود أن النبي ﷺ قال: «**لا حسد إلا في اثنتين، رجل آتاه الله مالًا فسلطه على هلكته**

---

(١) التعريفات للجرجاني.

في الحق، ورجل آتاه الله الحكمة، فهو يقضي بها ويعملها» (البخاري:٧٣). يقول ابن حجر: " وأما الحسد المذكور في الحديث فهو الغبطة، وأطلق الحسد عليها مجازًا، وهو أن يتمنى أن يكون له مثلها لغيره من غير أن يزول عنه والحرص على هذا يسمى منافسة. فإن كان في الطاعة فهو محمود، ومنه: ﴿وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ ﴿٢٦﴾﴾ [المطففين] . وإن كان في معصية فهو مذموم، وإن كان في الجائزات فهو مباح"[1] .

ب - أسباب الحسد

من أسباب الحسد ضعف الإيمان بنسيان المنعم وحكمته،وبسط الدنيا وتنافسها، والاستعلاء والتكبر، والبخل والشح. وفيما يلي توضيح ذلك:

١- ضعف الإيمان بالوقوف عند النعمة في يد الغير مع الحرمان منها ونسيان المنعم وحكمته :

فالحاسدة إذ تستعظم ما في يد الغير من النعم إنما هي متجاهلة لما في يدها من نعم، وهي علامة ضعف إيمانها بالله وتقديرها لمنته -سبحانه- عليها، وفي الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول ﷺ: «ولا يجتمعان في قلب عبد الإيمان والحسد» (سنن النسائي: ٤٣١٧).

٢- بسط الدنيا وتنافسها :

إن الدنيا إذا أقبلت على الناس ولم يكونوا على بصيرة بالضوابط التي وضعها الشارع الحكيم للتعامل مع هذه الدنيا فإنهم يقعون في شرك التنافس فيها ويقودهم هذا التنافس إلى الحسد، وذلك ما لفت النبي ﷺ النظر إليه حين قال: «إذا فتحت عليكم فارس والروم أي قوم أنتم ؟ قال عبدالرحمن بن عوف: نقول كما أمرنا الله. قال رسول الله ﷺ : أو غير ذلك، تتنافسون ثم تتحاسدون ثم تتدابرون ثم تتباغضون أو نحو ذلك، ثم تنطلقون في مساكين المهاجرين فتجعلون بعضهم على رقاب بعض» (مسلم: ٢٩٦٢).

لقد أقسم الرسول ﷺ بأنه لا يخشى علينا الفقر ولكن يخشى أن تبسط علينا الدنيا كما بسطت على من قبلنا فنتنافسها كما تنافسوها فتهلكنا كما أهلكتهم .

٣- الاستعلاء والكبر :

قد يكون السبب في الحسد إنما هو الاستعلاء والتكبر، ذلك أن من تستعلي أو تتكبر في الأرض بغير الحق لا تحب أن ترى أحدًا فوقها أو أعلى منها، مثل ما كان من امتناع إبليس من السجود لآدم عليه السلام استعلاءً وتكبرًا. قال تعالى: ﴿ فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٧٣﴾

---

(١) ...

إِلَّآ إِبۡلِيسَ ٱسۡتَكۡبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٧٤﴾ قَالَ يَٰٓإِبۡلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسۡجُدَ لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّۖ أَسۡتَكۡبَرۡتَ أَمۡ كُنتَ مِنَ ٱلۡعَالِينَ ﴿٧٥﴾ قَالَ أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡهُ خَلَقۡتَنِي مِن نَّارٖ وَخَلَقۡتَهُۥ مِن طِينٖ ﴿٧٦﴾﴾ [ص]. قال بعض الحكماء: إياكم والحسد، فإن الحسد أول ذنب عُصي الله تعالى به في السماء، وأول ذنب عُصي الله تعالى به في الأرض. وهذا سبب صد أهل الكتاب عن قبول الحق: ﴿وَدَّ كَثِيرٞ مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ لَوۡ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِكُمۡ كُفَّارًا حَسَدٗا مِّنۡ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلۡحَقُّۖ﴾ [البقرة:١٠٩].

٤- البخل أو الشح :

وقد يكون البخل أو الشح من بين الأسباب المؤدية إلى الحسد، ذلك أن البخيلة أو الشحيحة يكرهها الناس، وقد تنتهي الكراهية إلى الحسد . وهذا هو المفهوم من قوله تعالى: ﴿خُذۡ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡ صَدَقَةٗ تُطَهِّرُهُمۡ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيۡهِمۡۖ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٞ لَّهُمۡۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٣﴾﴾ [التوبة] يقول ابن القيم: " فالمحسن المتصدق يستخدم جندًا وعسكرًا يقاتلون عنه وهو نائم، ومن لم يكن له جند ولا عسكر وله عدو فإنه يوشك أن يظفر به عدوه وإن تأخرت مدة الظفر".

ويقول القرضاوي: "والزكاة لأخذها أيضًا تطهير من داء الحسد والكراهية؛ فالإنسان إذا عضته أنياب الفقر ودهته داهية الحاجة ورأى من حوله ينعمون بالخير ويعيشون في الرغد ولا يمدون له يدًا بالعون، بل يتركونه لمخالب الفقر وأنيابه ، هذا الإنسان لا يسلم قلبه من البغضاء والضغينة على مجتمع يهمله ولا يعني بأمره، وتربة الشح والأنانية لا تنبت إلا الحقد والحسد لكل ذي نعمة ".

عندما تستغرق المؤمنة في النظر لنعم الله عليها وكيف فضلها على كثير ممن خلق، وكيف منع عنها أشياء لو كانت معها لضعف إيمانها ولفقدت الكثير ، وعندما تجد أن وراء كل نعمة اختبار ؛ فلا تستغرق في التنافس الملهي عن الذكر والعمل ، وعندما تدرك أن ما أوتينا من هذه الدنيا إنما هو حطام الآخرة، وأن ما لدينا من علم ما هو إلا قليل ، وعندما تجد أن الفساد يأتي على كل ممسك للخير، والخير يأتي للمتصدقين والمتصدقات؛ ستجد جمال النعمة وتذوق حلاوة الإيمان.

من أنجح العلاجات النبوية الشريفة هنا حديث عبد الله بن عمرو قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**خصلتان من كانتا فيه كتبه الله شاكرا صابرا ومن لم تكونا فيه لم يكتبه الله شاكرا ولا صابرا: من نظر في دينه إلى من هو فوقه فاقتدى به، ونظر في دنياه إلى**

من هو دونه فحمد الله على ما فضله به عليه كتبه الله شاكرا صابرا، ومن نظر في دينه إلى من هو دونه ونظر في دنياه إلى من هو فوقه فأسف على ما فاته منه لم يكتبه الله شاكرا ولا صابرا» (الترمذي: ٢٥١٢).

ج - آثـــار الحســـد:

ومن أهمها ما يلي:

١- القلق والاضطراب النفسي:

أقل ما تعاقب به الحاسدة القلق والاضطراب النفسي نتيجة عدم الرضا واليقين (... فإن أنت رضيت بما قسمته لك أرحت قلبك وبدنك وكنت عندي محمودا، وإن لم ترض بما قسمته لك فوعزتي وجلالي لأسلطن عليك الدنيا تركض فيها ركض الوحوش في البر ولا ينالك منها إلا ما قد قسمته لك وكنت عندي مذموما...).

٢- ملازمة الهموم والغموم:

ذلك أن الأمور تسير بتقدير من الله العليم الحكيم، وليس بهوى الحاسدة، وما عرف أن الله استجاب لهذا الصنف من الناس الذي يحقد على الناس بالباطل، وحوّل النعمة من الغير إليهم، بل يتركهم هكذا في همومهم وغمومهم.

٣- الذهاب بالحسنات إن كانت حسنات:

ذلك أن الحاسدة ربما تكون له حسنات لبعض الطاعات، ولكن الحسد يضيعها أولًا بأول، فعن أبي هريرة ﵁ أن النبي ﷺ قال: «إياكم والحسد؛ فإن الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار العشب أو الحطب» (سنن أبي داود: ٤٩٠٣).

٤- سوء العقبى:

وهذا بديهي، فإن من كانت حياتها في ضرر الناس تسوء عاقبتها، وتلقى من العقاب جزاءً وفاقًا، وما ربك بظلام للعبيد، قال تعالى: ﴿مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ وَلَا يَجِدْ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾ [النساء:١٢٣]. ﴿وَكَانَ عَٰقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا﴾ [الطلاق:٩].

٥- القعود عن العمل وأداء الواجب:

لأن الحاسدة تشغل نفسها بالأماني والآمال في بعض الأحوال من تمني زوال نعمة الغير وصيرورتها إليها تاركة العمل وأداء الواجب وراءها ظهريًا، ومن كانت على هذه

الشاكلة فهي عنصر سلبي في المجتمع، تعوّق نموه وتقدمه.

د - العـــــلاج

وله وسائل عديدة من أهمها ما يلي:

١- عدم التنافس على الدنيا :

قال العلماء : "التنافس على الشيء والمسابقة إليه وكراهة أخذ غيرك إياه هو أول درجات الحسد" .

٢- تذكر نعم الله تعالى على الإنسان فيحمده ويشكره :

وأنها لا تعد ولا تحصى فيكون دعاؤه الدائم:" اللهم ما أصبح بي من نعمة أو بأحد من خلقك فمنك وحدك لا شريك لك فلك الحمد ولك الشكر" والاقتداء بأبي الأنبياء إبراهيم عليه السلام حيث كان شاكرا لأنعمه، ودعاء النبي ﷺ: «**رب اجعلني لك شكارا، لك ذكارا، لك رهابا، لك مطواعا، لك مخبتا، إليك أواها منيبا**» (الترمذي:٣٥٥١). كما أن الانشغال بشكر النعمة واستعمالها بكفاءة فيما يرضي الله مما يتبعه الجزاء الحسن في الدنيا والآخرة، فلكل مجتهد نصيب ، والإيمان بأن دوام الحال من المحال ، فكل يوم الله في شأن من شئون عباده ، قال تعالى: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ ۝٢٩﴾ [الرحمن]، فاليوم قد نكون فقراء وغدا أغنياء بفضل من الله ونعمة ، لذلك قيل للنبي ﷺ في قوله تعالى: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾: وما ذلك الشأن؟ قال: «**يغفر ذنبا، ويفرج كربا، ويرفع أقواما، ويضع آخرين**»[(١)].

٣- مباركة الشيء عند استحسانه :

إن رؤية الخير والنجاح والفلاح والرزق الحسن على الغير تستوجب من المؤمنة الصالحة النقية ذكر الله ، والدعوة بالبركة أو الخير، وعلى الأم تربية بناتها وأبنائها منذ نعومة أظفارهم على المباركة للغير والدعاء له بالبركة وزيادة النعم للغير، وقول: بسم الله ما شاء الله. وعون الغير على شكر النعمة ، ليس ذلك من قبيل الإتيكيت أو المعاملة بالمثل، ولكن حسن خلق ووقاية لهم من الأمراض النفسية التي تكدر عليهم الحياة بعد ذلك .

ففي حديث أبي أمامة بن سهل بن حنيف أنه قال :رأى عامرٌ بن ربيعة سهلَ بن حنيف يغتسل، فقال: ما رأيت كاليوم ولا جلد مخبأة. فلبط سهل، فأتي رسول الله ﷺ فقيل:

---

(١) تفسير الطبري، تفسير سورة الرحمن، آية ٢٩.

يا رسول الله، هل لك في سهل بن حنيف، والله ما يرفع رأسه. فقال: **هل تتهمون له أحدا؟** قالوا: نتهم عامر بن ربيعة. قال: فدعا رسول الله ﷺ عامرا فتغيظ عليه، وقال: **علام يقتل أحدكم أخاه ألا برّكت** [1]، **اغتسل له** . فغسل عامر وجهه ويديه ومرفقيه وركبتيه وأطراف رجليه وداخلة إزاره في قدح، ثم صب عليه، فراح سهل مع الناس ليس به بأس" (موطأ مالك:١٦٧٩).

٤- الإكثار من ذكر الله :

بمعناه العام والشمولي، ويعد الإكثار من ذكر الله بمعناه العام والشمولي الجامع لذكر الله العقلي بالعلم، والقلبي بالتعظيم لله والحب، واللساني بالثناء عليه سبحانه بما هو أهله، والبدني بتوظيف البدن فيما يرضيه ﷻ ، كل ذلك من شأنه أن يبعد الإنسان عن الحقد والحسد.

٥- الدعاء بدعاء القرآن الكريم:

يقول الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُو مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿١٠﴾﴾ [الحشر] .

* * *

---

(١) برّكت : أي دعوت بالبركة.

الدرس الرابع

التحلي بالأخلاق والقيم الإسلامية

"إن تكوين الأمم وتربية الشعوب وتحقيق الآمال ومناصرة المبادئ تحتاج من الأمة:

١ -إرادة قوية لا يتطرق إليها ضعف.

٢- ووفاء ثابت لا يعدو عليه تلون ولا غدر.

٣- وتضحية عزيزة لا يحول دونها طمع ولا بخل.

٤- ومعرفة بالمبدأ وإيمان به وتقدير له يعصم من الخطأ فيه، والانحراف عنه، والمساومة عليه، والخديعة بغيره.

وكل شعب فقد هذه الصفات الأربعة، أو على الأقل فقدها قوادُه ودعاةُ الإصلاح فيه، فهو شعب عابث مسكين، لا يصل إلى خير، ولا يحقق أملًا، وحسبه أن يعيش في جو من الأحلام والظنون والأوهام "[١].

أولاً: قوة الإرادة

لقوة الإرادة دور في تكوين العظماء وتحقيق الأهداف العظمى في تاريخ الدعوة، ولسلامة الهدف والمبدأ أهمية لقوة الإرادة، ولكن علينا أن نضع أيدينا على الركائز التي يتخذها صاحب الإرادة القوية ، و ندرك كيف نربي إرادتنا ونرتفع بها.

نعم إن للإرادة القوية نصيبًا هائلًا في تكوين العظماء والأفذاذ، فهي التي تمدهم بالحماس حين يرون العجز والفتور يتملك من حولهم، وتمنحهم النشاط حين يركن الآخرون إلى اليأس والإحباط، وتدفعهم لاحتمال المكاره والصعاب حتى يصيبوا الخير الذي أمّلوه ، أو يلمسوا الأمل الذي عقدوه.

الإرادة هي الكلمة التي تحيل أفشل الناس إلى عظماء، وأتعسهم إلى سعداء، وأضعفهم إلى أقوياء، وأفقرهم إلى أغنى الأغنياء!

هي التي جعلت محمدًا ﷺ يقف وحيدًا بلا عون ولا ناصر إلا الله، والحق الذي يملأ فؤاده؛ أمام العالم كله؛ ليعلنها صريحة مدوية: لا إله إلا الله، محمد رسول الله. وما خضع

---

(١) مجموعة رسائل الإمام الشهيد حسن البنا.

لإرهاب ولا استكان إلى ترغيب، بل حين زاد عليه الكيد والإيذاء قال قولته المشهورة في عزم وتصميم: "يَا عَمّ ، والله لَوْ وَضَعُوا الشَّمْسَ فِي يَمِينِي ، وَالْقَمَرَ فِي يَسَارِي عَلَى أَنْ أَتْرُكَ هَذَا الْأَمْرَ حَتّى يُظْهِرَهُ الله أَوْ أَهْلِكَ فِيهِ مَا تَرَكْتُهُ" (١). وقد كان أن أظهر الله دينه على يديه ﷺ وأعزه ونصره.

ومن النماذج النسائية الحديثة لقوة الإرادة والصدق مع الله ما قامت به إحدى أمهات الشهداء في فلسطين بالموافقة على عمليات استشهاد ابنها ومتابعة تفاصيل العملية لحظة بلحظة، ونجحت الإرادة القوية لنساء بيت حانون بفلسطين والتي نجحت في الانتصار على سياسة العدو الصهيوني في هدم المنازل بأن اجتمعن كدروع بشرية على سطح أي منزل يريد العدو هدمه فتراجع العدو بآلياته أمام صمودهن حتى فشلت هذه السياسة.

سر الانطلاق إلى تحقيق الآمال:

وهذا صاحبه أبو بكر رضي الله عنه يقاتل المرتدين الذين منعوا الزكاة بعد وفاة النبي ﷺ وليس معه إلا بضع ألوف، حتى لامه بعض كبار الصحابة وأفضلهم على عزمه في قتال المرتدين، فما لانت قناته، ولا ضعف قلبه، بل استطاع هو أن يحملهم بعزيمته الصلبة وتصميمه على أن تنشرح صدورهم لرأيه، ويهبُّوا معه حتى أعادوا الجزيرة كلها مرة أخرى إلى حظيرة الإسلام، وكان شعاره رضي الله عنه: "أوَينقص الدين وأنا حي" (٢).

سلامة الهدف .. قوة استمرار:

وهكذا علمنا النبي ﷺ وصحبه الكرام رضوان الله عليهم، أن نكون أصحاب مبدأ- وهكذا يجب أن يكون أصحاب الدعوة التي تريد أن تنجح وتفلح- لا نتنازل عن الصواب بترهيب مُرهِّب، أو تحت إغراء ترغيب مُرغِّب، نحيا على الحق، ونعمل من أجله، ما دمنا مطمئنين إلى نبل الغاية وسلامة الهدف وصحة الوسائل، لا أن نكون ضعافًا يغلبنا الآخرون على ما تعارفوا عليه من تقاليد وأهواء ما أنزل الله بها من سلطان، وحذرنا ﷺ أن نكون من ذلك الصنف الذي يسير مع القطيع ولو إلى الهاوية، قال ﷺ:

---

(١) سيرة ابن هشام، ١/ ٢٦٦، والبيهقي في دلائل النبوة، ٢/ ٦٣.

(٢) إشارة إلى ما وقع بين عمر وأبي بكر حين عزم أبو بكر على قتالهم، يقول عمر: فقلت: يا خليفة رسول الله ﷺ، تألف الناس وارفق بهم. فقال لي (أي أبو بكر): أجبار في الجاهلية وخوّار (أي ضعيف جبان) في الإسلام؟ إنه قد انقطع الوحي، وتمّ الدين، أوَينقص وأنا حي؟!. الرياض النضرة في مناقب العشرة، للمحب الطبري، ١/ ٦٨. الموسوعة الشاملة cd، إصدار ٢.

«لا يكن أحدكم إمعة. يقول: أنا مع الناس؛ إن أحسن الناس أحسنت، وإن أساءوا أسأت، ولكن وطنوا أنفسكم؛ إن أحسن الناس أن تحسنوا، وإن أساءوا أن تجتنبوا إساءتهم» (سنن الترمذي:٢٠٠٧).

فإن أمثال هذا الإمعة لا يرجى منهم خير، ولا يوثق بهم- إذا تعرضوا لأقل العثرات وأهونها- أن يحملوا رسالة، أو يثبتوا على مبدأ.

التوكل.. أقوى معين:

على حين أن صاحبات الإرادة القوية لا يكترثن لما ينالهن في سبيل رسالتهن ومبدئهن إلا كما يكترث الجبل لحجر يلقيه عليه أحد اللاهيين اللاعبين، فهن ثابتات على الحق الذي آمنَّ به وسلكن سبيله، وهن ماضيات في طريقه مهما لقين من عنت وتضييق أو ألم وتثبيط، موقنات بأن ما أصابهن لم يكن ليخطئهن، وما أخطأهن لم يكن ليصيبهن، فهن أمة وحدهن، أقدامهن في الأرض، ونبض عزائمهن موصول بالسماء، قال تعالى: ﴿**فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ**﴾ [آل عمران:١٥٩]. متخذات من التوكل الذي يستلهمنه ويستمددنَّه وقودًا يدفع خطاهن، وينعش نفوسهن عندما تكتنفهن ظروف محرجة، ثم يلتفتن حولهن فلا يرين عونًا ولا أملًا.

الكياسة.. نعم الذخر:

ومن فضائل هذه القوة النفسية التي يرغبها الإسلام لأتباعه ويمدهم بروحها أنها تدفع المسلمة لأن تكون وثيقة العزم، مجتمعة النية على إدراك أهدافها بالوسائل الصحيحة التي تقربها منها، باذلة قصارى جهدها في بلوغ آمالها.. و هناك أقوامًا يجعلون من اللجوء إلى الله ستارًا يواري تفريطهم المعيب، وتخاذلهم الذميم، وهذا التواء كرهه الإسلام، فعن عَوْفِ بْنِ مَالِكٍ أَنَّهُ حَدَّثَهُمْ: «**أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَضَى بَيْنَ رَجُلَيْنِ، فَقَالَ الْمَقْضِيُّ عَلَيْهِ لَمَّا أَدْبَرَ: حَسْبِيَ اللهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ. فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: إِنَّ اللهَ يَلُومُ عَلَى الْعَجْزِ، وَلَكِنْ عَلَيْكَ بِالْكَيْسِ، فَإِذَا غَلَبَكَ أَمْرٌ فَقُلْ: حَسْبِيَ اللهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ**» (سنن أبي داود:٣٦٢٧)(١).

أي إن المسلمة مكلفة بتعبئة قواها كلها لمغالبة مشاكلها حتى تنزاح من طريقها، فإن ذللتها حتى استكانت لها فقد أدت واجبها، وإن غلبت على أمرها أمامها بعد استفراغ

---

(١) خلق المسلم، للشيخ محمد الغزالي، الإسكندرية- دار الدعوة، ط ٣، ١٤١١هـ- ١٩٩٠م، ص ٤٠١، بتصرف.

جهدها كان ركونها إلى الله عندئذ حصنًا تعتصم به من ألم الانكسار، فهي على الحالين قوية، بعملها أولًا، وبتوكلها آخرًا [١]. قَالَ رَسُولُ الله ﷺ « **عَجَبًا لأَمْرِ الْمؤْمِنِ؛ إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ، وَلَيْسَ ذَاكَ لأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ، إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شكَرَ، فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ صَبَرَ، فَكَانَ خَيْرًا لَهُ** » (مسلم :٧٦٩٢).

استعيني بالله .. ولا تعجزي:

قال النبي ﷺ : "المؤْمِنُ الْقَوِيُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى الله مِنْ الْمؤْمِنِ الضَّعِيفِ، وَفِي كُلٍّ خَيْرٌ، احْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ، وَاسْتَعِنْ بِالله وَلَا تَعْجَزْ، وَإِن أَصَابَكَ شَيْءٌ فَلَا تَقُلْ: لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَانَ كَذَا وَكَذَا، وَلَكِنْ قُلْ: قَدَرُ الله وَمَا شَاءَ فَعَلَ؛ فَإِنَّ لَوْ تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ" (مسلم:٢٦٦٤).

وليست القوة قوة الجسم فقط، فكم من أجسام كالبغال، وهممهم ضعيفة لا تتجاوز قضاء الشهوة وجمع المال! وإنما أقوى من قوة الجسد قوة الروح التي تملك إرادتها، ولا تعرف الراحة حتى تبلغ غايتها، مستعينة بالله مهما شعرت بغربتها، أو ضاقت عليها الأرض برحابتها ، وليس أحمد ياسين ببعيد، فلنقرأ سيرة ذاتية له تعيننا على الطريق ولا تبكي على فائت، وإنما تجديد العزم ، والإخلاص في الجهد ، ولد أحمد ياسين في يونيو/ حزيران عام ١٩٣٦ في قرية جورة عسقلان شمالي قطاع غزة - أصابه الشلل في جميع أطرافه أثناء ممارسته للرياضة في عامه السادس عشر، حين بلوغه العشرين بدأ أحمد ياسين نشاطه السياسي بالمشاركة في المظاهرات التي اندلعت في غزة احتجاجا على العدوان الثلاثي الذي استهدف مصر عام ١٩٥٦ .

في عام ١٩٨٧ ميلادية ، اتفق الشيخ أحمد ياسين مع مجموعة من قادة العمل الإسلامي في قطاع غزة على تكوين تنظيم إسلامي بغية تحرير فلسطين أطلقوا عليه اسم " حركة المقاومة الإسلامية " المعروفة اختصارا باسم "حماس".

تم اغتيال الشيخ أحمد ياسين من قبل الاحتلال الصهيوني وهو يبلغ الخامسة والستين من عمره في يوم الأول من شهر صفر من عام ١٤٢٥ هجرية الموافق ٢٢ مارس من عام ٢٠٠٤ ميلادية .

---

(١) المرجع السابق، ص ١٠٥، بتصرف.

الصبر عمادك .. وتاجك المرصع:

ولا سبيل لبناء إرادة قوية ليس لها دعائم من الصبر الجميل، قال تعالى على لسان لقمان مرشدًا إلى أهم الأسس في تنمية الإرادة القوية: ﴿يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿١٧﴾﴾ [لقمان].

فإن من حسن التوفيق وأمارات السعادة وعمق الإيمان الصبر على الملمات والنوازل، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٢٠٠﴾﴾ [آل عمران] فنزل الكتاب بتأكيد الصبر، وجعله من عزائم التقوى، وأسباب الفلاح(١).

هذا علي بن أبي طالب يقول: "الصبر من الإيمان، بمنزلة الرأس من الجسد، وإذا ذهب الصبر ذهب الإيمان". (رواه البيهقي في شعب الإيمان)؛ إذ بالصبر على امتثال أوامر الله، والصبر عن إتيان ما نهى عنه، والصبر عند نزول البلاء، والرضا بالمقدر يَصحّ الدين، وتُؤدى الفروض، ويستحق الثواب الذي وعده الله في كتابه: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿١٠﴾﴾ [الزُّمَر]، كما أنه ليس لمن قل صبره على الطاعة حظ من بر، ولا نصيب من صلاح، ولا استقامة على هداية(٢).

عدة الإرادة .. صبر جميل:

قال رسول الله ﷺ: «**الصبر ضياء**» (مسلم: ٢٦٦٤). قال الإمام الماوردي: يعني- والله أعلم- أنه يكشف ظُلَم الحيرة، ويوضح حقائق الأمور(٣).

وهذا حق نشاهده ونلمسه، إذ سرعان ما نحمد عاقبته في كثير من الأمور بعد حين، ولم يكن من فراغ اشتهار هذا القول على ألسنة الناس: الصبر جميل.فهو قول أنتجته تجارب الحياة، وتزيده الأيام والأحداث رسوخًا وصدقًا، فضلًا عن كون الشرع جاء بالأمر به والحث عليه، فإن من علامات النفس القوية الصبر الجميل، والنفس الطويل، فلا يلعب بها الشيطان، أو تستفزها الأحداث أو الأشخاص أو الكلمات وتطيش بلبِّها، فترتكب الحماقات، وتندفع إلى ما تسوء عقباه في دنياها وآخرتها، قال رسول الله ﷺ:

---

(١) أبو الحسن علي بن محمد الماوردي، تحقيق أ. مصطفى السقا، أدب الدنيا والدين، القاهرة- ط الهيئة العامة لقصور الثقافة، سلسلة الذخائر، ص ٢٦٠، بتصرف.

(٢) (٣) المرجع السابق، ص ٢٦١، بتصرف.

«لَيْسَ الشَّدِيدُ بِالصُّرَعَةِ، إِنَّمَا الشَّدِيدُ الَّذِي يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الْغَضَبِ»(البخاري:٥٧٦٣). وحديث: «**ومن يتصبر يصبره الله، وما أعطي أحد عطاء خيرا وأوسع من الصبر**» (البخاري:١٤٠٠).وفي هذا الحديث تأكيد رائع وتنبيه مهم على قيمة التصبر والقدرة على الإمساك بلجام النفس الفائرة عند الغيظ وحدة الغضب في الدلالة على الإرادة القوية التي يمكن الاعتماد عليها في عملية الإصلاح والتغيير والتربية المتقنة التي ننشدها لمجتمعاتنا الغارقة في المذلة والمهانة حتى أذنيها.

صناعة الإرادة .. فن واجب إحسانه:

والحق أن التدرج في تربية الإرادة ضروري؛ لأن إغراء القيام بأعمال كبيرة وكثيرة وأخذ العزيمة على ذلك سرعان ما يتلاشى عند أول عثرة، أو غلبة عاداتنا علينا، لذا فمن الكياسة أن ندرب أنفسنا على تقوية إرادتنا بما يتناسب مع قدراتنا الحالية، مبتدئين بإلزام النفس بالقيام بأعمال بسيطة وهينة، فمثلًا يمكن أن نضيف إلى نشاطنا اليومي أو الأسبوعي نشاطًا واحدًا صغيرًا، ونضيف إليه شيئًا واحدًا كل يوم أو كل أسبوع، ولأن قوة الإرادة تتجلى كثيرًا في القدرة على الاستمرار والمتابعة يمكن أن نقوم ببعض الأعمال التي تمنحنا هذه القدرة، ونكسب بها مزيدًا من الحسنات، كأن نعوّد أنفسنا صلاة ركعتين بالليل نقرأ فيهما ربع جزء من القرآن مثلًا، أو تعويدها على صيام يوم أسبوعيًا، ويتحقق هذا أيضًا إذا ما بدأنا بإحلال عادة حسنة كل أسبوع موضع عادة قبيحة، ويمكن أن نضيف هنا لأختنا المسلمة التي تعودت الشكوى من الأعباء المنزلية أو من الزوج والأولاد، أنه يجمل بها كمسلمة تطلب رضا ربها وجزيل مثوبته أن تبدأ بتدريب إرادتها على الاستيقاظ مبكرًا، وتنفيذ بعض الأعمال التي كانت من قبلُ تتكاسل عنها، وأن تستفيد من وصية النبي ﷺ لحبيبته وقرة عينه فاطمة الزهراء رضي الله عنها بالتسبيح والتحميد والتكبير والتهليل أثناء الأعمال الشاقة فييسرها الله، وأن تكف عن الشكوى من الزوج والأولاد، وأن تجعل لحل مشاكل الأولاد يومًا أسبوعيًا متفقًا عليه مع الوالد، وتتحمل سوء تصرفاتهم خلال هذه الفترة، وتعمل على معالجتها على قدر طاقتها.

ثانيًا: مخالفة الهوى

ماذا يعني الهوى وما مكانته لديك؟ هل تستطيعين ترويضه لطاعة الله وكيف تلجميه؟

و ما الأسباب التي تدفع لاتباع الهوى؟ وما هي نتائج مسايرته ؟

معنى الهوى :

والهوى عند الإطلاق هو الميل إلى خلاف الحق، قال تعالى محذرًا من مغبة اتباعه، وسوء عاقبته: ﴿وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [ص:٢٦] ، وعرفه آخرون بالقول: الهوى هو ميلان النفس إلى ما تشتهيه من غير داعية الشرع، فكأن من اتبع هواه قد اتخذ إلهه هواه.

أول خطوة تخطوها المسلمة في اتجاه الهاوية التي لا قرار لها، والهلاك الذي لا نجاة منه، هي الخطوة التي تخطوها في طريق اتباع هوى نفسها، قال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ﴿٣٧﴾ وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿٣٨﴾ فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾﴾ [النازعات].

فتكون من نهت نفسها عن هواها ليست مؤثرة لدنياها، لأن من نهت النفس عن هواها إذا أقدمت على شيء منه بحكم الضعف البشري قادها خوفها من مقام ربها إلى الندم والتوبة، فظلت مرابطةً في ميدان الطاعة.

ونهي النفس عن الهوى هو نقطة الارتكاز في دائرة الإيمان،قال تعالى: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾﴾ [النساء].

ما مكانة الهوى لديك؟

فالهوى هو الدافع القوي لكل طغيان، وكل تجاوز، وكل معصية، وهو أساس البلوى، وينبوع الشر، وقل أن يؤتى الإنسان إلا من قبل الهوى؟ (١)

﴿ قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ ۗ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿٢٤﴾﴾ [التوبة].

واتباع الهوى من أعظم أسباب الانحراف والضياع والهلاك، قال رسول الله ﷺ: «**ثلاث مهلكات** ..» وذكر منهن: «..**وهوى متبع**» (المعجم الكبير للطبراني:٥٤٥٢).

---

(١) سيد قطب ، في ظلال القرآن.

كيف تروضي هواك وتلجميه؟

ومع هذا، فلم يكلف الله الإنسان ألا يكون له هوى، ولكن قومه وجعله لله ولرسوله، وسبيلا لتذوق حلاوة الإيمان، عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعا لما جئت به**»[1]. وقال: «**ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان**: - وذكر منها - **أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما**»(مسلم:٤٣)، ووعده على ذلك الجهاد الشاق العنيف أفضل الجزاء؛ ذلك أن الله يعلم ضخامة هذا الجهاد وقيمته في تهذيب النفس البشرية وتقويمها.. قال النبي ﷺ: «**أفضل الجهاد أن يجاهد الرجل نفسه وهواه**» (صحيح الجامع للألباني: ١٠٩٩).

وقد تكون داعية المسلمة إلى اتباع الهوى هي الحرص على ما لها من منزلة بين الناس، وألا تتغير نظرة الآخرين إليها، فنفسها تدعوها دائمًا إلى عدم الاعتراف بما عليها، أو على غيرها من الحق إن وقع في الخطأ أو التقصير أو الزلل؛ لأنها لا تحب اللوم أو العتاب أو التقريع، خاصة إذا كان ذلك سيصدر ممن تراه أقل منها شأنًا، أو أصغر منها سنًّا، فهواها مائل إلى محبة المدح والشكر، أو على الأقل ألا تُذمّ، حتى لا تُمس كرامتها بخدْش، أو يُجرح إحساسها، وكأنها غافلة عن قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ ۚ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَٱللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا﴾ [النساء:١٣٥].

وقد أمر الله المؤمنين أن يقولوا الحق ولو على أنفسهم أو آبائهم أو أبنائهم، لا يحابون غنيًّا لغناه، ولا يرحموا مسكينًا لمسكنته: ﴿إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَٱللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا ۖ فَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلْهَوَىٰٓ أَن تَعْدِلُواْ﴾ [النساء:١٣٥] فتذروا الحق فتجوروا[2].

وإنما الواجب أن نشهد بالحق شهادة خالية من التحريف أو التبديل أو الكتمان ولو عاد ضررها علينا، أو على أهلنا، أو حتى على الضعيف المسكين، فالله سبحانه أولى بالمؤمنين، وهو أرحم بهم، وأعلم بما فيه خيرهم وصلاحهم. قال رسول الله ﷺ: «**من أرضى الله بسخط الناس كفاه الله، ومن أسخط الله برضا الناس وكله الله إلى الناس**» (صحيح ابن حبان: ٢٧٧).

---

(١) كنز العمال رقم:١٠٨٤، معزوًا إلى الحكيم وأبي نصر السجزي في الإبانة، وقال: حسن غريب. والخطيب عن ابن عمرو.

(٢) الطبري، تفسير الطبري.

وضرب لنا الصحابة مثلا أعلى في فضيلة الاعتراف بالحق ولو كانت مضرته في الغاية من القسوة والألم، كماعز رضي الله عنه[١] الذي اعترف أمام النبي ﷺ بما وقع فيه من الزلل، وأتى معترفًا بذنبه وهو يعلم أن جزاءه هو الرجم، مفضلًا أن يفضح في الدنيا ويلقى الله طاهرًا من ذنبه، لسان حاله "فضيحة في الدنيا أهون وأحب إليَّ من فضيحة الآخرة". وهكذا المؤمن لا يقر على الخطأ، ومتى تبين له الصواب عاد إليه وإن لاقى ما لا يحبه ولا يرضاه.

إنصاف .. يعلي قدْرك:

والنفس التي تمرست وتدربت على لجم هواها عند حدوث الزلل أو الخطأ والقصور، قد يتغلب عليها الهوى من موطن آخر، وذلك عندما يكون المرء من المنزلة بمكانٍ، بحيث لا يجرؤ أن ينقدها ناقد، أو يحاسبها محاسب في الدنيا، أو إن خفي موضع الخطأ عن الناس جميعًا، وهذا النوع يقع فيه كثير من الناس، وقليل هم الذين ينتصفون من أنفسهم، ويأخذون الحق من أنفسهم لأصحاب الحق ولو كان أصحاب الحق أنفسهم جاهلين به، كالطبيب إذا قصّر في تشخيص مرض مريضه البسيط الفقير، أو في إرشاده إلى الدواء الأنجع والأفضل، أو المعلم إذا قصّر في تأدية واجبه تجاه تلاميذه الصغار الذين ربما لا يفطنون لتقصيره، وغير ذلك.

والإنصاف من النفس ومغالبة داعي الهوى هنا – وهو أفضل صور الشجاعة كما يقول الإمام البنا – يقتضي أن يراجع كل منا نفسه؛ لأنه أعلم من غيره بما يقع منه، وبمقدرته على إصلاح ما أفسد أو قصّر فيه.

وقد أعطى لنا النبي ﷺ المثل من نفسه الكريمة في الانتصاف، وذلك كما تروي لنا كتب السيرة أنه ﷺ كان يعدل الصفوف يوم بدر وفي يده قدح، فمر بسواد بن غزية، فطعن في بطنه فقال: أوجعتني فأقدني. فكشف عن بطنه الشريفة وطلب منه أن يقتص منه، فما كان من هذا الصحابي إلا أن قبل بطن النبي ﷺ[٢].

وهذا عمر بن الخطاب يمر في أحد طرقات المدينة يومًا وهو أمير للمؤمنين، فيرى رجلًا يعيق الطريق، فنهره عمر بصوت قوي شديد، فلما كان العام التالي ورأى الرجل ثانية، أمر له عمر بمبلغ كبير، فلما سأله الرجل عن السبب، أخبره بأن هذا المبلغ مكان ما نهره وغلظ عليه في العام السابق.

---

(١) الحديث رواه مسلم ، وفيه أن ماعزا أتى النبي ﷺ فقال: إني أصبت فاحشة فأقمه عليّ.

(٢) ابن حجر العسقلاني ، الإصابة في تمييز الصحابة.

عام كامل يمر ولا ينسى عمر صاحب القول المشهور: "حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا" (مصنف ابن أبي شيبة: ٣٤٤٥٩).

ما أثر اتباع الهوى؟

إن هذا الخلاصة الموجزة من الفهم العميق لطبيعة النفس البشرية، والإدراك الدقيق لأثر الأهواء على فساد القلوب والنفوس، بل والارتكاس والتسفل بها إلى دركات الخسة والوضاعة وعبودية الشهوات، هي بلا شك مستوحاة من التأمل الواعي والمتبصر للمنهج الرباني الذي تفيض نصوصه بالتحذير من عواقب اتباع الهوى، حتى قال ابن عباس ﷺ بعد أن تتبع هذا اللفظ في القرآن: ما ذكر الله هوى في القرآن إلا ذمّه [(١)].

وهذا التأمل المتبصر هو ما حدا بالصحابي الجليل أبو الدرداء ﷺ أن ينصحنا فيقول: إذا أصبح الرجل اجتمع هواه وعمله وعلمه، فإن كان عمله تبعًا لهواه فيومه يوم سوء، وإن كان عمله تبعًا لعلمه فيومه يوم صالح [(٢)].

من الأسباب الداعية إلى اتباع الهوى:

إن من أعظم الأسباب التي تدعو المسلمة إلى اتباع الهوى هي موافقة ومتابعة ما نشأت عليه من عادات وتقاليد ألفها الناس، فصار الخروج عليها ولو إلى ما أمر به الشارع أو نهى عنه مجلبة لسخط الناس، وقد يصل الأمر إلى أكثر من ذلك، ولهذا قد تؤثر المسلمة أن توافق من حولها على ما هم فيه، طلبًا للسلامة أو الراحة أو غير ذلك، وفي ذلك ينهانا الرسول ﷺ أن يكون أحدنا إمعة:

«**لا يكن أحدكم إمعة يقول: إن أحسن الناس أحسنت وإن أساءوا أسأت. ولكن وطنوا أنفسكم: إن أحسن الناس أن تحسنوا وإن أساءوا أن تتجنبوا إساءتهم**»(سنن الترمذي: ٢٠٠٧).

في حياتنا: ظهر كثيرٌ من البدع اليوم كنتيجة لاتباع سنة الغرب والأمريكيين؛ لاعتقاد بعض الناس أن هؤلاء قوم متقدمون، وأن هذه السلوكيات تعبر عن الحرية والديمقراطية والتمدن والرفاهية ، ومن هذه البدع احتفال بعض العرب والمسلمين بعيد الحب أو ما يدعى بالفالنتين داي، وعلى الرغم من عدم إدراك الناس لتاريخ هذا اليوم وقصته وتعدد الروايات فيه وعدم وجود جهة يمكن الاعتماد عليها في معرفة أصله الحقيقي نرى انتشار

---

(١) أبو حيان ، تفسير البحر المحيط. (٢) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن.

مظاهره في البلاد وتداول التهاني والهدايا بين الشباب خاصة ، مما دعا بعض الأئمة الشرفاء في بعض الدول العربية إلى إصدار فتاوى بعدم الاحتفال به باعتباره عيدا لنشر الرذيلة والعلاقات غير الشرعية بين الشباب أو استخدامه في هذا الغرض ، ومن الأمور التي يجب اتخاذها: معارضة هذا العيد وعدم الاحتفال به، خاصة في المؤسسات الرسمية للدولة كمؤسسة الإعلام والثقافة، فهو ليس عيدا للمسلمين ولا للمسيحيين، ولا يجب اعتباره من الأعياد القومية .

- وحكى لنا القرآن الكريم موقف سيدنا إبراهيم عليه السلام مع أبيه صاحب الأفضال والنِّعم عليه، ومع هذا، فحينما رآه على ضلال وانحراف لم تمنعه القرابة، ولا المحبة، ولا ما يمكن أن يخسره أو يصيبه في حال رفض أبيه لدعوته، لم يمنعه كل ذلك أن يذهب إلى أبيه ويصارحه قائلًا: ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِى عَنكَ شَيْـًٔا ﴿٤٢﴾ يَٰٓأَبَتِ إِنِّى قَدْ جَآءَنِى مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَٱتَّبِعْنِىٓ أَهْدِكَ صِرَٰطًا سَوِيًّا ﴿٤٣﴾ يَٰٓأَبَتِ لَا تَعْبُدِ ٱلشَّيْطَٰنَ ۖ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ عَصِيًّا ﴿٤٤﴾ يَٰٓأَبَتِ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَٰنِ وَلِيًّا ﴿٤٥﴾ قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ ءَالِهَتِى يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ۖ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ ۖ وَٱهْجُرْنِى مَلِيًّا ﴿٤٦﴾ قَالَ سَلَٰمٌ عَلَيْكَ ۖ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّىٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ بِى حَفِيًّا ﴿٤٧﴾﴾ [مريم]. هكذا صدع بكلمة الحق بمنتهى الصراحة والحب والحزم والاحترام.

ومن النساء والبنات من تجد أهلها على معصية ولا يكترثوا بكثرة الوعظ بل في المقابل يمارسوا ضغوطا كأن يجبر الأب الزوجة أو البنت أو الأخت على اتباع سبيله مثل الخروج في أماكن اللهو غير الشرعي، أو شرب السجائر، أو المخالطة غير شرعية أو الخضوع بالقول للناس أو المنع من الحجاب أو تعطيل الصلاة، فتقول المرأة: أنا فعلت ذلك إرضاءً لأبي أو لأخي أو لزوجي .. إن إرضاء أهواء الغير حبًّا لهم لهو رفع لمنزلة حبهم عن حب الله ورسوله ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾. وهذا صنف من أصناف الهوى الذي وجب محاربته، فلا طاعة لمخلوق في معصية الخالق: «**لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعا لما جئت به**»[1].

كما روت السُّنة نموذجًا آخر لنا فيه الأسوة والعبرة، وذلك حينما تشفع واحد من أحب صحابته إليه في امرأة سرقت، لئلا يقام عليها الحد، ففي الصحيحين عن عائشة

(١) كنز العمال ، رقم: ١٠٨٤، معزوًّا إلى الحكيم وأبو نصر السجزي في الإبانة، وقال حسن غريب،

ﷺ: «أن قريشًا أهمتهم شأن المخزومية التي سرقت فقالوا: من يكلم رسول الله ﷺ ومن يجترئ عليه إلّا أسامة بن زيد حِب رسول الله ﷺ. فكلمه أسامة، فقال رسول الله ﷺ: **أتشفع في حدٍّ من حدود الله.** ثم قام فاختطب، ثم قال: **إنما أهلك الذين من قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد، وأيم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها»** (البخاري:٣٢٨٨)؛ لأن من علامات اتباع الهوى أن تقتنع المسلمة بمبدأ وتدعو له، فإذا صار في الأمر خسارة عليها أو على من يهمها أمره، غيَّرت مبدأها، والتمست المبررات لفعلته، أو على الأقل لم تُصرّح بحقيقة ما حصل من الخطأ أو الباطل، وليس معنى ذلك بالطبع أن نهاجم المؤمنين بالحق هجومًا، أو نتعدى على منزلتهم وأقدارهم، فالمؤمن كيس فطن، يحسن انتقاء كلامه وأسلوبه ليحقق المقصود بحكمة ولباقة.

وفي حياتنا:

تنتشر في مجتمعاتنا الآن نصرة الظالم صاحب المراكز الحكومية وصاحب المال ، حتى تفشى الفساد في المجتمع، وأصبح القانون يقنن فقط ليطبق على الفقراء ومن ليس لهم (وسطة) تحميهم ، وكثيرا ما نرى هذا الظلم في مؤسسة المدرسة، عندما يخطئ تلميذ ابن مدرس أو زميل فلا يتحرك ساكن ولا يعاقبه أحد ، وتتكرر هذه الأمور في المؤسسات الأخرى، ولم تسلم مؤسسة الأسرة من ذلك؛ فالأم تدافع عن ابنها مع علمها بخطئه ضد ابن الجيران .

* من نتائج مسايرة هوى النفس وما يترتب على ذلك من أضرار اجتماعية واقتصادية:

التورط في الكماليات:

الحق أن فطام النفس عن هواها هو أشق من فطام الرضيع عن ثدي أمه، ولهذا يعلمنا ﷺ أن: " الْكَيِّسُ مَنْ دَانَ نَفْسَهُ وَعَمِلَ لِمَا بَعْدَ الْمَوْتِ، وَالْعَاجِزُ مَنْ أَتْبَعَ نَفْسَهُ هَوَاهَا وَتَمَنَّى عَلَى اللهِ". (سنن الترمذي: ٢٤٥٩).

فمن الأمور التي ينظر إليها كثير من الناس باستهانة رغم دلالتها الخطيرة على مسايرة المسلمة لهواها، وعدم خروجها من أسْره، فضلًا عن أضرارها الاجتماعية والاقتصادية، هي توسع المسلمة في المباحات والكماليات، وربما وضعها جنبًا إلى جنبٍ في قائمة الأولويات، سواء كانت قادرةً أو غير قادرة على تكاليفها.

واليوم هناك سباق محموم بين كثير من الناس – وخاصة الفتيات والنساء – في اقتناء

الكماليات، ويجدر أن تنتبه المرأة المسلمة - والملتزمة بشكل خاص - إلى ضرورة مغالبة حب الاستهلاك الواضح عند النساء، وهو ما يشكل أعباء قد يكون لها عواقب خطيرة على سلامة بنائنا الإيماني، وأيضًا البناء الأُسري، ومن واجبها أن تبذل جهدًا إضافيًا في تقوية إرادتها للانعتاق من أسر هذه المتاهة اللا متناهية من مطالب العيش، ولوازم الراحة والترفيه، ولهن ولنا جميعًا في نبينا ﷺ أسوة حسنة، الذي تصف عائشة أثاث بيته وهو يقف على قمة هرم السلطة في الأمة الإسلامية، فتقول: «كان فراش رسول الله ﷺ من أَدَم وحشوه من ليف» (صحيح البخاري:٦٠٩١). في الوقت الذي كان يتنعم فيه آخرون من أهل زمانه بالأثاث الفاخر حتى لا يقول أحد: إن كل أهل زمانه كذلك.

ثم يزوج ابنته وهي من أفضل نساء العالمين من ابن عمه علي، الذي لم يكن يملك إلا درعًا يقدمه مهرًا، ثم بعد الزواج يروي علي حالها فيقول: .. كانت ابنة رسول الله ﷺ، وكانت من أكرم أهله عليه، وكانت زوجتي، فجرت بالرحى حتى أثر الرحى بيدها، وأسقت بالقربة حتى أثرت القربة بنحرها، وقمّت البيت حتى اغبرت ثيابها، وأوقدت تحت القدر حتى دنست ثيابها.. فقلت لها: انطلقي إلى رسول الله ﷺ فاسأليه خادمًا.. فانطلقت إلى رسول الله ﷺ فوجدت عنده خدمًا ... فقال ﷺ: **ألا أدُلك على ما هو خير لكي من خادم، إذا أويت إلى فراشك سبحي ثلاثًا وثلاثين، واحمدي ثلاثا وثلاثين، وكبري أربعًا وثلاثين..**» (مسند أحمد:١٣١٢).

فلنحسم الصراع .. للأفضل والأجمل:

ولنتذكر أننا حين نريد حسم صراع ما داخل نفوسنا حول عمل أو موقف أو اختيار شيء ما فإن من المهم أن نحسمه لصالح الآجل وليس العاجل، ولحساب النعيم الخالد وليس المصلحة الآنية، يقول الشاعر:

وإذا تشاجر في فؤادك مرة ... أمران فاعمد للأعفّ الأجمل

لأن حسم الصراع بين داعي الشرع وداعي الهوى على غير هذا النحو قد يكون بداية لمشكلات وأخطار أشق وأصعب، والمسلمة مستقبلية الرؤية والحس والفهم والمنهج، ولابد أن تنحاز دائمًا إلى ما ينسجم مع ذلك[1].

---

(١) عبد الكريم بكار، عصرنا والعيش في زمانه الصعب. دار القلم - دمشق، الطبعة الأولى ١٤٢١-٢٠٠٠، ص ١٩٣، بتصرف.

ومن الوسائل الواجب اتباعها:

* أن نتعود على قول الحق ولو كان مرًّا، فتعترفي بالحق مهما كانت العقوبة في الدنيا فلا تقارن بعذاب الآخرة إن لزم الأمر، والتزمي دعاء: "اللهم أرنا الحق حقًّا وارزقنا اتباعه وأرنا الباطل باطلًا وارزقنا اجتنابه".

* عدم المجاملة في المخالفات الشرعية الظاهرة، مع الحفاظ على الأدب واللباقة دون تجريح، وبفطنة وكياسة.

* أن نعترف بالحق ولو على أنفسنا، فلا تتورعي عن إحقاق الحق ولو على حساب نفسك، فهذا مدعاة لمرضاة الله عليك وعفوه عنك.

* لا نتعالى عن الاعتذار لمن أخطأنا أو قصرنا في حقه وإن كان المُعتذَر إليه أصغر أو أقل منا سنًّا أو منزلة، بل ونمكنه من أخذ حقه منا ما أمكن.

* نشهد بالحق ولو كان في ذلك مضرة دنيوية علينا.

* لا نورط أنفسنا بالكماليات، أو نتنافس فيها مع الآخرين حتى لو امتلكنا القدرة على ذلك؛ ترويضًا لأنفسنا على مخالفة بعض محبوباتها وشهواتها ولو كانت مباحة، فقد قال النبي ﷺ: «... **أَخْشَى عَلَيْكُمْ أَنْ تُبْسَطَ الدُّنْيَا عَلَيْكُمْ كَمَا بُسِطَتْ عَلَى مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، فَتَنَافَسُوا فِيهَا كَمَا تَنَافَسُوهَا وَتُهْلِكَكُمْ كَمَا أَهْلَكَتْهُمْ**»(ابن ماجه: ٣٢٣١).

ومن أنجح علاج لهذه الآفة -بفضل الله- أخذ مجموعة من الفتيات أو النساء لزيارة منطقة عشوائية يعيش أهلها في فقر مدقع لا يجدون الكفاف لتثير فيهن كوامن الخير والصدقة والإحساس النعمة وعدم التبذير والإسراف.

التقويم: (الدرجة النهائية ٢٠)

١ - أكملي ما يأتي: " أن قريشا أهمهم شأن ....، فقالوا: من يكلم ....، فقال رسول الله ﷺ : أتشفع ...." وما هو تعقيب الرسول ﷺ على ذلك ؟ (٦ درجات)

٢ - ﴿إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّهْتَدُونَ﴾ إيثار السلامة والمجاملة وموافقة ما ننشأ عليه من عادات فيه اتباع للهوى، ما الحكم الشرعي في ذلك؟ اذكري نصًّا قرآنيًّا يؤيد ذلك. (٥ درجات)

٣- " اتباع الهوى في السباق المحموم وخاصة بين الفتيات والنساء في الاستهلاك " كيف نغالب هذا الاتجاه بالتأسي بنماذج مضيئة في تاريخنا؟ (٤درجات)

٤- اذكري نتائج اتباع هوى النفس ومسايرته ؟ (٥درجات)

* * *

الفصل الثالث
المحور الدعوي الحركي

الفهم الصحيح للإسلام
(الأصول العشرون)

مقدمة

وفيها المقصود بالفهم، وضرورة الفهم وأهميته، وأهداف الفهم.

أ- المقصود بالفهم :

لغة : الفهم : يقال: فهم الشيء فهما: أحسن تصوره وأجاد استعداده للاستنباط، **وفهمه** : علمه وعرفه بالقلب [(١)].

الفهم اصطلاحا : **"أن توقن أن فكرتنا إسلامية صميمة. وأن تفهم الإسلام كما نفهمه في حدود هذه الأصول العشرين الموجزة كل الإيجاز"**.

وعبارة "فكرتنا إسلامية صميمة" تعني أن تصل قناعتك التي توصلت إليها من خلال العلم والمعرفة للأدلة وملاحظة السلوك والتطبيق إلى درجة اليقين من أن فكرتنا تستمد أهدافها ومقاصدها ووسائلها وأساليبها من الإسلام وحده لا سواه تحقيقًا لقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ﴾ [آل عمران:١٩].

ب- ضرورة الفهم وأهميته :

هذه الأصول العشرين هي أصول للفهم الصحيح للإسلام وليست أصول الإسلام.

والإمام ابن القيم ﷺ يبين مدى أهمية الفهم فيقول: "صحة الفهم وحسن القصد من أعظم نعم الله التي أنعم الله بها على عباده، وهما ساقا الإسلام وقيامه عليهما، وبهما يأمن العبد طريق المغضوب عليهم الذين فسد قصدهم، وطريق الضالين الذين فسدت فهومهم، ويصير من المنعم عليهم الذين حسنت أفهامهم وقصودهم، الذين أُمِرْنا أن نسأل الله أن يهدينا صراطهم في كل صلاة، وصحة الفهم نور يقذفه الله في قلب العبد، يميز به بين الصحيح والفاسد والحق والباطل والهدى والضلال والغي والرشاد" [(٢)].

---

(١) القاموس المحيط.

(٢) إعلام الموقعين: ابن القيم ١/ ٨٧.

ولقد كان من مظاهر الفوضى الفكرية في الأمة الإسلامية أن اختلط ما هو أصل بما هو فرع، وتصلب الكثيرون لفروع حاربوا من أجلها إخوانهم المسلمين، وضيع آخرون أصولا وحاربوا من دعاهم إليها مع أنها حق خالص، فكانت هذه الأصول العشرون علاجا لواقع مريض يتحدد فيه ما هو أصل لا يصح الاختلاف فيه، وما هو فرع يمكن الالتقاء مع الاختلاف فيه.

وكان لابد من أرضية مشتركة للفهم يمكن أن تشكل قاسما مشتركا أعظم بين المسلمين دون أن يكون ذلك على حساب حق، وكانت الأصول العشرون بتوفيق الله ﷻ تحقق ذلك؛ لقد ذكَّرت الناسين، وخففَّت من الغلو، ووحدَّت من الفرقة، وضبطت مسارًا.

وللفهم مكانة مهمّة وضرورية في تحقيق هدف إقامة دولة الإسلام وخلافته على الفهم الصحيح الشامل للإسلام، فلا عمل بدون فهم، ولا قبول بغير إخلاص .

ج- أهداف الفهم:

١- جمع كلمة المسلمين .

٢- تبني الرأي الوسط المعتدل في المسائل التي تعرض لها .

٣- قطع الطريق على ألوان من الانحراف في فهم الإسلام .

* * *

الأصل الأول للفهم الصحيح للإسلام

أولاً : النص :

" الإسلام نظام شامل يتناول مظاهر الحياة جميعًا ، فهو دولة ووطن أو حكومة وأمة ، وهو خلق وقوة أو رحمة وعدالة ، وهو ثقافة وقانون أو علم وقضاء ، وهو مادة وثروة أو كسب وغنى، وهو جهاد ودعوة أو جيش وفكرة ، كما هو عقيدة صادقة وعبادة صحيحة سواء بسواء" .

ثانيًا : الأهمية :

- عقيدة الشمول تشكل توازن الإنسان الحياتي :

وشمولية الإسلام تنظيمٌ لعلاقة الإنسان بربه، وعلاقته بمجتمعه، وكذلك علاقته بنفسه وتوازنٌ لهذا كله، بحيث يؤدي حقوق الله تعالى وعبادته، وحقوق المجتمع والإحسان إلى أفراده ومؤسساته، وكذلك حقوق النفس وحاجاتها بصورة متوازنة، يمتنع فيها طغيان جانب على آخر، بل تجعل هذا الإنسان يعيش ضمن منظومة متناسقة مترابطة ترضي خالقه، وتمنح نفسه ومجتمعه الاستقرار وطيب العيش في الحياة الدنيا وفي الآخرة، وإلى هذا أشار الرسول العظيم ﷺ بقوله : "إن لربك عليك حقا، ولأهلك عليك حقا ولنفسك عليك حقا" (البخاري:١٨٦٧) لقد فصل ديننا هذه الحقوق تفصيلا .

- عقيدة الشمولية تربط كل نواحي الحياة بالصلاة والتعبد لله :

شمول الإسلام حقيقة مستقرة في وجدان المسلمين، وهي تَرِدُ على قلوبهم في كل صلاة مع تلاوتهم لآيات القرآن الكريم، يقول ﷻ: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾﴾ [الأنعام] ، ذلك أنَّ آيات القرآن تتضمن ما يحكم شئون الحياة جنبًا إلى جنب مع ما يناسب مقام التضرع والمناجاة للمصلي، ومفهومٌ أن تزخر[1] الصلاة بمعاني الترغيب والترهيب، والوعد والوعيد، ومفهوم أن تزخر بدعاء العبد وما فيه من تضرع واستسلام، فهي لب العلاقة التعبدية بين العبد وبين الرب في كل دين، والناس كلهم يرون ذلك متفقًا مع أجواء الصلاة، غير أن تَعَبُّد المسلم في صلاته بكلمات تتعلق بجوهر أنشطته الحياتية هو أمر يسترعي الانتباه.

---

(١) تزخر: تمتلئ.

إن المسلم يعيش عمره وهو يَصِلُ قوانين الأحوال الشخصية، والمعاملات المالية والتجارية، والأحكام الجنائية، وقانون المرافعات، والقانون الدستوري- يصلهم مباشرة بأخص علاقات التعبُّد، ألا وهي الصلاة.

فرسالة الإسلام امتدت طولًا حتى شملت آباد الزمان، وامتدت عرضًا حتى انتظمت آفاق الأمم، وامتدت عمقًا حتى استوعبت شئون الدنيا والآخرة[1].

ثالثًا: المعنى وشرح النص:

١- الإسلام «دولة ووطن أو حكومة وأمة»:

الدولة: مجتمع منظم يعيش على إقليم معين، ويخضع لهيئة حاكمة ذات سيادة، ويتمتع بشخصية معنوية متميزة عن الشخصيات الأخرى المماثلة، وأفراد الدولة خاضعون لقوانينها، والدولة ملزمة بحماية أرواح الأفراد وأموالهم وكافة حقوقهم.

والإسلام دولة متكاملة البناء -بهذا المعنى- تمارس حقوقها وتؤدي واجباتها يدل على ذلك نصوص الدين -التالية- والممارسة العملية في حياة النبي ﷺ وحياة الصحابة والتابعين ﭫ، وممارسة ذلك على فترات غير قصيرة من التاريخ.

والوطن: المكان الذي يسكنه الأفراد ويشعرون فيه بارتباطهم به وانتمائهم إليه، ووطن المسلم كل مكان يوجد فيه من يقول: "لا إله إلا الله محمد رسول الله" والعقيدة الإسلامية جنسيته.

والحكومة: السلطة الحاكمة التي تتولى حكم البلاد بنظام إدارة الدولة وتصريف أمور الناس وتوجيه جهودهم وتنظيمها وضبط سلوك الأفراد والجماعات.

والإسلام حكومة بهذا المعنى؛ لأن الشارع سبحانه وضع لكل نظام من أنظمة الدولة قوانين وطالب الحكومات أن تخضع لحكمه، وأن تنحصر مهمة جميع السلطات التشريعية والتنفيذية والقضائية في التنفيذ والاجتهاد المقيد ضمن ذلك الإطار العام.

والأمة: مجموعة من الأفراد تجمعهم ثقافة مشتركة تستند إلى وحدة الأصل أو اللغة أو الدين أو التاريخ، ويربط بينهم.

والإسلام بما يشمله من عقيدة وثقافة وتاريخ هو الرابطة التي تجعل من كل أتباعه أمة

---

(١) يوسف القرضاوي، مدخل لمعرفة الإسلام، نقلا عن الإمام البنا بتصرف يسير.

واحدة، وأما وحدة الأصل فإن لها في الإسلام معنى أشمل وأعم وأنبل؛ وهو أن الناس جميعا لأب واحد هو آدم عليه السلام، وأن رب الناس واحد وهو الله سبحانه وتعالى. وأما اللغة فهي رابطة محلية، والإسلام يقيم وزنا كبيرا للغة القرآن، ويجعلها لغة كل مسلم يتحدث بها مهما كان عرقه .

فالإسلام شامل لهذه المفاهيم، وقادر بمنهجه على توجيهها بمنهجه المميز نحو التقدم.

٢ - «والإسلام خلق وقوة أو رحمة وعدالة»:

الأخلاق في الإسلام هي: " مجموعة المبادئ والقيم التي تنظم سلوك المسلم، ويحددها الوحي لينظم بها حياة الإنسان، ويضع لها من الضوابط ما يمكنها من أن تحقق الغاية من وجود الإنسان على هذه الأرض، وهي عبادة الله سبحانه المؤدية إلى سعادة الإنسان في الدنيا والآخرة " (١).

وبهذا المعنى يصير النظام الأخلاقي الإسلامي هو النظام الأوحد الصالح لإدارة الحياة؛ لأن الخلق عند علماء الاجتماع يتغير ويتطور خلال الزمن لأنه نتاج خبرة الفرد، بينما هو في الإسلام ثابت لا يتغير، فهو ليس من نتاج خبرة الفرد بل من مقررات الدين.

والقوة : هي القدرة التي تحدث أثرًا . فالإسلام قوة معنوية تتمثل في الإيمان الداعي إلى العمل، وقوة مادية تتمثل في الجهاد في سبيل الله، وقوة اجتماعية تدفع الأفراد إلى الإيثار وتقديم الخير للناس عموما..

الإسلام رحمة: بمعنى أنه الدين الذي يأمر أتباعه بالرحمة ويوجبها عليهم ، أي الرقة في التعامل مع الناس والترفق بهم والإحسان. إنها رحمة تستهدف الوصول بالإنسان إلى ما ينفعه في دنياه وآخرته، والإسلام عدالة مع هذه الرحمة.

والعدالة: المساواة بين الناس في كل ما من شأنه يساوي فيه بينهم . والمقصود بأن الإسلام عدل أنه يساوي في المكافأة على الخير خيرا، والعقاب يكون بقدر الإساءة؛ فالجزاء من جنس العمل.

٣ - «الإسلام ثقافة وقانون أو علم وقضاء» :

الإسلام ثقافة: بمعنى أنه مبادئ ونظم ومنهج يدركه المسلم. ثقافة خالية من الخرافة

---

(١) علي عبد الحليم، مع العقيدة والحركة والمنهج، طبعة دار الوفاء، ١٩٩٢م.

والوهم، لم يتوصل إليها الناس اعتباطا ولا استجابة لوساوس الشياطين، ولا نتيجة للاحتكاكات والصراعات ، وإنما هي قوانين علمية يؤدي الأخذ بها إلى استقرار المجتمع، وإلى أن تسدد فيه كل أنواع الخير والبر، وأن تنكس فيه أو تمحى منه كل أقذار الشر.

والقانون عند علماء السياسة والاجتماع هو قمة التنظيم الاجتماعي للسلوك الإنساني من حيث إنه يحدد في صراحة ووضوح ما يجب على الفرد عمله وما يجب عليه الامتناع عنه ، ويحدد بحسم ووضوح العقوبات التي توقع على من يخالف القانون

والإسلام له قوانين هي الأقدر على ضبط السلوك الاجتماعي وترشيده ، يتم ذلك بوازع ذاتي من الأفراد وإحساس بالتبعة (المسئولية)، وإيمان بأن الله رقيب حسيب، وأنه إذا جاز لمنحرف أن يغافل القانون فإنه لن يستطيع أن يغافل رب العالمين.

والعلم: مجموعة المعارف المتكاملة والكليات العامة، ويقوم على أساس الملاحظة والتجربة ولا يستند إلى الميول الفردية أو الآراء الشخصية. **والإسلام علم** للناس بما يصلحهم وما يفسدهم، وبالحياة الدنيا ما يصلح لها وما لا يصلح، وعلم بالمبادئ والنظريات التي يراها أفضل ما يجب أن يكون في حياة الناس.

والقضاء: الفصل في الأمر، قولا كان ذلك الفصل أو فعلا .

والإسلام قضاء: بمعنى أنه بما يحتوي عليه من مبادئ وقيم يستطيع الفصل في القضايا كلها ، الاجتماعية والسياسة والاقتصادية والفكرية والثقافية... إلخ، وهو قضاء مبني على علم .

فالإسلام ثقافة وقانون يوجه الأول الثاني ويضبطه، وهو علم وقضاء ، ولا يمكن أن يستغني واحد منها عن الآخر ، فلا قضاء بغير علم ، ولا علم بغير قضاء.

٤ - «الإسلام مادة وثروة أو كسب وغنى»:

المادة: الأصول والعناصر التي تتكون منها الأشياء حسية كانت أو معنوية.

وإذا كانت الحياة الإنسانية تقوم على المادة والروح، فإن الإسلام ليس روحانيات فقط، وإنما يعني كذلك بالجانب المادي من الإنسان ومن حياته ويوجهه أحسن التوجيه.

والثروة: الكثير من المال والناس، **والثروة في علم الاقتصاد:** الأموال القابلة للتملك والتقويم المحدودة الكمية. والثروة القومية: مجموعة القوى المنتجة في الدولة.

والثروة على مستوى المجتمع: الموارد الطبيعية والسلع المملوكة ملكية جماعية كالمرافق العامة والطرق والمناجم وغير ذلك.

والإسلام مادة وثروة: بمعنى أنه يقيم الوزن الصحيح لكل ما هو مادي في حياة الإنسان ويوظف الثروة في أحسن ما توظف فيه لصالح الحياة الإنسانية كلها .

والكسب: ما يتحراه الإنسان مما فيه اجتلاب نفع وتحصيل حظ ككسب المال.

ومعنى أن الإسلام كسب أنه يأمر الإنسان بالعمل والكسب ، ويطالبه بألا يعيش عالة على سواه ، وذلك أن الإسلام يشرف العمل ويرفع قدره وقدر العاملين.

والغنى يتناول ثلاثة معانٍ، هي: غنى عن كل الحاجات، وليس ذلك إلا لله ﷻ؛ فهو الغني بهذا المعنى. وغنى عن بعض الحاجات ، وهي المشار إليها في قوله تعالى: ﴿وَوَجَدَكَ عَآئِلًا فَأَغْنَىٰ ﴿٨﴾﴾ [الضحى]. وغنى بمعنى كثرة المقتنيات لدى الإنسان. والإسلام غنى بهذا المعنى ينضم إلى أنه كسب وإلى أنه مادة وثروة.

٥- «الإسلام جهاد ودعوة أو جيش وفكرة»:

أ- الإسلام جهاد ودعوة :

الجهاد والمجاهدة : هو استفراغ الوسع في مدافعة العدو ، ومنه مواجهة العدو الظاهر ، ومجاهدة الشيطان ومجاهدة النفس ومجاهدة المنافقين. قال تعالى: ﴿وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ﴾ وهذا الجهاد ماضٍ إلى يوم القيامة.

والإسلام دعوة إلى الحق ، إلى عبادة الله وحده ، وواجبة على كل مسلم بما يملك من البصيرة بما يدعو إليه ، قال الله تعالى: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِي﴾ [يوسف:١٠٨].

والجيش بلغتنا المعاصرة هو القوات المسلحة التي تخضع للتنظيم الدائم، وكان الجيش على عهد النبي ﷺ يضم كل مسلم قادر على القتال في سبيل الله ، ولذلك فإن الإسلام بكل أفراده الذين يدينون به يمثل جيشا له كل مقومات الجيش وكل اختصاصاته ، ويجمع كل قادر على القتال ، ويتجاوز عن أصحاب الأعذار .

ومعنى ذلك أن الإسلام قوة لأن الجيش قوة، ولكن الإسلام يجعلها قوة موظفة للحق

وليست قوة عدوان أو بغي في الأرض على حساب الآخرين.

والإسلام فكرة: بمعنى أنه المنهج الذي يتناول بالتنظيم كل مظاهر الحياة الإنسانية – كما أوضحنا – وهذه الفكرة يجب أن تبلغ للناس في كل زمان ومكان، ومعنى هذا أن توظيف طاقات الأفراد المصاحبة للفكرة من أجل بلوغ هذا الهدف، ويكون توظيفا وفق ما شرع الله وأوحى إلى خاتم أنبيائه ﷺ.

٦- «كما هو عقيدة صادقة وعبادة صحيحة سواء بسواء»:

العقيدة: المبدأ (أو المبادئ) الذي يتمسك به الإنسان ويؤمن بصوابه.

والإسلام عقيدة: بمعنى أنه مبدأ يشتمل على مفردات أساسية تتناول كل مظاهر الحياة الإنسانية ، يجب على المسلم أن يؤمن بها ويعتقد في صدقها وصوابها ، ويموت في سبيلها وعليها .

وأساس العقيدة الإسلامية الإيمان بالله ويتفرع عنه سائر الأركان ، وهذه العقيدة لاتكون إلا عن صدق، وإلا كانت مظاهرها تصدر عن نفاق والعياذ بالله، كما أنه يتمسك بها مهما تطاول الزمان واختلف المكان وزادت المتغيرات.

والعبادة: أنماط من الأعمال والسلوك في الفعل والترك، والأصل فيها أن تكون تعبيرا عما في القلب من اعتقاد، **والإسلام عبادة** لله وحده لا شريك له وفق ما شرع لرسوله الخاتم محمد ﷺ.

ما المقصود بقوله: (سواء بسواء)؟

كل ما تقدم عن معنى الإسلام يستوي تماما مع كونه عقيدة صادقة وعبادة صحيحة لا ينفصل عنهما أبدا، وهذا إشارة إلى الفهم الخاطئ للإسلام في الوقت الذي كان سائدا وقت تجدد هذا الفكر على لسان الإمام البنا، فقد كان العامة لا يعرفون عن الإسلام إلا العبادات وبعض المعتقدات، فقدم لهم المجالات التي يتناولها معنى الإسلام ولا يدركونها فقال: هي من الإسلام مثل العبادة والعقيدة.

بعض الأدلة على شمولية الإسلام:

* (الدستور) الوثيقة التي أملاها رسول الله ﷺ عندما هاجر إلى المدينة، والتي تتضمن ولادة الأمة الإسلامية ودولتها، وعلاقة ما بين الدولة والأمة.

* ثلث أحكام الشريعة الإسلامية تسمى (أحكام الإمامة) أي لا يتم تطبيقها إلا عن طريق وليّ أمر المسلمين، أي: رئيس الدولة.

* وجعل الله من القانون الدستوري ما يُتلى -في الصلاة- كقوله ﷻ: ﴿إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٠﴾﴾ [يوسف].

* ومن أدق القوانين ما يُسمَّى بقانون المرافعات، أو إجراءات التقاضي، وفيه أيضا قرآنٌ يُتلى؛ قال ﷻ: ﴿وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِن رِّجَالِكُمْ فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ أَن تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَىٰ وَلَا يَأْبَ الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا﴾ [البقرة: ٢٨٢].

* والقانون الدولي الذي يُنظِّم العلاقات الخارجية مما يُرتَّل -في الصلاة- قال ﷻ: ﴿لَّا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ﴾ [الممتحنة: ٨].

* ونظام الجيش وأحكام المقاتلين أيضا تُتلَى في الصلاة، قال ﷻ: ﴿وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿١٦﴾﴾ [الأنفال].

* وقد نتلو في صلاتنا آيات مثل: ﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا لَا تُضَارَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَّهُ بِوَلَدِهِ ...﴾ الآية [البقرة: ٢٣٣]. أو نقرأ قوله: ﴿وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَن يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ إِن كُنَّ يُؤْمِنَّ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ...﴾ الآية [البقرة: ٢٢٨]، وقوله: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ ...﴾ الآية [البقرة: ٢٢٢]، وهي معانٍ يراها الناس قانونًا للأحوال الشخصية، لكنَّ المسلم يراها دينًا يتعبَّدُ به تلاوة عملًا وتطبيقًا.

* والأمر كذلك إن رأى المُصلِّي أن يتلو: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ...﴾ الآيتان [البقرة: ٢٧٨، ٢٧٩]، فهي معانٍ- وإن كانت من صميم القوانين الاقتصادية- إلا أنها صلاة في دين الإسلام، ولن يزعم مسلم أن تلاوتها ستخرج بالمُصلِّي من روحانيات الصلاة إلى ماديات الحياة.

رابعًا : جوانب تطبيقية مستفادة من النص :

١- التفقه في قول الله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٦٢)﴾ [الأنعام] سبيل لمعرفة أن جميع جوانب الحياة لابد لها من جانب رباني تحيا بها وتطمئن به قلوب المؤمنين .

٢- البحث في كل جوانب القصور في العمل وإرجاعها إلى جوانبها الشرعية لإيجاد الحلول المنطقية والعملية لها.

٣ - الالتزام بتعاليم الإسلام في الأنشطة الحياتية.

٤ - توضيح شمول الإسلام لمن حولنا.

٥- النظريات العلمية ربما تتغير وتتطور، ولكن الدين له أصوله الثابتة التي لا تتغير ولا تتبدل.

٦- الشمولية لا تعني حكم الفقيه، ولا تعني حكم ديني لدولة مدنية، ولكنها تعني حكم مدني على أسس شرعية متكاملة لا تغيير فيها ولا تبديل، ولا تمييز لفئة على أخرى، ولا استئثار بالحكم، ولا عنف ضد أصحاب الحقوق.

خامسًا : التقويم : (الدرجة النهائية ٢٥)

١ - اذكري بعض أدلة شمولية الإسلام. (٥درجات)

٢- اذكري الآية التي تنكر على من يأخذ جانبًا من الكتاب ويترك الآخر. (درجتان)

٣- ما المقصود بأن الإسلام خلق وقوة ورحمة وعدالة ؟ (٥درجات)

٤- ما علاقة الإسلام بالثقافة والقانون ؟ (درجتان)

٥- ما المقصود بأن الإسلام مادة وثروة أو كسب وغنى ؟ (درجتان)

٦- وضحي مفهوم أن الإسلام جهاد ودعوة أو جيش وفكرة . (درجتان)

٧- ماذا تعني عبارة "كما هي عقيدة صادقة وعبادة صحيحة سواء بسواء"؟(درجتان)

٨- إن من نتيجة الفهم الشامل للإسلام أن شملت الفكرة كل نواحي الإصلاح في الأمة. وضحي هذه العبارة في ضوء المشكلات الاجتماعية الراهنة حتى يتضح المعنى المقصود من أن الإسلام هو الحل. (٥درجات).

الأصل الثاني للفهم الصحيح للإسلام

أولاً: النص:

" والقرآن الكريم والسنة المطهرة مرجع كل مسلم في تعرف أحكام الإسلام، ويفهم القرآن الكريم طبقًا لقواعد اللغة العربية من غير تكلف ولا تعسف، ويرجع في فهم السنة المطهرة إلى رجال الحديث الثقات".

ثانيًا: الأهمية :

* يحتاج الناس أفرادا وجماعات إلى شارع يشرع لهم ابتداء، وحاكم يفصل بين الخلافات التي تنشب بينهم، وقد يكون التشريع سببًا للشقاء والضلال، كما أن حكم الحاكم قد يزيد العداوة والخلاف. وقد تكفل لنا النبي ﷺ بالسعادة والهداية لو تمسكنا بهذين المصدرين (الكتاب والسنة).

* ونصوص الكتاب والسنة وردت بلغة العرب فلابد من معرفة القواعد اللغوية الخاصة بتفسير النصوص، وقد اعتنى الأصوليون ببيان هذه القواعد بعد استقرائهم أساليب اللغة العربية واستعمالات الألفاظ في معانيها ودلالات الألفاظ على المعاني، وهذه القواعد تسمى بالقواعد الأصولية.

ثالثًا: المعنى وشرح النص:

١ – توضيح المفاهيم والمصطلحات:

"القرآن": مصدر قرأ، ومعناه: الجمع، وسمي قرآنا لأنه يجمع السور ويضمها.

وأجمع تعريف للقرآن: أنه الكلام المعجز المنزل على محمد ﷺ والمكتوب في المصحف المنقول إلينا عنه نقلا متواترا ، المتعبد بتلاوته.

" السنة ": الطريقة والسيرة . وفي الشرع: ما نقل عن النبي ﷺ قولا أو فعلا أو أقره أو وصف به من خُلُق أو خِلقة.

" الأحكام الشرعية ": أوامر الله ونواهيه المبينة في كتابه أو سنة رسوله ﷺ منطوقا أو مفهوما أو إجماعا أو قياسا.

"التكلف": التعرض لما لا يعني ، وللأمر الشاق والعسير ولما لا يطاق ، وفي الأثر:

"أنا والأتقياء من أمتي بريئون من التكلف"[1] ويقصد به الخوض في معاني القرآن والسنة اعتمادا على الرأي غير المبني على قواعد اللغة.

"التعسف" : السير بغير علم وهداية، والأخذ على الطريق من غير توخٍّ للصواب ولا تدبر ولا روية ولا رجوع عنه، ولذلك سمي التعسف ظلما.

٢ - الكتاب والسنة هما مصدر التشريع ومرجعية كل مسلم:

والأدلة على ذلك متوافرة منها : قوله تعالى: ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾ [النساء: ٥٩]. وقوله: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ يَهۡدِي لِلَّتِي هِيَ أَقۡوَمُ﴾ [الإسراء:٩]. وقوله: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْ﴾ [الحشر:٧]. والآيات في تقرير هذا الأمر كثيرة.

ومن الأحاديث : قول النبي ﷺ لمعاذ ﷺ حين بعثه إلى اليمن : « **كيف تقضي إذا عرض لك قضاء** ؟ قال : أقضي بكتاب الله . قال : **فإن لم تجد في كتاب الله** ؟ قال : فبسنة رسول الله ﷺ. قال : **فإن لم تجد في سنة رسول** ﷺ **ولا كتاب الله** ؟ قال : أجتهد رأيي ولا آلو . فضرب رسول الله ﷺ صدره وقال : **الحمد لله الذي وفق رسول رسول الله لما يرضي رسول الله** » (أبو داود : ٣٠٢).

ولا يكتفى بالقرآن عن السنة كما فعل بعض الجُهّال، بل القرآن أصل والسنة مكملة له ومبينة وتستقل أحيانا بالتشريع، قال تعالى لرسوله ﷺ: ﴿قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡ﴾ [آل عمران:٣١]. فالسنة وحي إلا أنه لا يتعبد به، منها ما أوحاه الله لنبيه ﷺ لفظا ومعنى وهو الحديث القدسي، ومنها ما كان معناه من الله ولفظه من الرسول ﷺ قال تعالى: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلۡهَوَىٰٓ ۝٣ إِنۡ هُوَ إِلَّا وَحۡيٞ يُوحَىٰ ۝٤﴾ [النجم].

٣-المرجع في فهم القرآن والسنة:

اللغة العربية الواضحة المعاني ، القريبة الدلالة هي المرجع في فهم القرآن مع إنكار التكلف والتعسف في الفهم، وذلك لأن القرآن نزل بلسان العرب على الجملة، فطلب فهمه إنما يكون من هذا الطريق خاصة ؛ لأن الله تعالى يقول : ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيّٗا﴾ [يوسف:٢]. ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيّٖ مُّبِينٖ ۝١٩٥﴾ [الشعراء].

---

(١) ذكره الراغب الأصفهاني في مفردات ألفاظ القرآن، وقال: قال العراقي: رواه الدارقطني في الإفراد من حديث الزبير مرفوعا. قال النووي: ليس بثابت.

وقد وضع المفسرون علوما لابد أن يلم بها من يتكلم في القرآن منها النحو والصرف والبلاغة وعلم أصول الدين والفقه... وقد عدها السيوطي (١٣) علما.

ولقد كان من هدي الصحابة الكرام البعد عن التكلف في فهم القرآن ، والنهي عن هذا الأسلوب، فعن أنس: أن رجلًا سأل عمر بن الخطاب ﷺ عن قوله : ﴿ وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا ﴿٣١﴾ ﴾ [عبس]، ما الأب ؟ فقال عمر : نهينا عن التعمق والتكلف.

ويرجع في فهم السنة إلى رجال الحديث الثقات ، فهم أقدر الناس على معرفة صحيحها من سقيمها ، ودلالتها ومعانيها.

ومن الأخطاء الشائعة أن العامة يأخذون أحكام الشريعة من النص مباشرة، فإذا سألت المرأة عن حكم كشف الوجه مثلا بحثت عن آية أو حديث كقوله تعالى: ﴿ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ ﴾ [النور:٣١]. وتفتي لنفسها أو لغيرها بالآية أو الحديث، والصواب أن نبحث عن الأحكام في كتبها الخاصة (الفقه مثلا) لأن الآية أو الحديث قد يعتريهما نسخ أو جمع بين نص آخر... إلخ.

٤ - أمثلة التعسف والتكلف:

* فرض تغطية الوجه على النساء، وإخفاء أن سؤال المرأة الخثعمية رسول الله ﷺ وهي سافرة الوجه كان في حجة الوداع؛ ليوهم أن ذلك نُسِخَ بعد ذلك بالحجاب.

* من أراد أن يُسَوِّغَ المغالاة في المهور، بأن يروي الأثر ويُقَدِّمه على الحديث الصحيح، فيروي مناقشة المرأة عمر بن الخطاب ﷺ عندما أراد أن يقلل المهور، فقالت له: إن الله ﷻ لا يمنع أن يصدق [1] الرجل المرأة بقنطار، وتريد أنت أن تمنع ذلك! فقال عمر ﷺ: كل الناس أفقه منك يا ابن الخطاب! وهكذا يُغَيِّبُ عن الناس هَدْيَ رسول الله ﷺ في كراهية المغالاة في المهر، لَمّا أهمل ذِكْر الحديث عن أبي هريرة ﷺ قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: إني تزوجت امرأة من الأنصار. فقال له النبي ﷺ: هل نظرت إليها فإن في عيون الأنصار شيئا؟ قال: قد نظرت إليها. قال: على كم تزوجتها؟ قال: على أربع أواق[2]. فقال له النبي ﷺ: على أربع أواق؟! كأنما تنحتون الفضة من عرض هذا الجبل!

---

(١) الصداق: المهر.

(٢) الأواق: جمع أوقية، والأوقية أربعون درهمًا من الفضة.

ما عندنا ما نعطيك، ولكن عسى أن نبعثك في بعث تصيب منه»[(١)] . [مسلم:٢٥٥٣].

* ومن التعسف ما ذهب إليه بعض المفسرين – من غير أهل السنة والجماعة – إذ قالوا في معنى آية: ﴿كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا كُلِّهَا﴾ [القمر:٤٢]: كذبوا بِعَلِيٍّ . فهو عندهم الآيات كلها.

* ومنه ما ذهبوا إليه في معنى: ﴿وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ﴾ [المائدة:٥٥]. من أن تحريك عليٍّ كرم الله وجهه لإصبعه وفيها خاتمه لينزعه منها ويعطيه لفقير دخل أثناء ركوعه ﷺ .وكذا ما فسر به البعض قول الحق سبحانه:﴿فَسِيحُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [التوبة:٢]. بأنه تكليف بالخروج هذه المدة من كل عام! مع أن الآية سيقت لبيان عداوة الله ورسوله ﷺ للمشركين ناقضي العهود ، والأمر سبق تهديدا لهم ووعيدا ، بدليل ما جاء بعده: ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِى ٱللَّهِ ۙ وَأَنَّ ٱللَّهَ مُخْزِى ٱلْكَٰفِرِينَ ۝٢﴾ [التوبة].

رابعًا : جوانب تطبيقية مستفادة من النص:

ومن أهمها ما يلي:

* أحرص على الالتزام بما جاء في القرآن والسنة من أحكام.

* لا أتعجل في أخذ الأحكام من النصوص القرآنية والحديثية، ولكن تؤخذ الفتوى والأحكام من علم الفقه.

* أتعلم وأعلم غيري قواعد اللغة العربية.

* مراجعة أعمالنا مع الكتاب والسنة، فإن وافق العملُ الوحيَ أمضيناه وشكرنا ربنا، وإن خالف العملُ الوحيَ تركناه واستغفرنا ربنا، ولنبدأ بالترتيب الطبيعي لأعمال اليوم والليلة، نأخذ عملًا عملًا، فنشكر أو نستغفر.

* القيام بنشر تعبير "حكم الإسلام" كبديل عن تعبير "رأي الدين".

* تذكير فرد أو فردين بضرورة الأخذ من الكتاب والسُّنة معًا، ولنغتنم في ذلك فرصة الوضوء والصلاة، وهما عملان يتكرران كل يوم . والاستفادة في ذلك بكتاب صفة صلاة رسول الله ﷺ.

* نُعَرِّف عددًا محددًا من الناس حقيقة أن النور والتنوير لا يكونان إلا مع الوحي:

---

(١) البعث: الجيش الغازي في سبيل الله. وتصيب: تغنم وتأخذ.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذۡنِهِۦ وَسِرَاجٗا مُّنِيرٗا ﴿٤٦﴾ ﴾ [الأحزاب].

* نتكلم العربية الفصحى الميسرة، ونحاول ذلك مع أولادنا في المنزل؛ لندرك ما وصلنا إليه في الواقع من بُعْدٍ عن وسيلتنا الأساسية لفهم الوحي، ولخفق قلوبنا غيرةً على الدين.

* التنبيه على كثير من الآباء والأمهات الذين أودعوا أولادهم مدارس أجنبية بأنه من الواجب عليهم تعليم أولادهم العربية بجدية، ولو بدروس مخصوصة مبسطة. ودراسة أساسياتها بتدرج.

* مراجعة ما درسناه سابقًا من العربية وإن كان قليلًا، وليعتبر كل أب وكل أم منهج العربية المدرسي لولده منهجًا له، فليذاكره معه، وليراجعه معه، وكذلك يفعل كل أخ أو أخت مع مقرر شقيقه أو شقيقته، والاجتهاد في الزيادة قدر المستطاع .

* اليقظة والحذر من الباطنيين وخدعة التأويل والعلم السري، وكل خوض في النصوص بلا علم، ولنعمل على توعية من وقع في براثنهم بأدب ولطف.

خامسا : التقويم : (الدرجة النهائية ١٥)

أجيبي عن الأسئلة التالية:

١ – ما مفهوم التكلف والتعسف ؟ مع ذكر أمثلة لذلك . (٣درجات)

٢ –اذكري من الأدلة الشرعية ما يؤيد أن القرآن الكريم والسنة المطهرة مرجع كل مسلم في تعرف أحكام الإسلام .(٣درجات)

٣ –ما أثر فهم القرآن الكريم طبقا لقواعد اللغة العربية ؟ (درجتان)

٤ –ما أهم العلوم التي يجب أن يتقنها كل من يتكلم في تفسير القرآن الكريم ؟ (درجة واحدة)

٥ –وضحي أهمية دور الرجال الثقات في فهم السنة المطهرة .(٤درجات)

٦ –ما المقصود بالأحكام الشرعية ؟ (درجتان)

* * *

الأصل الثالث للفهم الصحيح للإسلام

أولاً: النص :

" وللإيمان الصادق والعبادة الصحيحة والمجاهدة نور وحلاوة يقذفها الله في قلب من يشاء من عباده ، ولكن الإلهام والخواطر والكشف والرؤى ليست من أدلة الأحكام الشرعية ، ولا تعتبر إلا بشرط عدم اصطدامها بأحكام الدين ونصوصه ".

ثانيًا: الأهمية :

* من مظاهر بُعد العامة عن مصدري التشريع في الإسلام، والهروب من مسئولية التكاليف الشرعية أن توجهوا إلى الخيال والأوهام يحكموها في الدين، فصاروا لعبة للشيطان يفتح عليهم من ألوان البدع ما لا تحمد عواقبه.

* وقد تصور البعض أن بعض قلوب الأولياء يمكن أن تكون معصومة كقلوب الأنبياء، واعتبروا الإلهام والخواطر والكشف والرؤى أصولا للتشريع تثبت بها أحكام الإسلام، حتى إن بعضهم قال: حدثني قلبي عن ربي. ويقول: صح عندنا كشفا ولم يصح عندنا سندا .

وهذا وذاك فتح على المسلمين أبواب الشك والتخبط والتباس الحق بالباطل، فوجود الإلهام والخواطر والكشف والرؤى صحيح لكنه يختلف عن مصادر التشريع وليست دليلا مستقلا من أدلة الأحكام، ولا تهمل دلالتها كلية فإنما هي للاستئناس وزيادة التثبت إذا لم تصطدم بأحكام الدين ونصوصه.

ثالثًا: المعنى وشرح النص:

١ – توضيح المفاهيم والمصطلحات:

الإلهام: إلقاء الله في النفس أثرًا يبعثه على الفعل أو الترك، وهو نوع من الوحي يخص الله به من يشاء من عباده، قال تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ﴾ [القصص:٧].

ومن الإلهام الفراسة، ففي حديث أبي سعيد رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «**اتقوا فراسة المؤمن، فإنه ينظر بنور الله** عز وجل» ثم قرأ: ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ ﴿٧٥﴾﴾ [الحجر]. (الترمذي:٣١٢٧) . و(الإلهام) هداية من الله عز وجل يمنحها للذين يجاهدون على منهجه ، قال عز وجل: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ [العنكبوت:٦٩]. وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أن

النبي ﷺ قال: « إِنَّهُ قَدْ كَانَ فِيمَا مَضَى قَبْلَكُمْ مِنَ الأُمَمِ مُحَدَّثُونَ وَإِنَّهُ إِنْ كَانَ فِي أُمَّتِي هَذِهِ مِنْهُمْ فَإِنَّهُ عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ» [البخاري: ٣٢١٠] . وعلامة الإلهام يعرفها الإنسان من نفسه حين يجد في القلب برودة واطمئنانًا، وكلما زاد الإنسان من الذِّكر زاد المعنى الملهَم به تمكنًا.

الخواطر: جمع خاطر، وهو ما يخطر في القلب من تدبير أو أمر، فإن كان خيرا وصلاحا فهو من نور الإيمان وأثره، ومن توفيق الله ﷻ . ويسمي العلماء لمة الملك في القلب خاطرا، وهي المشار إليها في الحديث: «إن للشيطان لمة بابن آدم وللملك لمة، فأما لمة الشيطان فإيعاد بالشر وتكذيب بالحق، وأما لمة الملك فإيعاد بالخير وتصديق بالحق، فمن وجد ذلك فليعلم أنه من الله، فليحمد الله، ومن وجد الأخرى فليتعوذ بالله من الشيطان الرجيم، ثم قرأ: ﴿ ٱلشَّيۡطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلۡفَقۡرَ وَيَأۡمُرُكُم بِٱلۡفَحۡشَآءِۖ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغۡفِرَةٗ مِّنۡهُ وَفَضۡلٗاۗ ﴾ [البقرة:٢٦٨]» [الترمذي: ٢٩١٤].

النفس التي ترد عليها أفكار، هذه الأفكار نسميها (خواطر)، بعض هذه الخواطر إلهام ونور من الله ﷻ، وبعض هذه الخواطر فيها كدر من حديث النفس لنفسها، وهو ما يسمى إيحاء النفس، وبعض هذه الخواطر فيها كدر من إيحاء الشيطان.

أما (إيحاء النفس) فمنه الهواجس، والهاجس يُعرف بعلامته، وهي كثرة إلحاحه وشدته، ومن إيحاء النفس أمرها صاحبها بالسوء، قال الله ﷻ: ﴿وَمَآ أُبَرِّئُ نَفۡسِيٓۚ إِنَّ ٱلنَّفۡسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓۚ إِنَّ رَبِّي غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٥٣﴾ [يوسف]، ومن إيحاء النفس لومها صاحبها، قال تعالى: ﴿وَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلنَّفۡسِ ٱللَّوَّامَةِ ٢﴾ [القيامة]. أما **إيحاء الشيطان فهو (الوسوسة)**، والشياطين توحي للبشر، قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوّٗا شَيَٰطِينَ ٱلۡإِنسِ وَٱلۡجِنِّ يُوحِي بَعۡضُهُمۡ إِلَىٰ بَعۡضٖ زُخۡرُفَ ٱلۡقَوۡلِ غُرُورٗاۚ﴾ [الأنعام: ١١٢] ، ويقول ﷻ: ﴿وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوۡلِيَآئِهِمۡ لِيُجَٰدِلُوكُمۡۖ﴾ [الأنعام:١٢١]. وتُعرَف وسوسة الشيطان وإيحاءاته بما يحدث للقلب معها من ضيق، وبما يصاحبها في النفس من تسرع، ويتأكد أنها من الشيطان بزوالها عندما يُكثِرُ الإنسان من الذِكر.

٣-الكشف: الاطلاع على ما كُتِبَ في اللوح المحفوظ، وقد يكشف الله ﷻ لبعض البشر شيئًا منه، ومثال ذلك ما حدث مع السيدة مريم ابنة عمران، قال الله ﷻ: ﴿ قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمٗا زَكِيّٗا ١٩﴾ [مريم].

٤- الرؤى : جمع رؤيا (المنامية) قال النبي ﷺ: «الرؤيا ثلاثة : فرؤيا صالحة بشرى من الله ، ورؤيا تحزين الشيطان ، ورؤيا مما يحدث المرء نفسه». كما ثبت عن النبي ﷺ أنه قال: «الرؤيا الصالحة جزء من ستة وأربعين جزءا من النبوة» (البخاري: ٦٥٨٨).

ورؤيا الأنبياء وحي، والرؤى في حق غير الأنبياء يمكن أن تكون نفسية أو شيطانية أو ربانية، فهي مختلطة، وحتى الرؤيا الربانية تأتي في كثير من الأحيان بشكل رموز، وقد يخطئ المعبر عنها، ومن ثم فإجماع المسلمين متفق على أن الرؤيا في حق غير الأنبياء لا يجوز أن تكون مصدر تشريع .

ب-آثار الإيمان والعبادة:

إن للإيمان الصادق النقي والعبادة الصحيحة الخالية من البدع والمجاهدة المستقيمة البعيدة عن الغلو آثار طيبة على صاحبها ، قد دل عليها كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ وسيرة السلف الصالح ، ومن هذه الآثار: أن الله تبارك وتعالى يمن على صاحبها بنور يكشف به ما لا يكشفه غيره، ويميز به بين المتشابهات والمتداخلات. وأن الله تبارك وتعالى يذيق صاحبها من حلاوة الإيمان ما شاء الله له فيشعر بسعادة ولذة عظيمة.

ولكل ذلك أدلته الصحيحة التي تؤكده، كقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّكُمۡ فُرۡقَانٗا ﴾ [الأنفال:٢٩]، وقوله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَءَامِنُواْ بِرَسُولِهِۦ يُؤۡتِكُمۡ كِفۡلَيۡنِ مِن رَّحۡمَتِهِۦ وَيَجۡعَل لَّكُمۡ نُورٗا تَمۡشُونَ بِهِۦ ﴾ [الحديد:٢٨]. وكذلك قوله ﷺ: «**ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا الله، وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يقذف في النار**» (البخاري:١٦).

والإيمان الصادق يتحقق بالاعتقاد السليم المطابق لما أتى به النبي ﷺ، وتزيده العبادات السليمة والطاعات المسنونة المقيدة بالإخلاص والاتباع.

ج-حكم الإلهام والرؤى والكشف:

مع إقرار العلماء بوجود الكشف والرؤى قرروا ضرورة عرض كل ما يجدونه من ذلك على الكتاب والسنة لأنهما قطعيان، وتلك الأمور ظنية غير معصوم أهلها.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: "إن كثيرًا ممن يظن به أنه حصل له هذا الكشف يكون ظانًّا في ذلك ظنًّا لا يغني من الحق شيئًا، وأهل المكاشفات والمخاطبات يصيبون تارة ، ويخطئون أخرى ، ولهذا وجب عليهم أن يعتصموا بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ ، وأن

يزنوا مواجيدهم ومشاهداتهم وآراءهم ومعقولاتهم بكتاب الله وسنة رسوله ولا يكتفوا بمجرد ذلك ، وهناك من يدَّعي لنفسه الكشف كذبًا، ثم يُصدِّق المدعي نفسه، ثم يسترسل بعد ذلك ويصدر أحكامًا من وحي الخاطر، ويُرجعها وهو يدري- أو لا يدري- إلى ما يسميه بالكشف.

وتبقى هذه الأمور - إن صحت- مجرد نور يستأنس به صاحبها، وذلك إن لم تخالف الكتاب والسنة عندما تُعرض عليهما، أو تبقى منحة يقذفها الله في قلب من يشاء من عباده الصالحين، وفي الحديث القدسي: " **وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَإِنْ سَأَلَنِي لأُعْطِيَنَّهُ، وَلَئِنِ اسْتَعَاذَنِي لأُعِيذَنَّهُ**" (البخاري: ٦٠٢١).

رابعًا: جوانب تطبيقية مستفادة من النص:

* التطبيق العملي لمقتضى النص يحفظ مصادر الأحكام الشرعية صافية نقية، ويغلق الباب أمام الدجالين ، ودعوة الناس إلى ما ذكرنا ينقذهم من براثن الأوهام والخرافات.

* ننشر فيمن حولنا أن الكشف والرؤى والخواطر ليست من أدلة الأحكام الشرعية.

* تحذير الناس من القنوات الفضائية ومواقع النت والمطبوعات التي تفسر الأحلام.

خامسًا: التقويم : (الدرجة النهائية ٣٠)

١ - ما المقصود بـكل من: الإلهام، الخواطر، الكشف، الرؤى؟ مع التمثيل. (٦ درجات)

٢- وضحي الحكم الشرعي للإلهام والخواطر والكشف والرؤى . (٨درجات)

٣- ما آثار الإيمان الصادق والعبادة الصحيحة في حياة المسلم ؟ (٤ درجات)

٤- صنف الرسول ﷺ الرؤيا ثلاثةأصناف فما هي؟ (٣درجات)

٥- كيف تحصن المؤمنة نفسها من خواطر الشيطان؟ (درجتان)

٦- ما الدليل على أن الإلهام موهبة عقلية اختص الله بها المؤمن؟ (درجتان)

٧- هل يمكن اتخاذ القرارات والسلوك طبقا للأحلام ؟ ولماذا ؟ (٥درجات)

* * *

الأصل الرابع للفهم الصحيح للإسلام

أولاً: النص:

"والتمائم والرقى والودع والرمل والكهانة وادعاء معرفة الغيب، وكل ما كان من هذا الباب منكر تجب محاربته. إلا ما كان آية من قرآن أو رقية مأثورة".

ثانيًا: الأهمية:

* هذا الأصل امتداد للأصل السابق وتحديده ما لا يصح أن يكون دليلا للأحكام.

* برغم التقدم العلمي والمدني للعصور إلا أنه لا يزال أصناف من الناس يستغلون تطلع العامة لمعرفة الغيب والمستقبل، ولا يزال ينساق إلى هؤلاء الكثيرون.

وما ذكره البنا هنا إنما هو ما كان شائعا في عصره، ونحن نعمم القاعدة على كل ما يشاركها من وسائل ومستحدثات.

ثالثًا: المعنى وشرح النص:

١ – توضيح المفاهيم والمصطلحات:

التمائم: جمع تميمة، وهي خرزات كانت العرب تعلقها على أولادهم، ويرون أنها تدفع عنهم الآفات ويتقون بها العين ويجلبون بها المنافع.

الرقى: جمع رقية، وهي التعويذة التي يرقى بها صاحب الآفة كالحمى والصرع، وغير ذلك من الآفات.

الودع: شيء يخرج من البحر يشبه الصدف، والمراد استعماله لاتقاء الحسد.

الكهانة: الإخبارعن المغيبات في المستقبل، وقيل: الإخبار عما في الضمير.

الرمل: هو البحث عن المجهولات بخطوط تخط على الرمل. وهو من الخرافات.

وكذلك كل ما كان من هذا الباب كقراءة الكف والفنجان وأوراق اللعب (الكوتشينة) بعد أن يوشوشها وما يسمى بالمندل.. إلخ . وكل ما فيه ادعاء لمعرفة الغيب.

وكل تلك الأحجبة والتمائم منكرات، ومن أراد وقاية وعلاجًا فعليه بالقرآن، ففي المعوذتين غنى ووقاية، وفي سورة البقرة كفاية، فعن أَبِي أُمَامَةَ الْبَاهِلِيِّ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ

الله ﷺ يَقُولُ: «اقْرَءُوا سُورَةَ الْبَقَرَةِ، فَإِنَّ أَخْذَهَا بَرَكَةٌ، وَتَرْكَهَا حَسْرَةٌ، وَلا تَسْتَطِيعُهَا الْبَطَلَةُ» (مسلم: ١٣٣٧). والْبَطَلَة هم السَّحَرَةُ.

ولقد زاد المعاصرون ألوانًا من ذلك، فمنهم من ينصح بتعليق حدوة على باب البيت، ومنهم من يأمر بارتداء العين الفرعونية، بل صنعها الصاغة ذهبًا وجعلوها من الهدايا التي تُهدَى للمولود، وانتشرت الخرزة الزرقاء التي يروجها هؤلاء العرافون والكهان، وتابعهم الناس على اختلاف عقولهم ومعارفهم، ظنًّا منهم أنهم بذلك يتقون شر السحر والحسد.

ب-حكم هذه الأمور وشروط صحة الرقى والتمائم:

* هذه الأمور من السحر فعن ابنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: "مَا اقْتَبَسَ رَجُلٌ عِلْمًا مِنَ النُّجُومِ إِلا اقْتَبَسَ بِهَا شُعْبَةً مِنَ السِّحْرِ، مَا زَادَ زَادَ" (مسند أحمد: ١٨٩٦). والسحر من الموبقات، وهي الذنوب المهلكة، وقد خصَّها رسول الله ﷺ بالتأكيد على اجتنابها، فقَالَ: «اجْتَنِبُوا السَّبْعَ المُوبِقَاتِ" وذكر منها السحر. (البخاري:٢٥٦٠).

* الأصل في التمائم الحظر، ففي الحديث: «**من علق تميمة فقد أشرك**» (مسند أحمد:١٥٦). «**إن الرقى والتمائم والتّولة شرك**»(ابن ماجه:١١٦٦). **التّولة** بكسر التاء المشددة: شيء يصنع بزعم أنه يحبب المرأة إلى زوجها والرجل إلى امرأته. قال رسول الله ﷺ: «**من تعلق تميمة فلا أتم الله له، ومن تعلق ودعة فلا ودع الله له**» (أحمد :١٥٤). والمراد هنا ما كان بألفاظ وعبارات شرك، أما إذا كانت التمائم آيات قرآنية وأدعية مأثورة ففيها خلاف بين العلماء .

* قال السيوطي: قد أجمع العلماء على جواز الرقى عند اجتماع ثلاثة شروط: **أن يكون بكلام الله أو بأسمائه وصفاته ، وباللسان العربي وما يعرف معناه ، وأن يعتقد أن الرقية لا تؤثر بذاتها وإنما بتقدير الله.**

ج-أسباب تحريم هذه الأمور :

لا يعلم الغيب إلا الله : قال تعالى : ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ ۚ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٦٥﴾﴾ [النمل] . وقال تعالى: ﴿وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ ۚ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١٨٨﴾﴾ [الأعراف].

والضار النافع هو الله وحده ، فمن اعتقد في شيء أنه يضر أو ينفع غير الله فقد اختلت

عقيدته. قال تعالى: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ﴾ [يونس:١٠٧]، وقال تعالى منكرا على الكافرين: ﴿وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً لَّا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَوٰةً وَلَا نُشُورًا ﴿٣﴾﴾ [الفرقان].

* وكما ذكرنا أن هذه الأمور قرينة السحر، وأصله استعانة إنسان بالجن في محاولة للتأثير على إنسان آخر، والساحر في ذلك يتصل بالجن، كما قال الله ﷻ: ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ﴿٦﴾﴾ [الجن]، وهو يستفيد من طبيعة الجن التي ميزها الله ﷻ عن طبيعة غيرهم من المخلوقات ببعض القدرات، منها استراق السمع لمعرفة بعض الأخبار والأحوال قال تعالى: ﴿وَأَنَّا لَمَسْنَا ٱلسَّمَآءَ فَوَجَدْنَٰهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا ﴿٨﴾ وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَٰعِدَ لِلسَّمْعِ ۖ فَمَن يَسْتَمِعِ ٱلْـَٔانَ يَجِدْ لَهُۥ شِهَابًا رَّصَدًا ﴿٩﴾﴾ [الجن].

* وبرغم ذلك فالجن لا يعلمون الغيب، بل والواقع أحيانا، فقد كان موت سليمان عليه السلام حقيقة واقعة، لكن الجن لم يعرفوا بموته إلا بعد أن سقط على الأرض عندما تآكلت عصاته التي كان يستند عليها حين مات، قال ﷻ: ﴿فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِۦٓ إِلَّا دَآبَّةُ ٱلْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُۥ ۖ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ ٱلْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ٱلْغَيْبَ مَا لَبِثُواْ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ ﴿١٤﴾﴾ [سبأ].

* والساحر يتلقف الخبر الذي استمع الجن إليه ثم يضيف إليه من الكذب الكثير ليحقق أغراضه، ولربما أضاف الجني من عند نفسه ما أراد أن يضيف من الكذب، فعَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها أَنَّهَا سَمِعَتْ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: "**إِنَّ الملائِكَةَ تَنْزِلُ فِي الْعَنَانِ - وَهُوَ السَّحَابُ - فَتَذْكُرُ الأَمْرَ قُضِيَ فِي السَّماءِ، فَتَسْتَرِقُ الشَّيَاطِينُ السَّمْعَ فَتَسْمَعُهُ، فَتُوحِيهِ إِلَى الْكُهَّانِ، فَيَكْذِبُونَ مَعَهَا مِائَةَ كَذْبَةٍ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ**" (البخاري: ٢٩٧١). وينخدع الناس بالجزئية المسموعة من الحق إذا رأوها تحققت، وتنطلي عليهم الأجزاء الكاذبة، فعَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ: سَأَلَ رَسُولَ الله ﷺ نَاسٌ عَنِ الْكُهَّانِ، فَقَالَ: «**لَيْسَ بِشَيْءٍ**» فَقَالُوا: يَا رَسُولَ الله، إِنَّهُمْ يُحَدِّثُونَا أَحْيَانًا بِشَيْءٍ فَيَكُونُ حَقًّا! فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: "**تِلْكَ الْكَلِمَةُ مِنَ الحَقِّ يَخْطَفُهَا مِنَ الجِنِّيِّ فَيَقُرُّهَا فِي أُذُنِ وَلِيِّهِ، فَيَخْلِطُونَ مَعَهَا مِائَةَ كَذْبَةٍ**" (البخاري: ٥٣٢٠).

رابعًا: جوانب تطبيقية مستفادة من النص:

* مقاطعة الشعوذة والمشعوذين، فهو من مظاهر سلامة العقيدة، ومنها اعتزال السحرة والعرافين، ويدخل في ذلك الامتناع عن ارتداء العين والخرزة، والخيط الجالب للحظ -في زعمهم- وتعليق الحدوة والأحجبة، ومثله محاولات استطلاع الغيب من قراءة الرمل والودع والفنجان وورق اللعب وغير ذلك.

* تصحيح عقيدة من حولنا بالحكمة والموعظة الحسنة، واختصاص فرد أو أكثر- كل على انفراد - بتوضيح حقيقة أن السحر من الموبقات، والتذكرة بأن تلك الصور المستحدثة التي ذكرناها هي من السحر، ولها نفس أثره على سلامة العقيدة.

خامسًا: التقويم: (الدرجة النهائية ١٥)

١- ما المقصود بالتمائم والكهانة؟ (٤ درجات)

٢- ما العلاقة بين السحر والمعرفة، وما أسباب تحريمها؟ (٤ درجات)

٣-اذكري ثلاثة شروط على أساسها تجوز الرقى. (٣درجات)

٤- ما دليل فضل سورة البقرة في منع السحر؟ (٤ درجات)

* * *

الأصل الخامس للفهم الصحيح للإسلام

أولاً: النص:

" ورأي الإمام ونائبه فيما لا نص فيه وفيما يحتمل وجوها عدة وفي المصالح المرسلة معمول به ما لم يصطدم بقاعدة شرعية، وقد يتغير بحسب الظروف والعرف والعادات، والأصل في العبادات التعبد دون الالتفات إلى المعاني، وفي العاديات الالتفات إلى الأسرار والحكم والمقاصد" .

ثانيًا: الأهمية:

* يبين هذا النص المجالات التي ينفذ فيها حكم الإمام (الحاكم الأعلى للبلاد) ونائبه، وهي المتغيرات التي تحتاج إلى تجدد في الحكم بتجدد الزمن والمكان، والتي ينتج عن عدم مراعاتها تعطيل مصالح وتضييع حقوق وفتح أبواب شرور وفساد.

* ورأي العالم عند فقد الدليل المعتبر شرعا ليس ملزما للغير وإنما هو رخصة له فقط، أما رأي الإمام ونائبه فيما لا نص فيه أو ترجيحه لأحد الآراء عند الاختلاف فهو ملزم يوجب العمل به لعموم الأمر بطاعته والتحذير من مخالفته، ولأن الإجماع والائتلاف وقطع النزاع لا يتحقق إلا بذلك .

* وأهمية العمل برأي الإمام ونائبه تتجلى في رفع النزاع ، وحسم الأمور ، والحفاظ على الجماعة من التفرق والجهود من التشتت.

ثالثًا: المعنى وشرح النص:

١ - التعريف والمفهوم:

الإمام : الخليفة وما يقوم مقامه من كل قيادة عليا شرعية اختارها المسلمون .

النائب : من أقامه الإمام مقامه لتدبير أمر أو أكثر من أمور المسلمين في أي مجال من مجالات حياتهم ، كأمراء الولايات وقادة الجند والقضاة والوزارة ... إلخ .

٢-دوائر العمل برأي الإمام:

المجالات التي يعمل برأيه الاجتهادي فيها هي: ما لا نص فيه، ما يحتمل وجوها عدة، المصالح المرسلة.

أ – ما لا نص فيه :

فقد بحث العلماء النصوص الشرعية وقسموها من حيث ما تدل عليه من أحكام إلى ظاهر الدلالة وخفي الدلالة، ومن النصوص ما هو محكم لا يحتمل إلا حكم واحد ولا يعارضه شيء، ومنها المتشابه الذي يتعارض مع غيره من النصوص.

وقولنا: ما لا نص فيه. الذي يحتمل تأويلا أو يحتمل وجوها عدة معمول بها.

ب- ما يحتمل وجوها عدة :

وهي الأمور التي وردت فيها أدلة، هذه الأدلة تضع أمام الحاكم عدة وجوه في المسألة، فللحاكم أن يتخير أحد هذه الوجوه حسب ما يراه من المصلحة .

مثال : " معاملة الأسرى في حرب مشروعة " : فقد وضع الإسلام أمام الحاكم عدة أحكام؛ إما المنّ، أو القتل، أو الفداء (تبادل الأسرى وهو القانون الدولي)، أو الاسترقاق. وله أن يتخير أيها شاء بناء على ما يراه الأنفع والأصلح.

مثال آخر:**"حد المحاربين وقطاع الطريق"**. فقد وضع الإسلام أمام الحاكم عدة أحكام في هذه المسألة وخيره بينها ، فله أن يختار الأنفع والأصلح. قال تعالى: ﴿إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسۡعَوۡنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوۡ يُصَلَّبُوٓاْ أَوۡ تُقَطَّعَ أَيۡدِيهِمۡ وَأَرۡجُلُهُم مِّنۡ خِلَٰفٍ أَوۡ يُنفَوۡاْ مِنَ ٱلۡأَرۡضِ﴾ [المائدة: ٣٣]. فقد قرر القرآن الكريم أربع عقوبات ، وللحاكم أن يختار إحداها ، وهي: القتل ، الصلب ، تقطيع الأيدي والأرجل من خلاف ، النفي. والتخيير هو قول بعض العلماء، وهناك آخرون يقولون: إن " أو " للتنويع [(١)].

ج – المصالح المرسلة:

المصلحة: هي جلب المنفعة ودفع المفسدة .

أنواعها: تنقسم المصلحة إلى ثلاثة أنواع : معتبرة، وملغاة، ومرسلة.

١-المصالح المعتبرة :

هي التي شهد لها الشارع بالاعتبار بأن شرع لها الأحكام الموصلة إليها ، مثل : حفظ الدين والنفس والعقل والعرض والمال؛ فقد شرع الشارع الجهاد لحفظ الدين ، والقصاص لحفظ النفس، وحد شرب الخمر لحفظ العقل ، وحد الزنى والقذف لحفظ

---

(١) انظر: فقه السنة (٢/ ٤٧٢ – ٤٧٩) .

العرض، وحد السرقة لحفظ المال .

٢-المصالح الملغاة :

هي التي أهدرها الشارع بما شرعه من أحكام تدل على عدم اعتبارها ، مثل مصلحة من يزيد ماله ويستثمره عن طريق الربا.

٣-المصالح المرسلة :

وهي التي لم ينص الشارع على اعتبارها ولا إلغائها، فهي مصلحة لأنها تجلب نفعا وتدفع ضررا ، وهي مرسلة لأنها مطلقة عن اعتبار الشارع أو إلغائه. فهي إذن تكون في الوقائع المسكوت عنها، وليس لها نظير منصوص على حكمه حتى نقيسها عليه .

مثال: جمع القرآن في مصحف واحد ، جمع المسلمين على مصحف واحد، التأريخ بالهجرة، إنشاء الدواوين.

ويشترط للعمل بالمصلحة المرسلة الآتي:

(أ) أن تكون المصلحة حقيقية لا وهمية .

(ب) أن تكون مصلحة عامة لا شخصية.

(ج) ألا تعارض حكما ثابتا بالنص أو الإجماع .

يقول ابن تيمية في ذلك: " اعتبار مقادير المصالح والمفاسد هو بميزان الشرع" [(١)].

- الفرق بين الدوائر الثلاث :

دائرة ما لا نص فيه : يوجد فيها الدليل الشرعي من قرآن أو سنة، ولكن الغائب هو تحديد الدلالة والقطع بها.

أما دائرة احتمال الوجوه العدة : فهي أيضا يوجد فيها الدليل الشرعي من قرآن أو سنة، والدلالة فيه واضحة محددة الوجوه، وعلى الإمام أن يختار وجها من هذه الوجوه .

أما دائرة المصالح المرسلة: فلا يوجد فيها دليل أصلا لا بالتأييد ولا بالنفي بل مسكوت عنها.

---

(١) الفتاوى: ٢٨/ ١٢٩.

٤- العمل برأي الإمام مشروط بعدم الاصطدام بقاعدة شرعية :

إن رأي الإمام ونائبه يعمل به في المجالات السابق ذكرها بشرط عدم الاصطدام بقاعدة شرعية ، وإلا يهدر ويلغى ويقدم الثابت من كتاب الله وسنة رسوله. ويدخل في هذا الباب أمثلة المصالح الملغاة .

٥- تغير الرأي بحسب الظروف والعرف والعادات :

للإمام ونائبه أن يغير رأيه في دائرة ما سبق ذكره بحسب تغير الظروف والعرف والعادات ، وهذا التغير يكون من إمام إلى إمام ، مثل: منع عمر بيع أمهات الأولاد ، وقد كان هذا البيع ماضيا في عهد الرسول ﷺ وأبي بكر. ومثل: تسوية أبي بكر للسابقين إلى الإسلام واللاحقين في العطاء، فلما تولى عمر فضل السابقين على اللاحقين .

وقد يكون التغيير من الإمام نفسه في مسألة واحدة ، وقد تحدث الإمام ابن القيم عن هذه المسألة بالتفصيل وضرب كثيرًا من الأمثلة عليها تحت عنوان : فصل في تغير الفتوى واختلافها بحسب تغير الأزمنة والأمكنة والأحوال والنيات والعوائد .

والإمام في انتقاله من رأي لآخر يكون مراعيًا الأنفع والأصلح، ومنطلقًا مما جدَّ له من اطلاع على أدلة كانت غائبة عنه ومعرفة جديدة بأحوال الناس والواقع حوله .

٦- ما يلزم فيه برأي الأمام وما لا يلزم والإنكار على الإمام:

هناك أمور يلزم فيها برأي الإمام وأمورا أخرى لا يلزم فيها ، فمن الأمور التي لا يلزم فيها برأي الإمام (الأمور العامة الكلية التي أمر الله جميع الخلق أن يؤمنوا بها ويعملوا بها، مثل التنازع في قوله: ﴿أَوْ لَٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ﴾ هل المراد به الجماع ؟ أو المراد به اللمس بجميع البشرة ؟ وكذلك تنازع المسلمين في الوضوء من خروج الدم بالفصد والحجامة ومن مس الذكر، والقهقهة)[١] .

أما الأمور التي يلزم فيها برأي الإمام فهي التي تحتاج إلى حسم لينفذ الآراء فيها: كأحكام القضاء والأمور التي تختص به، وأمور الحرب وما يتعلق بها، والأمور التي يترتب عليها مصالح عملية في حياة الناس .

وفي الأمور التي يعمل فيها برأي الإمام يلزم الإذعان لرأيه وإن كان يخالف رأي

---

(١) الفتاوى : ٣٥/ ٣٥٧ – ٣٦٠ .

الغير، وليس لهذا الغير أن يقول للإمام : أنا لا أرضى بحكمك حتى تحكم القول الآخر الذي أختاره [١].

٧- الأصل في العبادات والعاديات ورأي الإمام فيهما :

الأصل في العبادات التي شرعها الله وحدد صورها وأوقاتها وشروطها وزمنها ومكانها .. الأصل في ذلك التعبد، أي: الانقياد لأوامر الله معظمين إياه ، واقفين عند ما حدده الشارع ، غير ملتفتين إلى البحث عن حكم ذلك وأسراره وعلله، وإن كنا نؤمن أن ذلك ما شرع إلا لحكمة يعلمها الله، وقد يوضح لنا بعضها وهو قليل [٢].

مثال: الطهارة؛ فإنها لا تكون إلا بماء طهور وإن أمكنك النظافة بغيره. وكذلك التيمم فإنه يقوم مقام الطهارة مع وجود الماء الطاهر غير المطهر. والذكر المخصوص – كالدعاء– فإنه مطلوب في هيئة ما – كالسجود – وغير مطلوب في هيئة أخرى – كالركوع . والنوافل فإنها مطلوبة في وقت دون وقت.

وهكذا فإن هذا النص يحول بين اجتهاد الإمام أو أي شخص كان أن يتطرق إلى دائرة العبادات بحجة المصلحة أو التوسعة على الناس، كأن يجتهد امرؤ مثلا في نقل صلاة الجمعة من يوم الجمعة إلى يوم آخر لأن الناس مشغولون يوم الجمعة ومتفرغون في ذلك اليوم .

والأصل في العاديات الالتفات إلى الأسرار والحكم والمقاصد " فإنا وجدنا الشارع قاصدًا لمصالح العباد، والأحكام العادية معه حيثما دار. فترى الشيء الواحد يمنع في حال لا تكون فيه مصلحة، فإن كان فيه مصلحة جاز: كالدرهم بالدرهم إلى أجل يمتنع في المبايعة ويجوز في القرض" [٣]. وهكذا، فإن اجتهاد الإمام ونائبه يعمل به في هذه الدائرة.

رابعًا : جوانب تطبيقية مستفادة من النص :

* توعية الناس – بكل الوسائل المتاحة– بالقوانين المخالفة للشريعة والتي يراد تطبيقها في البلاد الإسلامية خاصة فيما يتعلق بالمرأة والأسرة والطفل. ويمكن الاستفادة في هذا المجال بكتابي (ميثاق الأسرة في الإسلام ، وسلسلة نحو إصلاح الأسرة)

---

(١) الفتاوى : ٣٥/ ٣٦٠ .

(٢) الموافقات : ٢/ ٣٠٠-٣٤٠.

(٣) انظر الموافقات: ٢/ ٣٠٥-٣٠٧.

الصادرين عن اللجنة الإسلامية العالمية للمرأة والطفل، دار الطباعة والنشر الإسلامية).

خامسًا: التقويم: (الدرجة النهائية ٢٠)

١- ما المقصود بالإمام؟ (درجتان)

٢- حددي الدوائر والمجالات التي يعمل فيها برأي الإمام ونائبه .(٤درجات)

٣- ماذا تعني عبارة "المصالح المرسلة" مع ضرب مثال؟ (٤درجات)

٤- اذكري العوامل المؤثرة في تغيير رأي الإمام .(٤درجات)

٥- متى يكون رأي الإمام غير ملزم؟ (درجتان)

٦- وضحي الأصل في دور الإمام بالنسبة للعبادات والعاديات . (٤درجات)

* * *

الأصل السادس للفهم الصحيح للإسلام

أولاً: النص:

" وكل أحد يؤخذ من كلامه ويترك إلا المعصوم ﷺ ، وكل ما جاء عن السلف رضوان الله تعالى عليهم موافقا للكتاب والسنة قبلناه، وإلا فكتاب الله وسنة رسوله أولى بالاتباع ، ولكننا لا نعرض للأشخاص- فيما اختلف فيه - بطعن أو تجريح ونكلهم إلى نياتهم ، وقد أفضوا إلى ما قدموا" .

ثانيًا: الأهمية:

* الرجوع الدائم إلى الكتاب والسنة يفتح عقل المسلم ويبعده عن التعصب المؤدي إلى الاختلاف المرفوض شرعا.

* فإذا لم يقاوم المرء طبعه في الميل والتعصب لمذهب أو شخص فعليه أن يقبل الآخرين، ولا ينال أشخاصهم ولا هيئاتهم بتجريح.

* واتباع هذا المنهج يفرغ الأمة وعلماؤها ومصلحوها إلى حراسة الأصول وسد الثغور وحماية الدين ونشره ، وإلا انقسمنا وانشغلنا بالفروع وسلكنا طريق الأمم السابقة الهالكين ﴿ وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱتَّقُونِ ﴿٥٢﴾ فَتَقَطَّعُوٓاْ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ زُبُرًا كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٥٣﴾ ﴾ [المؤمنون].

ثالثًا: المعنى وشرح النص:

١- كلام المعصوم وعمل الناس به:

- العصمة: حفظ الله لخلقه ظاهرا وباطنا من التلبس بمعصية، والعصمة بهذا المعنى ليست إلا للأنبياء، ونعني بالمعصوم هنا محمد ﷺ.

إن البشر يخطئون ويصيبون بطبيعتهم ، فقد يوافق قولهم الحق وقد يجانبه، وشهد ربنا ﷻ لنبيه محمد ﷺ أنه لا ينطق عن الهوى (١)، قال ﷻ: ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾ ﴾ [النجم] ، فما طلب فعله فعلناه، وما طلب تركه تركناه، قال ﷻ: ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُواْ ﴾ [الحشر:٧]؛ لذلك فإن ما اتفق علماء السنة على

---

(١) د. عبد المنعم تعيلب، البيعة، الطبعة الثالثة ص ٣٧، بتصرف يسير.

نسبته إلى رسول الله ﷺ يُؤخذ به إلزامًا والتزامًا، ولا يترك منه شيء تفريطًا أو إهمالًا.

٢- السلف والسلفية:

*** السلف:**

المراد بالسلف: أهل قرون الخيرية الثلاثة، الذين نص عليهم الرسول - ﷺ - بقوله: "خير القرون قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم...". وهم بحسب ترتيب الخيرية: ١- الصحابة. ٢- التابعون. ٣- تابعوا التابعين. وينتهي زمانهم عند الخليفة المأمون تقريبًا.

*** السلفية:**

مصطلح يدل على النزعة العاطفية والمنهجية المرتبطة بالسلف، ويتمثل هذا المنهج في العقيدة الصافية المأخوذة من الكتاب والسنة الصحيحة البعيدة عن تكلف علماء الكلام، وتتمثل في العبادة الصحيحة المتسمة بالشمول النابعة من سلامة الاعتقاد والمحدودة بصحة الاتباع، كما يتمثل منهج السلفية في عمق تكوين وتنفيذ حركتها لنشر الإسلام وحمايته، ودعوتنا سلفية بهذا المعنى.

وتتحقق السلفية بالاقتداء الكامل بالسلف في العلم والعمل، إلا أننا نرفض حصر السلفية في بعض معانيها دون الأخرى مثل:

- حصرها في مدرسة النصوص دون الرأي.
- حصرها في منهج العقيدة والعلم دون العمل.
- حصرها في عالم أو علماء معينين دون غيرهم.
- حصرها على مذاهب الحديث على حساب المدارس الفقهية.

وكل واحد من المسلمين له حظه من السلفية بقدر حظه من الاقتضاء بهدي رسول الله ﷺ والسلف.

- الموقف مما جاء عن السلف:

ما جاء عن السلف رضي الله عنهم من الصحابة والتابعين وتابعيهم بإحسان من أقوال وأفعال وأحكام .. يعرض على كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ، لأنهما المصدران المعصومان للأحكام، ولا يقدم عليهما شيء، فإن اتفقت تلك الأقوال والأحكام مع ما يدل عليه

كتاب الله وسنة رسوله ﷺ قبلناها بكل رضى وتقدير، وإن غاب عنهم شيء أو خفي عليهم فاجتهدوا ولم يصيبوا ثم تجلى حكم الكتاب والسنة كان واجبا على المسلم أن يأخذ بما يدل عليه كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ صراحة.

٣-لا نعْرِض للأشخاص:

ومِن الأدب ألا نعرض لأشخاص سلفنا الصالح فيما اختُلف فيه بطعن أو تجريح، بل نكون كالحسن البصري الذي قال فيهم: اجتمعوا فاتبعنا، واختلفوا فتوقفنا، ذلك بأنهم شهدوا وغبنا، وعلموا وجهلنا.

ولا يتصدى للرد على زلات العلماء الذين ثبت فضلهم وسبقهم في الدين إلا العلماء الذين صح قصدهم وصدقهم وعلمهم بما يتكلمون فيه بموضوعية وأسلوب طيب.

رابعًا: جوانب تطبيقية مستفادة من النص:

* أبين لمن حولي أنه لا عصمة لأحد إلا للأنبياء.
* أسعى لأن أكون سلفية باتباعي لمنهج السلف الصالح.
* لا أسمح أبدا بتجريح العلماء.
* أبين للناس وجوب اتباع العلماء وعدم تتبع عثراتهم.

خامسًا: التقويم: (الدرجة النهائية ١٥)

١- ما معنى العصمة ؟ وما أصلها الشرعي ؟ (٣درجات)

٢- ما المقصود بالسلف والسلفية ؟ (درجتان)

٣- كيف نستطيع التعامل مع المجتهدين في المختلف فيه ؟ (درجتان)

٤- من الذي يؤخذ بقوله إلزاما والتزاما؟ مع الدليل. (٤درجات)

٥- من الذي يؤخذ من قوله ويترك؟وما الدليل الشرعي على ذلك؟(٤درجات)

* * *

الأصل السابع للفهم الصحيح للإسلام

أولاً: النص:

" ولكل مسلم لم يبلغ درجة النظر في أدلة الأحكام الفرعية أن يتبع إمامًا من أئمة الدين ويحسن به مع هذا الاتباع أن يجتهد ما استطاع في تعرف أدلته، وأن يتقبل كل إرشاد مصحوب بالدليل متى صح عنده صلاح من أرشده وكفايته، وأن يستكمل نقصه العلمي إن كان من أهل العلم حتى يبلغ درجة النظر".

ثانيًا: الأهمية:

طلب الفتوى وتعلم الأحكام يكون بإحدى طريقتين؛ الأولى: تلقي الحكم من عالم بلا بحث عن دليل، وهو التقليد. والثانية: تتبع النصوص واستنباط الحكم منها، وهو الاجتهاد.

وهذا النص يتحدث عن مسألة " الاجتهاد والتقليد" بمنهج وسط بين مذهب الغلو والتقصير. ففريق المغالين أوجب الاجتهاد وحرم التقليد حتى على العامة، وفريق المقصرين أوجب التقليد وحرم الاجتهاد وجنى على الشريعة الإسلامية.

وهذا النص تأكيد لمنهج السلف "الوسطية والاعتدال" وجمع لما خلص إليه أهل العلم واعتمدوه في مسألة الاجتهاد والتقليد، محرر مما علق به من عصبية للمذاهب أو معاداتهم.

وهكذا وضَّح هذا النص لكل مسلم كيفية التعامل مع الأحكام الفرعية وأدلتها الشرعية سواء التعرف عليها أو العمل بها أو النصح لها.

ثالثًا: المعنى وشرح النص:

١ – توضيح المفاهيم والمصطلحات:

- "درجة النظر": هي درجة الاجتهاد التي تجعل المسلم مستقلا في أخذ الأحكام مباشرة من النصوص حسب القواعد المتفق عليها للاستنباط.

والأصل في الاجتهاد قوله ﷺ : **«إذا حكم الحاكم ثم أصاب فله أجران، وإذا حكم فاجتهد ثم أخطأ فله أجر ...»** (صحيح البخاري: ١٧١٦) والاجتهاد خصيصة من خصائص الشريعة الإسلامية لا يغلق إلا بقيام الساعة.

- "**أدلة الأحكام الفرعية**": الأدلة التفصيلية التي يستنبط بها الأحكام التي لا تعلم إلا بالنظر والاستدلال الخاصة بالفروع كالعبادات والمعاملات والمناكحات، فهذه الأحكام هي محل الكلام عن الاجتهاد.

أما القضايا العقائدية المتعلقة بأصول الدين مثل أركان الإيمان وما يتعلق بها فلا اجتهاد فيما كان دليله قطعيًا - قطعي الثبوت قطعي الدلالة - أو ما هو معلوم من الدين بالضرورة كالصلوات الخمس وصوم رمضان والزكاة والحج وما أشبه ذلك.

- "**أئمة الدين**": أئمة المذاهب الفقهية.

والمذاهب الإسلامية الكبرى اختلفت في الفروع لا في الأصول.

والناس متفاوتون في درجات العلم، فمنهم العالم ومنهم الأمي، وعليه فمن الطبيعي أن يتوجه غير العالم إلى العالم يسأله عما يجهله، قال تعالى: ﴿فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٤٣﴾﴾ [النحل].

٢ - قواعد التقليد والاجتهاد:

- على كل مسلم لم يبلغ درجة النظر في أدلة الأحكام الفرعية أن يقلد إمامًا من أئمة الدين. وبهذا القول يوضع حدًا لمعركة بين من يرون اتباع المذهب وبين من لا يرون.

- ينبغي للمقلد أن يتعرف ما استطاع على أدلة إمامه، وهذا يرفع المستوى العلمي للمقلد ويجعل اتباعه أثلج للصدر وأهدأ للنفس وأكثر نورًا وبصيرة.

- المقلد عندما يتعرف على الأدلة عليه كذلك أن يتقبل كل إرشاد مصحوب بالدليل متى صح عنده صلاح من أرشده وكفايته. وهكذا يجد المقلد نفسه باحثًا يتعرف على الدليل ويتابع رجال العلم والصلاح يسألهم عن المسألة ودليلها، وهذا العلم وحده يكفي لإنهاء التعصب المذموم للمذهب.

- الخطوة الرابعة لمن عندهم قدرة على طلب العلم أو كانوا من أهله فحثهم على مزيد من الجهد والاطلاع والبحث والنظر في الأدلة المختلفة وتمحيصها والترجيح بينها واختيار الأرجح والأنسب من الآراء. وبذلك يستفاد من ذوي الطاقات والقدرات فتنمى ولا تضيع هدرًا، وقد كان من عادة الأئمة الكرام أن ينبهوا من يلمسون فيهم قدرة على الفهم والنظر، ينهونهم عن تقليدهم، بل يدربونهم على استنباط الأحكام من أدلتها، والترجيح بينها ويشجعونهم على ذلك.

رابعًا: جوانب تطبيقية مستفادة من النص:

* أحرص على معرفة أدلة الأحكام التي نتعلمها من العلماء.

* أُذَكِّر من حولي أن باب الاجتهاد مفتوح لمن يملك أدواته.

* لا أستفتي إلا أهل العلم والصلاح.

* ألتزم الدقة وعدم التعصب عندما أنقل حكما شرعيًّا لغيري.

* أوضح للناس خطورة التعصب لرأي أو مذهب فقهي.

خامسًا: التقويم: (الدرجة النهائية ١٥)

١- وضحي ما تعنيه " درجة النظر " . (٥درجات)

٢- وضحي ما تعنيه " أدلة الأحكام الفرعية " .(درجتان)

٣- ما المقصود بأئمة الدين ؟ (درجتان)

٤-ما أوجه الاستفادة التي يمكنك أن تخرجي بها من هذا النص؟ (٦درجات)

* * *

الأصل الثامن للفهم الصحيح للإسلام

أولاً: النص:

" والخلاف الفقهي في الفروع لا يكون سببا للتفرق في الدين ولا يؤدي إلى خصومة ولا بغضاء، ولكل مجتهد أجره، ولا مانع من التحقيق العلمي النزيه في مسائل الخلاف في ظل الحب في الله والتعاون على الوصول إلى الحقيقة من غير أن يجر ذلك إلى المراء المذموم والتعصب ".

ثانيًا: الأهمية:

* جَبَلَ الله عقول البشر على التنوع والتباين، فلكل إنسان طريقته في التفكير، ووسيلته في تصور الأحكام والمواقف، وتبعًا لهذا التباين ينشأ الخلاف بين عامة البشر، قال الله تعالى: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً ۖ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ ۚ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ ۗ﴾ [هود: ١١٨، ١١٩].

* ونحن ندفع هذه السنة الكونية بالأمر الشرعي الإلهي بوجوب الائتلاف والاجتماع، قال الله تعالى: ﴿وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُوا۟ فَتَفْشَلُوا۟ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ۖ وَٱصْبِرُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٤٦﴾﴾ [الأنفال]، وقال ﷻ: ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٥﴾﴾ [آل عمران].

* وليس كل خلاف ينظر إليه ويرتضى من صاحبه وإلا لبطلت الدعوة والجهاد ودعوات الإصلاح وارتضينا فسق الفاسقين وظلم الظالمين.

* ولكن كثيرًا من الناس قد أخطأ الموقف السديد من الخلاف الفقهي، فأتى ذلك بحصاد مر من الفرقة والخصومة والبغضاء والتعصب والمراء، فازدادت الأمة ضعفا على ضعف، ومن ثم ظهرت أهمية النص الذي يحافظ على ألفة القلوب وصفاء النفوس، وهو ما يمكن أن نطلق عليه " أدب الخلاف في الإسلام".

ثالثًا: المعنى وشرح النص:

١ - الخلاف الفقهي لا يفرق:

الخلاف الفقهي يعني الخلاف في بعض الأحكام الفقهية بين العلماء والفقهاء، وهو لا

يستدعي التفرق لأن:

- الخلاف الفقهي ضرورة لابد منها .

- كل من يأخذ برأي إمام يقصد طاعة الله واتباع رسول الله ﷺ.

- ألفة القلوب أعظم من أن ينال منها خلاف فقهي .

- الخلاف الفقهي عمل العقل، وهو في مجاله مُقَرَّر ومقبولٌ شرعًا، والبغض والحب عمل القلب، ولا ينبغي أن يؤثر عمل العقل على عمل القلب. واختلاف القلوب من أجل الاختلاف في الفقه منهيٌّ عنه شرعًا، بل إن اجتماع الكلمة وتوحيد الصفوف هو أصل من أصول هذا الدين.

ولنا في الجيل الذي رباه رسول الله ﷺ أسوة؛ فقد كانوا يختلفون في الأمور الفقهية ولكن لا يتفرقون ولا يتباغضون .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: وأما الاختلاف في الأحكام فأكثر من أن ينضبط، ولو كان كلما اختلف مسلمان في شيء تهاجرا لم يسد بين المسلمين عصمة ولا أخوة [(١)].

ومن أصول أهل السنة والجماعة الاعتصام بحبل الله وعدم الفرقة، قال تعالى: ﴿ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ ﴾ [آل عمران:١٠٣].

٢ - مجالات الاتفاق والاختلاف:

لأجل تضييق هوة الخلاف بين الأفراد قرر الشرع أن هناك دوائر أو مجالات لا يجوز الاختلاف حولها؛ لأنها من ثوابت هذا الدين ومرتكزاته، وتتمثل - إجمالًا - في **القطعيات الشرعية**، ويقصد بها ما كان قطعي الثبوت والدلالة سواء أكان في باب العقائد أو العبادات أو الأخلاق، فأركان الإيمان الستة، ووجوب الصلوات الخمس، وصوم رمضان، وفرضية الزكاة إجمالًا، وحرمة الفواحش ما ظهر منها وما بطن، وفضيلة الصدق والأمانة والمروءة والشهامة، ورذيلة الكذب والخيانة، وغيرها من سَيِّيءِ الأخلاق، كل هذا من القطعيات الشرعية التي لا يجوز الاختلاف حولها.

أما غير ما هو قطعي في الشرع فالاختلاف فيه واسع، وتنوع الأفكار والتصورات فيه وارد، وأكثر ما يكون هذا الاختلاف في "الفروع الفقهية"؛ لأن النصوص فيها -أي

(١) الفتاوى: ٢٤ / ١٧٣ .

الفروع الفقهية- إما أن تكون ظنية الثبوت أو ظنية الدلالة، وهو مجال رحب لأن يُعْمِلَ كلُّ عالمٍ ومتخصصٍ فيه عقلَه وفق ضوابط خاصة كي لا يحصل الشطط والانحراف.

٣ - قاعدة "الخلاف الفقهي رحمة":

أطلق علماؤنا على مدار تاريخ هذه الأمة أن: "إجماعهم حجة قاطعة، واختلافهم رحمة واسعة"، وهي قاعدة مبنية على استقراء نصوص الشرع، وفهم مقاصده، وإدراك ما جرى بين الصحابة ومن تبعهم من اتفاق واجتماع، وائتلاف واختلاف، فما أجمع عليه العلماء لا يجوز خلافهم فيه، وما اختلفوا فيه فالأنظار فيه متفاوتة، ويجوز لكل فرد أن يختار منها ما ينفذه عمليًّا، قال عون بن عبد الله التابعي الجليل وأحد فقهاء المدينة السبعة: "ما أحب أن أصحاب النبي ﷺ لم يختلفوا، فإنهم لو اجتمعوا على شيء فتركه رجل ترك السنة، ولو اختلفوا فأخذ رجل بقول أحدهم أخذ بالسنة". فاختلاف الآراء هنا فيه باب لحريةِ اختيارِ كلٍّ بما يناسب ظروفَه وأحواله، فقد يناسب هذا الرأي ما لا يناسب الآخر، ويختلف هذا التناسب باختلاف الشخص والحال والزمان والمكان، ولا يخفى أن هذا الاختيار إنما يكون في إطاره وضوابطه المقررة [١].

٤-المناقشة تحت ظلال المحبة وترك المراء والجدل:

لا مانع من مناقشة الفروع لمعرفة الراجح من المرجوح بشرط أن تكون هذه المناقشة والتحقيق العلمي نزيها تحت ظلال الأخوة والحب في الله، وهذا يعني أن شجرة الحب في الله تزرع أولا لكي تكبر ويكون لأوراقها وفروعها ظلالا نستطيع أن نستظل بها ونجلس تحتها لنمحص الحقيقة بالدليل والبرهان، فإن هذا الأسلوب هو الموصل للحقيقة بلا خسائر وهو منهج السلف الصالح من الصحابة والتابعين .

يقول شيخ الإسلام: «قد كان العلماء من الصحابة والتابعين ومن بعدهم إذا تنازعوا في الأمور اتبعوا أمر الله تعالى في قوله: ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ﴿٥٩﴾﴾ [النساء]. وكانوا يتناظرون في المسائل مناظرة مشاورة ومناصحة وربما اختلف قولهم في المسألة العلمية والعملية مع بقاء الألفة

---

(١) انظر قضية اختيار الآراء الفقهية وضوابطه في موضوع: "الاتباع الراشد" في الجزء الخامس من هذه السلسلة.

والعصمة وأخوة الدين»[1]. والمواقف العملية التي تجلي هذا المنهج كثيرة.

أما المراء والتعصب فإنهما يقسيان القلب ويوغران الصدر ويعميان عن الحق ويُسيِّران وراء الهوى . فينبغي تركهما محافظة على أخوة الدين فإنها أعظم وأولى. وقد حذر رسول الله ﷺ من الجدل فقال : «**ما ضل قوم بعد هدى كانوا عليه إلا أوتوا الجدل**» (الترمذي: ٣٢٥٣) .

رابعًا : جوانب تطبيقية مستفادة من النص :

* أوضح لمن حولي أن الخلاف في الرأي من سنة الله في خلقه.
* أبين لمعارفي أن الخلاف في الفروع رحمة ولا ينبغي أن يكون سببا في التفرق.
* أعمل جاهدة على استئصال الخصومة التي سببها الخلاف الفقهي.
* أُحَذِّر من المراء والجدل.
* ألتزم بأداب الخلاف وأدعو غيري للالتزام بذلك.
* أتعاون مع من توافقني وأعذر من تخالفني.
* أنشر القاعدة الذهبية "المختلف فيه لا إنكار فيه".

خامسًا التقويم: (الدرجة النهائية ١٥)

١- ماذا يعني "الخلاف الفقهي" ؟ (درجتان)

٢- لماذا لا يجوز أن يكون الخلاف الفقهي سببا للتفرق والخصومة؟ (٤درجات)

٣- كيف نستفيد من الخلاف الفقهي؟ (٤درجات)

٤- ما الذي لا يجوز الخلاف عليه؟ (درجتان)

٥- اذكري بعض الأمور المهمة الواجب مراعاتها عند وجود خلاف فقهي؟ (٣درجات)

* * *

---

(١) الفتاوى : ٢٤/ ١٧٢ .

الأصل التاسع للفهم الصحيح للإسلام

أولاً : النص :

" وكل مسألة لا يبنى عليها عمل فالخوض فيها من التكلف الذي نهينا عنه شرعا . ومن ذلك : كثرة التفريعات للأحكام التي لم تقع، والخوض في معاني الآيات القرآنية التي لم يصل إليها العلم بعد، والكلام في المفاضلة بين الأصحاب ﷺ وما شجر بينهم من خلاف ، ولكل منهم فضل صحبته وجزاء نيته وفي التأول مندوحة " .

ثانيًا : الأهمية :

هو أصل في التربية عظيم، يُعلِّم المسلم أنه لا يتكلم في الشبهات أو المجادلات العقيمة أو سفاسف الأمور، إنما يحفظ لسانه من الخوض فيها، وقال بعض السلف: يكون آخر الزمان قوم يغلق عليهم باب العمل ويفتح عليهم باب الجدل، وصدق رسول الله ﷺ إذ يقول : «ما ضل قوم بعد هدى كانوا عليه إلا أوتوا الجدل، ثم قرأ: ﴿مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًاۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ﴿٥٨﴾﴾ [الزُّخرُف]»[1]. وفي هذا قاعدة تحفظ الجهد من الضياع، والطاقة من التبدد، والقلوب من التفرق، وتجعل المسلم إيجابيًا بَنَّاءً لا نظريًّا جدليًّا متكلفًا.

ثالثًا : المعنى وشرح النص :

١ - توضيح المفاهيم والمصطلحات :

عمل : عمل القلب أوالجوارح، فهما موضع الطلب شرعا.

التكلف: تحميل النص ما لا يحتمل والاستدلال به على ما لا يدل عليه.

الأصحاب: الصحبة، يقول البخاري: من صحب النبي ﷺ أو رآه من المسلمين فهو من أصحابه.

في التأول مندوحة: أي نقول: إن الحروب التي جرت بينهم كانت لكل طائفة شبهة اعتقدت تصويب نفسها بسببها، ونعتقد أنهم كلهم عدول ومتأولون في حروبهم وغيرها . وكلمة مندوحة في اللغة بمعنى سعة، أي: في التأول لمواقف الخلاف بين الصحابة مجال واسع حتى لا نقع في النيل منهم ﷺ.

---

(١) سبق تخريجه.

٢ - التأصيل الشرعي للمنهج الذي اشتمل عليه النص:

قال تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ ۖ قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ﴾[البقرة:٨٩].فوقع الجواب بما يتعلق به العلم إعراضا عما قصده السائل من السؤال عن الهلال: لمَ يبدو في أول الشهر دقيقا كالخيط ثم يمتلئ حتى يصير بدرا ثم يعود إلى حالته الأولى ؟ وقال تعالى بعد سؤالهم عن الساعة: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ﴿٤٢﴾ فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَىٰهَآ ﴿٤٣﴾﴾ [النازعات]. أي: إن السؤال عن هذا سؤال عما لا يعني ، إذ يكفي من علمها أنه لابد منها؛ ولذلك لما سئل ﷺ عن الساعة قال للسائل: **"وما أعددت لها؟ "** إعراضا عن صريح سؤاله إلى ما يتعلق بها مما فيه فائدة ، ولم يجبه عما سأل.

٢- قيمة الوقت تستدعي البحث عن ثمرة أي نقاش:

سؤال يطرح نفسه دائمًا في أذهاننا: ما الثمرة المرجوَّة من هذا الكلام؟ وما فائدة هذا الخلاف؟ وما العمل الذي يمكن أداؤه من وراء ما نتناقش فيه؟ فوقت المسلم ثمين، وواجباته تفوق أوقاته أضعافًا مضاعفة، فهو يحتاج في يومه إلى أضعاف أوقاته حتى يستطيع أن ينجز ما يريد من أعمال، وما يطمح من آمال، وما يَرْنو إليه من أهداف، وهي- في الأساس- كلها عظيمة، ويترتب على هذا أن أي كلام أو نقاش حتى ولو كان علميًّا، بل حتى ولو كان شرعيًّا، إن لم يؤدّ إلى ثمرة أو عمل مرجو فهو مرفوض وغير مقبول من الناحية الشرعية، وإليكم الأسباب التالية:

أ - مضيعة للوقت:

المسلمة الجادة مطالبة من قِبل ربها بالحرص على وقتها ألا يمضي بلا فائدة، بل إنها تَضِنُّ بوقتها - كما يَضِنُّ الإنسان بماله – أن لا تستثمره إلا فيما ينجيها في معادها يوم تُصَفُّ الأقدام أمام رب العالمين، أو فيما يغنيها في معاشها ودنياها، كما قال الخليفة الراشد عمر بن الخطاب رضي الله عنه :"إني لا أحب أن يكون الرجل سبهللًا؛ لا في عمل دنيا ولا في عمل آخرة". وكما جاء في الحديث: «**إِنَّ اللهَ كَرِهَ لَكُمْ ثَلاثًا: قِيلَ وَقَالَ، وَإِضَاعَةَ المَالِ، وَكَثْرَةَ السُّؤَالِ**» (البخاري: ١٣٨٣).

ب - نهينا عن التكلف:

والتكلف في اللغة هو التعرض لما لا يعنيه، وتكلف الأمر: تَجَشَّمه [(١)] على مشقة، فالخوض فيما لا ينبني عليه عمل هو تعرض لما لا يعنيه، وتَجَشُّمٌ لمشقة لا فائدة من ورائها، قال الله تعالى: ﴿وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ ۝٨٦﴾ [ص]، وهو فقه عظيم من الإمام النووي حيث علّق القضية بمقاصد الشرع الكلية ومنها جلب المصالح ودفع المضار، فما لا مصلحة فيه من قول أو فعل، بل ومن الفكر وما يجول في النفس من الخطرات فهو من التكلف الذي نفاه النبي ﷺ عن نفسه، بل إن الخليفة الراشد عمر بن الخطاب رضي الله عنه يصرح بأن النبي ﷺ قد نهاهم عن هذا فقال: نهينا عن التكلف. (البخاري:٦٨٦٣)، ولهذا كان شعار المتقين من أمة النبي ﷺ كما أخبر به الصادق المصدوق ﷺ: **«أنا والأتقياء من أمتي بريئون من التكلف»**[(٢)]، وفي رواية: **«إني وصالحي أمتي براء من التكلف»**.

٢ - النهي عن السؤال عما لم يقع:

إن همة المسلم ينبغي أن توجه نحو ما أمر به ليفعله وما نهي عنه ليجتنبه، ويسأل عما يواجهه من أحداث ووقائع ليستبين حكم الله ويلتزمه. أما كثرة الأسئلة عما لم يقع وعما عفا الله عنه فليس من هدي الإسلام.

قال رسول الله ﷺ: **«إن الله تعالى فرض فرائض فلا تضيعوها، وحد حدودا فلا تعتدوها، وحرم أشياء فلا تنتهكوها، وسكت عن أشياء رحمة لكم من غير نسيان فلا تبحثوا عنها»** (سنن الدارقطني:٤٢). وقال ﷺ: **«ما نهيتكم عنه فاجتنبوه وما أمرتكم به فأتوا منه ما استطعتم، فإنما أهلك الذين من قبلكم كثرة مسائلهم واختلافهم على أنبيائهم»** (مسلم:١٣٣٧). وكان من هدي الصحابة والتابعين ألا يخوضوا فيما لم يقع، ونهي الناس عن الاشتغال بذلك.

و أما عدم استحسان ذلك فمن وجوه:

- أنه شغل عما يعني من أمر التكليف الذي طوقه المكلف بما لا يعني.

- أن الشرع قد جاء ببيان ما تصلح به أحوال العبد في الدنيا والآخرة على أتم الوجوه وأكملها، وأن عامة المشتغلين بالعلوم التي لا تتعلق بها ثمرة تكليفية تدخل عليهم منها

---

(١) تكلف مشقة البحث عن حكمه.

(٢) قال العجلوني في كشف الخفاء: أخرجه الدارقطني في الإفراد بسند ضعيف.

الفتنة ويثور بينهم الخلاف والنزاع المؤدي إلى التقاطع والتدابر والتعصب . وإذا فعلوا ذلك خرجوا عن السنة .

ومن أمثلة التكلف المنهي عنه: كثرة التفريعات للأحكام التي لم تقع بعد، وقد ذكر الزهري عن عمار بن ياسر رضي الله عنه – وقد سئل عن مسألة– فقال: هل كان هذا بعد؟ قالوا: لا. قال: دعونا حتى يكون، فإذا كان تجشمناها لكم. (سنن الدارمي: ١٢٣)، ويروي الخليفة الراشد علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: لما نزلت: «﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ [آل عمران:٩٧] قَالُوا: يَا رَسُولَ الله، أَفِي كُلِّ عَامٍ؟ فَسَكَتَ، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ الله، فِي كُلِّ عَامٍ؟ قَالَ: لا، وَلَوْ قُلْتُ: نَعَمْ. لَوَجَبَتْ. فَأَنْزَلَ الله: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَسْـَٔلُوا۟ عَنْ أَشْيَآءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ﴾ [المائدة:١٠١]»(سنن الترمذي: ٧٤٢).

٤- المفاضلة بين الأصحاب:

ومن التكلف المنهي عنه شرعًا: المفاضلة بين الأصحاب وما شجر بينهم من خلاف، فالكلام في تفضيل أحد الصحابة رضي الله عنهم على غيره عمل ينطوي على تضييع للوقت في غير فائدة، إذ إن كلهم عند الله له مكانته، وقد أفضوا إلى ما قدموا، كما أن الخوض فيما شجر بينهم من خلاف لابد أن يترتب عليه حرج لمن خاض فيه، وخروج عن أدب الإسلام في وجوب احترام الصحابة جميعًا، وهذا ليس بجائز شرعًا، وكيف يجوز ذلك لأحد وقد أثنى الله ﷻ على الصحابة رضي الله عنهم كما أثنى عليهم النبي ﷺ ، وقد وعدهم الله بالحسنى في قوله تعالى: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا ﴿٢٩﴾﴾ [الفتح]. والآيات القرآنية في الثناء عليهم ووعدهم الحسنى ليست قليلة.

وما ورد عنهم في السنة النبوية يرفعهم ويعلي مكانتهم، ومن ذلك ما رواه أبو سعيد الخدري عن النبي ﷺ أنه قال: «**لا تسبوا أصحابي فلو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهبا ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه**» (البخاري: ٣٣٩٧). وعن عبد الله بن مغفل قال: قال رسول الله ﷺ: «**الله الله في أصحابي، الله الله في أصحابي، لا تتخذوهم غرضا بعدي، فمن أحبهم فبحبي أحبهم، ومن أبغضهم فببغضي أبغضهم، ومن آذاهم فقد آذاني، ومن آذاني**

فقد آذى الله، ومن آذى الله يوشك أن يأخذه» (الترمذي: ٣٧٩٧).

وهكذا ترسم الآيات القرآنية والأحاديث النبوية أسلوب التعامل مع الصحابة رضوان الله عليهم، بحيث لا يجوز لمسلم أن يحاسبهم على ما قدموا؛ لأن ذلك موكول إلى الله تعالى وحده وليكن هدينا قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ ﴿١٠﴾﴾ [الحشر].

٥ - الخوض في معاني الآيات القرآنية التي لم يصل إليها العلم بعد:

وهي من الأمور التي تعد من التكلف المنهي عنه لقلة جدواها أو عدمها. فالقرآن الكريم أولا وقبل كل شيء كتاب هداية: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ يَهۡدِي لِلَّتِي هِيَ أَقۡوَمُ﴾ [الإسراء:٩]، ﴿ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ﴿٢﴾﴾ [البقرة].

وقد أشار القرآن الكريم إلى بعض الحقائق العلمية في الطب والفلك وغير ذلك قبل أن يكتشفها العلماء، وفي ذلك تثبيت للمؤمنين. وليس القرآن قاموسا للعلوم التطبيقية، ولقد افتتن كثير من الناس بالاكتشافات العلمية الحديثة، ووقفوا موقفين متضادين: فريق انبهر وغالى، وفريق أنكر ورفض، وأخذ الفريق المنبهر يستقبل الاكتشافات العلمية وهي في حيز النظرية والاحتمال قبل أن ترقى لدرجة الحقيقة والقطع، ويحاول أن يلتمس وجودا لها في الآيات القرآنية، فيلوي أعناقها، ويتعسف في تفسير معانيها، وفي هذا المسلك من الخطورة الشيء الكثير، فهو يحدث هزات في نفوس الناس لتغير وتذبذب هذه النظريات، وقد شغل أهل هذا المسلك أنفسهم وشغلوا الناس معهم، وضيعوا الأوقات وبددوا الطاقات، ونسوا أن القران الكريم كتاب هداية وإرشاد ومنهج حياة أولا وقبل كل شيء: ﴿قَدۡ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٞ وَكِتَٰبٞ مُّبِينٞ ﴿١٥﴾ يَهۡدِي بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضۡوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِهِۦ وَيَهۡدِيهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿١٦﴾﴾ [المائدة].

رابعًا: جوانب تطبيقية مستفادة من النص:

* لا أضيع وقتي في الخوض فيما لا يبني عليه عمل.

* لا أسأل عن تفريعات الأحكام التي لم تقع.

* أُحَذِّر من الخوض فيما دار بين الصحابة من الخلاف.

* أوضح لمن حولي فضل ومكانة الصحابة رضوان الله عليهم.

* أحرص على استثمار وقتي في كل نافع ومفيد.

* أحاسب نفسي يوميًّا على أعمال اليوم والليلة.

خامسًا: التقويم: (الدرجة النهائية ٢٠)

١- ما المقصود بـ: عمل - التكلف - الأصحاب - وفي التأول مندوحة؟ (٦درجات)

٢- ما حكم الكلام فيما لا يبني عليه عمل؟ (٤درجات)

٣- وضحي أوجه عدم استحسان السؤال عما لم يقع .(٤درجات)

٤- اذكري آداب الحديث عن الصحابة رضوان الله عليهم. (٦درجات)

* * *

الأصل العاشر للفهم الصحيح للإسلام

أولاً: النص:

" معرفة الله تعالى وتوحيده وتنزيهه أسمى عقائد الإسلام وآيات الصفات وأحاديثها الصحيحة وما يلحق بذلك من التشابه، نؤمن بها كما جاءت من غير تأويل ولا تعطيل، ولا نتعرض لما جاء فيها من خلاف بين العلماء، ويسعنا ما وسع رسول الله ﷺ وأصحابه ﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا﴾ [آل عمران:٧] ".

ثانيًا: الأهمية:

* إذا كثرت على الناس ما يتطلعون إليه من معارف فأجدر المعارف بسعي المسلم وأسماها معرفة الله، قال ﷻ: ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾ [محمد:١٩].

* وبرغم أن العلماء اتفقوا في الأصول والعقائد إلا أن مسألة النصوص التي توهم مشابهة الله للحوادث كانت ولا تزال مسألة شائكة فتناولها النص بالتحقيق.

* من نتائج النزاع حول آيات الصفات أن شكك البعض في صحة عقائد الآخرين وكفر أناس إخوانهم بلا مبرر.

ثالثًا: المعنى وشرح النص:

١- توضيح المفاهيم والمصطلحات:

آيات الصفات: التي توهم مشابهة الله للحوادث (المخلوقات).

التأويل في الاصطلاح: له ثلاثة معان:

الأول: الحقيقة التي يؤول إليها الكلام وهي عين المقصود من الكلام.

الثاني: عين المخبر إذا وقع: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُۥ ۚ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُۥ﴾[الأعراف:٥٣].

الثالث: تأويل الكلام تفسيره وبيان معناه، وافق ظاهره أو خالف.

المتشابه: المحكم ما لا يحتمل من التأويل إلا وجها واحدا. والمتشابه ما احتمل أوجهًا.

وقيل: المحكم ما عرف المراد منه إما بالظهور أو بالتأويل، والمتشابه: ما استأثر الله بعلمه كقيام الساعة والحروف أوائل السور، وكيفية الصفات الواردة في آيات الصفات

وأحاديثها مما استأثر الله بعلمه، وعلى هذا القول تعتبر من المتشابه .

وقيل: المحكم الذي يؤمن به ويعمل به، والمتشابه الذي يؤمن به ولا يعمل به.

التعطيل: نفي الصفات الإلهية وإنكار قيامها بذات الله ﷻ.

٢- معرفة الله تبارك وتعالى:

هي أسمى المعارف وأصلها ، ويتفرع منها المعرفة بالأنبياء والرسل والكتب السماوية والملائكة واليوم الآخر ، والمعرفة هي "العلم الذي يقوم العالم بموجبه ومقتضاه" ، وهي **أسمى عقائد الإسلام**، أي: أجلها وأعظمها، بالنسبة إلى أركان الإيمان الأخرى.

فواجب المسلم نحو أسمى العقائد معرفة يقينية لا ذهنية ، وتوحيد صادق لا ريب فيه، واعتقاد الكمال لله وتنزيهه عن كل نقص. وفي هذا يقول تبارك وتعالى : ﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمۡ يَلِدۡ وَلَمۡ يُولَدۡ ۝٣ وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدُۢ ۝٤﴾ [الإخلاص] ، ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ۝١١﴾ [الشورى] .

٣- آيات الصفات والخلاف فيها:

وردت آيات وأحاديث صحيحة قد يتوهم البعض من ظاهرها مشابهة الحق تبارك وتعالى لخلقه في بعض صفاته ، مثل قول الله تعالى : ﴿يَدُ ٱللَّهِ فَوۡقَ أَيۡدِيهِمۡ﴾ [الفتح:١٠] وقوله تعالى: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه] وقوله ﷺ: «**إن الله تبارك وتعالى ينزل إلى السماء الدنيا**» (صحيح ابن حبان:١٨٨٧) ، وقوله ﷺ: «**إن القلوب بين إصبعين من أصابع الرحمن**» (سنن ابن ماجه :٣٨٣٤) . وهذه المشابهة مستحيلة على الله تعالى.

والخلاف الذي دار قديما بين السلف والخلف حول آيات الصفات مفاده: ماذا تعني نسبة اليد والعين والنزول والضحك والغضب... إلى الله؟ هل الله متصف بهذه الأشياء؟ أم أنها مجاز يراد بها معانٍ أخرى كالرعاية والقرب والمجازاة... إلخ.

أ – **رأي السلف**: الإيمان باتصاف الله تعالى بكل ما نسبه إليه القرآن والسنة (الصحيحة)، مع تنزيه الله تعالى عن مشابهة الحوادث، وأن حقيقة صفات الله هذه (العين والرجل والقدم والضحك والفرح والغضب...) ليست هي التي نعلمها ونتصورها لوقوعها منا أو اتصافنا بها، وأن الله وحده هو الذي يعلم حقيقتها.

ب – **رأي الخلف**: إقرار ما أقره السلف من الإيمان بثبوت الصفات وتنزيه الله عن مماثلة المخلوقات، وأن معاني هذه الصفات ليست على معانيها التي نعلمها، ولم يتوقفوا عند هذا الحد بل تأولوا معانيها بما تجيزه اللغة، فاليد بالنسبة لله القدرة وهكذا.

ج – **المجسمة والمشبهة**: يرون وصف الله بما وصف به المخلوقين، فله يد ورجل وعين وإصبع مثلنا – تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا–.

د – **المعطلة**: يرون تعطيل هذه الصفات ولا يؤمنون بثبوتها.

٤ - ما يلزم المسلم اعتقاده في آيات الصفات وأحاديثها:

- **أصح العقائد في هذه المسألة رأي السلف**، ولكن نلاحظ الآتي:

السلف والخلف قد اتفقا على أن المراد غير الظاهر المتعارف بين الخلق، وهو تأويل في الجملة. واتفقا على أن كل تأويل يصطدم بالأصول الشرعية غير جائز، فانحصر الخلاف في تأويل الألفاظ بما يجوز في الشرع .

وتأويلات الخلف لا توجب الحكم عليهم بكفر ولا فسوق، ولا تستدعي هذا النزاع الطويل بينهم وبين غيرهم قديما وحديثًا، وصدر الإسلام أوسع من هذا كله.

قال الإمام مالك وقد سئل عن قوله تعالى: ﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥ ﴾ [طه]: الاستواء معلوم ، والكيف مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة .

أما كلام المجسمة والمشبهة والمعطلة فننكره كله ويكفر معتقدوه.

- **الكف عن نزاع العلماء** :

في هذا المقام يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: " وما تنازعت فيه الأمة وتفرقت فيه إن أمكن أن يفصل النزاع بالعلم والعدل ، وإلا استمسك بالجمل الثابتة بالنص والإجماع " .

"والواجب: أمر العامة بالجمل الثابتة بالنص والإجماع، ومنعهم من الخوض في التفصيل الذي يوقع بينهم الفرقة والخلاف، فإن الفرقة والخلاف من أعظم ما نهى الله عنه ورسوله ".

رابعًا : جوانب تطبيقية مستفادة من النص :

❊ ألتزم منهج السلف في التعامل مع أسماء الله تعالى وصفاته.

* أوضح للناس أن العقيدة أصول متفق عليها وفروع مختلف فيها.

* لا أثير قضايا الأسماء والصفات مع من لا يستوعبها.

* لا أخوض فيما دار بين العلماء من خلاف في قضية الأسماء والصفات.

* أركز في التربية على إقرار العقيدة لا على حفظ المصطلحات المجردة.

خامسًا: التقويم: (الدرجة النهائية ٢٠)

١- ما معنى معرفة الله تبارك وتعالى؟ (٥درجات)

٢- ما المقصود بالمتشابه؟ (درجة واحدة)

٣- ما المقصود بالتأويل؟ (درجة واحدة)

٤- ما المقصود بالتعطيل؟ (درجة واحدة)

٥- وضحي موقف السلف والخلف من حيث الاتفاق والاختلاف بينهما في تفسير آيات الصفات وأحاديثها. (٦درجات)

٦- وضحي آداب التعامل مع اختلاف العلماء في تفسير آيات الصفات. (٣درجات)

٧- وضحي مواقف الأئمة العلماء من الخوض في آيات الصفات. (٣درجات)

* * *

الأصل الحادي عشر للفهم الصحيح للإسلام

أولاً: النص:

" وكل بدعة في دين الله لا أصل لها استحسنها الناس بأهوائهم –سواء بالزيادة فيه أو بالنقص منه – ضلالة يجب محاربتها ، والقضاء عليها بأفضل الوسائل التي لا تؤدي إلى ما هو شر منها".

ثانيًا: الأهمية:

* لقد كانت آية المائدة الدالة على تمام الدين فارقة في تاريخ التشريع الإسلامي، قال تعالى: ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾ [المائدة:٣]، فبعد تمام الدين وبموت رسول الله ﷺ لا يحق لأي أحد أن يزيد في دين الله أو ينقص منه.

* والبدعة: الضلالة التي يجب محاربتها وتحديد حقيقتها أمر شائك كثر الكلام حولها.

* واضطرب الناس في أسلوب محاربة البدع حتى حدث انفصال بين الدعاة والمدعويين، وهذا كله يحتاج للتحقيق.

ثالثًا: المعنى وشرح النص:

أ- تعريف البدعة وحقيقتها:

لغة: الاختراع على غير مثال سابق. وشرعا: "طريقة في الدين مخترعة تضاهي الشرعية يقصد بالسلوك عليها المبالغة في التعبد لله سبحانه".

والبدعة في حقيقتها: "ما أُحدث بعد الرسالة على سبيل التقرب إلى الله، ولم يكن قد فعلها الرسول ﷺ ولا أمر بها ولا أقرها، ولا فعلها الصحابة"(١)، وتسمى البدعة والمحدثة.

فالبدعة المنهي عنها لابد أن يتحقق فيها الآتي:

١ –أن تكون من الأمور التي يفعلها العباد على أنها من العبادات.

٢ –يتقربون بها إلى الله تعالى.

٣ – لم يكن لها أصل في الدين.

---

(١) انظر: أبو إسحاق الشاطبي، الاعتصام، ج١. أبو شامة، الباعث على إنكار البدع والحوادث.

ب- ذم البدع والنهي عنها:

كثرت النصوص القرآنية والنبوية وأقوال العلماء في ذم البدع؛ قال تعالى : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ﴾ [الأنعام:١٥٩]. فسرها العلماء بأنهم أهل البدع، وقال تعالى: ﴿قُلْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُواْ﴾ [النور:٥٤]، وقال ﷻ: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾﴾ [النور].

وقال ﷺ : «**من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد**» (مسلم : ١٧١٨) . وقال أيضًا: «**من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد**» (مسلم: ١٧١٨) . وكان ﷺ يقول في خطبته : «**أما بعد؛ فإن خير الحديث كتاب الله ، وخير الهدي هدي محمد ، وشر الأمور محدثاتها ، وكل بدعة ضلالة**» (مسلم: ٨٦٧)، وعن العرباض بن سارية ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «.. **وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الأُمُورِ فَإِنَّ كُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلالَةٌ**» (سنن أبي داود: ٣٩٩١).

ج- الابتداع الحسن:

أما الابتداع الحسن في مقتضيات الحياة والأمور الدنيوية فهو من التطور المطلوب كي نلبي حاجة العصر الذي نعيشه حتى لا نتخلف عن الركب ولا نكون في عزلة عن الدنيا، فمَلَكة الاختراع والإبداع لها ميدان نستطيع الانطلاق فيه ولا حجر عليه، فلديها شئون الدنيا وآفاق الحياة تعالجها وتفترض فيها وتبتدع ما شاءت، وعلينا فيه الإجادة والإفادة، وكفانا قدوة تلك البدعة التي ابتدعها سلمان الفارسي فأنقذت المسلمين يوم الخندق من خطر محدق بهم ألا وهي حفر الخندق.

د- زوائد ضارة:

ومن الآثار الضارة للابتداع في دين الله أن منشئ هذه البدعة يعطي نفسه منزلة ليست له؛ فإن المشرّع الفرد لعباده جميعًا هو الله الواحد الفرد الصمد، فتلك نزعة إلى الألوهية يعدو فيها الإنسان قدره ويجاوز حده، والذين يختلقون هذه المحدثات يحملون وزر ضلالهم الخاص وتضليل الذين ينخدعون بهم ويستجيبون لهم، وفي الحديث: «.. **وَمَنْ سَنَّ سُنَّةً سَيِّئَةً فَعُمِلَ بِهَا كَانَ عَلَيْهِ وِزْرُهَا وَوِزْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا مِنْ بَعْدِهِ لا يَنْقُصُ مِنْ أَوْزَارِهِمْ شَيْئًا**» (ابن ماجه: ١٩٩).

والذين يشتغلون بالمحدَثات يضيعون حقائق الإسلام الصحيح وفرائضه المحكمة بقدر ما أحدثوه من بدع. فليس خطر البدعة أنها وسخ يشوب وجه الحقيقة فحسب، بل هي مرض يفقد الدين عافيته وينقص قلبه وأطرافه (١)؛ ولذلك قال ابن مسعود رضي الله عنه: "الاقتصاد في السُنة خير من الاجتهاد في البدعة"، وقال: "ما أحدث الناس بدعة إلا أضاعوا مثلها من السنة"؛ ولذا يمكن القول: إن البدعة والابتداع تقوض صرح الشريعة.

هـ- مراتب وأحكام:

والابتداع في الدين قد يكون في العقائد وقد يكون في العبادات، أما البدعة في العقيدة فقد اتفق العلماء على أنها محرمة، وقد تتدرج إلى أن تصل إلى الكفر. فأما التي تصل إلى الكفر فهي التي تخالف معلومًا من الدين بالضرورة كبدعة الجاهليين التي نبه عليها القرآن في قوله تعالى: ﴿مَا جَعَلَ ٱللَّهُ مِنۢ بَحِيرَةٍ وَلَا سَآئِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ﴾ [المائدة:١٠٣] وقوله تعالى: ﴿وَقَالُواْ مَا فِى بُطُونِ هَٰذِهِ ٱلْأَنْعَٰمِ خَالِصَةٌ لِّذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِنَا ۖ وَإِن يَكُن مَّيْتَةً فَهُمْ فِيهِ شُرَكَآءُ﴾ [الأنعام:١٣٩]، وحددوا ضابطًا للبدعة المكفرة وهي: أن يتفق جميع العلماء على أن هذه البدعة كفر صراح لا شبهة فيه.

أما البدعة في العبادات فمنها ما يكون حرامًا ومعصية، ومنها ما يكون مكروهًا، ومثال الحرام: بدعة التبتل والصيام قائمًا، والخصاء لقطع الشهوة في الجماع والتفرغ للعبادة، وذلك لما جاء في حديث الرهط الذين فعلوا ذلك، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبي ﷺ يسألون عن عبادة النبي ﷺ، فلما أخبروا كأنهم تقالوها، فقالوا: أين نحن من النبي ﷺ ؟ قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر. قال أحدهم: أما أنا فإني أصلي الليل أبدا. وقال آخر: أنا أصوم الدهر ولا أفطر. وقال آخر: أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبدا. فجاء رسول الله ﷺ إليهم، فقال: **"أنتم الذين قلتم كذا وكذا، أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له لكني أصوم وأفطر وأصلي وأرقد وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني"** (البخاري: ٤٧٧٦).

ومثال البدع المكروهة في العبادات: ذكر السلاطين في خطبة الجمعة للتعظيم، وزخرفة المساجد والمصاحف .

---

(١) محمد الغزالي، ليس من الإسلام، ص (٨١-٨٢) بتصرف.

و- الأسباب المؤدية إلى البدعة:

دواعي البدعة وأسبابها وبواعثها كثيرة ومتعددة يصعب حصرها؛ لأنها تتجدد وتتنوع حسب الأحوال والأزمنة والأمكنة والأشخاص. ومن الممكن إرجاعها إلى ما يأتي:

١- الجهل باللغة العربية:

فقد أنزل الله ﷻ القرآن عربيًّا؛ جارٍ في ألفاظه ومعانيه وأساليبه على لسان العرب، قال تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيًّا﴾ [يوسف:٢] فالشريعة لا تُفهم إلا إذا فُهم اللسان العربي، قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلۡنَٰهُ حُكۡمًا عَرَبِيًّا﴾ [الرعد:٣٧] والإخلال في ذلك الفهم قد يؤدي للبدعة.

٢- الجهل بالسنة:

وهو يعني أمرين؛ الأول: الجهل بأصل السنة. والثاني: الجهل بالصحيح من غيره فيختلط عليهم الأمر ويأخذون بالأحاديث المكذوبة (الموضوعة). وقد وردت الآثار من القرآن والسنة تنهى عن ذلك ؛ قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَقۡفُ مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌ﴾ [الإسراء:٣٦]. وقال ﷺ: «مَنْ كَذَبَ عليَّ مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ» (البخاري: ١٢٠٩).

٣- حُسْن الظنّ بالعقل:

المبتدع يعتمد على عقله، فيجرّه عقله القاصر إلى أشياء بعيدة عن الصراط المستقيم؛ فقد جعل الله للعقل في إدراكه حدًّا ينتهي إليه ولا يتعداه من ناحية الكمّ ومن ناحية الكيف، أما علم الله سبحانه فلا يتناهى، والمتناهي -وهو عقل الإنسان- لا يساوي ما لا يتناهى - وهو علم الله - فلا يجوز إذَنْ لامرئ مهما رسخ علمه ونضجت تجربته أن يستحسن عملًا على أنه من عند الله رب العالمين، فهذا هو الافتراء بعينه مهما كانت نية المستحسن[1].

٤- اتباع الهوى:

الهوى: ميل النفس وانحرافها نحو الشيء، ثم غلب استعماله في الميل المذموم والانحراف السيئ، ونُسبت البدع إلى الأهواء وسمي أصحابها بأهل الأهواء؛ لأنهم اتبعوا أهواءهم فلم يأخذوا الأدلة مأخذ الافتقار إليها والتعويل عليها، بل قدموا

(١) محمد الغزالي، ليس من الإسلام، ص٨٤.

أهواءهم واعتمدوا على آرائهم ثم جعلوا الأدلة الشرعية منظورًا فيها من وراء ذلك.

ز- محاربة البدع:

* بعد التدقيق في تحديد البدعة، وعدم التعجل في وصف الأبرياء بها، ينبغي عدم التهاون معها ولا أصحابها، بل يجب محاربتها.

* أول درجات المحاربة تكون بالوقاية من الوقوع فيها أصلًا، وذلك بفهم الشرع على أساليب العربية كما أُنزل، ونشر السُنة الصحيحة وإحيائها والتجرد من تحسين الظن بالعقل ومن الأهواء، فالوقاية خير من العلاج، وواجب على حملة الشريعة حماية الأصيل من الشرع وصيانته من الدخيل.

* أما إذا وقعت فيجب إنكارها بالتصدي لها لإزالتها عملًا، فإن لم نستطع فباللسان، فإن لم نستطع فبالقلب بهجرها وهجر أصحابها.

* ولكن يلزم على المتصدي لإزالة منكر المبتدعة أن يكون على فقه ونظر عظيم لما يمارسه، فيكون عالمًا بالمنكر الواجب إزالته-وهي البدع هنا- فيعلم البدع التي لا أصل لها في الدين من التي لها أصل، والبدع المتفق على بدعيتها من المختلف فيها، ثم ينظر إلى مآل ما يفعله من الإنكار هل سيؤدي إلى ما هو شر من المنكر القائم، أم لا؟ يقول الإمام ابن القيم: "إنكار المنكر أربع درجات: الأولى: أن يزول ويخلفه ضده. الثانية: أن يقل وإن لم يزل بجملته. الثالثة: أن يخلفه ما هو مثله. الرابعة: أن يخلفه ما هو شر منه. فالدرجتان الأوليان مشروعتان، والثالثة موضع اجتهاد، والرابعة محرمة"[(١)]، وهذا الحكم على مآل ومستقبل ما يفعله يتطلب منه دراسة المجتمع ونفسيته وعقليته حتى يتوقع نتيجة ما يمارسه من إنكار فيقدم أو يحجم وينصرف إلى ما هو أولى، والله أعلم.

رابعًا: جوانب تطبيقية مستفادة من النص:

* أوضح للناس الفرق بين البدع الدينية والبدع الدنيوية.

* ألتزم بما شرعه الإسلام من عبادات دون زيادة أو نقص.

* احذر مَن حولي من الابتداع في العقيدة أو العبادة.

* أبين لمن حولي أن الأمور الخلافية والأحكام الظنية ليست من البدع.

---

(١) ابن قيم الجوزية، إعلام الموقعين، ج٣، ص٥ نقلًا عن نظرات في رسالة التعاليم، ص١١٨.

* أنهى عن المنكر بأحسن الأساليب.

* أبتكر في أساليب تناسب العصر للتثقيف وخطط التعليم.

* أعمل جاهدة على إحياء السنة بتعريفها وتطبيقها ونشرها.

خامسًا: التقويم: (الدرجة النهائية ٢٠)

١- عرفي البدعة لغة وشرعًا .(درجتان)

٢- اذكري دليلًا من الكتاب والسنة في ذم البدع. (٦ درجات)

٣- إنكار البدعة ومحاربتها مقيد بأمرين .. اذكريهما . (درجتان)

٤- الابتداع في الدين يكون بالزيادة والنقصان. وضحي ذلك ومثلي لكلٍّ. (٥درجات)

٥- ما واجبنا نحو البدع ؟ (٥درجات)

* * *

الأصل الثاني عشر للفهم الصحيح للإسلام

أولاً: النص:

" والبدعة الإضافية والتركية والالتزام في العبادات المطلقة خلاف فقهي؛ لكلٍّ فيه رأيه ولا بأس بتمحيص الحقيقة بالدليل والبرهان".

ثانيًا: الأهمية:

إن البدع أنواع ودرجات، وفي هذا النص تتبين أنواع أخرى من البدع، وكثيرا ما أدى الالتباس في فهم هذه الأمور إلى أضرار وشرور وتناحر وتفرق، فاحتاج الأمر إلى حسن تمييز وحسن تقدير.

ثالثًا: المعنى وشرح النص:

البدعة الإضافية: هي ما كان له أصل في الشرع أو كان سنة أو مستحبًّا في الأصل، ثم عرض له وصف أو هيئة أخرجته عما حدده الشارع، فهي أصلها مشروع ولكن اختلفت كيفية تطبيقها.

البدعة التركية: هي أن يترك المرء شيئا أحله الشرع تدينا، فهي ترك الأشياء المشروعة بغية التقرب إلى الله تعالى.

الالتزام في العبادات المطلقة: هي إلزام المسلم نفسه بعبادة لها أصلٌ في الدين واستمراره عليها.

أمثلة للبدع الإضافية:

الجهر بالصلاة والسلام على الرسول ﷺ بعد الأذان، والجهر بقراءة سورة الكهف يوم الجمعة قبل الصلاة في جمع كأنها من شعائر الصلاة، وأداء الأذكار بعد الصلاة بصورة جماعية.

أمثلة للبدع التركية:

ترك الزواج بحجة التقرب إلى الله بإكثار العبادة، وترك أكل لحم الحمام تعظيما له.

أمثلة للالتزام في المطلق:

التزام قراءة " قل هو الله أحد " في الصباح مائة مرة، والتزام قراءة " الفاتحة " عشر مرات بعد كل صلاة.

إن العبادات تنقسم إلى نوعين :

١ - نوع حدده الشارع وقتا وزمانا ومكانا وكيفية وحكما ومثاله الحج وصلاة الجمعة .

٢ - نوع أطلقه كالصدقة النافلة ، فأنت فيها مخير في المقدار وفي الوقت بحسب وسعك وظرفك، كالدعاء مثلا أنت فيه مخير ما لم يخالف هذا التخيير حكما شرعيًا ورد به النص، نعم إن المأثور أفضل من غيره ولكن لا يقول أحد : إن الدعاء بغير المأثور وفي كل وقت غير جائز ، بل الذكر من هذا القسم أمر به الشارع وأطلقه وأنت فيه مخير ما لم يخالف هذا التخيير حكما شرعيًا .

· ومثال ذلك امرأة تعودت صباح كل يوم ومساءه أن تدعو الله -تبارك وتعالى- بصيغة كهذه: " اللهم فرج كربتي واغفر ذنبي واجعلني عندك من المقبولين وارزقني اتباع نبيك ﷺ" ، وامرأة تعودت أن تتصدق كل يوم بقدر محدد في وقت محدد تقصد بذلك وجه الله وامتثال أجره في الصدقة ، فهنا عموم الأمر بالدعاء والصدقة يجعل عمل هذين عبادة لا غبار عليها ، فما ورد مطلقا بقي على إطلاقه ، فكل كيفية تدخل تحت هذا العموم ولا تتعارض مع الأحكام الشرعية جائزة .

رابعًا : جوانب تطبيقية مستفادة من النص :

* أفرق بين البدعة الحقيقية والبدعة التي لها أصل شرعي.
* أبين لمن حولي أن جميع البدع ليس لها حكم شرعي واحد.
* لا أنكر على أحد بدعة مختلف في حكمها.
* أجتهد في التعريف بالسنة ونشرها وإحيائها.
* أتحرى مصدر التلقي ولا أقبل الاجتهاد ممن لم يتأهل لذلك.
* آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر بأحسن الأساليب الدعوية.
* أنبذ التعصب للرأي وأرد الأمر للكتاب والسنة.
* أرد على ما يوجه للدين من حملات ظاهرة أو خفية ، وذلك على أساس من العلم والحكمة.
* أُحَذِّر من القول في الدين بغير علم.
* نعمل جميعا على إماتة البدعة وإحياء السنة.

خامسًا : التقويم : (الدرجة النهائية ٢٠)

١ - وضحي المقصود بالبدعة الإضافية والتركية مع الأمثلة .(درجتان)

٢- ما المقصود بالالتزام في العبادات المطلقة مع الأمثلة ؟ (٤درجات)

٣- وضحي آداب مناقشة مسائل البدع الإضافية والتركية والالتزام في العبادات المطلقة. (٤درجات)

٤- وضحي الموقف الشرعي من الالتزام في العبادات المطلقة . (٤درجات)

٥- تتفاوت البدع في أحكامها ورتبها . اشرحي هذه العبارة. (٦درجات)

❊ ❊ ❊

الأصل الثالث عشر للفهم الصحيح للإسلام

أولاً: النص:

"ومحبة الصالحين واحترامهم والثناء عليهم بما عُرف من طيب أعمالهم قربة إلى الله تبارك وتعالى، والأولياء هم المذكورون في قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾﴾ [يونس]، والكرامة ثابتة لهم بشرائطها الشرعية مع اعتقاد أنهم - رضوان الله عليهم- لا يملكون لأنفسهم نفعًا ولا ضرًا في حياتهم أو بعد مماتهم، فضلا أن يهبوا شيئًا من ذلك لغيرهم".

ثانيًا: الأهمية:

ما هو من الخير والصلاح والنفع من فطرة الإنسان فهو مجبول على حبه وحب من يعمل به، ولذلك فإن محبةِ الصالحين والأولياء مما تميل إليه النفوس.

ومنزلة الولاية والصلاح يهدي إليها الله من آمن وعمل صالحا وجاهد فيه، فافتتن الناس بأولائك الصالحون وانحرفوا انحرافا بينا عن الحق، وتركوا التنافس في القرب إلى الله بالعمل الصالح وانشغلوا بالكلام عن أولائك الصالحون.

وأمرُّ من هذا أن ينسب البعض لهذه المنزلة من ليسوا بأهلها، فصار الناس كارهين للولاية أو مغالين فيها والتبس الحق بالباطل، فلزم التحقيق.

ثالثًا: المعنى وشرح النص:

١ - محبة الصالحين واحترامهم والثناء عليهم بما عُرف من طيب أعمالهم:

والصالحون صناعة الله يدخل فيهم من آمن وعمل صالحا، قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِى ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٩﴾﴾ [العنكبوت]. والصالحون دائرة أوسع من المصلحين؛ فالمصلح صالح في نفسه مؤثر في غيره ويتوقف على وجوده نجاة الأمة، قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ ﴿١١٧﴾﴾ [هود]. أما الصالح فصلاحه قاصر على نفسه، ولا يتوقف على وجوده نجاة الأمة، وفي حديث زينب بنت جحش ﵂ أنها سألت رسول الله ﷺ: أنهلك وفينا الصالحون؟ قال: "نعم، إذا كثر الخبث" (البخاري: ٣١٦٨).

ومحبة الصالحين والثناء عليهم بطيب عملهم عبادة، يقتدي المسلم فيها بالقرآن إذ أثنى على الصالحين: ﴿ وَٱذْكُرْ فِي ٱلْكِتَٰبِ إِبْرَٰهِيمَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٤١﴾ ﴾ [مريم]. ومن صور الاحترام تقبيل اليد ما دام ليس لغرض الدنيا ولا مدحا من أجلها.

والتبرك المشروع بأولياء الله الصالحين هو التماس البركة بمجالستهم وطلب الدعاء منهم، ولا يكون بآثارهم، فالتبرك بالآثار خاص بتبرك الصحابة بأثر النبي ﷺ وما عداه بدعة إضافية فيها خلاف[1].

٢ - الأولياء هم المتقون:

أولياء الله من لهم اتصال خاص بالله، ومنشأ هذه الخصوصية الإيمان والتقوى، قال تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ﴾ [يونس] وكأن سائلًا سأل: من هم؟ فالجواب الآية بعده: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ ﴾ [يونس]. فكل من تحقق بهاتين الصفتين عُدَّ من الأولياء.

وبيَّن الرسول ﷺ مزيد بيان وإيضاح لمعيار الولاية والصلاح وفضلها وأثرها، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إِنَّ اللهَ قَالَ : مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالحَرْبِ**» (البخاري: ٦٠٢١)، فذكر في هذا الحديث أن أولياء الله على درجتين:

إحداهما: المقربون إليه بأداء الفرائض[2]. وهذه درجة المقتصدين أصحاب اليمين، وأداء الفرائض هو من أفضل الأعمال.

والثانية: درجة السابقين المقربين، وهم الذين تقربوا بعد الفرائض بالاجتهاد في نوافل الطاعات والانكفاف عن دقائق المكروهات بالورع[3].

٣ - الكرامة ثابتة لهم بشرائطها الشرعية:

الكرامة: خارق للعادة يجري على يد الوليِّ (من غير ادعاء خصوصية برسالة ولا نحوها)، ولا تعتبر إلا بشرط موافقتها للشريعة، ويشترط فيمن تجري على يديه الكرامة: الإيمان والتقوى ومتابعة المصطفى ﷺ.

---

(١) الشاطبي في الاعتصام.

(٢) يقصد بالفرائض هنا: ما هو واجب على العبد فعله، وما هو واجب عليه تركه.

(٣) ابن رجب الحنبلي، جامع العلوم والحكم، ص ٤٨١ – ٤٨٢، بتصرف.

ووقوع الكرامة للولي إشارة لمنزلة الصالح وقربه من الله، وتسقط هذه المنزلة بالذنوب المنافية للتقوى، ومن أمثلتها أن أبا الدرداء كان يأكل من صفحة فسبحت وسبح ما فيها، وأن الملائكة كانت تسلم على عمران بن حصين، ومن التابعين عامر بن قيس الذي وضع رجله على الأسد فاستسلم حتى مرت القافلة التي كان الأسد يهددها.

٤ – المغالاة والانحراف فيما للولي محظور:

ومنزلة الولاية ووقوع الكرامات منحة من الله، وعليه فهم لا يملكون لأنفسهم نفعا ولا ضرا فضلا على أن يجلبوا ذلك لأحد.

ومن ثم تحظر المغالاة في الحب وطلب التبرك الذي استهوى بعض الطوائف إلى أعمال تنافي التوحيد، وجعلهم يقصرون الولاية من معناها الواسع المنطبق على كل مؤمن تقي متبع للسنة إلى أشخاص معينين، يقدمون كلامهم على الشرع وينحرفون بالاتجاه إليهم بدلا عن الكتاب والسنة.

ومن هنا ندرك أهمية ما أوصى به النبي ﷺ صحابته الكرام قبل وفاته قائلًا: "**لا تُطْرُونِي كَمَا أَطْرَتْ النَّصَارَى ابْنَ مَرْيَمَ، فَإِنَّمَا أَنَا عَبْدُهُ، فَقُولُوا: عَبْدُ الله وَرَسُولُهُ**" (البخاري: ٣١٨٩). فالرسول ﷺ وهو من هو من الخيرية والفضل على جميع البشر يدعو إلى عدم إعطاء منـزلته فوق ما تستحق، فالرب رب والعبد عبد، قال جل في علاه: ﴿ قُل لَّآ أَمۡلِكُ لِنَفۡسِي ضَرّٗا وَلَا نَفۡعًا ﴾ [يونس:٤٩]. فالمعاداة مذمومة كما أن المجاوزة مذمومة.

رابعًا : جوانب تطبيقية مستفادة من النص:

* ألتزم حب الصالحين وأحترمهم وأثني عليهم، وأدعو غيري إلى ذلك، وأوضح كذلك لمن حولي أن الأولياء الصالحين لا يملكون لأنفسهم -فضلًا عن أن يملكوا لغيرهم- ضرًا ولا نفعًا.

* أجتهد في معرفة الصالحين والبحث عنهم للاستزادة من العلم منهم وتعلم الخير، وأعرِّف أبنائي بالصالحين لاتخاذهم قدوة صالحة لهم .

* أصحح العقيدة لبعض الناس الذين أسرفوا على أنفسهم بتعظيم أولياء الله الصالحين أو إعطائهم منازل فوق منازل البشر .

* أتقرب إلى الله بمحبة الصالحين والثناء عليهم واحترامهم.

* أحكم على الناس بظاهر السلوك وأدع الباطن لله تعالى.

* أجتهد في التزام شرع الله عسى أن أنال محبته وولايته.

* أبين لمن حولي أن الكرامة أقرها الشرع.

* الزوجة التي ترعى بيتها وتربي أولادها وتسعد زوجها، ناشدة بهذا كله وجه الله مع وفائها بحقوق الله من صلاة وزكاة هي من الأولياء، وليس من الضروري ألبتة أن يقع لها كرامات [١].

خامسًا : التقويم : (الدرجة النهائية ٢٠)

١- حب الصالحين قربة إلى الله تعالى ، ومن أحبهم في الله وجد حلاوة الإيمان . اذكري حديث رسول الله ﷺ الدال على ذلك . (درجتان)

٢- الولي هو كل مؤمن تقي . اذكري آيات من كتاب الله تدل على ذلك . (درجتان)

٣- الأولياء لا يملكون لأنفسهم ولا لغيرهم نفعًا ولا ضرًّا ، إنما الضار والنافع هو الله . اذكري الآيات الدالة على ذلك .(درجتان)

٤- لماذا نهى رسول الله ﷺ عن تعظيمه ، وأكد على أنه عبد الله ورسوله؟ (درجتان)

٥- كيف تصير المرأة من أولياء الله الصالحين؟ (٦درجات)

٦- كيف نربي أبناءنا على حب أولياء الله الصالحين؟ (٦درجات)

* * *

(١) محمد الغزالي، دستور الوحدة الثقافية بين المسلمين، ص١٢٠، بتصرف.

الأصل الرابع عشر للفهم الصحيح للإسلام

أولاً: النص:

" وزيارة القبور أيًا كانت سنة مشروعة بالكيفية المأثورة، لكن الاستعانة بالمقبورين أيًا كانوا ونداءهم لذلك وطلب قضاء الحاجات منهم عن قرب أو بعد والنذر لهم وتشييد القبور وسترها وإضاءتها والتمسح بها والحلف بغير الله وما يلحق بذلك من المبتدعات كبائر تجب محاربتها، ولا نتأول لهذه الأعمال سدًا للذريعة" .

ثانيًا: الأهمية:

أرسل الله تبارك وتعالى خاتم المرسلين محمدًا ﷺ لتوحيده سبحانه والإيمان به، قال الله تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ۝٥﴾ [البيّنة]، أي: ذلك الدين المستقيم الموصل إلى جنات النعيم، أما ما سواه من الكفر والإشراك فطرق موصلة إلى الجحيم، وهذا أصل ومنهج قرآني عظيم، وهو التركيز على حفظ العقيدة صافية نقية خالية من الشركيات والبدع والشوائب، وإغلاق الباب أمام الذرائع المكدِّرة لصفوها.

ثالثا: المعنى وشرح النص:

أ-التعريف والمفهوم:

الذريعة: هي الوسيلة المفضية إلى الشيء. أو هي: ما يُتوصل به إلى الشيء. والذريعة كما تكون إلى المفاسد المحرمة تكون إلى المصالح أيضًا، فالسفر وسيلة الحج والسفر من الوسائل والحج من المقاصد، فتأخذ الوسيلة هنا أو الذريعة حكم المقصد (وهو الحج)، والعبرة في الحكم هنا بالمآل [1] لا بالحال، فقد يكون حكم الوسيلة في حد ذاته مباحًا لكن لأنه قد يؤدي إلى محرم (وهو المآل) فيأخذ حكمه، كما قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَسُبُّواْ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّواْ ٱللَّهَ عَدْوَۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [الأنعام:١٠٨]. فسبُّ ما عُبِدَ من دون الله مباح أو مستحب في حد ذاته، لكنه هنا أدى إلى الاعتداء بسبِّ الله فحَرُمَ لأجله، وهذا هو ما يسمى بسدِّ الذرائع، أي: منع الوسائل المفضية إلى ما هو محرم أو مكروه، وهي قاعدة من قواعد الشرع الحكيم ولها شواهد كثيرة تدل عليها.

---

(١) المآل: النتيجة النهائية.

ومن الذرائع المؤدية إلى الشرك نداء الموتى والاستعانة بالمقبورين[١] ؛ بأن يقول الداعي مثلًا: "يا حسين ارزقني" أو : "يا بدوي اشف مريضي" أو: "يا دسوقي اقض حاجتي" أو: "يا أم العواجز يا بتعة يا سيدة زينب" فكل هذا لا يجوز في شرع الله؛ لأنه استعانة بغير الله، قال الله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾ [الفاتحة]، وقال تعالى: ﴿وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝١٠٦﴾ [يونس]، وقال تعالى: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَٰفِلُونَ ۝٥﴾ [الأحقاف]. وقال ﷺ: «إذا سألت فاسأل الله وإذا استعنت فاستعن بالله»(الترمذي:٢٤٤٠)[٢].

ونداء الموتى والمقبورين منافٍ لخلوص القلب لله، وهذا بخلاف التوسل بالموتى الصالحين إلى الله، وهو بأن يقول الداعي: يا رب أسألك بحق جاه نبيك ﷺ . أو: أسألك بالصالحين من عبادك. أو ما شابه ذلك، فهذا دعاء لله وتوجه إليه سبحانه بالطلب، وهذه الكيفية مختلف فيها والجماهير العظمى من العلماء على جوازها.

ب- لغير الله:

فهناك أعمال لا يجوز فعلها إلا لله جل في علاه ومنها: "**النذر**"وهو: إيجاب الفعل المشروع على النفس بالقول تعظيمًا لله تعالى، قال تعالى: ﴿يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ﴾ [الإنسان:٧] وقال تعالى: ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن نَّفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُم مِّن نَّذْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُهُۥ﴾ [البقرة:٢٧٠] فهي من العبادات الشرعية[٣]، والقاعدة أن العبادات يحرم صرفها لغير الله تعالى، فلا يجوز مثلًا أن يقال: إن شُفي مريضي لأتصدّقن للحسين. أو ما شابه ذلك، وكذا لا يجوز الذبح لغير الله فهو من العبادات، قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝١٦٢ لَا شَرِيكَ لَهُۥ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ۝١٦٣﴾ [الأنعام] وقال تعالى: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ۝٢﴾ [الكوثر] وقال ﷺ: "لَعَنَ اللهُ مَنْ ذَبَحَ لِغَيْرِ اللهِ" (مسلم: ٣٦٥٨) ولهذا قال العلماء: لا يجوز النذر للقبور، فإنه معصية لا يجوز الوفاء به بالاتفاق، ولا أن يوقف عليه شيء؛ لأجل

---

(١) نداء الموتى والاستعانة بالمقبورين فعل محرم في حد ذاته، ولكنه ليس شركًا وإنما قد يؤدي إلى الشرك.

(٢) والطريق التي خرجها الترمذي حسنة جيدة (ابن رجب في جامع العلوم والحكم).

(٣) محمد رواس قلعة جي، معجم لغة الفقهاء.

ذلك؛ فإن هذا الوقف لا يصح إثباته ولا تنفيذه(١).

ج- تعظيم غير الله:

ويتمثل في الحلف بغير الله، والحلف في اصطلاح علماء الشريعة: "توكيد حكم بذِكْرٍ مُعظَّم على وجه مخصوص"، وهذا الذكر المعظَّم لا يكون إلا بالله وأسمائه وصفاته، قال العلماء: والسر في النهي عن الحلف بغير الله أن الحلف بالشيء يقتضي تعظيمه والعظمة في الحقيقة إنما هي لله وحده.

ولهذا قرر العلماء أن الحلف بغير الله لا يجوز كأن يقول: وحياة الأب أو الأم أو ما شابه ذلك، وهل المنع هنا للتحريم ؟ قولان عند المالكية، والمشهور عندهم الكراهة، والخلاف أيضًا عند الحنابلة لكن المشهور عندهم التحريم، وبه جزم الظاهرية، وقال ابن عبد البر: لا يجوز الحلف بغير الله بالإجماع. ومراده بنفي الجواز الكراهة أعم من التحريم والتنزيه، والخلاف موجود عند الشافعية وجمهورهم على أنه للتنزيه(٢).

ويدل على عدم الجواز قول رسول الله ﷺ: **«أَلا إِنَّ الله يَنْهَاكُمْ أَنْ تَحْلِفُوا بِآبَائِكُمْ ، مَنْ كَانَ حَالِفًا فَلْيَحْلِفْ بِالله أَوْ لِيَصْمُتْ»** (البخاري: ٦١٥٥) وفي رواية: فقال عمر: فوالله ما حلفت بها منذ سمعت رسول الله ﷺ ينهى عنها ذاكرًا ولا آثرًا.

د- اتخاذ القبور مساجد:

وهذا النهي متعلق بالقبور ومنها: "اتخاذ القبور مساجد" أي: السجود لها على وجه تعظيمها وعبادتها كما يسجد المشركون للأصنام والأوثان وهو شرك صريح، فعن عائشة ﵂ أن النبي ﷺ قال في مرضه الذي مات فيه: **«لَعَنَ الله الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى؛ اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسْجِدًا. قَالَتْ : وَلَوْلا ذَلِكَ لأَبْرَزُوا قَبْرَهُ غَيْرَ أَنِّي أَخْشَى أَنْ يُتَّخَذَ مَسْجِدًا»** (البخاري:١٢٤٤). قال القاضي عياض: شدد في النهي عن ذلك خوف أن يتناهى في تعظيمه ويخرج عن حد المبرة (أي: البر) إلى حد النكير، فيعبد من دون الله ﷻ؛ ولذا قال النبي ﷺ: **«اللهمَّ لا تَجْعَلْ قَبْرِي وَثَنًا يُعْبَدُ ، اشْتَدَّ غَضَبُ الله عَلَى قَوْمٍ اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ»** (موطأ مالك: ٣٧٦)؛ لأن هذا الفعل كان أصل عبادة الأوثان؛ ولذا لما كثر المسلمون في عهد عثمان واحتيج إلى الزيادة في المسجد وامتدت الزيادة حتى أدخلت فيه

---

(١) علي محفوظ، الإبداع في مضار الابتداع.

(٢) ابن حجر العسقلاني، فتح الباري، ج١١، ص٥٤٠.

بيوت أزواجه ﷺ أدير على القبر المشرف حائط مرتفع؛ كي لا يظهر القبر في المسجد فيصلي إليه العوام فيقعوا في اتخاذ قبره ﷺ مسجدًا، ثم بنوا جدارين من ركني القبر الشماليين وصرفوهما حتى التقيا على زاوية مثلثة من جهة الشمال، حتى لا يمكن استقبال القبر في الصلاة(١).

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: "لَعَنَ رَسُولُ الله ﷺ زائرات القبور والمتخذين عليها المساجد والسُرَج " (الترمذي: ٢٩٤)، والسُرج هنا جمع سراج، والمقصود باتخاذ السراج هنا إيقادها وإضاءتها، وهو منهي عنه بنص الحديث خوفًا من تعظيم المقبور أو لما فيه من تضييع مال بلا نفع، ومثل إيقاد السرج وإضاءتها ستر القبور والتمسح بها، وغير ذلك من المبتدعات فهي من الذرائع المؤدية إلى الشرك.

يقول العلماء: "إن الناس يعيشون في أكواخ من عقائدهم فلا تهدموا عليهم أكواخهم، ولكن ابنوا لهم قصرًا من العقيدة السمحة، عندئذ سيهدمون أكواخهم بأيديهم"(٢) وهذا هو المنهج القرآني في تغيير ما في الناس من انحرافات عقدية أو عبادية أو أخلاقية، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ [الرعد:١١]. وقد مكث رسول الله ﷺ في مكة ثلاثة عشر عامًا يصلي في المسجد الحرام وفيه ثلاثمائة وستون صنمًا وكان يسكن في دار الأرقم على الصفا وعلى الصفا صنم اسمه "إساف" وعلى المروة صنم آخر اسمه "نائلة" ولم يرد عنه ﷺ أنه كسر صنمًا واحدًا من هذه الأصنام ولا غيَّر شيئًا من هذه الشركيات، وإنما دعا إلى توحيد القلب لله والإخلاص له سبحانه، فلما صفت هذه القلوب من هذه الشركيات كسَّر الأصنام الظاهرة في فتح مكة بعد كسر الأصنام الباطنة في القلوب وبنى فيها قصر التوحيد، وهكذا ينبغي على دعاة اليوم تجاه بعض الأمور المنهي عنها والتي قد تكون سببًا في الشرك بالله أن يغيروا ما في نفوس الناس ببناء لبنة التوحيد والعقيدة السمحة، وشيئًا فشيئًا سيزول وينخلع ما تجذَّر في النفوس من باطل وانحراف، والأمر يحتاج إلى صبر ونَفَس طويل: ﴿وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ﴾ [النحل:١٢٧].

---

(١) القاضي عياض اليحصبي، الشفا بتعريف حقوق المصطفى ﷺ ص ٣٢١.

(٢) من مقال للأستاذ حسن البنا، جريدة الإخوان المسلمون الأسبوعية، يعني: العقائد الباطلة والعادات السيئة.

هـ- زيارة مأثورة:

ولا يجعلنا الحذر من الوقوع في بعض الأمور المنهي عنها والخاصة بالقبور أن نغفل عن سُنة مأثورة عن النبي ﷺ، ألا وهي وزيارة القبور بالضوابط الشرعية. روى بريدة ﷺ عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**كُنْتُ نَهَيْتُكُمْ عَنْ زِيَارَةِ الْقُبُورِ فَزُورُوهَا؛ فَإِنَّهَا تُزَهِّدُ فِي الدُّنْيَا وَتُذَكِّرُ الآخِرَةَ**» (مسلم: ١٥٦٠). وقد زار الرسول ﷺ قبر أمه، وقال: «**اسْتَأْذَنْتُ رَبِّي أَنْ أَسْتَغْفِرَ لأُمِّي فَلَمْ يَأْذَنْ لِي، وَاسْتَأْذَنْتُهُ أَنْ أَزُورَ قَبْرَهَا فَأَذِنَ لِي**» (مسلم:١٦٢١).

وعن نافع: أن ابن عمر كان لا يمر بقبر أحد إلا وسلم عليه. وعن بريدة: أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ كَانَ إِذَا أَتَى عَلَى المَقَابِرِ فَقَالَ: «**السَّلامُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الدِّيَارِ مِنَ المُؤْمِنِينَ وَالمُسْلِمِينَ وَإِنَّا إِنْ شَاءَ الله بِكُمْ لاحِقُونَ، أَنْتُمْ لَنَا فَرَطٌ وَنَحْنُ لَكُمْ تَبَعٌ ، أَسْأَلُ الله الْعَافِيَةَ لَنَا وَلَكُمْ**» (النسائي: ٢٠١٨). وعن عائشة ﵂ أنها فقدت النبي ﷺ فإذا هو بالبقيع فقال: "**السَّلامُ عَلَيْكُمْ دَارَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ، أَنْتُمْ لَنَا فَرَطٌ وَإِنَّا بِكُمْ لاحِقُونَ، اللهمَّ لا تَحْرِمْنَا أَجْرَهُمْ وَلا تَفْتِنَّا بَعْدَهُمْ**" (ابن ماجه: ١٥٣٥).

وعن أبي أمامة قال: رأيت أنس بن مالك، أتى قبر النبي ﷺ فوقف، فرفع يديه حتى ظننت أنه افتتح الصلاة، فسلم على النبي ﷺ، ثم انصرف.

ولا شك أن زيارة القبور بالطريقة المأثورة تُذكِّر بالموت وانقطاع هذه الحياة، وانقضاء إلف اللذات والشهوات، وتفكر فيما يصير إليه من ضيق اللحود وصولة الدود، وهو لا يدري ما يؤول إليه من شدة الحساب، وصعوبة الجواب، ولا شك أن في هذا إحسانًا إلى الميت بالسلام عليه، والدعاء له بالرحمة والمغفرة وسؤال العافية.

رابعًا : جوانب تطبيقية مستفادة من النص:

* ألتزم بآداب زيارة القبور.
* أذكر الموت كثيرا ليرق قلبي ويستقيم سلوكي.
* أجتهد في تعليم من حولي آداب زيارة المقابر.
* أحذر من حولي من الاستعانة بغير الله.
* أوضح لمن حولي حرمة النذر لغير الله.
* أحفظ لساني عن القسم بغير الله.

* أشجع وأنشر البرامج الإعلامية التي توضح خطورة البدع المنتشرة الخاصة بزيارة القبور.

خامسًا : التقويم: (الدرجة النهائية ١٥)

١- زيارة القبور سنة مشروعة . ما الحكمة من زيارتها ؟ اذكري حديثًا لرسول الله ﷺ يبين ذلك . (٥درجات)

٢- ماذا يفعل المسلم حين يمر بقبور الظالمين ؟ (درجة واحدة)

٣- اذكري حديثًا يحدد سنة المصطفى -عليه الصلاة والسلام- في زيارة القبور. (٣درجات)

٤- ذكر النص عدة أمور محرمة متعلقة بالقبور وزيارتها . اذكري الدليل على حرمتها من الكتاب أو السنة ، ولماذا يجب التشديد في محاربة هذه البدع ؟ (٦درجات)

* * *

الأصل الخامس عشر للفهم الصحيح للإسلام

أولاً : النص :

" والدعاء إذا قرن بالتوسل إلى الله بأحد من خلقه خلاف فرعي في كيفية الدعاء وليس من مسائل العقيدة" .

ثانيًا : الأهمية :

في هذا النص ما يعالج قضية قد طال فيها النزاع وتفرقت بسببها القلوب وتبادل حولها علماء الإسلام تهم التكفير والتجهيل في الوقت الذي هم أحوج ما يكونون فيه لوحدة الصف ووحدة الكلمة .

ثالثًا : المعنى وشرح النص:

١- صورة المسألة وتصنيفها في الدين:

المسألة التي يعنيها النص في التوسل هي: قول المرء: اللهم إني أسألك بجاه فلان أو حقه أو نحو ذلك. أي يكون التوجه إلى الله -لا إلى سواه- ومع هذا التوجه توسل إليه تبارك وتعالى بفلان..

وهذه الصورة من المسائل الفرعية لا العقيدية أي في دائرة الراجح والمرجوح التي يدلي فيها كل فريق بحجته. وهذا معنى : " خلاف فرعي " . ولا يترتب على اختيار أي رأي فيها فساد اعتقاد أو زيغ وضلال . وهذا معنى قوله : " وليس من مسائل العقيدة " .

بين ابن تيمية رحمه الله أن هذه الصورة من المسائل الخلافية النزاعية التي يسوغ فيها الاجتهاد ولا يجوز فيها الإلزام . فقال رحمه الله عن الخلاف فيها: "بل غايته أن يكون ذلك مما يسوغ فيه الاجتهاد وما تنازعت فيه الأمة فيجب رده إلى الله والرسول" (١) .

ويبين أيضا أن الخلاف في هذه الصورة لا يجوز أن يترتب عليه هجر ولا خصام فضلا عن العقوبة . فقال رحمه الله : (وأما القسم الثالث مما يسمى " توسلًا " وهو الإقسام على الله عز وجل بالأنبياء والصالحين أو السؤال بأنفسهم ، فإنه لا يقدر أحد أن ينقل عن النبي ﷺ شيئا ثابتا ، لا في الإقسام أو السؤال به ، ولا في الإقسام أو السؤال بغيره من المخلوقين) (٢) .

---

(١) الفتاوى : ١/ ١٧٩.

(٢) المرجع السابق.

٢- التوسل المتفق عليه بين العلماء :

١- التوسل باسم من أسماء الله الحسنى، أو بصفة من صفاته العلى ، لقوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ فَٱدۡعُوهُ بِهَا﴾[الأعراف:١٨٠]. ولما ورد من دعائه ﷺ بأسمائه تعالى وصفاته في الكثير من أدعيته المشهورة ، كقوله ﷺ : «**اللهم إني عبدك وابن عبدك وابن أمتك ، ناصيتي بيدك ، ماض فيَّ حكمك ، عدل فيَّ قضاؤك ، أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك ، أو أنزلته في كتابك ، أو علمته أحدا من خلقك ، أو استأثرت به في علم الغيب عندك ، أن تجعل القرآن ربيع قلبي ، ونور صدري ، وجلاء حزني ، وذهاب همي**». (النسائي وابن حبان والحاكم والترمذي وأحمد).

٢- التوسل بعمل قام به الداعي ، لثبوت ذلك في صحيحي البخاري ومسلم في قصة أصحاب الغار الثلاثة الشهيرة ؛ فتوسل أحدهم ببره لوالديه ، وتوسل الثاني بعفته عن الزنا ، وتوسل الثالث بتنمية أجر أجيره وإعطائه الأجرة كاملة بعد مضي فترة طويلة . وعلى هذا يستحب للإنسان أن يدعو في حالة كربه وفي دعاء الاستسقاء وغيره بصالح عمله ، فيقول: اللهم إني أسألك بعملي الفلاني أن تغفر لي أو تفرج كربي . قال تعالى : ﴿إِنَّهُۥ كَانَ فَرِيقٌ مِّنۡ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغۡفِرۡ لَنَا وَٱرۡحَمۡنَا وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١٠٩﴾﴾ [المؤمنون] فقدموا التوسل بالإيمان على طلب الرحمة والغفران .

٣- التوسل بدعاء الرجل الصالح . فإذا نابت المسلم نائبة فمن المندوب أن يذهب إلى رجل صالح يدعو له . وفي الحديث عن أنس بن مالك رضي الله عنه : «أن رجلا دخل يوم الجمعة إلى المسجد ورسول الله ﷺ قائم يخطب ، فقال : يا رسول الله، هلكت المواشي وانقطعت السبل ، فادع الله أن يغيثنا . قال : فرفع رسول الله ﷺ يديه فقال : «**اللهم اسقنا**» قال أنس: فطلعت سحابة مثل الترس، فلما توسطت السماء انتشرت ثم أمطرت» . (البخاري: ٩٧٥).

وإذا كان هذا التوسل بدعاء النبي ﷺ فإن التوسل بدعاء غيره قد سنه لنا حينما قال لعمر بن الخطاب رضي الله عنه وقد هم بالعمرة : «**لا تنسنا يا أخي من دعائك**». (الترمذي: ٣٥٦٢) . كما سنه رسول الله ﷺ لكل رجل صالح ، ففي الحديث عن عمر رضي الله عنه قال: إني سمعت رسول الله ﷺ يقول : «**إن خير التابعين ، رجل يقال له أويس ، وله والدة وكان به بياض فمروه فليستغفر لكم** » (مسلم: ٣٥٦٢) وقد طلب عمر رضي الله عنه منه حين لقيه أن يستغفر له .

فدل ذلك على جواز التوسل بدعاء المسلمين ولو كان الداعي أقل درجة من المدعو له، ومما يدل على ذلك أيضا حثه ﷺ لنا أن نسأل الله له الوسيلة والفضيلة والمقام المحمود عند سماع الأذان .... وقد ورد الحث على دعاء المرء لأخيه عن ظهر الغيب . قال تعالى على لسان نوح عليه السلام : ﴿رَّبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِىَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا تَبَارًۢا ﴿٢٨﴾﴾ [نوح].

إنه لا حرج أن تقول لمؤمن تحسن به الظن : ادع الله لي ، أو ادع الله معي ، فلا حرج من هذا النوع من التوسل.

٢- التوسل المختلف فيه بين العلماء :

١ - التوسل إلى الله تعالى بأحد من خلقه في مطلب يطلبه العبد من ربه .

أجازه بعضهم إذا كان بمعنى الشفاعة ، فقد ورد أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه استسقى بالعباس وقال : "اللهم إنا كنا إذا أجدبنا نتوسل إليك بنبينا فتسقينا ، وإنا نتوسل إليك بعم نبينا فاسقنا. فيسقون" (البخاري: ٩٦٤) .

واضح هنا أن توسلهم به هو استسقاؤهم بحيث يدعو ويدعون معه فهو شفيع لهم وسائل لا مسئول ... وهذا رأي من لم يجز التوسل بذات المتوسل به وقال : يتوسل بدعائه لا بذاته .

و الذي يقول بهذا الرأي هو الإمام ابن تيمية الذي يقول : ودعاء عمر في الاستسقاء يدل على أن التوسل المشروع هو التوسل بدعائه وشفاعته لا السؤال بذاته ، إذ لو كان هذا مشروعا لم يعدل عمر والمهاجرون والأنصار عن السؤال برسول الله ﷺ إلى السؤال بالعباس (قاعدة جليلة في التوسل - ابن تيمية ص ٥٨) .

٢- وأجازه بعض العلماء ، وإن لم يكن بمعنى الشفاعة بل معنى التوسل بجاه الوسيلة، نحو القسم على الله بنبيه ﷺ .

و في الحديث عن عثمان بن حنيف: «أن رجلا ضرير البصر أتى النبي ﷺ فقال: ادع الله أن يعافيني. قال: إن شئت دعوت وإن شئت صبرت فهو خير لك. قال: فادعه. قال: فأمره أن يتوضأ فيحسن وضوءه ويدعو بهذا الدعاء: اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بنبيك محمد نبي الرحمة إني توجهت بك إلى ربي في حاجتي هذه لتقضى لي اللهم فشفعه فيّ» (سنن الترمذي: ٣٥٠٢).

و خلاصة الأمر .... المسألة خلافية وليست من أمور العقيدة في شيء ...

و يقول الإمام محمد بن عبد الوهاب في هذا الموضوع: " قولهم في الاستسقاء: لا بأس بالتوسل بالصالحين. وقول أحمد: يتوسل بالنبي ﷺ خاصة مع قولهم: إنه لا يستغاث بمخلوق. فالفرق ظاهر جدًا وليس الكلام مما نحن فيه، فكون البعض يرخص بالتوسل بالصالحين وبعضهم يخصه بالنبي ﷺ وأكثر العلماء ينهى عنه ويكرهه فهذه المسألة من مسائل الفقه، والصواب عندنا قول الجمهور: إنه مكروه. فلا ننكر على من فعله "[1].

رابعًا: جوانب تطبيقية مستفادة من النص:

* أوضح للناس أهمية الدعاء ومكانته في الإسلام.

* أتوسل إلى الله تعالى بأسمائه وصفاته.

* لا أنكر على من يتوسل إلى الله تعالى بأحد من خلقه.

* أبين للناس أن التوسل بأحد من البشر مسألة خلافية.

خامسًا: التقويم: (الدرجة النهائية ١٠)

١- وضحي معنى التوسل . (درجتان)

٢- ما الفرق بين الاستغاثة والتوسل ؟ (درجتان)

٣- وضحي مفهوم الخلاف الشرعي. (درجتان)

٤- وضحي صور التوسل المتفق عليها بين العلماء بأدلتها الشرعية .(٤ درجات)

* * *

---

(١) مجموعة فتاوى الشيخ محمد بن عبد الوهاب، ص ٦٨ – ٦٩ .

الأصل السادس عشر للفهم الصحيح للإسلام

أولاً: النص:

" والعرف الخاطئ لا يغير من حقائق الألفاظ الشرعية، بل يجب التأكد من حدود المعاني المقصود بها والوقوف عندها، كما يجب الاحتراز من الخداع اللفظي في كل نواحي الدنيا والدين، فالعبرة بالمسميات لا بالأسماء".

ثانيًا: الأهمية:

إن قضية المصطلح وما ثار حولها من معارك فكرية له أثره الثقافي الواضح في مجتمعاتنا العلمية، مما أدى إلى سلبيات في العقلية المسلمة تمثلت بين طرفي نقيض، إما: "الجمود الفكري"، أو" انحلاله"، و"خير الأمور أوسطها"، فالقاعدة الشائعة بين المفكرين أنه:" لا مشاحة [1] في الاصطلاح إذا عُرف المعنى" وهذه القاعدة لابد أن تُفهم في إطار المذاهب الاعتقادية والطبيعة الحضارية والأهداف من وراء هذا الاستخدام، فلكل مذهب اعتقادي -أو طبيعة حضارية- مصطلحاته الخاصة به، فلا تؤخذ المصطلحات ويتم تداولها ونشرها قبل معرفة معانيها ومراميها والخلفية الثقافية التي تحكمها.

ثالثًا: المعنى وشرح النص:

١- العرف:

ما ألفه المجتمع واعتاده وسار عليه في حياته، وهو على قسمين عملي وقولي. **والعرف إما أن يكون صحيحًا:** وهو ما لا يخالف نصًا من نصوص الشريعة، ولا يفوت مصلحة معتبرة، ولا يجلب مفسدة راجحة. **أو يكون فاسدًا:** وهو خلاف الصحيح.

٢ - تعليم نبوي:

وقد علَّم الرسول ﷺ صحابته الكرام -رضوان الله عليهم- عملية تحديد مضامين [2]

---

(١) لا مشاحة: أي لا اختلاف حول هذا المصطلح طالما عرف معناه.

(٢) اشترط العلماء لاستخدام المصطلح شرطين هما: العرف الخاص، والوضوح. ينظر: محمد إقبال عروي، من بنود الاصطلاح في التراث الإسلامي، مجلة آفاق الثقافة والتراث، عدد ٢٢، ص ١٥.

المصطلحات، فقد روى أبو هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «هَلْ تَدْرُونَ مَنْ المفْلِسُ ؟ قَالُوا: المفْلِسُ فِينَا يَا رَسُولَ الله مَنْ لا دِرْهَمَ لَهُ وَلا مَتَاعَ. قَالَ: إِنَّ المفْلِسَ مِنْ أُمَّتِي مَنْ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصِيَامٍ وَصَلاةٍ وَزَكَاةٍ وَيَأْتِي قَدْ شَتَمَ عِرْضَ هَذَا وَقَذَفَ هَذَا وَأَكَلَ مَالَ هَذَا، فَيُقْعَدُ فَيَقْتَصُّ هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يَقْضِيَ مَا عَلَيْهِ مِنْ الخطَايَا أُخِذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ» (أحمد: ٧٦٨٦).

فنلحظ أن رسول الله ﷺ وضع مضمونًا خاصًا لمصطلح "المفلس"، وهذا هو مقصدنا من هذا الموضوع:" تحرير المصطلحات وضبطها" أي: تحريرها من أي معنى غير مراد عند أهل هذا الاصطلاح، وضبطه وتقييده ووضعه في مضمون خاص، وذلك حتى ينضبط العقل والفهم ولا ينحرف في إيراد معانٍ غير مرادة.

٣- العرف الخاطئ:

يقصد بالعرف الخاطئ تلك المضامين الخاطئة لمعاني الكلمات والألفاظ، فمثلًا وَضْع اسم" المشروبات الروحية" على" الخمور والكحوليات" فإن هذا المضمون الخاطئ لا يغير من حقيقته الشرعية وهو التحريم، ولا ننخدع بالاسم اللطيف "الروحية" الذي وضعوه، فالعبرة بالمعاني والمضامين لا بالأسماء والعناوين، فعن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لَيَسْتَحِلَّنَّ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي الخمْرَ بِاسْمٍ يُسَمُّونَهَا إِيَّاهُ» (أحمد:٢١٦٥١). وكذلك الربا يسمونه «فائدة»، والمقاومة ضد المحتل يسمونها «إرهابًا»!!

رابعًا : جوانب تطبيقية مستفادة من النص:

* أنكر العرف الذي يعارض نصًا شرعيًا.
* ألتزم الوسطية دائما بلا إفراط ولا تفريط.
* أحرص على فهم المصطلحات في ضوء خلفياتها الثقافية.
* أوضح للناس أن العبرة بمسميات الأشياء لا بأسمائها.
* أحذر من حولي من هدف أعداء الإسلام من طمس بعض المصطلحات الإسلامية.

خامسًا : التقويم: (الدرجة النهائية ١٠)

١- شاعت أسماء أطلقت على بعض المسميات فتغير مدلولها؛ لهذا يجب الاحتراز مما شاع منها والعبرة بالمسميات لا بالأسماء . اضربي بعض الأمثلة على ذلك .(٤ درجات)

٢- الأعراف منها ما يجنح إلى الإفراط ، ومنها ما يجنح إلى التفريط ، وواجبنا التزام وسطية الشرع وحقيقته الثابتة، ومعرفة المراد بالألفاظ الشرعية وحدودها والوقوف عندها . مثلي لذلك من واقع الحياة. (٦ درجات)

* * *

الأصل السابع عشر للفهم الصحيح للإسلام

أولاً: النص:

" والعقيدة أساس العمل، وعمل القلب أهم من عمل الجارحة، وتحصيل الكمال في كليهما مطلوب شرعا وإن اختلفت مرتبتا الطلب".

ثانيًا: الأهمية:

يركز هذا النص على حقائق مهمة لها آثارها العظيمة في سلوك المرء وتربيته، فيؤكد أن العقيدة أساس العمل وأن عمل القلب أهم من عمل الجوارح، ومن خلال هذا النص يتعلم المسلم فقه الأولويات حيث يقدم الأعلى على الأدنى في جميع الأعمال.

ثالثًا: المعنى وشرح النص:

١- العقيدة أساس العمل:

المراد بالعقيدة هنا الإيمان، والإيمان بالله وسلامة الاعتقاد هو أساس كل شيء، وبدونه -ومهما بدا العمل جميلا وكثيرا- لا قيمة له لأنه قائم آن ذاك على فراغ ويتجه إلى ضلال، قال تعالى عن الكافرين وأعمالهم: ﴿ وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴿٢٣﴾ ﴾ [الفرقان]، ويقول ﷻ: ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَعْمَٰلُهُمْ كَسَرَابٍۭ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ ٱلظَّمْـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمْ يَجِدْهُ شَيْـًٔا وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ فَوَفَّىٰهُ حِسَابَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٣٩﴾ ﴾ [النور].

وعلى قدر قوة العقيدة وعمق الإيمان وصدق اليقين تكون ثمار العمل ونضجها، فواجب كل مسلم عامة والمربين خاصة أن يهتموا بتعميق جذور الإيمان الصافي والعقيدة السليمة في النفوس لتأتي الأعمال صحيحة مقبولة.

ولقد كان هذا من هدي المصطفى ﷺ في تربية الصحابة ﷺ.

فهو يسم القلب بأنه أشرف الأعضاء، فهو محل أصل الإيمان، ويتوقف عليه صلاح بقية الأعضاء أو فسادها، وفي هذا يقول الرسول ﷺ: «**ألا وإن في الجسد مضغة، إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله؛ ألا وهي القلب**»(البخاري:٥٢). لذلك كانت التربية النبوية موجهة ابتداءً إلى القلب لأنه مفتاح التحويل، وباستقامته تستقيم الجوارح قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾[الرعد:١١].

٢ - أعمال القلب:

ومن ثم كانت أعمال القلوب مقدمة على أعمال الجوارح.

فالتوكل على الله، واليقين في الله، والخوف من الله... أهم من الذكر والإنفاق وإماطة الأذى عن الطريق وفي كل خير، والنفاق والكبر والحقد والبخل أخطر من الشتم والسرقة والضرب... وجميعهم مر وضر.

ومنها الإقرار والقبول في مقابل الجحود والرفض، ومنها الانقياد والطاعة في مقابل التكبر والعصيان، ومنها اليقظة في مقابل الغفلة، ومنها الإخلاص في مقابل النفاق والشِّرك وغير ذلك كثير، وهي أعمال يعملها القلب فتؤثر في أعمال الجوارح، وهي أيضًا تتأثر بأعمال الجوارح.

٣- تضافر عمل القلب وعمل الجارحة:

يؤثر كل من عمل القلب وعمل الجارحة أحدهما على الآخر، والخطر المرعب يكمن في أن ما نفعله من أعمال سيئة بالجوارح قد تتغلب على القلب فتفسده، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ أن النبي ﷺ قَالَ: «إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا أَخْطَأَ خَطِيئَةً نُكِتَتْ فِي قَلْبِهِ نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ، فَإِذَا هُوَ نَزَعَ وَاسْتَغْفَرَ وَتَابَ سُقِلَ قَلْبُهُ[1]، وَإِنْ عَادَ زِيدَ فِيهَا حَتَّى تَعْلُوَ قَلْبَهُ، وَهُوَ الرَّانُ الَّذِي ذَكَرَ الله ﷻ: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾﴾ [المطففين]» (الترمذي: ٣٢٥٧).

وصحة أعمال القلب تُضفي على أعمال الجوارح صفات راقية، فقد عُصِمَ يوسف ﷺ من الفاحشة بذلك، قال تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ ۚ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ ﴿٢٤﴾﴾ [يوسف].

٤ - تحصيل الكمال في كل من أعمال القلب والجوارح وترتيب الأولى في ذلك:

وواجب المسلم أن يسعى للتخلق بشعب الإيمان التي جمعت كل الأعمال؛ أعمال القلوب وأعمال الجوارح، ولا يجوز له الاكتفاء بأحدهما ، والمؤمنون الكاملون أدركوا ذلك فعملوا به، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَاتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾﴾ [الأنفال].

---

(١) سقل: صُفي ونُقي، وفي رواية ابن ماجه: صقل.

مع هذا السعي للكمال في كلا النوعين يركز المؤمن على أعمال القلوب، بادئا بها، غير مهمل ولا مستهين بأعمال الجوارح ، لكن مراعيا للترتيب والأولويات ، مقدما الأعلى على الأدنى ، فقد قال رسول الله ﷺ : «**الإيمان بضع وسبعون، أو بضع وستون شعبة، فأفضلها: قول لا إله إلا الله ، وأدناها: إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان**» (مسلم : ٣٥).

وفي هذا يقول شيخ الإسلام ابن تيمية : " الدين القائم بالقلب من الإيمان علما وحالا هو الأصل والأعمال الظاهرة هي الفروع ، وهي كمال الإيمان، فالدين أول ما يبنى من أصوله ويكمل بفروعه ، كما أنزل الله بمكة أصوله من التوحيد والأمثال .. والقصص والوعد والوعيد، ثم أنزل بالمدينة – لما صار له قوة – فروعه الظاهرة من الجمعة والجماعة، والأذان والإقامة والجهاد والصيام وتحريم الخمر والزنا والميسر وغير ذلك من واجباته ومحرماته، فأصوله تمد فروعها وتثبتها وفروعه تكمل أصولها وتحفظها "[1].

رابعًا : جوانب تطبيقية مستفادة من النص :

* أعمل جاهدة على طهارة قلبي وصحة قلبي من الأمراض.
* أستغفر الله كثيرا آناء الليل وأطراف النهار.
* أتدبر القرآن وأفهمه حتى أتحقق بالتقوى.
* أُحذِّر الناس من شرك التشريع.
* أوضح لمن حولي أن صحة الاعتقاد أساس قبول العمل.
* أجتهد في اجتناب المعاصي حتى لا يفسد قلبي.
* أوضح للناس أن العمل الصالح أساس التفاضل بين الناس.
* أذكر من معي أن عمل القلب أهم من عمل الجوارح.
* أحرص على سلامة عقيدة أبنائي بتجنيبهم البرامج الإعلامية الهدامة.

خامسًا : التقويم : (الدرجة النهائية ١٥)

١ – لماذا كانت العقيدة أساسًا للعمل ؟ (درجتان)

---

(١) الفتاوى: ١٠/ ٣٥٥- ٣٥٦.

٢- اذكري أمثلة لأعمال القلوب وأخرى لأعمال الجوارح.(٤درجات)

٣- وضحي لماذا قدمت أعمال القلوب على أعمال الجوارح. (٤درجات)

٤- هل يمكن إهمال أعمال الجوارح بحجة الاهتمام بأعمال القلوب ؟ ولماذا ؟ (٥درجات)

* * *

الأصل الثامن عشر للفهم الصحيح للإسلام

أولاً: النص:

"والإسلام يحرر العقل ويحث على النظر في الكون، ويرفع قدر العلم والعلماء، ويرحب بالصالح النافع من كل شيء، والحكمة ضالة المؤمن أنى وجدها فهو أحق الناس بها".

ثانيًا: الأهمية:

تتمثل أهمية هذا النص في الانحرافات التي سلكتها الشعوب والمجتمعات اغترارا بالعقل وفصله عن الدين.

فالبعض يعبده عبادة خالصة حتى صار مادة بلا روح، والبعض يستعمله منفصلا عن الدين، فتدينه يمثل جانبا من حياته، وإعمال عقله في الفكر والإبداع جانبا آخر، وآخرون جمدوا وظيفة العقل واستحبوا التقليد، وكل ذلك خارج عن منهاج الدين القويم.

ثالثًا: المعنى وشرح النص:

١- تحرير العقل:

يهدف القرآن – ضمن أهدافه – أن تتكون لدى الإنسان عقلية علمية مدركة وواعية قد انقطعت أواصر العلاقة بينها وبين الجهل، ولأجل تكوين هذه العقلية العلمية دعا الشرعُ الإنسانَ إلى التحرر من كل ما يناقض أو يخالف هذا السمو العلمي للعقل.

* فأنكر على المتبعين للظنون الرافضين لليقينيات العقلية فقال ﷻ: ﴿وَمَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍۖ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّۖ وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا ﴿٢٨﴾﴾ [النجم].

* وعاب على المتبعين أهواءهم فقال سبحانه: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ﴾ [القصص:٥٠].

* وشن حملة عنيفة على من قلّد تقليدًا أعمى للآباء والأسلاف، فقال عز من قائل: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآۚ أَوَلَوْ كَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٢١﴾﴾ [لقمان]

*وذم من سار في ركاب السادة والكبراء والجبابرة دون علم أو إعمال للعقل، فقال

تعالى عن قوم نوح: ﴿ وَٱتَّبَعُواْ مَن لَّمْ يَزِدْهُ مَالُهُۥ وَوَلَدُهُۥٓ إِلَّا خَسَارًا ﴾ [نوح:٢١] وعن قوم عاد: ﴿وَٱتَّبَعُوٓاْ أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴿٥٩﴾﴾ [هود]. وعن فرعون وملئه: ﴿ فَٱسْتَخَفَّ قَوْمَهُۥ فَأَطَاعُوهُ ﴾ [الزُّخرُف:٥٤] وذكر عن هؤلاء جميعًا تبرؤ بعضهم من بعض ولعن بعضهم بعضًا فقال سبحانه: ﴿إِذْ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ وَرَأَوُاْ ٱلْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ ﴿١٦٦﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُواْ مِنَّا ۗ كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ حَسَرَٰتٍ عَلَيْهِمْ ۖ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ ﴿١٦٧﴾﴾ [البقرة]، وقال ﷻ: ﴿ يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِى ٱلنَّارِ يَقُولُونَ يَٰلَيْتَنَآ أَطَعْنَا ٱللَّهَ وَأَطَعْنَا ٱلرَّسُولَا۠ ﴿٦٦﴾ وَقَالُواْ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠ ﴿٦٧﴾ رَبَّنَآ ءَاتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ ٱلْعَذَابِ وَٱلْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا ﴿٦٨﴾﴾ [الأحزاب].

فمن خصائص الإسلام الأولى أنه دين يقوم على العقل، ويحترم منطقه، ويُبنى الإيمان على التفكير الصائب والنظر العميق، والعقل هو أثمن ما وهبه الله لعباده، وهو لا يولد ناميًا ناضجًا وإنما ينمو وينضج بوسائل شتى تُعالج بها معادن الرجال والنساء، فإذا لم تتوافر تلك الوسائل كان التخلف والقصور، واختفى - أو نَدُر- أولو الألباب الذين يقدرون على الإفادة.

٢- النظر في الكون:

ومن مقومات العقلية العلمية أنها تقوم على النظر والتفكر، فالنظر عندها فريضة، والتفكر لديها عبادة، فعلى الإنسان أن يبدأ بالنظر في نفسه أولًا ثم في أقرب الأشياء إليه، قال الله تعالى: ﴿ فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ ﴿٥﴾ خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ ﴿٦﴾ يَخْرُجُ مِنۢ بَيْنِ ٱلصُّلْبِ وَٱلتَّرَآئِبِ ﴿٧﴾ إِنَّهُۥ عَلَىٰ رَجْعِهِۦ لَقَادِرٌ ﴿٨﴾﴾ [الطارق] وقال تعالى: ﴿فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ ﴿٢٤﴾ أَنَّا صَبَبْنَا ٱلْمَآءَ صَبًّا ﴿٢٥﴾ ثُمَّ شَقَقْنَا ٱلْأَرْضَ شَقًّا ﴿٢٦﴾ فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ﴿٢٧﴾ وَعِنَبًا وَقَضْبًا ﴿٢٨﴾ وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ﴿٢٩﴾ وَحَدَآئِقَ غُلْبًا ﴿٣٠﴾ وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا ﴿٣١﴾ مَّتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ ﴿٣٢﴾﴾ [عبس]، وقال تعالى: ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴿٢٠﴾﴾ [الغاشية] ثم ينظر في آفاق الكون الفسيح، فقال تعالى: ﴿ أَفَلَمْ يَنظُرُوٓاْ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ﴿٦﴾ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴿٧﴾ تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ﴿٨﴾﴾ [ق] وقال تعالى: ﴿ قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ [يونس:١٠١] وقال تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَنظُرُواْ فِى مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ

وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَيْءٍ﴾ [الأعراف:١٨٥] ثم المزج بين ما في داخل النفس وآفاق ملكوت الله فقال تعالى: ﴿وَفِي ٱلْأَرْضِ ءَايَٰتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٢١﴾﴾ [الذاريات] ثم يأمر القرآن بالنظر في آيات الله في الحياة وفي التاريخ، فقال تعالى: ﴿قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ بَدَأَ ٱلْخَلْقَ﴾ [العنكبوت:٢٠] وقال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ﴿٦﴾ إِرَمَ ذَاتِ ٱلْعِمَادِ ﴿٧﴾ ٱلَّتِى لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِى ٱلْبِلَٰدِ ﴿٨﴾ وَثَمُودَ ٱلَّذِينَ جَابُوا۟ ٱلصَّخْرَ بِٱلْوَادِ ﴿٩﴾ وَفِرْعَوْنَ ذِى ٱلْأَوْتَادِ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ طَغَوْا۟ فِى ٱلْبِلَٰدِ ﴿١١﴾ فَأَكْثَرُوا۟ فِيهَا ٱلْفَسَادَ ﴿١٢﴾ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ﴿١٣﴾ إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ ﴿١٤﴾﴾ [الفجر].

٣ - منزلة العلم والعلماء:

وحتى تهفو النفوس إلى السمو العلمي فقد أعلى الله -جلت قدرته- من شأن العلم والعلماء فكان لهم قدر ومنزلة في الإسلام لم يبلغها أي عمل قط..

* فقرنهم الله سبحانه به وبملائكته في الشهادة على كلمة التوحيد فقال تعالى: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾﴾ [آل عمران].

* وقصر الخشية منه ﷻ على العلماء فقال سبحانه: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ ثَمَرَٰتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهَا ۚ وَمِنَ ٱلْجِبَالِ جُدَدٌۢ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ ﴿٢٧﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ وَٱلدَّوَآبِّ وَٱلْأَنْعَٰمِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ كَذَٰلِكَ ۗ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾﴾ [فاطر]. وهؤلاء العلماء المعنيون أكثر من غيرهم في سياق الآية، هم العلماء بالطبيعة والكون والأرض والنبات والإنسان والحيوان؛ لأن لفظ العلماء في الآية لفظ عام يشمل العلم الشرعي والمدني الديني والدنيوي النافع للبشرية ولا يتصادم مع قواعد الشرع.

* وجعل الرسول ﷺ طلبه كالجهاد في سبيل الله، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ خَرَجَ فِي طَلَبِ الْعِلْمِ كَانَ فِي سَبِيلِ اللهِ حَتَّى يَرْجِعَ**» (الترمذي:٢٥٧١)، فعلى كل صاحب علم وبحث متخصص أن يتعبد إلى الله بالتفوق في مجاله وتقديم الصالح النافع لكل المسلمين بل للبشرية والعالم أجمع.

٤ - ترحيب الإسلام بكل جديد ونافع وقاعدة الحكمة ضالة المؤمن:

استنادا إلى المبادئ الثلاثة التي ذكرناها تسعى العقلية العلمية الإسلامية للسبق في نواحي العلم المختلفة، وهي كذلك ترحّب بالصالح النافع من كل شيء، ولا تستنكف أن تتلقى العلم من أي مصدر طالما كان علمًا نافعًا، وهي نظرة موضوعية(١) في منهج التلقي عند المسلمين، فليس لأن الخير والنفع قد قاله غيرنا نرفضه ونأباه، فإن هذا الرفض والإباء للخير لأجل أنه صدر من غير دائرتنا يكون عجزًا واستكبارًا، فإننا مكلفون أمام الله أن نخترع الوسائل التي نُعلي بها شعائرنا سواء هُدي إليها غيرنا أم لم يهتد، فإذا فرطنا وتقدم غيرنا فمن العجز أن ندع هذه الوسائل لأننا وصلنا إليها مسبوقين، فالنقل والاقتباس في شئون الدنيا وفي المصالح المرسلة وفي الوسائل الحسنة ليس مباحًا فقط، بل قد يرتفع الآن إلى مستوى الواجب، وقد اقتبست الخلافة الراشدة في بناء النظام الإسلامي من قوانين الروم والفرس دون غضاضة.

رابعًا: جوانب تطبيقية مستفادة من النص:

* اختيار وتحديد وقتا يوميًّا مناسبا للتفكر في آفاق النفس والكون والحياة –بشكل فردي أو جماعي- كالوقت بعد صلاة الفجر أو قبل الغروب.

* تحديد مجال للتفكر لكل فرد يختلي بنفسه ويجول فيه بفكره ثم يكون الاجتماع في موعد محدد لتلقّي الخواطر، واستفادة الجميع من خواطر الأفراد.

* الاهتمام بالإجابة على تساؤلات الأبناء تبعا لمراحل عمرهم المختلفة وخاصة في الأسئلة الحرجة والبعد عن الإجابات الساذجة وعدم الاستخفاف بعقول أبنائنا.

* عدم التسرع في الإجابة على الأسئلة إذا لم نتأكد من الإجابة الصحيحة، ولا حرج في الإحالة لأشخاص هم أكثر منا علما وخبرة في الموضوع المستفسر عنه.

* دعم المعرفة لمن نقوم بتوجيههم بكتب أو أبحاث أو مواقع على الإنترنت أو حتى الإشارة إليها أو الدلالة عليها.

خامسًا: التقويم: (الدرجة النهائية ١٠)

١ – اذكري من القرآن والسنة ما يؤكد العبارات التالية:

---

(١) الموضوعية: الحيادية ودراسة الموضوع مجردا من الأهواء والتعصب اللَّذين يؤثران على نتيجة البحث تأثيرا سلبيا.

أ- حرر الإسلام العقول من قيود الأوهام والخرافات والتقليد والهوى.(درجتان)

ب- يحث الإسلام الإنسان على النظر في الكون والتدبر فيه حتى يقوم بواجبه في خلافة الأرض.(درجتان)

ج- رفع الإسلام من قدر العلم والعلماء. (درجتان)

٢ - الإسلام يرحب بكل علم نافع، فالحكمة ضالة المؤمن حيث وجدها فهو أحق الناس بها. اشرحي هذه العبارة في ضوء فهمك للأصل.(٤ درجات)

* * *

الأصل التاسع عشر للفهم الصحيح للإسلام

أولاً: النص:

" وقد يتناول كلٌّ من النظر الشرعي والنظر العقلي ما لا يدخل في دائرة الآخر، ولكنهما لن يختلفا في القطعي . فلن تصطدم حقيقة علمية صحيحة بقاعدة شرعية ثابتة، ويؤوَّل الظني منهما ليتفق مع القطعي. فإن كانا ظنيين فالنظر الشرعي أولى بالاتباع حتى يثبت العقلي أو ينهار".

ثانيًا: الأهمية:

هذا النص امتداد للذي قبله ومتمم له ومستمد لأهمية منه.

وهو يبين أن الشرع قد وضع ضوابط لكي يحدّ من شطط العقل وانحرافه حين انطلاقه في التفكير والتفكر، ويفرق بين النظر الشرعي والعقلي والعلم والظن والنظرية العلمية والحقيقة العلمية.

ثالثًا: المعنى وشرح النص:

١- توضيح المفاهيم والمصطلحات:

- النظر الشرعي يراد به: ما تتضمنه نصوص الكتاب والسنة من أحكام الحلال والحرام، وما تتضمنه من مسائل الكون والحياة والعلوم المختلفة .

- النظر العقلي يراد به: ما يتم التوصل إليه عن طريق البحث والملاحظة والتجربة والاستنباط والاستقراء.

- العلم الظني: ما لا يفيد اليقين ويحتمل الشك، فإن كان الشك راجع لطريق ثبوته فهو ظني الثبوت، وإن كان بسبب عدم وضوح الدلالة فهو ظني الدلالة.

- العلم القطعي: هو ما يفيد اليقين. وهو قطعي الدلالة أو الثبوت.إذن فالحقيقة العلمية قطعية والنظرية ظنية.

٢ – اختصاص كل من الشرع والعقل بمجالات دون الآخر:

فلا الشرع يتدخل في قوانين الكيمياء والفيزياء وكثير من قوانين العلم، ولا العقل ينظر فيما اختص به الشرع من العبادات والغيبيات وأمثالها، والأصل في هذا ما رواه رافع ابن خَدِيج رضي الله عنه قَالَ:" قدم نبي الله ﷺ المدينة وهم يأبرون النخل- يقولون: يلقحون

النخل- فقال:" ما تصنعون؟" قالوا:كنا نصنعه. قال:" **لعلكم لو لم تفعلوا كان خيرا**". فتركوه فنقصت أو فنقصت، قال: فذكروا ذلك له، فقال:" **إنما أنا بشر؛ إذا أمرتكم بشيء من دينكم فخذوا به، وإذا أمرتكم بشيء من رأيي فإنما أنا بشر**" (مسلم:٤٣٥٧).

٣ – ما جاء في القرآن من حقائق علمية:

القرآن كتاب هداية وإرشاد لعقائد وعبادات ومعاملات وأخلاق، ونظام حياة للسمو بإنسانية الإنسان، لكن وردت في القرآن كلمات دقيقة كثيرة في وصف الكون، فهي تومئ إلى أسرار علمية وسنن فطرية عرفها الناس حديثا، هنا تتقاطع دائرة"**النظر الشرعي**" في مسألة علمية مع دائرة"**النظر العقلي**".

فالحكمة من ورود مثل هذه الإشارات العلمية في الشرع دعم الإيمان وزيادته، ولفت أنظار المتخصصين إلى النظر والاكتشاف، كما أن منها ما هو إعجاز للآخرين وتحدي كما هو من خصائص القرآن.

٤ – التوفيق بين الحقائق العلمية في القرآن والتي أثبتها العلم:

* لن تصطدم حقيقة علمية صحيحة بقاعدة شرعية ثابتة، فالأصل ألا يوجد تعارض بين ما ورد في الشرع والحقائق العلمية، لاسيما إذا كانا قطعيين، فالذي علّم الإنسان هو منزل الوحي ولن تجد بينهما اختلافًا، مثال: انتقال الهلال إلى بدر ثم إلى محاق وتحوّله حالًا بعد حال، يقول ربنا ﷻ: ﴿وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ ﴿٣٩﴾﴾ [يس] ولم يختلف العلم في هذا مع القرآن.

* إن حدث تعارض فيؤوّل الظني منهما ليتفق مع القطعي، وهنا ترد عدة صور:

– أن يكون النص قطعي الدلالة والنظرية العلمية ظنية فنتبع النص ونؤول النظرية. **مثال:** أثبتت التجارب والاكتشافات العلمية بالبراهين القاطعة أن الأرض بيضاوية ، وقد أشار القرآن إلى أن الأرض ممددة منبسطة وإلى أنها بيضاوية، فقال تعالى: ﴿وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا﴾[ق:٧] وقال سبحانه: ﴿وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ ﴿٣٠﴾﴾ [النازعات].

– أن يكون النص ظني الدلالة والنظرية قطعية فيؤول النص بما يوافق العلم.

– أن يكون النص ظني الدلالة والنظرية ظنية الدلالة أو الثبوت، هنا يقدم الشرع على العقل،حتى يبتّ الزمن في النظرية العلمية؛ فإما يثبت بطلانها أو تتحول إلى حقيقة قطعية

راسخة، وعندئذ نقدمها على الظني من الشرع ولا حرج ألبتة من هذا التقديم.

رابعًا : جوانب تطبيقية مستفادة من النص :

هذا المعنى الراقي والفهم الصحيح في الإسلام يظل بعيدًا عن أرض الواقع إلى أن:

* نتحرك به بين الناس.

* ونصبغ به حواراتنا.

* ونوضحه لمن يجهله من المسلمين.

* ونبين للناس أن للشرع مجالاته وللعلم مجالاته.

* ونشرح لمعارفنا أن الحقيقة العلمية لا تصطدم بنص شرعي قطعي.

* ونقدم الحقيقة العلمية على ظني الشرع.

* ونقدم قطعي الشرع على ظني العلم.

* ونتحرك بين معارفنا بهذه المفاهيم.

وعلينا أن نحاول إيصال هذا المعنى إلى غير المسلمين. فلربما تتضح لهم رفعة الإسلام، أو يصيروا أكثر احترامًا لتمسك المسلمين بدينهم.

خامسًا : التقويم : (الدرجة النهائية ١٥)

١-اختص الشرع – دون العقل – بمجالات. واختص العقل بدوائر لا يتدخل فيها الشرع. بيني ذلك.(٦درجات)

٢-هناك دوائر يشترك فيها كلٌّ من الشرع والعقل . اذكري أمثلة لها . (٥درجات)

٣-ما المراد بالنظر العقلي والنظر الشرعي؟ (٤درجات)

* * *

الأصل العشرون للفهم الصحيح للإسلام

أولاً : النص :

"لا نكفر مسلمًا أقر بالشهادتين، وعمل بمقتضاهما، وأدى الفرائض - برأي أو معصية - إلا إن أقر بكلمة الكفر، أو أنكر معلومًا من الدين بالضرورة، أو كذب صريح القرآن، أو فسره على وجه لا تحتمله أساليب اللغة العربية بحال، أو عمل عملًا لا يحتمل تأويلًا غير الكفر".

ثانيًا : الأهمية :

* هذا النص يمثل الحد الفاصل بين الإيمان والكفر، والذي يشكل جماع قواعد الفقه.

* ظهرت مسألة التكفير قديما بظهور الفرق والمذاهب [1] وتبرز كل عصر مع ظهور دعوات وأفكار إصلاحية جديدة، أو تتنوع الآراء فيحرك الجهل بهذا الفكر أو الحقد والعداوة تجاه أصحابه فينشأ التكفير.

* ولا يخلو عصر من وجود المضلين حقيقة، المزورين باسم التجديد، فلزم وجود ميزان يزن المسلم من الكافر.

ثالثًا : المعنى وشرح النص :

١- حقوق المسلم وحرمة تكفيره بغير حق :

* يثبت مفهوم الإسلام لمن نطق بالشهادتين، فمن قالها فهو مسلم حرام الدم والمال، فعن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: **«أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لا إِلَهَ إلا الله وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ الله، وَيُقِيمُوا الصَّلاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ ، فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلا بِحَقِّ الإسلام، وَحِسَابُهُمْ عَلَى الله»**(البخاري:٢٤).

* لا يكفي الإقرار لجريان أحكام الإسلام بل لابد من العمل بمقتضى الشهادتين وتأدية الفرائض، وهو قول النبي ﷺ في الحديث السابق (إلا بحقها).

* من ثبت إسلامه بيقين لم يزل عنه بالشك[2].

---

(١) انظري بدعة التكفير قديما وحديثا في شرح هذا الأصل، كتاب فهم الإسلام للمؤلف.

(٢) أحمد عبد الحليم بن تيمية، الفتاوى الكبرى، جـ ١٢، ص ٤٦٦ .

* حرم الله أن يكفِّر مسلمٌ مسلمًا بلا حجة لا شبهة فيها، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: « **أَيُّمَا رَجُلٍ قَالَ لأَخِيهِ: يَا كَافِرُ. فَقَدْ بَاءَ بِهَا أَحَدُهُمَا** »(البخاري:٥٦٣٩) وفي رواية: « **إِذَا كَفَّرَ الرَّجُلُ أَخَاهُ فَقَدْ بَاءَ بِهَا أَحَدُهُمَا** » (مسلم: ٩١).

* جعل الرسول ﷺ الامتناع عن هذه الجريمة (جريمة التكفير) من أصول الإيمان، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: « **ثَلاثٌ مِنْ أَصْلِ الإِيمَانِ: الْكَفُّ عَمَّنْ قَالَ: لا إِلَهَ إِلا الله. وَلا نُكَفِّرُهُ بِذَنْبٍ وَلا نُخْرِجُهُ مِنْ الإِسلام بِعَمَلٍ. وَالْجِهَادُ مَاضٍ مُنْذُ بَعَثَنِي الله إِلَى أَنْ يُقَاتِلَ آخِرُ أُمَّتِي الدَّجَّالَ، لا يُبْطِلُهُ جَوْرُ جَائِرٍ وَلا عَدْلُ عَادِلٍ، وَالإِيمَانُ بِالأَقْدَارِ** » (أبو داود: ٢١٧٠).

فالتسرع في التكفير أمر خطير على صاحبه وعلى المجتمع وعلى الدعوة، قال حجة الإسلام أبو حامد الغزالي: "والذي ينبغي أن يميل المسلم إليه الاحتراز من التكفير ما وجد إليه سبيلًا، فإن استباحة الدماء والأموال من المصلين إلى القبلة المصرحين بقول: لا إله إلا الله محمد رسول الله.. خطأ، والخطأ في ترك ألف كافر في الحياة أهون من الخطأ في سفك محجمة [1] من دم مسلم" [2].

٢-تحديد معنى التكفير وما يترتب على هذا التحديد:

الكفر في الدين: صفة من جحد شيئاً فيما افترض الله -تعالى- الإيمان به بعد قيام الحجة عليه ببلوغ الدعوة إليه، أو عمل عملاً جاء النص بأنه مخرج من الملة.

والجحود: هو التكذيب والإنكار مع العلم بالأمر المكذَّب به، ويكون بالقلب أو اللسان أو بهما معًا.

- ويترتب على هذا التعريف أمور:

١ - يُعْذَر الجاهل بأحكام الدين، ويرى البعض أنه لا عذر لأحد بالجهل لقوله تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة:٣] والصواب أن الجاهل معذور ولا يحكم عليه بكفر حتى يتبين له خطؤه .

ومنها في العذر الجهل في العبادة .

(١) أي: قارورة أو إناء صغير من دم .

(٢) أبو حامد محمد بن محمد الغزالي، الاقتصاد في الاعتقاد، ص١٥٧ .

٢ - يكفينا في قبول إسلام الأوروبيين والأمريكان وغيرهم نطقهم بالشهادتين ويعذروا في الأحكام حتى يتعلموها شيئًا فشيئًا.

٣- لا يعذر أحد بجهالته في حقوق الناس.

٤ - يكفي بالتسليم بصحة العقيدة التصديق بأركان الإيمان الستة وما تقتضيه ولا يلزم علم الأدلة، وكذلك لا يتوقف التسليم بالإيمان على العمل.

٥ - لكل عبادة جانبين تقاس بهما:

-جحودها، وبه يكفر صاحبه.

- التكاسل عنها واتباع الهوى دون أدائها، ولا يكفر فاعله، ويدخل فيه ترك الحكم بما أنزل الله تمامًا مثل ترك الصلاة.

٦- توضيح هذين المفهومين (تميز الإيمان عن العمل، والعذر بالجهل) ليس دعوة للكسل، ولكن هو حقنٌ للدماء وصيانةٌ للأعراض ووقوفٌ عند حدود الله، وإلا فدرجات الجنة أعدت للعاملين، والإيمان صيانة من الخلود في النار لا دخولها، ومن جانب آخر يكون العلم والعمل صيانة للمؤمن ولإيمانه، وإلا فما أقربه أن يعود خاسرًا إلى كفره فنجري عليه أحكام الكافرين.

٣-لا تكفير برأي أو معصية(١):

أوضح القرآن الكريم أن المرء لا يُكفَّر بالمعصية ما دامت دون الشرك الأكبر، بل إن رحمة الله ومغفرته تشمل تلك المعاصي بمشيئته تبارك وتعالى، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء:٤٨].

أما الأحاديث فكثيرة، منها ما رواه سلمة بن نعيم قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ لَقِيَ اللهَ لا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا دَخَلَ الجنَّةَ وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ**»(أحمد: ١٧٥٦٨). كذلك لا يُكفَّر مسلم بسبب رأي خطأ قاله في مسألة اجتهادية تحتمل وجهات نظر سواء أكانت في عقيدة أو فقه، قال رسول الله ﷺ: «**إِنَّ اللهَ وَضَعَ عَنْ أُمَّتِي الخطأَ وَالنِّسْيَانَ وَمَا اسْتُكْرِهُوا عَلَيْهِ**» (ابن ماجه:٢٠٣٥)، ويعلق على هذا شيخ الإسلام ابن تيمية فيقول:"وذلك يعم الخطأ في

(١) نظرات في رسالة التعاليم، ص١٥٧ .

المسائل الخبرية القولية والمسائل العملية، ومازال السلف يتنازعون في كثير من هذه المسائل، ولم يشهد أحد منهم على أحد لا بكفر ولا بفسق ولا بمعصية" [(١)].

وما جاء من النصوص يدل ظاهره على التكفير بالكبيرة فيؤول لعموم الأدلة السابقة، ومن هذه النصوص حديث: **"بين العبد وبين الشرك أوالكفر ترك الصلاة"** وحديث: **"لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر"**، فإن كلمة الكفر تطلق على معاني مجازية لا يراد بها الكفر المخرج من الملة الذي نحن بصدد الكلام عليه، ولكن كما قال العلماء: كفر دون كفر.

٤- الأمور التي يكفر بها من أقر بالشهادة:

أوضح العلماء جملة أسباب من أتى شيئًا منها كان مستحقًّا للتكفير:

١ - الإقرار بكلمة الكفر:

كأن يقول إنه يكفر بالله، ولا يقر برسالة محمد ﷺ، فمثل هذا قد حكم على نفسه، فلا حظَّ له في الإسلام.

٢ - إنكار معلوم من الدين بالضرورة:

هناك أمور متواترة قطعية مشهورة معلومة للأمي والعالم بلا بحث ولا اجتهاد، وذلك كوجوب الصلاة ووجوب الزكاة وتحريم الزنى، فمن أنكر ذلك الوجوب أو التحريم فقد خرج من دائرة الإسلام.

٣- تكذيب صريح القرآن:

فالقرآن هو أصل الأصول في الأحكام لكل مسلم، فمن كذب شيئًا دل عليه القرآن صراحة وبوضوح لا لبس فيه ولا احتمال، كأن ينكر نبوة إبراهيم أو إسماعيل أو صالح أو هود عليهم السلام، أو ينكر وجود الملائكة...فهو كافر.

٤-التفسير الباطل بكل حال:

القرآن الكريم نزل بلغة العرب، فهو بهذه اللغة يفهم لا بسواها، فمن أعرض عن تفسير القرآن بالقرآن وبسنة رسول الله ﷺ وأقوال الصحابة الكرام رضي الله عنهم ولغة العرب وأخذ يفسره بهواه فليتبوأ مقعده من النار، ومن اتخذ هذا الأسلوب ذريعة لينكر الثابت،

---

(١) أحمد عبد الحليم بن تيمية، مجموع الفتاوى، جـ٣، ص٢٢٩.

ويثبت المنفي، ويحل الحرام، ويحرم الحلال فهو كافر متبع لهواه لا مؤمن عابد لله .

وذلك كأن يفسر نعيم الجنة وعذاب النار بأنها أمثال وخيال ومعنويات وروحيات وليست حقائق ثابتات.

وكأن يفسر خاتم النبيين بغير آخر النبيين، وهذه التفاسير الواهمة الواهية الباطلة نجد كثيرًا منها عند المارقين من أتباع المذاهب صنيعة الاستعمار كالقاديانية والبهائية والعلمانية، وغيرها [١].

٥- **إتيان عمل لا يحتمل إلا الكفر:**

وذلك كمن يفر إلى الكفار ويعاونهم ضد الإسلام والمسلمين، قال تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ﴾[المائدة:٥١] . وكأن يستهزئ بالله وآياته ورسوله والإسلام.

٦ – **إنكار أمر مجمع عليه:**

فما أجمع عليه علماء الأصول أو الفروع واجب الإيمان به والالتزام به كوجوب أداء الصلوات الخمس وطاعة الرسول ﷺ...إلخ، ومنكر ذلك كافر خارج عن ذمة الإسلام.

٥- التفرقة بين النوع والمعين:

هنا أمر يجب أن نلفت النظر إليه، وهو ما قرره المحققون من العلماء من وجوب التفرقة بين الشخص والنوع في قضية التكفير .

ومعنى هذا أن نقول مثلًا: المستهزئون بكتاب الله فهم كفار، فهذا حكم على النوع .

فإذا تعلق الأمر بشخص معين ينتسب إلى هؤلاء وجب التوقف للتحقق والتثبت من حقيقة موقفه بسؤاله ومناقشته، حتى تقوم عليه الحجة وتنتفي الشبهة وتنقطع المعاذير.

وفي هذا يقول شيخ الإسلام ابن تيمية:" إن القول قد يكون كفرًا فيطلق القول بتكفير صاحبه ويقال: من قال هذا فهو كافر. لكن الشخص المعين الذي قاله لا يحكم بكفره حتى تقوم عليه الحجة التي يكفر تاركها" [٢].

---

(١) أحمد عبد الحليم بن تيمية، مجموع الفتاوى، ص ١٥٨، ١٥٩ .

(٢) أحمد عبد الحليم بن تيمية، المسائل الماردينية، نقلًا عن دستور الوحدة الثقافية بين المسلمين للشيخ محمد الغزالي، ص ١٧٢ – ١٧٣ .

فإذا كان كل هذا الاحتياط في شأن المصرحين بالكفر، فكيف يجترئ مسلم على تكفير الجماهير التي تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله إن خلطوا عملًا صالحًا وآخر سيئًا؟ (١).

رابعًا: جوانب تطبيقية مستفادة من النص:

* أبين لمن حولي أن كل من نطق بالشهادتين مسلم يحرم دمه.

* أنصح من حولي بالبعد عن إطلاق كلمة الكفر على الآخرين.

* أحفظ لساني عن رمي الناس بالباطل.

* الحذر من استسهال رمي الناس بالكفر، وخاصة عندما يشيع الظلم بين الناس، وهو أمر يجب مواجهته بصراحة وجرأة.

* حفظ اللسان عن رمي الناس بالباطل.

خامسًا: التقويم (الدرجة النهائية ١٠)

١- "لا نكفر مسلمًا أقر بالشهادتين وعمل بمقتضاهما وأدى الفرائض ..." اذكري الدليل الشرعي المؤيد لذلك.(درجتان)

٢- القرآن الكريم بين أن المرء لا يكفر بالمعصية ما دامت دون الشرك الأكبر. اذكري آية تدل على ذلك .(درجتان)

٣- لا يكفر مسلم بسبب رأي خطأ في مسألة اجتهادية تحتمل وجهات نظر، سواء كانت عقيدة أو فقه. هاتي دليلًا على ذلك .(درجتان)

٤- اذكري الأقوال والأفعال التي يكفر بها المسلم، والتي وردت بالنص. مثلي لكل بمثال أو أكثر .(٤ درجات)

* * *

---

(١) محمد الغزالي، دستور الوحدة الثقافية بين المسلمين، ص١٧٣.

المصادر والمراجع

١- ابن تيمية، المسائل الماردينية، مخطوط، إدارة المخطوطات والمكتبات الإسلامية بوزارة الأوقاف، موقع وداد بتاريخ: ١٨/ ١٠/ ٢٠٠٨م.

٢- ابن تيمية، الفتاوى الكبرى، دار الغد العربي.

٣- ابن هشام الأنصاري، السيرة النبوية، المكتبة العصرية، بيروت.

٤- ابن منظور، لسان العرب، دار المعارف الطبعة الأولى.

٥- أبو العباس أحمد بن حجر الهيثمي، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى.

٦- أبو إسحاق الشاطبي، الموافقات في أصول الشريعة، تحقيق محمد عبد القادر الفاضلي، المكتبة العصرية.

٧- أبو إسحاق الشاطبي إبراهيم بن موسى اللخمي الغرناطي المالكي، الاعتصام، تحقيق محمد الفضلي، المكتبة العصرية.

٨- أبو الفداء، إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي، تفسير القرآن العظيم، الطبعة الأولى ١٤٠١هـ، دار الفكر - بيروت.

٩- أبو جعفر محمد بن جرير بن زيد الطبري، جامع البيان في تأويل آي القرآن، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ، دار الفكر - بيروت.

١٠- أبو حامد محمد بن محمد الغزالي، إحياء علوم الدين، دار إحياء الكتب العربية.

١١- أبو حامد الغزالي، الاقتصاد في الاعتقاد، تحقيق علي بو ملحام، دار ومكتبة الهلال، الطبعة الأولى، ١٩٩٣م.

١٢- أبو زكريا يحيي بن شرف النووي، شرح صحيح مسلم، الطبعة الثانية ١٣٩٢هـ، دار إحياء التراث العربي - بيروت.

١٣- أبو زكريا يحيي بن شرف النووي، رياض الصالحين، تحقيق أنور الباز، الطبعة الثانية، ٢٠٠٠م، دار الوفاء.

١٤- أبو عبد الله أحمد بن حنبل الشيباني، المسند، مؤسسة قرطبة ـ مصر.

١٥- أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، الطبعة الثانية، ١٣٧٢هـ، دار الشعب ـ القاهرة، تحقيق أحمد عبد العليم البردوني.

١٦- أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصفهاني، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، الطبعة الثانية، ٢٠٠٧م.

١٧- أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، فتح الباري، ١٣٧٩هـ، دار المعرفة ـ بيروت، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، ومحب الدين الخطيب.

١٨- أحمد عمر هاشم، النفس في القرآن، دار الفكر العربي.

١٩- الحارث المحاسبي، أدب النفوس، تحقيق مجدي فتحي السيد، الطبعة الثانية، ٢٠٠٥م، دار السلام.

٢٠- الحسين بن محمد الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، الطبعة الثانية، ١٤٢٠هـ ـ ١٩٩٩م، دار المعرفة، بيروت، ضبطه وراجعه محمد خليل عيتاني.

٢١- السيد سابق، العقائد الإسلامية، طبعة ١٩٩٨م، دار الفكر.

٢٢- السيد سابق، فقه السنة، دار الوفاء.

٢٣- الطبري، الرياض النضرة في مناقب العشرة، دار النشر العلمية، ٢٠٠٣م.

٢٤- الفخر الرازي، التفسير الكبير، الطبعة الثانية، دار الكتب العلمية، طهران.

٢٥- القاضي أبي الفضل عياض اليحصبي، الشفا بتعريف حقوق المصطفى ﷺ، المكتبة العصرية، بيروت.

٢٦- الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد، أدب الدنيا والدين، تحقيق مصطفى السقا، القاهرة، طبعة الهيئة العامة لقصور الثقافة، سلسلة الذخائر.

٢٧- المنذري، الترهيب والترغيب من الحديث الشريف، ، دار المعرفة.

٢٨- إسماعيل بن محمد العجلوني، كشف الخفاء ومزيل الالتباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس، المكتبة العصرية.

٢٩- جلال الدين السيوطي، معترك الأقران في إعجاز القرآن، دار الكتب العلمية، ١٩٨٨م.

٣٠- جمعة أمين، فهم الإسلام في ظلال الأصول العشرين، دار الدعوة، ١٩٩٠م.

٣١- حسام حميدة، في رحاب الإسلام، دار التوزيع والنشر الإسلامية، طبعة ٢٠٠٤.

٣٢- حسن البنا، مجموعة الرسائل، ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م، دار الطباعة والنشر الإسلامية، القاهرة.

٣٣- سعيد حوى، تربيتنا الروحية، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، ١/ ١١/ ١٩٩٩م.

٣٤- سعيد حوى، المستخلص في تزكية الأنفس، دار السلام.

٣٥- سيد قطب، في ظلال القرآن، الطبعة السابعة عشر، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م، دار الشروق، القاهرة.

٣٦- شرف الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن رجب الحنبلي، جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثا من جوامع الكلم، تحقيق وليد بن محمد، مكتبة الصفا، ١٤٢٢هـ- ٢٠٠٢م.

٣٧- شمس الدين بن عبد الله محمد بن أبي بكر المعروف بابن قيم الجوزية، إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان، تحقيق خالد عبد اللطيف، دار الكتاب العربي.

٣٨- شمس الدين بن عبد الله محمد بن أبي بكر المعروف بابن قيم الجوزية، زاد المعاد في سيرة خير العباد، مؤسسة الرسالة.

٣٩- شمس الدين بن عبد الله محمد بن أبي بكر المعروف بابن قيم الجوزية، مختصر مدارج السالكين، تحقيق الدكتور عبد الرحمن العك، طبعة ١٩٩٦م، المكتب الإسلامي للطباعة والنشر.

٤٠- ابن القيم، بدائع الفوائد، دار الكتاب العربي للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، ٢٠٠٢م.

٤١- ابن القيم، الطرق الحكمية في السياسة الشرعية، دار الأرقم للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، ٢٠٠١م.

٤٢- ابن القيم، مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، تحقيق الشيخ عبد العزيز بن ناصر الجليل، دار طيبة، الطبعة الثانية.

٤٣- ابن القيم، إعلام الموقعين عن رب العالمين، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية.

٤٤- صلاح الدين أرقه دان، مختصر الإتقان في علوم القرآن للسيوطي، دار النفائس، الطبعة الثانية، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.

٤٥- عبد الكريم زيدان، المفصل في أحكام المرأة والأسرة المسلمة في الشريعة الإسلامية، الطبعة الأولى، ١٩٨٣م، مؤسسة الرسالة. و http://majles.alukah.net/showthread.php?t=٦٤١٠، ٢٦-١١-٢٠٠٨م.

٤٦- عبد الكريم زيدان، عصرنا والعيش في زمانه العصيب، دار القلم - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.

٤٧- عبد المنعم تعيلب، البيعة، مكتبة وهبة، الطبعة الثالثة.

٤٨- علي عبد الحليم، مع العقيدة والحركة والمنهج، دار الوفاء، ١٩٩٢م.

٤٩- علي محمد الصلابي، السيرة النبوية عرض وقائع وتحليل أحداث، الطبعة الثانية، ٢٠٠٨م، دار النشر للجامعات.

٥٠- علي محفوظ، الإبداع في مضار الابتداع، دار الاعتصام.

٥١- مجدي الهلالي، الطريق إلى الربانية منهجا وسلوكا، دار التوزيع والنشر الإسلامية.

٥٢- مجدي الهلالي، حطم صنمك وكن عند نفسك صغيرا، مؤسسة اقرأ.

٥٣- مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، مطابع الدار الهندسية، الطبعة الثالثة، ١٩٨٥ - ١٤٠٥م.

٥٤- محمد الغزالي، دستور الوحدة الثقافية بين المسلمين، دار الوفاء، ١٩٩٢م.

٥٥- محمد الغزالي، ليس من الإسلام، دار الشروق.

٥٦- محمد الغزالي، خلق المسلم، دار الدعوة، الطبعة الثالثة، ١٤١١هـ-١٩٩٠م.

٥٧- محمد رواس قلعة جي، معجم لغة الفقهاء، دار النفائس للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، ١٩٩٦م.

٥٨- محمد بن علان الصديقي الشافعي، دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، تحقيق عصام الدين الضابطي، دار الحديث، الطبعة الأولى، ١٤٩١هـ - ١٩٩٨م.

٥٩- محمد نعيم ياسين، الإيمان: أركانه، حقيقته، نواقضه، الطبعة الأولى، ١٤١٢ هـ- ١٩٩١ م، مكتبة السنة ـ القاهرة.

٦٠- محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي المصري، لسان العرب، الطبعة الأولى، دار صادر ـ بيروت.

٦١- محمد سعيد رمضان البوطي، الجهاد في الإسلام كيف نفهمه وكيف نعمل به؟، طبعة ٢٠٠١م، دار الفكر العربي.

٦٢- محموذ أبو رية، في نور الإسلام، طبعة ٢٠٠٧، دار التوزيع والنشر الإسلامية.

٦٣- مصطفى مشهور، الدعوة بين الأصالة والانحراف، الطبعة الرابعة، دار التوزيع والنشر الإسلامية ـ القاهرة.

٦٤- مصطفى مشهور، من فقه الدعوة، دار التوزيع والنشر الإسلامية.

٦٥- يوسف القرضاوي، الإخوان المسلمون سبعون عاما من الجهاد والتربية والدعوة، طبعة ١٩٩٩م، مكتبة وهبة - القاهرة.

٦٦- يوسف القرضاوي، الإيمان والحياة، مكتبة وهبة.

٦٧- يوسف القرضاوي، فقه الزكاة، مؤسسة الرسالة.

مراجع إلكترونية:

١- الموسوعة الشاملة، الإصدار الثاني cd.

٢- موقع الإسلام، البحث في الحديث.

http://hadith.al-islam.com/Search/AdvSearch.asp .

٣- موقع التفسير، صفحة التفسير.

http://www.altafsir.com/Tafasir.asp?tMadhNo=.&tTafsirNo=.&tSoraNo=1&tAyahNo=1&tDisplay=no&LanguageID=1

٤- موقع إسلام أون لاين، صفحة مفاهيم ومصطلحات.

http://www.islamonline.net/servlet/Satellite?hSection=NMACP&pagename=Zone-Arabic-Namah/NMASection

٥- الشبكة الدعوية، صفحة الكتب.

http://www.daawa-info.net/books1.php?ne=

* * *

فهرس موضوعات الجزء الأول

مقدمة ٥

الفصل الأول: المحور الإيماني التعبدي ١٧

أولًا: القرآن الكريم (دراسة تربوية للسور الست الأولى من الجزء الثامن والعشرين) . ١٧

(١) سورة المجادلة ١٩

الدرس الأول: العناية بالمجتمع المسلم ورعايته ٢٠

الدرس الثاني: تربية الفئة المؤمنة والتحذير من صفات المنافقين ٢٥

الدرس الثالث: الميزان الدقيق للإيمان في النفوس ٢٩

الدرس الرابع: صفات المنافقين الذين يتولون اليهود ٣٣

الدرس الخامس: الولاء والبراء لله ولرسوله ٣٦

(٢) سورة الحشر ٤٠

الدرس الأول: إجلاء بني النضير ٤٠

الدرس الثاني: تنظيم العلاقات الداخلية في المجتمع المسلم ٤٦

الدرس الثالث: حقيقة الأعداء ٥٠

الدرس الرابع: حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا ٥٤

(٣) سورة الممتحنة ٦٠

الدرس الأول: التجرد والبعد عن المعصية ٦١

الدرس الثاني: تنظيم الإسلام للعلاقات الدولية عامة وما يخص النساء خاصة ٦٩

(٤) سورة الصف ٧٥

الدرس الأول: وجوب موافقة القول للفعل ٧٦

الدرس الثاني: الله عز وجل متم نوره ٨٠

الدرس الثالث: التجارة الرابحة مع الله ٨٤

(٥) سورة الجمعة ٨٨
الدرس الأول: الرسالة .. فضل الله للأميين ٨٩
الدرس الثاني: تفريط اليهود في الرسالة سبب ضياعها منهم ٩٣
الدرس الثالث: اختصاص الأمة بإحياء يوم الجمعة وتفضيل التجارة مع الله ٩٦
(٦) سورة المنافقون ١٠٠
الدرس الأول: حقيقة المنافقين ١٠٠
الدرس الثاني: عداوة المنافقين للرسول ﷺ ١٠٤
الدرس الثالث: تحذير المؤمنين من فعل المنافقين ١٠٧
ثانيًا: الأحاديث النبوية الشريفة ١٠٩
الحديث الأول: بيان كثرة طرق الخير ١١٠
الحديث الثاني: الصدق ١١٥
الحديث الثالث: اليقين والتوكل ١٢٠
الحديث الرابع: المبادرة إلى الخيرات ١٢٥
الحديث الخامس: تحريم العقوق وقطيعة الرحم ١٣٠
ثالثًا: العقيدة ١٣٤
الإيمان ١٣٤
حقيقة الإيمان ١٣٥
أثر الإيمان بالله ١٣٩
أثر الإيمان بالملائكة ١٤٦
مقتضيات الإيمان بالكتب السماوية ١٤٩
الإيمان بالرسل والأنبياء ١٥٢
أثر الإيمان باليوم الآخر ١٦٣
أثر عقيدة الإيمان بالقدر ١٦٨

رابعًا: السيرة النبوية........................ ١٨٠
١ - أهم الأحداث التاريخية من قبل البعثة وحتى نزول الوحي........................ ١٨١
* وضع المرأة في المجتمع العربي قبل الإسلام........................ ١٨١
* أخلاق العرب قبل الإسلام بين سلامة الفطرة وتيه العقل........................ ١٨٢
* قصة أصحاب الفيل........................ ١٨٣
* عمل النبي ﷺ بالرعي........................ ١٨٤
* حلف الفضول........................ ١٨٤
* تجارة النبي ﷺ في مال خديجة وزواجه منها........................ ١٨٥
* اشتراك النبي ﷺ في بناء الكعبة........................ ١٨٦
٢ - نزول الوحي والدعوة السرية........................ ١٨٨
* وصف نزول الوحي ومقدماته........................ ١٨٨
* دور السيدة خديجة في بداية نزول الدعوة........................ ١٨٩
* بدء الدعوة السرية........................ ١٩٠
* استمرار النبي ﷺ في الدعوة........................ ١٩١
* أهم خصائص الجماعة التي تَربَّتْ على يد رسول الله ﷺ........................ ١٩٢
* البناء العقدي في العهد المكي........................ ١٩٢
* تصحيح الجانب العقدي لدى الصحابة ﷺ........................ ١٩٣
* البناء التعبدي والأخلاقي في العهد المكي........................ ١٩٤
خامسًا: الفقه........................ ١٩٦
١ - اللباس والزينة للمرأة........................ ١٩٨
الدرس الأول: ألوان اللباس........................ ١٩٨
الدرس الثاني: ما يشترط في لباس المرأة المسلمة........................ ١٩٨
الدرس الثالث: ما يشترط في لباس المرأة المسلمة........................ ١٩٨

الدرس الرابع: ما يشترط في لباس المرأة المسلمة ١٩٩
الدرس الخامس: تعريف الزينة ٢٠٠
الدرس السادس: الحلي ٢٠٠
الدرس السابع: الكحل والخضاب ٢٠١
الدرس الثامن: الطيب ٢٠١
الدرس التاسع: الشعر وما يتعلق به ٢٠٢
الدرس العاشر: الشعر وما يتعلق به ٢٠٢
الدرس الحادي عشر: الوشم والوشر ٢٠٣
الدرس الثاني عشر: زينة المرأة في الوقت الحاضر ٢٠٣
الدرس الثالث عشر: أعمال التجميل وعملياته ٢٠٤
٢- التبرج والاختلاط ٢٠٥
الدرس الأول: الاختلاط ٢٠٥
الدرس الثاني: الاختلاط للحاجة ٢٠٥
الفصل الثاني: المحور الأخلاقي السلوكي ٢٠٧
التعرف على عيوب النفس والاجتهاد في محاسبتها وإصلاحها ٢٠٩
الدرس الأول: محاسبة النفس ٢١١
١- مفهوم محاسبة النفس ٢١١
٢- كيفية محاسبة النفس والتدقيق في محاسبتها ٢١٤
الدرس الثاني: إصلاح النفس ٢١٧
١- مفهوم إصلاح النفس ٢١٧
٢- وسائل إصلاح النفس ٢١٧
٣- الاجتهاد في إصلاح النفس (مجاهدة لنفسها) ٢٢٠

الدرس الثالث: مجاهدة النفس ٢٢٣
١ - مجاهدة النفس للتخلص من بعض آفات اللسان ٢٢٣
* مجاهدة النفس للتخلص من الغيبة ٢٢٣
* مجاهدة النفس للتخلص من النميمة ٢٣٤
* مجاهدة النفس للتخلص من المراء والجدل ٢٤٠
٢- تنقية النفس من خطاياها ٢٤٨
* تنقية النفس من الكبر ٢٤٨
* تنقية النفس من الغضب ٢٥٣
* تنقية النفس من الحقد ٢٥٩
* تنقية النفس من الحسد ٢٦٤
الدرس الرابع: التحلي بالأخلاق والقيم الإسلامية ٢٧٠
١ - قوة الإرادة ٢٧٠
٢- مخالفة الهوى ٢٧٥
الفصل الثالث: المحور الدعوي الحركي ٢٨٥
الفهم الصحيح للإسلام (الأصول العشرون) ٢٨٧
الأصل الأول للفهم الصحيح للإسلام ٢٨٩
الأصل الثاني للفهم الصحيح للإسلام ٢٩٧
الأصل الثالث للفهم الصحيح للإسلام ٣٠٢
الأصل الرابع للفهم الصحيح للإسلام ٣٠٦
الأصل الخامس للفهم الصحيح للإسلام ٣١٠
الأصل السادس للفهم الصحيح للإسلام ٣١٦
الأصل السابع للفهم الصحيح للإسلام ٣١٩

الأصل الثامن للفهم الصحيح للإسلام ٣٢٢
الأصل التاسع للفهم الصحيح للإسلام ٣٢٦
الأصل العاشر للفهم الصحيح للإسلام ٣٣٢
الأصل الحادي عشر للفهم الصحيح للإسلام ٣٣٦
الأصل الثاني عشر للفهم الصحيح للإسلام ٣٤٢
الأصل الثالث عشر للفهم الصحيح للإسلام ٣٤٥
الأصل الرابع عشر للفهم الصحيح للإسلام ٣٤٩
الأصل الخامس عشر للفهم الصحيح للإسلام ٣٥٥
الأصل السادس عشر للفهم الصحيح للإسلام ٣٥٩
الأصل السابع عشر للفهم الصحيح للإسلام ٣٦٢
الأصل الثامن عشر للفهم الصحيح للإسلام ٣٦٦
الأصل التاسع عشر للفهم الصحيح للإسلام ٣٧١
الأصل العشرون للفهم الصحيح للإسلام ٣٧٤
المصادر والمراجع ٣٨١
فهرس الموضوعات ٣٨٧

* * *

هذا الكتاب

يمثل الإصدار الأول لسلسلة تربوية إيمانية نحاول فيها - بتوفيق من الله - تحقيق منهج شامل للمرأة المسلمة يتضمن ثلاثة محاور أساسية ؛ هي : المحور الإيماني والتعبدي ، المحور الأخلاقي والسلوكي ، المحور الدعوي والحركي ، والتي تشكل جوانب التربية الإسلامية .

وقد روعي فيه التالي :

* أن تكون أهدافه منبثقة من العقيدة ، ملبية لحاجيات المرأة المسلمة ، مراعية لظروفها ، متناسقة مع خصوصياتها وطبيعة مهامها ، منطلقة من واقعها ، متدرجة بها في درجات الكمال التي تراد لها ، هادفة إلى تحقيق غايتها.

* مراعاة النشأة الخلقية للمرأة .

* الوصول بالمرأة للرقي والتميز في أدوارها الاجتماعية والإنسانية .

* تلبية الأهداف التربوية للمرأة بحيث تتناسب مع : حاجياتها ، وظائفها الأساسية ، فطرتها وظروفها والأدوار الاجتماعية والإنسانية المتنوعة .

والله نسأل أن يتم فضله ونعمته علينا ، ويتقبل صالح أعمالنا ، ويجعلنا من ورثة جنة النعيم .

المؤلف

دار النشر للجامعات
ص.ب (١٣٠ محمد فريد) القاهرة ١١٥١٨
تليفون : ٢٦٣٤٧٩٧٦ - ٢٦٣٢١٧٥٣ تليفاكس : ٢٦٤٤٠٠٩٤
Website:www.darannshr.com
E-mail:darannshr@yahoo.com
9789773163197